سلسلة

المحاضرات الرمضانية

ألقاها السيد

عبدالملك بن بدر الدين الحوثي

رمضان ١٤٤٣هـ

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ

كل الحقوق محفوظة

تم الصف والإخراج في

الوحدة الفنية

بمكتب السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي

موقع شبكة البينات الثقافية: https://albayynat.net.ye/

البينات

الفهرس

المحاضرة الأولى صفحة: ١٧

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (١)

١- التقوى.. الثمرة العملية التربوية للصيام ١٩

٢- بسبب النقص في التقوى.. فجوة كبيرة بين المسلمين وبين الإسلام ٢١

٣- التقوى للوقاية من عذاب الله ٢٢

٤- العقوبات العاجلة نتيجة للتفريط في الالتزام بالتقوى ٢٥

٥- من ثمار التقوى في الدنيا والآخرة ٢٧

٦- حديث القرآن عن التقوى ومجالاتها الواسعة ٢٨

المحاضرة الثانية صفحة: ٣٣

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٢)

أساس قبول العمل والخلاص من المحن

١- التقوى أساس لقبول الأعمال ٣٤

٢- من أسباب حبوط الأعمال ٣٨

٣- من خلال التقوى تتجلى لنا قيمة التوجيهات الإلهية ٤٠

٤- الرعاية الإلهية العجيبة للمتقين! ٤٢

٥- لا تقلق.. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٤٤

٦- انطلق على أساس التقوى والرزق على الله ٤٦

٧- بالتوكل على الله نجتاز كل الصعوبات والتحديات ٤٨

المحاضرة الثالثة صفحة: ٥١

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٣)

المتقون.. مواصفاتهم. اهتماماتهم. مصيرهم

١- كيف تكون نظرتنا وتعاملنا مع متع الحياة الدنيا؟ ٥٣

٢- وجه طمعك لما عند الله فهو الأرقى والأعظم! ٥٧

٣- التقوى.. ثمن جنة الخلد!! ٥٩

٤- ومع هذا النعيم غاية التعظيم والتكريم ٦١

٥- نماذج من مواصفات المتقين في القرآن الكريم ٦٤

- طلب المغفرة من واقع إيمانهم وعمق مشاعرهم ٦٤

- الصبر على السير وفق منهج الله ٦٦

- الصدق في القول والعمل ٦٧

- الخضوع الدائم لله تعالى ٦٧

- روحية العطاء والإنفاق باستمرار ٦٨

٦- مسك ختام هذه المواصفات: الاستغفار في الأسحار ٦٩

المحاضرة الرابعة صفحة: ٧١

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٤)

من مميزات المتقين: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

٢- من مميزات المتقين: التذكر والاستعداد لليوم الآخر ٧٣

٣- حالة الغفلة والإعراض ونتائجها السيئة ٧٦

٤- الموت نهاية حتمية للفرصة الوحيدة المتاحة المؤقتة ٧٨

٥- هنا الخطر.. عندما تتأخر محطات التذكر! ٨١

٦- أنت معنيٌّ بهذا الحديث.. ويوم القيامة قريب فاستيقظ! ٨٣

٧- يوم حسرة الغافلين والمعرضين!! ٨٦

المحاضرة الخامسة صفحة: ٨٩

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٥)

رحلة إلى عالم الخلود

١- المجتمع البشري في ساحة المحشر! ٩٢
٢- يوم الحساب وتجليات العدالة الإلهية ٩٤
٣- طريقة توزيع الصحف تنبئ عن المصير! ٩٦
٤- محتوى كتاب الأعمال.. إحصاء دقيق وشامل! ٩٨
٥- هنا ورطة المفرطين.. لا مناص ولا خلاص!! ١٠٠
٦- المشهد الرهيب.. ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾!! ١٠٣
٧- وتبدأ عملية التوزيع والافتراق الأبدي!! ١٠٤
٨- المصير الأليم للعصاة المذنبين! ١٠٥
٩- المتقون في ضيافة الله الكريم!! ١٠٦
١٠- يمكنك الآن فقط أن تتفادى هذا المصير! ١٠٧

المحاضرة السادسة صفحة: ١٠٩

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٦)

من مقامات يوم القيامة وأنواع العذاب في جهنم

١- المتقون دائماً يستشعرون التقصير والحاجة لطلب المغفرة ١١٢
٢- دع الغفلة والاستهتار وتنبه لمخاطر الذنوب والأوزار ١١٥
٣- من حديث القرآن عن مقامات يوم القيامة ١١٧
٤- المواقف والولاءات ١١٨
٥- المنافقون والمنافقات ١٢١
٦- بين الضعفاء والمستكبرين ١٢٢
٧- حديث القرآن عن جهنم وأنواع العذاب فيها! ١٢٣
٨- تأمل الآن وتذكر قبل فوات الأوان!! ١٢٨

المحاضرة السابعة صفحة: ١٣١

في رحاب القرآن الكريم وهدايته الواسعة

١- مفتاح كل النعم الإلهية على البشرية ١٣٤
٢- مما وصف الله تعالى به القرآن الكريم ١٣٦
٣- القرآن كتاب مبارك وبركاته الواسعة ١٣٧
٤- القرآن نور يضيء لنا واقع الحياة ١٣٨
٥- القرآن المعجزة الخالدة ١٤١
٦- القرآن الحكيم في كل المجالات ١٤٢
٧- القرآن المجيد ١٤٣
٨- القرآن كتاب عزيز ١٤٤
٩- القرآن كتاب هداية للتي هي أقوم ١٤٥
١٠- القرآن شفاء وتزكية للنفوس ١٤٧
١١- من أهم ما نهتدي به في القرآن: تحديد المسؤوليات ١٤٨
١٢- من أهم ما نهتدي به في القرآن: الوعي عن الأعداء والمخاطر ١٥٠
١٣- القرآن ميسّر لمن تأمل وتدبر ١٥١

المحاضرة الثامنة صفحة: ١٥٣

الدعـــــــاء

معناه.. أهميته.. أسباب الاستجابة وموانعها

١- بالدعاء تعبر عن عمق علاقتك مع الله سبحانه ١٥٤
٢- أسباب استجابة الدعاء والعوائق أمامها ١٥٧
٣- استجابة الدعاء يرتبط بها التدبير والحكمة الإلهية ١٦٠
٤- الأنبياء وأهم ما يركزون عليه في الدعاء ١٦١
٥- مهما طالت المحن والشدائد لا تيأس من الفرج ١٦٢
٦- المشاعر والأجواء التي يجب أن تسود حالة الدعاء ١٦٤

٧- ما الذي يجب التركيز عليه في دعائنا؟ ١٦٦
٨- موسم الدعاء والفرص المتميزة للإجابة ١٦٧

المحاضرة التاسعة صفحة: ١٧١

الصبـــــــر

ملازم للإيمان .. وعنوان للنجاح والفلاح

١- الصبر في ميدان طاعة الله والنهوض بالمسؤولية ١٧٤
٢- الصبر وعلاقته بالتوكل على الله والثقة بالله ١٧٥
٣- حديث القرآن عن ثمرة الصبر ونتائجه المهمة ١٧٦
٤- الأنبياء.. النموذج العظيم في الصبر والتحمل ١٨١
٥- نماذج أخرى من الأنبياء (عليهم السلام) ١٨٤
٦- العواقب الوخيمة الخطيرة لعدم الصبر الإيجابي ١٨٨

المحاضرة العاشرة صفحة: ١٩١

الصبـــــــر

التواصي به وعلاقته بالنهوض بالمسؤوليات الكبرى

١- لمواجهة التحديات لابد من التواصي بالصبر ١٩٢
٢- الصبر من أعظم العبادات المقرِّبة إلى الله ١٩٤
٣- صبَر النبي الأكرم فتغير الواقع المظلم ١٩٦
٤- الصبر سلاح في مواجهة العدوان.. شواهد من الواقع ١٩٧
٥- درس مهم من صبر الربانيين مع الأنبياء ١٩٩
٦- نتيجة الصبر وثمرته الطيبة ٢٠٢
٧- النتائج السيئة للتفريط وعدم الصبر ٢٠٣
٨- الدوافع المهمة المساعدة على الصبر ٢٠٥

المحاضرة الحادية عشرة صفحة: ٢٠٩

الصـــــلاة

المورد التربوي الإيماني العظيم

١- وجوب المحافظة على الصلاة في كل الظروف ٢١٢

٢- ما ذا يعني إقامة الصلاة؟ ٢١٣

٣- الصلاة في رأس قائمة الفرائض المؤكدة في كل رسالات الله ٢١٤

٤- السر في عظمة الصلاة وأهميتها ٢١٧

- التذكر والذكر لله تعالى ٢١٧

- ترسيخ معنى العبودية للّه سبحانه ٢١٩

- العطاء التربوي للصلاة ٢٢٠

- وسيلة مساعدة على التقوى والنهوض بالمسؤولية ٢٢٢

٥- ضرورة الوعي بخطورة التفريط والتهاون بالصلاة ٢٢٢

٦- بالوعي الإيماني ندرك عظمة الصلاة وقيمتها ٢٢٤

٧- ارتباط الصلاة وصلتها الوثيقة ببقية الأعمال ٢٢٥

المحاضرة الثانية عشرة صفحة: ٢٢٧

الزكـــاة والإنفـــاق

أهميتهما وأثرهما في واقع الفرد والمجتمع والأمة

١- لا تبخل بالزكاة والإنفاق فأنت إنما تقدِّم لنفسك ٢٢٩

٢- أداء الزكاة من لوازم التقوى والإيمان ٢٣٠

٣- الزكاة والإنفاق وأثرهما التربوي المهم ٢٣٣

٤- الوعيد الشديد للمفرطين في أداء الزكاة ٢٣٤

٥- انعدام الأمطار ونزع البركات من نتائج البخل بالزكاة ٢٣٦

٦- الإنفاق في سبيل الله مسؤولية دينية والتزام إيماني ٢٣٧

٧- الضمانات الإلهية بالعوض المضاعف والأجر للمنفقين! ٢٣٩

٨- من معطيات الإنفاق وآثاره المهمة ٢٤٢

٩- الآثار الاجتماعية والتربوية العظيمة للإنفاق ٢٤٤
١٠- النتائج السلبية الخطيرة للبخل بالإنفاق ٢٤٦
١١- وأخيراً.. مجالات الإنفاق ٢٤٧

المحاضرة الثالثة عشرة صفحة: ٢٤٩

الاستقـــــامة

مفهومها . أساسها . مكاسبها

١- الأساس الذي تقوم عليه الاستقامة ٢٥١
٢- أصناف البشر تجاه الاستقامة وفق مدلول (ربنا اللّه) ٢٥٢
٣- هؤلاء وحدهم هم الفائزون ٢٥٣
٤- الاستقامة وطريقها العظيمة الجذابة ٢٥٥
٥- من أهم ما يساعد في الثبات على طريق الاستقامة ٢٥٦
٦- الاستقامة ومكاسبها المهمة ٢٥٨

المحاضرة الرابعة عشرة صفحة: ٢٦١

الإنسان بين عوامل الانحراف وعوامل الاستقامة

١- الوقاية من حالة الاعوجاج ٢٦٤
٢- هوى النفس ومخاطره الكثيرة ٢٦٨
٣- العوامل التي تساعد على الاستقامة ٢٧٩

المحاضرة الخامسة عشرة صفحة: ٢٨٩

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان

١- لإهمال أمة الإسلام لمبدأ التعاون صارت أضعف الأمم ٢٩٢
٢- هذا هو المؤسف حقاً! ٢٩٤
٣- لتضييع هذا المبدأ خسرت الأمة على كل المستويات ٢٩٦
٤- ما الذي يعوَّل عليه لإحياء مبدأ التعاون؟ ٢٩٨

٦- كيف ننهض بوضعنا الاقتصادي؟ ٣٠٢
٧- أهمية تفعيل مبدأ التعاون في الجانب الخدمي والاجتماعي ٣٠٥
٨- الخطورة الكبيرة للتعاون على الإثم والعدوان ٣٠٨

المحاضرة السادسة عشرة صفحة: ٣١١

البِرُّ في القرآن الكريم وعناوينه الجامعة

١- المزاجيون وتحديد الأولويات ٣١٣
٢- الإيمان.. العنوان الأول والأساس للبر ٣١٦
٣- الإيمان باليوم الآخر من أهم الدوافع نحو البر ٣١٩
٤- الإيمان بالملائكة وأثره في الدفع نحو عمل الخير ٣٢٠
٥- الإيمان بكل كتب الله دافع مهم لعمل البر ٣٢١
٦- الإيمان بالأنبياء ومعطياته العظمى ٣٢٢
٧- وآتى المال على حبه ٣٢٣
٨- دائرة البر والإحسان ومجالاته ٣٢٦
٩- بقية عناوين البر وأثرها في الدفع للعطاء ٣٢٧

المحاضرة السابعة عشرة صفحة: ٣٣١

يـــوم الفـــرقان

بوابة الانطلاق لمسيرة الجهاد في سبيل الله

١- قريش تواصل نشاطها وتستغل نفوذها لمحاربة الإسلام ٣٣٣
٢- الإذن الإلهي للنبي بالتحرك للتصدي لعدوان قريش ٣٣٥
٣- العير أو النفير.. لحظات توجس لدى البعض ٣٣٨
٤- جذور المشكلة التي كان الصراع من أجلها ٣٤٠
٥- لهذا انتصر المسلمون رغم قلة العدد والعدة! ٣٤٢
٦- المعركة الفاصلة وآثارها التاريخية الكبرى ٣٤٤

٧- دروس وعبر من غزوة بدر ٣٤٧

المحاضرة الثامنة عشرة صفحة: ٣٤٩

الجهاد في سبيل الله ضرورة حتمية لاستقامة الحياة

١- التحرك النبوي لمواجهة قريش رغم كل التحديات ٣٥١
٢- النشاط الجهادي كان من أبرز اهتمامات النبي الأكرم ٣٥٢
٣- الجهاد ضرورة حتمية لاستقامة الحياة ٣٥٥
٤- الكوارث الكبرى في تاريخ الأمة نتيجة لتعطيل فريضة الجهاد ٣٥٧
٥- سعي الأعداء لامتلاك القوة وإلغاؤهم لعنوان السلام ٣٥٨
٦- عنوان السلام.. متى يرفعونه؟ ولصالح من؟ ٣٦٠
٧- عظمة ثقافة الجهاد.. والنموذج المتميز ٣٦٢

المحاضرة التاسعة عشرة صفحة: ٣٦٥

الجهاد في سبيل الله

لتحقيق الإيمان والتحرر من الظلم والطغيان

١- لكي يتحقق الإيمان لابد من الجهاد في سبيل الله ٣٦٨
٢- من كمال الإيمان الثقة بوعد الله بالنصر ٣٧١
٣- من أعظم الدوافع نحو الجهاد للمصدقين بوعد الله ٣٧٣
٤- لهذا كان الجهاد معياراً لصدق الانتماء الإيماني ٣٧٥
٥- ضرورة الجهاد لرعاية وحماية العباد ٣٧٨
٦- وجوب التحرك الجهادي القوي لدفع طغيان أعداء الأمة ٣٨١
٧- الجهاد أهم حافز ودافع لبناء الأمة وقوتها ونهضتها ٣٨٤
٨- شواهد من الواقع المعاصر ٣٨٧
٩- الواقع اليوم يفرض علينا التحرك بروحية جهادية ٣٨٨

المحاضرة العشرون صفحة: ٣٩٣

الإمام علي عليه السلام

النموذج الشاهد على عظمة الرسالة والرسول

١- كيف؟ ولما استهدف الإمام علي عليه السلام؟ ٣٩٥

٢- من مقامات الإمام علي لنصرة الإسلام ومدلولها المتميز ٣٩٨

٣- الإمام علي النموذج الشاهد لعظمة الإسلام ومنهجه الحق! ٤٠١

٤- أثره الكبير في الحفاظ على الإسلام والتصدي لحركة النفاق ٤٠٢

٥- دور الإمام علي في مواجهة الطغيان الأموي ٤٠٤

٦- أهم درس نستفيده من سيرة الإمام علي ٤٠٨

المحاضرة الحادية والعشرون صفحة: ٤١١

ليلــــة القـــــدر

عظمتها وبركاتها وكيف نستغلها

١- ليلة القدر وبركاتها العظمى! ٤١٢

٢- ليلة تقدير وتدبير أمور البشر!! ٤١٤

٣- من وحي سورة القدر! ٤١٦

٤- أعظم فرصة نهتم فيها بالدعاء وأعمال الخير ٤١٨

المحاضرة الثانية والعشرون صفحة: ٤٢١

الأخوّة الإيمانية (١)

المبدأ الإسلامي المهم واللازم لإصلاح واقع الحياة

١- من النصوص المهمة في وجوب التوحد والحذر من التفرق والاختلاف ... ٤٢٥

٢- نتائج التفريط في هذه الفريضة المقدسة ٤٢٨

٣- مقومات وحدة الأمة قائمة لو توفرت الإرادة الصادقة ٤٣٠

٤- من مواصفات المؤمنين الساعين لترسيخ الأخوة الإيمانية ٤٣٢

٥- كظم الغيظ والعفو دليل صفاء النفس والوعي الكبير ٤٣٥

المحاضرة الثالثة والعشرون صفحة: ٤٣٩

الأخوّة الإيمانية (٢)

العامل الأبرز لقوّة الأمة وحمايتها واستقلالها

١- مبدأ الاعتصام.. العامل المهم في عزة الأمة وقوتها ٤٤٢
٢- عظمة مبدأ الاعتصام ودلالاته المهمة ٤٤٥
٣- المنهج التربوي في الإسلام وأثره في تأليف القلوب ٤٤٨
٤- حسن التعامل ودوره في ترسيخ الأخوة الإيمانية ٤٤٩
٥- أهمية التواضع وكظم الغيظ ومصارعة الغضب ٤٥١
٦- الأمر الإلهي بإصلاح ذات البين ونبذ التفرق ٤٥٤

المحاضرة الرابعة والعشرون صفحة: ٤٥٧

الأخوّة الإيمانية (٣)

العوائق المؤثرة سلبًا والتي تزرع التفرق والتباين

المحاضرة الخامسة والعشرون صفحة: ٤٧٩

الأخوة الإيمانية (٤)

وسائل أعداء الإسلام لتجزئة الأمة وتفرقها

١- تقسيم العالم الإسلامي جغرافياً وسياسياً ٤٨١
٢- مذهبياً ودينياً ٤٨١
٣- استثمار المشاكل وتفكيك المجتمع ٤٨٣
٤- الاستهداف لمن يسعى لإعاقة مخططاتهم ومؤامراتهم ٤٨٥
٥- انسجام المنافقين ومرضى القلوب مع نشاط الأعداء! ٤٨٨
٦- سنة الله في الفرز لتمييز الخبيث من الطيب ٤٩١
٧- ضرورة الوعي والموقف الصحيح تجاه أهل الزيغ ٤٩٥

٨- معالجة حالات التذمر بالطريقة المناسبة ٤٩٧

المحاضرة السادسة والعشرون صفحة: ٤٩٩

ضرورة استغلال نعمة الأمطار والاهتمام بالجانب الزراعي

١- للمزيد من النعم واستمرارها.. لا بد من الاستقامة والشكر ٥٠٢

٢- تكبر المسؤولية بقدر الظروف المهيأة للاستقامة ٥٠٥

٣- ضرورة الحرص على الاستفادة أكثر من مياه الأمطار ٥٠٦

٤- الاهتمام بالجانب الزراعي لكي نبقى أمة صامدة ثابتة ٥٠٨

المحاضرة السابعة والعشرون صفحة: ٥١١

الأسباب التي أدت لنشأة العدو الصهيوني واحتلاله لفلسطين

١- كيف نشأ العدو الصهيوني في وطن من أوطان المسلمين؟ ٥١٥

٢- وجوب التيقظ مبكراً والتصدي لهذا الخطر الكبير ٥١٧

٣- لابد من فهم طبيعة الصراع مع هذا العدو ٥١٩

٤- أهمية التعبئة العدائية لمواجهة سياسة التطويع ٥٢١

٥- من أهم الإرشادات القرآنية لمواجهة التحديات ٥٢٣

المحاضرة الثامنة والعشرون صفحة: ٥٢٧

التقــــوى

أساس العلاقات الأخوية والفوز بالسعادة الأبدية

١- دور الأصدقاء في الانحراف أو الالتزام بالتقوى ٥٢٩

٢- الدور الحساس والمؤثر لقرين السوء! ٥٣١

٣- الرافضون لقرناء السوء وفوزهم العظيم! ٥٣٤

٤- التقوى.. أساس العلاقات وسبب الفوز والفلاح ٥٣٥

٥- لمحة عن نعيم الجنة وما أعده الله للمتقين!! ٥٣٨

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

في رحاب شهر رمضان المبارك نتوجه إليكم من جديد بالمباركة والتهاني، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم في هذا الشهر المبارك الكريم لما يرضيه عنا من صالح الأعمال، وأن يوفِّقنا للتزود بالتقوى من شهر الصيام والتقوى.

شهر رمضان هو من الفرص التي أتاحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وما أكثرها- التي يهيئ الله للإنسان فيها الظروف الملائمة للتربية الإيمانية، لتزكية النفس، للاهتداء بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أبـواب رحمـة اللـه ﷻ هـي مفتوحـةٌ في كل وقـتٍ وحـين، والاسـتقامة والصـلاح والتقـوى أمـرٌ مطلـوبٌ مـن الإنسـان بشـكلٍ مسـتمر، لكـن اللـه ﷻ يهيِّـئ للإنسـان الفـرص والأجـواء المتنوعـة عـلى المسـتوى الزمنـي، عـلى مسـتوى الأحـداث والمتغـيرات، أشـياء كثـيرة يهيِّـئ اللـه للإنسـان مـن خلالهـا التذكـر، وتمثـل عامـلاً مسـاعداً عـلى الاسـتقامة، وأيضـاً فـرص كثـيرة هيَّأهـا اللـه ﷻ تسـاعد الإنسـان عـلى الارتقـاء الإيمـاني والأخلاقـي مـن جهـة، وعـلى اكتسـاب الأجـر والثـواب، وأن يحظـى بالقـرب مـن اللـه ﷻ، وأن تتعـزز علاقتـه الإيمانيـة باللـه جـلَّ شـأنه مـن جهـةٍ أخـرى، ويهيِّـئ اللـه للإنسـان عـلى المسـتوى الشـخصي، وعـلى مسـتوى المجتمـع كمجتمـعٍ مسـلم، يتجـه اتجاهـاً إيمانيـاً وفـق هـدى اللـه ﷻ، أن يحظـى مـن خـلال ذلـك برعايـةٍ واسـعةٍ مـن اللـه، فيـما لذلـك مـن ثمـرات ونتائـج طيبـة وعظيمـة في عاجـل الدنيـا وفي آجـل الآخـرة.

في شـهر رمضـان تتهيـأ الظـروف كمحطـةٍ سـنويةٍ مـع أجـواء الصيـام وبركاتـه، للصفـاء الذهنـي والنفسـي، وللقابليـة لهـدى اللـه ﷻ عـلى نحـوٍ متميـز، وهـي فرصـة، فرصـةٌ للتذكـير، لِنُذكِّـر أنفسـنا بهـدى اللـه، كـما قـال اللـه ﷻ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وأيضـاً شـهر رمضـان هـو شـهر نـزول القـرآن، وهنـاك صلـةٌ وثيقـةٌ مـا بـين الصيـام في الغايـة المرجـوة منـه وهـي التقـوى، ومـا بـين القـرآن الكريـم، والاهتـداء بالقـرآن الكريـم، والقـرآن الكريـم في أثـره العظيـم عـلى المسـتوى التربـوي سـماه اللـه شـفاءً، يشـفي النفـس البشـرية مـن كل مـا تعانيـه مـن الترسـبات والعلـل الأخلاقيـة والتربويـة التـي تدنسـها، التـي تؤثـر سـلباً عـلى فطرتهـا، التـي تؤثـر عليهـا التأثـيرات السـيئة، فينتـج عـن ذلـك الأعـمال السـيئة والانحرافـات في مسـيرة الحيـاة، ولذلـك للقـرآن الكريـم أثـره الكبـير عندمـا نتذكـر بالقـرآن، ونذكـر بالقـرآن، ونلتفـت إلى القـرآن الكريـم

١- الذاريات: من الآية ٥٥

بالتدبر والتأمل، مع التقييم لأنفسنا، والتقييم لواقعنا، والتقييم لأعمالنا، والتوجه العملي الصادق لتلافي جوانب القصور، وإصلاح جوانب الخلل.

التقوى.. الثمرة العملية التربوية للصيام

أول ما نتحدث عنه في هذا السياق هو عن الصيام في غايته المرجوة العملية منه، الله ﷻ قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، فهنا يحدد الله ﷻ ثمرةً عمليةً هي ثمرةٌ تربوية، لها أهميتها الكبيرة التي تساعد الإنسان على الاستقامة، وبالتالي الوقاية من النتائج للأعمال السيئة.

كثيراً ما نذكِّر أن مصدر الخطر على الإنسان بالدرجة الأولى والمباشرة هي: الأعمال السيئة، ونتائجها السيئة، عندما نلتفت إلى واقع المجتمع البشري، فأكثر ما يعاني منه الناس هي الجرائم، هي المظالم، هي المفاسد، **لها تأثيرات سيئة جدًّا على حياة الناس على:**

- **المستوى الاقتصادي:** على المستوى الاقتصادي كثيرٌ من الأزمات، كثيرة من المشاكل الاقتصادية، **تعود إلى اختلالين:**

- **اختلال في المحرمات**، في التجاوزات، في المعاصي، وما لذلك من تأثيرات مباشرة، الجرائم لها تأثيرات مباشرة، المفاسد لها تأثيرات مباشرة، ثم أيضاً في عقوباتها في واقع الحياة، في نتائجها في واقع الحياة، ما يترتب عليها من العقوبات، من نقص البركات، من نقص الخيرات، إلى غير ذلك.

- **وأيضاً الاختلال الآخر هو:** عدم الاهتمام بما علينا أن نهتم به، بما على المجتمع البشري أن يفعله، أن يقوم به، هناك التزامات عملية فيما علينا أن نعمل، وهناك التزامات تجاه ما ينبغي أن نتركه، أن نحذر منه، ما نهانا الله ﷻ عنه.

١- البقرة: الآية ١٨٣

- **ثم الجانب الأمني كذلك:** الكثير من المشاكل الأمنية، بل كل المشاكل الأمنية تعود إلى اختلالات كبيرة في الجوانب السلوكية والعملية، نتيجةً لما يحصل من جرائم، من مفاسد، من رذائل، تسبب الكثير من المآسي للناس في حياتهم، **فمصدر الشر في هذه الحياة هو الأعمال السيئة، ونتائجها السيئة المباشرة، والعقوبات عليها.**

ولذلك تأتي مسألة التقوى لتضبط لدى الإنسان أداؤه العملي فيما يقيه من تلك النتائج السيئة، من تلك الأعمال السيئة ومن عواقبها السيئة، ونحن نلحظ مثلاً ما يمثله الأشرار في واقع البشر، والسيئون، والمجرمون، والظالمون، والمفسدون، من مشاكل كبيرة في حياة الناس، **في كل مجالات حياتهم:** في الجوانب الاقتصادية، في الجوانب الأمنية، في الجوانب الاجتماعية، في الجوانب السياسية، في جوانب كثيرة.

وأيضاً من جانبٍ آخر ما ينتج عن التقصير عن الإهمال، عن التفريط، في الأعمال الصالحة، في المسؤوليات الكبيرة، في الواجبات العظيمة، من نتائج خطيرة **جدًّا** وسلبية، تساعد أولئك الأشرار، والمجرمين، والظالمين، والسيئين، والمفسدين، على أن يعم فسادهم، وظلمهم، وإجرامهم، وشرهم، وآثار ذلك، فتطال الجميع.

فمسألة التقوى مسألةٌ مهمةٌ جدًّا، أهميتها لعاجل الدنيا ولآجل الآخرة، ولذلك **يجب** أن نستحضر هذه المسألة جيداً، عندما نتجه إلى صيام هذا الشهر، عندما نتجه إلى كل ما يساعد فيه على تزكية النفس، على الاستقامة في أدائنا العملي، في تصرفاتنا، في سلوكياتنا، نستحضر هذه الثمرة المطلوبة، هذا الهدف العملي، **وبقية الأمور هي تترتب عليه:** الأجر، الثواب، البركات، الخيرات، ما وعد الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هي تترتب على الاهتمام

بهـذه الثمـرة العمليـة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فمـن خـلال الصيـام، مـن خـلال الإقبـال عـلى الأعـمال الصالحـة، مـن خـلال التجلـد عـلى الصـبر، واكتسـاب المنعـة أمـام أهـواء النفـس، وأمـام رغباتهـا، التـي لهـا تأثـير كبـير في انحـراف الإنسـان، وكذلـك مـن خـلال الاهتـمام بالقـرآن الكريـم، وهـدى اللـه ﷻ، ومـا فيـه مـن بصائـر، ونـور، وهـدى، وشـفاء، الإنسـان يكتسـب هـذه الثمـرة الطيبـة والنتيجـة العظيمـة، التـي هـي التقـوى، فيقـي نفسـه مـن عـذاب اللـه ﷻ، يقـي نفسـه مـن العواقـب السـيئة للأعـمال السـيئة، يقـي نفسـه مـن الأعـمال والانحرافـات الخطـيرة، التـي تخـرج بـه عـن خـط الإيمـان والتقـوى.

بسبب النقص في التقوى.. فجوة كبيرة بين المسلمين وبين الإسلام

عندما نتأمل في واقع مجتمعنا المسلم، الانتـماء للإسـلام هـو نعمـةٌ عظيمـة، وديـن الإسـلام هـو نعمـةٌ عظيمـة، أكمـل اللـه بهـا نعمـه علينـا وأتمهـا، وعندمـا نتأمـل واقـع المنتمـين لهـذا الديـن، نجـد حالـةً مـن التقصـير، مـن الإهـمال، مـن التفريـط، ومـن الظواهـر السـلبية في الواقـع، في واقـع الحيـاة، والانحرافـات، والأخطـاء، هـذا شيءٌ حاصـلٌ بشـكلٍ كبـير، وعندمـا نقيِّـم واقـع مجتمعنـا المسـلم عـلى أسـاس القـرآن الكريـم، وعـلى أسـاس هـدى اللـه ﷻ، نكتشـف فجـوةً كبيرة مـا بـين الالتـزام العمـلي المطلـوب، والحالـة القائمـة في الواقـع، ومجتمعنـا المسـلم لا ينقصـه الإقـرار فيـما يتعلـق بالإقـرار باللـه، باليـوم الآخـر، الإقـرار بالقـرآن الكريـم، الاعـتراف بالحـق، الاعـتراف بمـا تضمنـه القـرآن الكريـم مـن أسـس وثوابـت، المعرفـة عـلى نحـوٍ عـام بالحـلال والحـرام، وبالـذات الأمـور البـارزة، الأمـور الواضحـة، فالكثـير مـن المحرَّمـات التـي تنتهـك، هـي لا تنتهـك بجهـلٍ لـدى الكثـير مـن النـاس، هـي مـن المعروفـة عـلى أنهـا محرَّمـات، والكثـير أيضـاً مـن الواجبـات، والمسـؤوليات، والأعـمال الصالحـة التـي أمرنـا اللـه بهـا، وهنـاك تقاعـسٌ وتفريـطٌ

في القيام بها، والاهتمام بها، ليس ذلك ناتجاً عن جهلٍ في كثيرٍ منها، وهناك ما يكون التفريط فيه، أو التجاوز فيه، ناتجاً عن جهل، لكن المساحة المعروفة هي مساحة جيدة، وتتعلق بأسس، وبثوابت، وبأعمال أساسية، أو كذلك هناك قائمة من المحرمات الواضحة، المعروفة بشكلٍ عام، ويتم تجاوزها.

فمجتمعنا المسلم لا ينقصه الإقرار، لا ينقصه الاعتراف، لا تنقصه المعرفة في كثيرٍ من تلك الأمور، ولكن تنقصه التقوى، تنقصه التقوى، تظهر أمامنا قائمة، وبالذات عندما نتلو القرآن الكريم، عندما نذكِّر أنفسنا بما ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، نجد في حقيقة الأمر قائمة واسعة مما أمرنا الله به ونحن لا نقوم به، نقصِّر في القيام به، نفرِّط في أدائه، وقائمةً واسعة مما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه، ومن المحرمات، والكثير من أبناء مجتمعنا المسلم ينتهك حدود الله، ويتجاوز في تلك المحرمات ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه.

فلذلك فالنقص هو في جانب التقوى، فندرك الأهمية للتقوى، الأهمية للتزود بالتقوى، الأهمية لكل ما يساعدنا تربوياً وعملياً على التزام التقوى كحالةٍ إيمانيةٍ، هي في واقع الأمر لابدَّ منها لكي ننجو من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكي ننجي أنفسنا من العقوبات التي توعَّد الله بها من ينتهك تلك المحرمات، أو يقصِّر ويفرِّط في أداء تلك المسؤوليات.

التقوى للوقاية من عذاب الله

عندما نأتي إلى مسألة التقوى من واقع انتمائنا الإيماني، فأكبر ثمرةٍ للتقوى، هي: النجاة من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نحن كمجتمعٍ مسلم نؤمن بالجزاء، نؤمن باليوم الآخر، نؤمن بالبعث والحساب، نؤمن بالجنة والنار، نؤمن بوعد الله ووعيده، ولكن قد يكون لدينا ضعف في هذا الإيمان؛ **وبالتالي** لا ينتج عنه الاهتمام اللازم، الاهتمام

الكافي في الحذر من أسباب سخط الله، من أسباب عذاب الله.

يأتي الوعيد على كثيرٍ من المعاصي بحد ذاتها، بخصوصها، والكثير من الناس يصرّ على اقتراف تلك المعاصي، يأتي الوعيد على التفريط في مسؤوليات مهمة وأساسية أمرنا الله سبحانه وتعالى بها، فيأتي الكثير ليفرِّط في تلك الأعمال الأساسية، ولا يقوم بها، ولا يفعلها، ولا يلتزم بها، **والمعاصي في هذا الجانب:** تجاه ما أمر الله به، بعدم القيام به، هي أكثر ربما عند الكثير من الناس- وبالذات الفئة المتدينة- من تلك التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها.

فالله سبحانه وتعالى يذكِّرنا في القرآن الكريم بأهمية أن نسعى لأن نقي أنفسنا من عذابه، عندما قال جلَّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ودائماً عندما نسمع هذا النداء من الله سبحانه وتعالى، لنذكِّر أنفسنا جميعاً أننا معنيون بذلك، لا نسمع وكأنه نداءٌ موجهٌ إلى آخرين، وكأنه لا يعنينا، وكأنك أنت لست المقصود بهذا النداء، أنت كمنتمٍ للإيمان، بكل ما لذلك من التزامات، ويترتب عليه من التزامات عملية، وبكل ما يمثله ذلك من صلةٍ بالله سبحانه وتعالى، تذكَّر أنك معنيٌّ بذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦[1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، مجرد انتمائكم للإيمان لا يكفيكم في أن تقوا أنفسكم من نار الله، من عذاب الله، لو كان يكفيكم هذا الانتماء؛ **لما** أتى هذا التحذير، هذا الإنذار، هذا التنبيه المهم، ولكن لابدَّ لكم أن تسعوا عملياً لوقاية أنفسكم من هذا العذاب الرهيب، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾؛ **لأن** على الإنسان مسؤولية أيضاً تجاه أسرته، أن يسعى لنجاتها من عذاب الله، ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، النار التي نؤمن بأنها الجزاء الذي أعدَّه

١- التحريم: الآية

الله ﷻ في الآخرة، كعذابٍ أبدي للعصاة، والمجرمين، والكافرين، والفاسقين، وتحدث عنها القرآن الكريم كثيراً، عن أوصافها، عن أنواع العذاب فيها، وهو أمرٌ رهيب، وخطرٌ رهيبٌ **جدًّا**، والخسارة الكبرى، الخسارة الرهيبة **جدًّا، هي:** أن يتهاون الإنسان، وأن يكون في هذه الحياة مستهتراً، لا مبالياً، يعتمد على الأماني، يغر نفسه، يخادع نفسه، فيتساهل ويفرط فيما أمر الله به ﷻ، بعض المسؤوليات إذا فرَّط الإنسان فيها، فتفريطه فيها- بحد ذاته- يكفي في أن يوصله إلى النار؛ **لأن** هناك وعيداً في القرآن الكريم على ذلك بنار الله، وعذاب الله ﷻ.

الاستهتار تجاه المحرمات، والتهاون واللامبالاة والسير وراء شهوات النفس، ووراء الغضب، ووراء الحالات النفسية والمزاجية، بعيداً عن الوقوف عند حد الله، وأمر الله، وتوجيهات الله ﷻ، كفيلٌ بأن يوصل الإنسان إلى نار جهنم، فتكون خسارته كبيرة، وبالذات عندما يكون الإنسان منتمياً للإيمان، وهو في ظل فرصة وظروف مهيَّأة للنجاة، للفوز، فتكون حسراته أكبر.

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، هذا بحد ذاته كافٍ لدى الإنسان المؤمن حقاً في أن يسعى لتحقيق التقوى، إذا كانت عواقب التفريط، عواقب الإهمال، عواقب الاستهتار، عواقب السير وراء هوى النفس، والأماني، عواقبه الوصول إلى نار جهنم والعياذ بالله، الخلود في نار جهنم، أن تخسر رضوان الله، وجنة الله، والسعادة الأبدية، وتصل إلى النار، هذا أمرٌ خطيرٌ **جدًّا**؛ **ولذلك** أنبياء الله، وأولياء الله، والصالحون من عباد الله، من أكثر ما يتذكرونه، ويستحضرونه، وينتبهون له، **هو:** الحذر من عذاب الله، من الوقوع في عذاب الله

سبحانه وتعالى، من التورط هذه الورطة الرهيبة، الخطيرة **جدًّا**، فهم يعيشون حالة الخوف من عذاب الله، حالة اليقظة، حالة الانتباه، حالة الاهتمام، حالة التعامل بجدية مع أوامر الله وتوجيهاته، وتجاه ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

العقوبات العاجلة نتيجة للتفريط في الالتزام بالتقوى

ثم في عاجل الدنيا، ما يأتي من العقوبات في عاجل الدنيا، هو أيضاً كافٍ في أن يدفع بنا إلى التقوى؛ **لأن** الكثير مما نعانيه في حياتنا، سببه معاصينا، وتقصيرنا، وتفريطنا، المعاصي التي هي تجاوزٌ لما نهى الله عنه، أو تفريطٌ تجاه ما أمر الله سبحانه وتعالى به، التفريط في مسؤولياتنا.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[١]، ما يأتي للإنسان على المستوى الشخصي، كثيرٌ مما يعانيه، وكثيرٌ مما يواجهه من المصائب، هو ناتجٌ عن أعماله، عن تجاوزاته، عن تقصيره، عن أخطائه، وهذه مسألة ندرك من خلالها أهمية التقوى، التي تقينا الكثير من المصائب، وتخارجنا أيضاً مما بقي.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[٢]، هذا يبيِّن حجم ما يحصل من المجتمع البشري من المعاصي، من الذنوب، من الجرائم، من المفاسد، التي لو يعجِّل الله لهم المؤاخذة عليها؛ **لهلكوا**، ولهلكت كل مظاهر الحياة في واقعهم، وهذا أمرٌ رهيب، أمرٌ خطير، يبيِّن حجم التفريط، المعاصي، التقصير، التهاون في الواقع العام لدى الناس، وفي واقع المجتمع المسلم- كذلك- هناك الكثير من المعاصي التي لو تأتي المؤاخذة عليها كاملة؛ **لكانت** هلاكاً كاملاً، هلاكاً نهائياً، ولكن برحمة الله

١- الشورى: من الآية ٣٠
٢- فاطر: الآية ٤٥

ﷻ يؤخِّر الناس إلى آجالهم، ويعطي لهم من بعض العقوبات ما فيه عظة، ما فيه تذكير، ما فيه زاجرٌ لهم، ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]، يأتي من العقوبات، من المؤاخذة، من العواقب الموجعة للناس، من النتائج المؤثِّرة عليهم في معيشتهم، في حياتهم، في واقعهم، ما فيه العظة، ما فيه الذكرى لهم، ما فيه الدافع لهم إن التفتوا إلى أن يرجعوا إلى الله، أن يعودوا إلى الله، أن ينيبوا إلى الله.

عندما نلحظ مثلاً ما نعانيه كمجتمعٍ مسلم من ضنكٍ في المعيشة، من عناء، من متاعب كثيرة، هذا يشدنا إلى الرجوع إلى الله ﷻ؛ **لأن** طريق الخلاص وسبيل الخلاص هو بالرجوع إلى الله ﷻ، الله الذي يقول لنا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

عندما نلحظ مثلاً ما نعانيه في هذه المرحلة من الجدب الشديد، الذي ينتج عنه معاناة كبيرة في حياتنا، في معيشتنا، هذا من المفترض أن يدفعنا إلى الرجوع إلى الله ﷻ، أن نغتنم فرصة الشهر الكريم، في التوبة إلى الله، في الإنابة إلى الله، في الاستغفار، وفي نفس الوقت بالدعاء والتضرع، مع الرجوع العملي، الرجوع العملي الذي نتفقد فيه جوانب القصور لدينا، جوانب الخلل في واقعنا، ما الذي نقصر فيه، ما الذي نفرط فيه، ما الذي نتجاوز فيه توجيهات الله ﷻ، فنصلح واقعنا، فالرجوع الذي فيه تضرع، فيه توبة، فيه دعاء، فيه استغفار، فيه إنابةٌ إلى الله، وفيه إصلاحٌ في واقع العمل، فيه مراجعة لواقع العمل، وانتباهٌ لجوانب القصور والخلل في واقع العمل، هذا الرجوع يقبله الله؛ **لأنه** أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وذو الفضل الواسع العظيم، هو التواب الرحيم، الذي

١- التوبة: الآية ١٢٦

٢- الأعراف: من الآية ٩٦

إذا تاب إليه عباده هو الذي يقبل التوبة، يقبل التوبة من عباده.

من ثمار التقوى في الدنيا والآخرة

الله سبحانه وتعالى أيضاً في المقابل يبين لنا ثمرة التقوى العظيمة، و في مقدمة ذلك الثمرة العظيمة، النتيجة الكبرى للتوبة، للتقوى، في عالم الآخرة، في الحياة الدائمة والأبدية، في الجزاء العظيم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

فالجنة التي تحدث القرآن كثيراً عن تفاصيل النعيم فيها، عن الحياة السعيدة الأبدية فيها، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ولابدَّ من التقوى، للوصول إلى الجنة لابدَّ من التقوى، الله يقول: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[٢]، فإذا كنت تقياً، وتلتزم التقوى في حياتك، تلتزم التقوى في أعمالك، فهذه الثمرة العظيمة التي ستتحقق لك، وهي فوزٌ عظيم، بدون التقوى، إذا كان لدى الإنسان استهتار، لا مبالاة، تغلب عليه أهواؤه، في مواقفه، في أعماله، في أقواله، في تصرفاته، يسير وراء مزاج نفسه، رغبات نفسه، أهواء نفسه، غضب نفسه، فهو بعيدٌ عن هذه الثمرة، سيخسر هذه النتيجة العظيمة.

أما في عاجل الحياة فهناك الكثير الكثير مما وعد الله به على التقوى، مما هو عبارةٌ جامعةٌ شاملة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ معهم، يهديهم، ينصرهم، يعينهم، يوفقهم، يفرِّج عنهم، يتولاهم برعايته، يمنحهم السكينة، يرعاهم برعايته الشاملة، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، **عندما تكون متقياً لله** لن تكون وحدك في مواجهة هموم

١- آل عمران: من الآية ١٣٣
٢- مريم: من الآية ٦٣
٣- النحل: من الآية ١٢٨

هـذه الحيـاة، ومتاعبهـا، وأعبائهـا، وصعوباتهـا، وتحدياتهـا، اللـه معـك، **عندما تتقي الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لـن تتحمـل أعبـاء المسـؤولية، ومـا ينتـج عنهـا، ومـا تعانيـه في أدائهـا لوحـدك، اللـه معـك، **عندمـا تتقـي اللـه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يفـرِّج عنـك، يتـولاك برعايتـه، لا تعتمـد فقـط عـلى مـا هـو متـاحٌ بـين يديـك مـن طاقـات وإمكانـات وقـدرات محـدودة، بـل تسـتند إلى عطـاء اللـه الواسـع الـذي لا ينفـد، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[١].

حديث القرآن عن التقوى ومجالاتها الواسعة

وسـنأتي- إن شـاء اللـه- للحديـث أكثر عـن ثمـرة التقـوى فيـما يتعلـق بعاجل الدنيـا، لكـن نتحـدث أيضـاً عـن مجـالات التقـوى، تـأتي مسـألة التقـوى والأمـر بالتقـوى في القـرآن الكريـم كثـيراً وكثـيراً، في مقامـات العمـل، مـا علينـا أن نعمـل، وأن نتقـي اللـه في أن نفـرط في ذلـك العمـل، وتـأتي أيضـاً في النواهـي، نتحـدث عـن جوانـب منهـا باختصـار، ونـوكل الجميـع إلى الاهتـمام بتـلاوة القـرآن، **والتأمـل فيـما ورد بشـأن ذلـك خـلال تلاوتهـم للقـرآن الكريـم:**

يقـول اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٢]، يـأتي هـذا الأمـر والـذي أتى بهـذه الصيغـة: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وفي موضـعٍ واحـدٍ في القـرآن الكريـم بهـذا التعبـير: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، في سـياق الحديـث عـن مؤامـرة فريـق الشر مـن أهـل الكتـاب، مـن اليهـود والنصـارى الذيـن بعضهـم أوليـاء بعـض، في مؤامراتهـم عـلى المسـلمين، والأمـة الإسـلامية، والمجتمـع المؤمـن، في السـعي للارتـداد بـه عـن دينـه، عـن مبـادئ دينـه، عـن تعليـمات اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومنهجـه الحـق، والمسـؤولية المترتبـة عـلى ذلـك في التصـدي لهـم، في مواجهـة مؤامراتهـم، في تحصـين المجتمـع المسـلم مـن التبعيـة لهـم، مـن الطاعـة لهـم.

١- النحل: الآية ١٢٨

٢- آل عمران: الآية ١٠٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، تعتبر المسؤولية في ذلك مسؤولية كبيرة، مسؤولية عظيمة، مسؤولية مهمة، وهناك تحذيرٌ كبيرٌ من التفريط فيها، يصل إلى هذا المستوى من الأهمية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، فننتبه ونحذر أعلى مستويات الحذر والانتباه، ونكون على أعلى مستوى من اليقظة والجد في أداء مسؤوليتنا هذه، وألَّا نفرط فيها، فالتفريط فيها عواقبه خطيرةٌ علينا في الدنيا والآخرة، ولذلك **هنا** نستحضر التقوى، ندرك خطورة اللامبالاة، الإهمال، التفريط، التهاون في كل ما يتصل بمسؤوليتنا هذه، ونحن نتصدى لمؤامرة أهل الكتاب في تطويع مجتمعنا المسلم، في الارتداد به عن دينه وعن منهجه الحق.

يقول الله ﷻ أيضاً، مثلاً في مجالٍ آخر، في مجال صلاح ذات البين: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1]، **هنا** نستحضر التقوى في سعينا لصلاح ذات بيننا، وألَّا نفرط في ذلك، وألَّا نسمح بأن يفسد ذات بيننا، أن تسوء علاقتنا ببعضنا البعض كمجتمعٍ مؤمن، كأمةٍ مؤمنةٍ مجاهدة، فالتفريط في ذلك هو خللٌ في التقوى، وله نتائجه السلبية التي تؤثر على مدى أدائنا لمسؤولياتنا الجماعية، وقيامنا بواجباتنا الجماعية ومسؤولياتنا الجماعية، وأيضاً ما ينتج عن ذلك ويترتب عليه من مفاسد، من معاصٍ، إذا فسد ذات البين، إذا ساءت العلاقة بين المجتمع المؤمن، بين الأمة المجاهدة، **كم يترتب على ذلك من المعاصي المباشرة:** إساءات، تجاوزات، اغتياب، افتراءات، اتهامات، سوء ظن، **يعني: فساد ذات البين مفسدة رئيسية تتفرع عنها الكثير من المفاسد، إضافةً إلى أنه يمثل عائقاً حقيقياً عن القيام بالمسؤوليات الجماعية كما ينبغي؛ لأن** علينا مسؤوليات جماعية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

١- الأنفال: من الآية ١

﴿الْمُنْكَرِ﴾[١]، مسؤولية الجهاد في سبيل الله مسؤولية جماعية، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التعاون على البر والتقوى، مسؤوليات جماعية كثيرة، **هنا** نستحضر التقوى، نستحضر التقوى فنتقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أن نقصر في ذلك، ونسعى عملياً لما يصلح ذات بيننا، ونتجنب ما يفسد ذات بيننا، هذا هو الترجمة العملية للتقوى، هكذا نتقي الله.

أيضاً على سبيل المثال في المعاملات المالية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[٢]، الانضباط في المعاملات المالية والحذر بدءاً من الربا، هذه الظاهرة الخبيثة، الخطيرة، السيئة **جدًّا**، التي انتشرت في الساحة الإسلامية، انتشر التعامل بها بين المسلمين، وهي من أكبر الجرائم وأعظم الذنوب، التي يترتب عليها أخطار كبيرة في الواقع الاقتصادي، وينتج عن ذلك أيضاً نزعٌ للبركات والخيرات، وانتشارٌ للمخاطر.

مثلاً: فيما يتعلق بالعلاقة مع الأرحام، أتى في سياق ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[٣]، في بداية سورة النساء، في المعاملة بشكلٍ عام وبدءاً من محيطك الأسري تحتاج إلى تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لتعمل ما عليك من التزامات أخلاقية، تتعلق بسلوكك، بمعاملتك، بإحسانك... إلى غير ذلك، وتحذر ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه.

مثلاً: من المسؤوليات العامة على المجتمع المسلم: التعاون على البر والتقوى، وهو من العناوين الكبيرة والمهمة والعظيمة، والتي سنفرد لها -إن شاء الله- محاضرةً؛ **لأهميتها**، وما يترتب عليها، لكن هنا مثلاً يأتي الأمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

١- التوبة: من الآية ٧١
٢- البقرة: ٢٧٨
٣- النساء: من الآية ١

﴿وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، فتقوى الله في أن نتعاون على البر، وهو دائرة واسعة، والتقوى دائرة واسعة من الأعمال والمسؤوليات، وتقوى الله في أن نحذر من التعاون على الإثم والعدوان، مثلما يحصل مع البعض وبالذات في إطار العصبية أحياناً، العصبية مع الصديق، مع القريب، مع الصاحب مع...إلخ. وأحياناً نتيجةً للاستمالة إلى الباطل بالإغراءات، والماديات، وما شاكل ذلك، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

يأتي مثلاً فيما يتعلق بالجهاد في سبيل الله من ضمن المسؤوليات الأساسية التذكير بالتقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، اتقوا الله فلا تفرطوا في هذه المسؤولية العظيمة، الكبيرة، المهمة، التي يترتب عليها عزتكم، ومنعتكم، وقوتكم، وانتصاركم، وحمايتكم من أعدائكم، وتمكنكم من الاستقلال والحرية والكرامة، والخلاص من التبعية لأعدائكم، ومن سيطرتهم عليكم، اتقوا الله في قيامكم بمسؤوليتكم هذه وعدم التفريط فيها.

يأتي الأمر مثلاً في الصبر والمصابرة والمرابطة، ثم يقترن به التقوى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، فيأتي الأمر بالتقوى، ليحذرنا من أن نفرط في ذلك، أن نفرط في المرابطة، في المصابرة، في الثبات في مواقفنا، ويذكرنا بالغاية العظيمة التي نصل إليها إن التزمنا بذلك، وهي: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، نصل إلى النتيجة العظيمة التي وعد الله بها في الدنيا والآخرة.

١- المائدة: من الآية ٢

٢- المائدة: الآية ٣٥

٣- آل عمران: الآية ٢٠٠

أيضاً فيما يتعلق باتباع القرآن الكريم، يقترن الأمر بإتباع القرآن الكريم بالتقوى، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، اتقوا في إتباعه في أن تفرطوا في إتباعه، في أن تنحرفوا عن إتباعه؛ **لأنكم** إن انحرفتم عن إتباع القرآن الكريم، وفرطتم في إتباع القرآن الكريم، سيترتب على ذلك عقوبات ومخاطر كبيرة عليكم في الدنيا والآخرة.

وهكذا تتسع مجالات التقوى في كل شؤون حياتنا، في كل شؤون حياتنا، فنستحضر مسألة التقوى في التزامنا وفق توجيهات الله وتعليمه، فيما علينا أن نعمل، وفيما علينا أن نترك، ونتخلص من الإتباع لأهوائنا، لمزاجنا الشخصي، لرغباتنا، لمخاوفنا النفسية، لا تكون هي المتبع، هي المعتمد، هي الذي نبني عليه أعمالنا، مواقفنا، انطباعاتنا، تصرفاتنا.

نكتفي بهذا المقدار في هذه المحاضرة...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، ونسأله جلَّ شأنه أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

*****

١- الأنعام: الآية ١٥٥

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٢)

أساس قبول العمل والخلاص من المحن

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّـداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، وبارِكْ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

نواصل الحديث عن العنوان الأساسي: التقوى، الذي هو الهدف العملي والثمرة العملية من وراء صيام شهر رمضان كفرضٍ عظيم، وركنٍ عظيمٍ ومهمٍ من أركان الإسلام، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

١- البقرة: من الآية ١٨٣

تحدثنا بالأمس عن أهمية التقوى، وعن بعضٍ من مجالات التقوى، ولأهمية التقوى في القرآن الكريم، فهي العنوان الرئيسي الذي يلي الإيمان، يلي عنوان الإيمان، بعده عنوان التقوى، فنجدها في القرآن الكريم تتكرر، وتتضمن في كثيرٍ أيضاً من المواقع في القرآن الكريم الحديث عن مواصفات المتقين، وعن ثمار ونتائج التقوى في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة، فالحديث عن التقوى في القرآن الكريم حديثٌ واسع، وحديثٌ مفيدٌ ومهمٌ؛ **ولذلك** نجد أنَّ التقوى ركيزة أساسية تتفرع عنها المواصفات الإيمانية، **فالتقوى هي ثمرة الإيمان الواعي ونتاجه**، وتتفرع عنها المواصفات الإيمانية التي تجسد التزام الإنسان عملياً في مسيرة حياته في كل مجالات الحياة، فالحديث عنها حديثٌ مهمٌ، واستيعاب ذلك أيضاً هو شيءٌ مهمٌ.

يأتي في القرآن الكريم الحديث عن التقوى، الحديث عن التعريف بها، عن علاماتها، عن مواصفات المتقين، عمَّا يترتب على التقوى من نتائج عظيمة مهمة للإنسان، والعنوان في أساسه بما يعنيه من وقاية الإنسان من الشرور، وقاية الإنسان من الأخطار، وقاية الإنسان من الهلاك، وقاية الإنسان من عذاب الله ﷻ، هو يدل- بحد ذاته- على أهميته.

التقوى أساس لقبول الأعمال

من أهم ما يتعلق بالتقوى: أنها أساسٌ لقبول الأعمال الصالحة، لقبول الأعمال الصالحة، الله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، كلنا نعي وندرك أهمية الأعمال الصالحة؛ **لأننا** ننال من خلالها رضوان الله ﷻ، **لأننا** نحقق لأنفسنا من خلالها الخير في الدنيا والآخرة، ويقترن بذلك ما وعد الله به من الأجر والثواب، وما للأعمال الصالحة من

١-المائدة: من الآية ٢٧

فضلٍ وأثرٍ إيجابيٍ مهمٍ في نفس الإنسان، في واقع حياته، ثم ما يتحقق له من وراء ذلك، **وعادةً ما يكون العنوان الرئيسي لذلك هو:** عنوان الأجر والثواب، وما نحصل عليه من جانب الله ﷻ فيما وعد به.

ونجد في القرآن الكريم الحديث عن الوعد الإلهي، الذي يرغِّب الإنسان إلى حدٍ كبير في فعل العمل، وفي القيام بالعمل؛ **لأنه** يدرك ما سيحصل عليه من خلال ذلك العمل، فالإنسان هو المستفيد من وراء ما يعمل من الأعمال الصالحة؛ **أمَّا** الله ﷻ فهو غنيٌّ عنا، وغنيٌّ عن أعمالنا، وكما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[1]، **فالإنسان هو المستفيد**، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾[2]، هو المستفيد هو، وهو المحتاج إلى أن يعمل هذه الأعمال التي فيها نجاته، فيها فلاحه، فيها فوزه، فيها ما يتحقق له ما يرغب به ويحتاج إليه من الخير لنفسه في الدنيا والآخرة، وفيها ما يسمو بنفسه، فيها ما يحقق لنفسه الكمال الإنساني، فيها ما يحقق لنفسه على المستوى المعنوي، ما يرغب به، ما يأمله، ما يحتاج إليه، وكذلك الرعاية الإلهية الواسعة، التي تشمل الجوانب المادية والمعنوية، هذا على المستوى الشخصي.

ثم على المستوى المجتمعي، كمجتمعٍ يتحرك على أساسٍ من الإيمان، والتقوى، والعمل الصالح، والسعي لمرضاة الله ﷻ، وأن تكون له صلته بالله، الصلة الإيمانية التي يحظى من خلالها بمعونة الله، برحمة الله، بتوفيق الله، بالنصر من الله، بالعون من الله، بالرعاية الواسعة الشاملة من الله ﷻ، فالأعمال الصالحة التي نعملها، والتي عادةً ما نتجه إلى عملها ونحن نؤمِّل ما وراءها من الخير، ما وعد الله به عليها من الثواب، ما يترتب

١- فصلت: من الآية ٤٦

٢- العنكبوت: من الآية ٦

عليها من النتائج، **قبولها مرهونٌ بالتقوى**، بهذا التأكيد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فالإنسان قد يعمل في مسيرة حياته، وبالذات في ظل الانتماء الإسلامي، في ظل انتمائنا للإسلام كمجتمعٍ مسلم، نتجه لفعل الخير هنا وهناك، والكثير من الناس قد يتجه لفعل الخير في مجال معين مثلاً، وقد لا يكون ملتزماً بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد يكون ممن يصرُّ على الاستمرار في معاصي، في ذنوب، البعض حتى في جرائم معينة، وهو يظن أنه قد فعل هناك البعض من أعمال الخير، من أعمال الإحسان، من الأعمال الصالحة، وأنه سيحظى بالأجر، سيحظى بالثواب، سيحظى بالعفو الإلهي، مع إصراره، ومع استمراره على انتهاك حرمات الله، وتجاوز حدود الله، وإصراره على ذنوب ومعاصٍ معينة، وهذا كثيراً ما يحصل، وبالذات أنه أحياناً يُسند بثقافةٍ خاطئة، ومفاهيم خاطئة، تسهل للبعض أن ينحو في مسيرة حياته هذا المنحى، يكتفي بأن يعمل أحياناً الأعمال الصالحة، أن يتحرك في إطار القيام ببعضٍ من الشعائر الدينية والشكليات العملية، ويستمر في اتجاهٍ آخر في أعمال سيئة، أو في مواقف سيئة، في مواقف يخدم بها الباطل، يتجند من خلالها في صف الباطل، يسعى من خلالها لسيطرة الباطل، أو يحمل ولاءات باطلة، ولاءات لأعداء الله، ولاءات لأعداء الإسلام والمسلمين، ارتباطات تخدمهم ضد أمته، ضد دينه، جوانب كثيرة يمكن أن يكون الإنسان من خلالها بعيداً عن التقوى، لا يلتزم بالتقوى، لا يتقي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تحدثنا بالأمس عن أن التقوى تشمل الالتزام تجاه ما أمرنا الله به، من مسؤوليات، وأعمال، وما يتصل بذلك، وأيضاً تتعلق بالحذر مما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه، من المناهي والمحرمات، يشمل ذلك الجوانب السلوكية، الجوانب التي تتصل

أيضاً بالمواقف، والولاءات... وغير ذلك، لا تتجه فقط تجاه جانبٍ واحد.

الإنسان قد يتحسر كثيراً عندما يكون ممنياً لنفسه بأنه يعمل البعض من الأعمال الصالحة، وأن هذا كافٍ في أن يفوز بما وعد الله به ﷻ من الخير، والثواب، والجنة، والرضوان، وأنه بذلك قد أمَّن مستقبله الآتي الأبدي عند الله ﷻ، وقد ضمن لنفسه النجاة، البعض حتى يحمل في نفسه حالة وكأنه من المتأكدين والقاطعين قطعاً بأن تلك الأعمال التي يقوم بها كافية، في أن يحظى بمرضات الله ﷻ، وبعفوه، وبجنته، فيتعامل على نحوٍ من الاستهتار، والتهاون، واللامبالاة، تجاه ما يصرُّ عليه ويستمر فيه من الأعمال السيئة، وهذه مسألةٌ خطيرة، قد يأتي الإنسان يوم القيامة مفلساً، ليس له رصيدٌ من العمل الصالح، ليس له أي أجر، أي ثواب على ما قدم من أعمال صالحة، لماذا؟ إما لأنها لم تقبل من الأساس، لم تقبل من الأساس، من البداية، أو أنه أحبطها؛ **لأنه** لم يلتزم بالتقوى، كانت قد قبلت، ثم أتى منه من الأعمال السيئة التي أصرَّ عليها واستمر عليها ما أحبط به عمله ذلك، عمله ذلك من صلاة، من صيام، وأعمال أخرى، البعض حتى قد يكون من ضمن أعماله أعمال تصنف في إطار الجهاد في سبيل الله، أو الإنفاق، أو الإحسان، أو فعل الخير، جوانب كثيرة قد يكون الإنسان أمَّل أن يكون قد حصل- على الأقل- من خلالها هي على الأجر والثواب.

والله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[1]، هذا أمر رهيب **جداً**، الأعمال التي يعولون عليها أنه ربما يكون لهم من خلالها أجر وثواب وحسنات، أو تكون سبباً لنجاتهم يوم القيامة، لعتق رقابهم من النار، للفوز بما وعد الله به ﷻ عباده المؤمنين

١- الفرقان: الآية ٢٣

المتقين، ولكنهم يجدون كل تلك الأعمال التي يؤملون أنها ستصنف في عداد الأعمال الصالحة، الأعمال المرضية المقبولة، فيجدونها لا قيمة لها، لا أجر عليها، لا فضل لهم عليها؛ **لأنها** أحبطت أو لم تقبل من الأساس، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، هباءً، كالغبار، كضوء الشمس الذي يدخل من النافذة وفيه ذرات من الغبار، **يعني:** لا قيمة له، لا أثر له، لا إيجابية له، وفعلاً حتى في واقع الحياة لا إيجابية للعمل الذي لا يقترن مع التقوى، فعلاً لا يترك أثره في نفس الإنسان، في مشاعر الإنسان، وبالتالي في أعمال الإنسان واستقامة أعماله، فالمسألة مهمةٌ **جدًّا**، هذا من أهم ما يتعلق بالتقوى.

من أسباب حبوط الأعمال

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضاً يضرب لنا مثلاً مهماً في القرآن الكريم عن إحباط العمل، عندما قال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، هذا أيضاً في الإحباط؛ **لأن الإنسان إما** أنه مصرٌّ على المعاصي، على الذنوب، على الأعمال السيئة، وهو يعلم أنها أعمال سيئة ويصر عليها، فما أتى منه خلال ذلك من الأعمال الصالحة لا يقبل منه.

أو أنه أتبع فيما بعد العمل الصالح، قد كان في مرحلة من المراحل يعمل الأعمال الصالحة، وهو ذلك الإنسان الذي يرجع إلى الله، لا يصر على ذنوبه، على خطيئاته، يتوب منها، يتدارك نفسه من أي زلة، ويرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

١- البقرة: الآية ٢٦٦

لكنه فيما بعد عمل أعمالاً سيئة أصرَّ عليها، وأحبط بها كل أعماله تلك، وقد تكون المسألة خطيرة عندما تكون مثلاً إحباطاً لأعمال عظيمة، أجرها كبير، فضلها عظيم، **مثلاً:** الجهاد في سبيل الله، فعل الخير بكله مجالات الإحسان الواسعة، التي تقدم فيها الخدمة للناس من حولك بنيةٍ صادقةٍ وطيبةٍ ومخلصةٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ووفق التعليمات الإلهية، فالمسألة تكون خطيرة على الإنسان.

أو مثلاً بعد عمرٍ طويل، عمرٍ طويل من الأعمال الصالحة، والتوبة، والرجوع إلى الله، فإذا بالإنسان في مرحلة من المراحل يتجه اتجاهاً آخر من أجل هوى النفس، والبعض أيضاً من أجل هوى النفس إما في رغباتها وشهواتها، وإما فيما يتعلق بحالة الغضب لدى الإنسان والانفعال، أو بحالة المخاوف التي تؤثر على البعض من الناس، فتدفعهم نحو الانحراف.

أيضاً عندما لا يأتي العمل الصالح بنفسه طبقاً لتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، العمل الصالح يرتبط بالتوجيهات الإلهية، في أصله، وفي كيفيته، أن تعمله وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعليماته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مطابقاً لأمر الله وتوجيهاته، وقد لا يقبل منك أصلاً؛ **لأنه** شابه من الخلل، شابه من المخالفات ما أحبطه، فتكون يوم القيامة من المتحسرين، من النادمين، عندما تجد أن تلك الأعمال التي أمّلت أن تكون مقبولةً منك أنك ستؤجر عليها، لم تؤجر عليها، ولم تحسب لك، لم تحسب لك في عداد أعمالك الصالحة، فهذه مسألةٌ مهمةٌ **جدًّا** تبين لنا أهمية التقوى، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

من خلال التقوى تتجلى لنا قيمة التوجيهات الإلهية

أيضاً يتجلى من خلال التقوى قيمة التوجيهات الإلهية، وأهميتها، وفائدتها، توجيهات الله ﷻ وأوامره لنا ونواهيه، هي كلها لمصلحتنا نحن، فوائدها لنا، ما أمرنا الله به؛ **ففيه** الخير لنا، ويتحقق لنا من خلاله نتائج مهمة، ومصالح حقيقية، وما نهانا عنه؛ **ففيه** ضرٌ علينا، شرٌ علينا، مخاطر علينا، وأضراره ونتائجه السيئة هي تؤثِّر علينا نحن؛ **أمَّا** الله ﷻ فلن نضره بشيءٍ من أعمالنا السيئة.

فعندما نلتزم بالتقوى، فنعمل ما أمرنا الله به، ننهض بمسؤولياتنا التي حمَّلنا الله إياها، فنحن سنرى قيمة ذلك، أثره، نتائجه في مسيرة حياتنا، في واقع حياتنا، في كل المجالات، **يعني:** توجيهات الله ﷻ، توجيهات الله التي تتعلق بالجوانب الاقتصادية في حياتنا، ستظهر آثارها ونتائجها في الواقع الاقتصادي في حياتنا، وفي معيشتنا، وتأتينا مع ذلك البركات والخيرات؛ **لأن** لها ثمرة مباشرة، إيجابية مباشرة لكل توجيه من توجيهات الله، لكل أمرٍ من أوامر الله، له أثر جيد مباشر، وله نتيجة أيضاً إضافية فيما يأتي من الله ﷻ من البركات والخيرات، وما يتحقق به للإنسان على المستوى الشخصي وللمجتمع الذي يتحرك وفق توجيهات الله كمجتمع، وهذا ما نلحظ أهميته تجاه كثيرٍ من الأمور التي فرَّط فيها مجتمعنا المسلم، فكان لتفريطه فيها الآثار السيئة، والخسائر الكبيرة في واقع مجتمعنا المسلم.

عندما نأتي مثلاً إلى ما أمر الله به من توحد المسلمين، من اجتماع كلمتهم، من الجهاد في سبيل الله ﷻ، من السعي لإقامة القسط، وإقامة العدل، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **وهكذا المسؤوليات الجماعية:** من التعاون على البر والتقوى، أن يكونوا مجتمعاً يسوده الحق، ويسوده

العدل، يسوده الخير، أن يكونوا أمةً تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، عندما فرَّطوا في هذه المسؤوليات الجماعية المهمة الكبيرة، فرَّطوا في الجهاد في سبيل الله، وفرَّطوا في أن يعدوا ما يستطيعون من القوة، أن يبنوا أنفسهم كأمةٍ قوية، كما قال الله لهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[1]، كم كانت الخسائر الكبيرة لمجتمعنا المسلم، خسائر رهيبة **جدًّا**، حوَّلت واقع هذه الأمة إلى واقعٍ ضعيف، يسوده الضعف، تسوده الفرقة، يسوده الشتات؛ **وبالتالي** يتمكن أعداؤها من الإضعاف لها أكثر، من السيطرة عليها، من المؤامرة عليها، من الظلم لها، من الاضطهاد لها، من الاختراق لها.

عندما نجد جوانب كثيرة تتعلق بالسعي لأن تكون هذه الأمة أمةً مهتدية، مستنيرة، مستبصرة، واعية، على هدىً من الله، مهتديةً بآيات الله، تمتلك من خلال نور الله الوعي الكبير والكافي، تتحصن بالهدى تجاه كل أشكال الضلال والباطل، عندما فرَّطت في ذلك؛ **كيف** كانت الآثار السيئة والرهيبة في انعدام حالة الوعي لدى الكثير من أبناء مجتمعنا المسلم، وكان لذلك آثار خطيرة ونتائج خطيرة **جدًّا** على واقع أمتنا بشكلٍ عام.

ولكن لأن الله ﷻ هو أرحم الراحمين، فالمسألة لا ترتبط دائماً بالجانب الجماعي للأمة بكلها، **يعني**: الوعد الإلهي فيما يتعلق بالتقوى، ونتائجها، وثمارها الطيِّبة، لا يتوقف على أن تستجيب الأمة كل الأمة، من كل أبنائها، من كل مناطقها وبلدانها، إذا تحرَّكت من داخل الأمة ولو أمة، بل حتى على المستوى الشخصي، هناك ثمار ونتائج طيِّبة، لكن هناك بالتأكيد مسؤوليات جماعية، تأتي النتيجة فيها على المستوى الجماعي، فإذا تحرَّكت أمة، أو

١- الأنفال: من الآية ٦٠

مجتمع معين من داخل الأمة، فهو بالتأكيد سيحصل على ما وعد الله به سبحانه وتعالى.

الرعاية الإلهية العجيبة للمتقين!

مما في القرآن الكريم مما يتحدث عن عظمة التقوى، عن ايجابياتها فيما يتحقق بها للإنسان من رعايةٍ إلهية عجيبة، ويتحقق بها للمجتمع كمجتمع، المجتمع الذي يستجيب، يتقي الله سبحانه وتعالى في التزاماته العملية، في مواقفه، في ولاءاته، في نهوضه بمسؤولياته، في استجابته الكاملة لله سبحانه وتعالى، ماذا يترتب على ذلك؟ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1]، هذه الآية المباركة من أهم الآيات التي تبين لنا عظمة التقوى، بل إنها تقدِّم ما هو مغرٍ **جدًّا**، وجذَّاب إلى حدٍ كبير، يجذبنا نحو تقوى الله سبحانه وتعالى، فقد تضمنت وعداً من الله سبحانه وتعالى، وهو الذي لا يخلف وعده، وعداً عظيماً، وعداً مهماً: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾، هذا على المستوى الشخصي وعلى المستوى الجماعي، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي شخص، وكذلك أي مجتمع، أي أمة تتجه على هذا الأساس: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾، **يتق الله** في التزاماته العملية، **يتق الله** فيما يعمل، **يتق الله** فيما يقول، **يتق الله** في النهوض بمسؤولياته، **يتق الله** فيلتزم بأوامر الله سبحانه وتعالى، **يتق الله** فيجتنب المحرمات، لا يعتمد على ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، ويرى أنه من خلاله سيتوصل إلى ما يبتغيه لنفسه، إلى ما يريده لنفسه، فيرى فيه وسيلة العمل التي تحقق أهدافه، أو تحقق رغباته، يحذر من ذلك، فيتقي الله، ويتجه وفق أوامر الله سبحانه وتعالى، من منطلق الثقة بالله، أنَّ الله لن يخذله، لن يتركه، أنَّ الله سيحقق له النتائج التي وعد بها، سيفي بوعده له.

١- الطلاق: ٢-٣

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا﴾، مخرجاً من كل ضيق؛ **لأنه** في مسيرة الحياة قد تضيق بك الأمور، قد تتصعب عليك الأمور من جوانب كثيرة، تتعقد الأمور على المستوى المعيشي مثلاً، تعيش ظروفاً صعبة، ولكن لتطمئن أنها مرحلية، أو على مستوى أوسع، مثلما هو حال تقوى الله ﷻ في النهوض بمسؤولية الجهاد في سبيل الله، والسعي للتحرر من سيطرة أعداء الله، والسعي للاستقلال كأمةٍ مؤمنةٍ، تتحرك وفق توجيهات الله ﷻ، فيتكالب عليها الأعداء بالعدوان، والحصار، والمؤامرات الكثيرة، فينتج عن ذلك كثير من المتاعب، والظروف الصعبة، والتحديات الكبيرة، وتضيق الأمور على المستوى المعيشي، على المستوى الاقتصادي، وتتعقد على المستوى الميداني، فتجد الأمة نفسها في وضعيةٍ صعبة، تقدِّم الشهداء، تعاني، لها جرحى، تعاني من الحصار، تعاني من الضائقة في المعيشة، فالبعض قد يتأثر نتيجةً لذلك، ويصل إلى حالة اليأس، وانعدام الأمل، وكأن المسألة تستمر على ذلك النحو بلا نهاية، وكأنه ليس هناك أي إنفراجه تأتي، فهذا على المستوى الجماعي.

وأحياناً حتى على المستوى الشخصي، البعض من الناس تجربته العملية فيما يعانيه، وهو يتجه اتجاه الحق، يتجه على أساس تقوى الله ﷻ في مواقفه، في التزاماته، في أعماله، في تصرفاته، حتى في شؤون معيشته، وفي بيعه وشرائه، وقد يتصور أنَّ البعض الآخر يتوصلون من خلال انفلاتهم، وعدم التزامهم، وتلعباتهم، وأساليبهم السيئة، وأساليبهم التي هي معصية لله ﷻ، وخروجٌ عن التقوى، أنهم يتوصلون إلى تحقيق نجاحات لشؤونهم المعيشية، ولظروف حياتهم، فقد يضيق، وتضيق حاله، وتضيق نفسه، ويستاء، ويفقد الأمل، ثم قد يدفعه ذلك إلى ألَّا يصبر، ألَّا يواصل التزامه ومشواره على أساسٍ من تقوى الله ﷻ، وهذا قد يدفع به إلى أن يتجه لفعل ما يفعله الآخرون؛ **فيخسر** في نهاية المطاف.

لا تقلق.. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

في طريق الحق تحصل المعاناة، لا نتوقع أنها لا تحصل، ولكنها معاناة يترافق معها يسر، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]، ويكون لها في نفس الوقت آثار إيجابية حتى على المستوى التربوي.

طريق الحق هي طريقٌ يسلك فيها الإنسان مشوار حياته ومسيرة حياته وفق تعليمات الله سبحانه وتعالى، ونحن في هذه الدنيا في دار الاختبار، في ميدان مسؤولية، لسنا في عالم الجنة، الذي هو عالمٌ كله راحة، ليس فيه أي منغصات، ليست فيه أي متاعب، ليست فيه أي معاناة، ليست فيه أي مشاق، ولا نتوقع عن الحالة الإيمانية وحالة التقوى أنها حالةٌ يسير فيها الإنسان مدللاً، تكون طريقة الرعاية الإلهية له ألَّا يحصل له أي معاناة، ولا أي مشاق، ولا أي متاعب، ولا يواجه أية مخاطر، ولا... لو كانت الأمور على هذا النحو؛ **لكان** كل الناس متقين، ومؤمنين، وصالحين، لو كانت المسألة مسألة دلال، رعاية فيها دلال، لا يحصل للإنسان أي معاناة على الإطلاق، ولا يواجه أي مخاطر، ولا يواجه أي شدائد، بل تتحقق الآمال والرغبات على أعلى مستوى من دون أي تعب، ولا أي تضحية، ولا أي مشاق، ولا أية مخاطر؛ **لكان** كل الناس متقين، يتجهون للتقوى، والإيمان، والعمل الصالح.

نحن في هذه الحياة في ميدان مسؤولية، في ميدان اختبار، وتحصل المشاق، وتحصل المتاعب بشكل اعتيادي في حياة الناس، حتى في كل مجالات حياتهم، وعادةً ما يكون المهم لدى الإنسان هو ما وراء ذلك من نتائج، **فمثلاً:** عندما نأتي إلى الفلاحين (المزارعين)، هو يدرك أنَّ الزراعة، وأنَّ الفلاحة، وأنَّ العمل في الزراعة فيه متاعب، فيه مشاق، لكنه ينظر إلى النتيجة، إلى

١- الشرح: ٥-٦

ما يتحقق له من وراء هذا المجهود، إلى ما تثمره هذه المتاعب، ما يحصل عليه من وراء ذلك، فيستطيب متاعبه؛ **لأنها** متاعب مثمرة، ويستطيب جهوده، بل يفتخر بجهوده، أنها جهود أنجزت، حققت نتائج، كان لها ثمرة مهمة، ويرتاح بذلك، حتى وهو يعمل، حتى وهو يتعب، حتى وهو يعاني، حتى وهو يتصدى للمشاق، هو يتذكر، يتذكر- من خلال أحياناً تجارب ماضية- ما قد تحقق له، ما قد حصل نتيجةً لذلك؛ **فيزداد** عزماً، وعندما يصل إلى النتيجة المرجوة؛ **يرتاح**، يشعر بالراحة، التاجر... الناس في مختلف مجالات حياتهم وأعمالهم، عادةً ما يتجهون على هذا الأساس.

فكذلك في مسيرة العمل الصالح والإيمان والتقوى، ما يحصل من مشاق، أو متاعب، أو مخاطر معينة، يكسب الإنسان من ورائها ما يهوِّنها، ما يبسِّطها، ويأتي حتى معها اليسر من الله ﷻ كما وعد، الآثار الإيجابية، لكن مع توطين النفس على الصبر، مع العزم على الاستمرارية، ثم يأتي من الله ﷻ التدخل الكبير والرعاية الواسعة في نهاية المطاف، فتنفرج الأمور، وانفراجات كبيرة.

فالصعوبات مرحلية، مع الأعمال هي صعوبات مرحلية، يعقبها انفراجات، يعقبها من الله ﷻ ما يحقق به النتائج العظيمة، والآثار الطيبة، وإذا قارنا في طريق الحق، في طريق الإيمان والتقوى ما فيها من مشاق وصعوبات، مع البديل الآخر، الذي هو اتجاه بعيداً عن التقوى، الاتجاه البعيد عن التقوى فيه صعوبات، فيه مخاطر، فيه عسر، فيه خسائر كبيرة، فيه أسوأ وأقسى وأشد عناءً مما في طريق الإيمان والتقوى، وعواقبه الخسران المبين، عاقبته في الآخرة جهنم، عواقبه في الدنيا الخسران.

الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى **سمَّى طريقه باليسرى،** ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[١]، هي اليسرى مقارنةً بالطريق الآخر، الطريق المنحرف عن الإيمان والتقوى والعمل الصالح، والاستقامة وفق منهج الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، الطريق الآخر سمَّاه بالعسرى، فمسألة المشاق والصعوبات والمتاعب تحصل، وهي مرحلة، وأحياناً يكون فيها أيضاً أسباب لتقصير معين، الإنسان مثلاً يتجه على أساسٍ من الإيمان والتقوى، ولكنه يقصر في بعض الأمور، يقصر في مستوى الأداء، في مستوى الاهتمام، في مستوى الالتزام، فيكون لتقصيره ذلك أيضاً آثار سلبية تؤثر عليه نوعاً ما، أو أحياناً حتى في الموقف الواحد، يقصر الناس، يحصل بعض من الشدائد، من المعاناة، لكن مع التزام التقوى والإيمان تنفرج، هذا وعدٌ إلهيٌ عظيم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٢]، مهما ضاقت بك الأمور، مهما تعقدت، مهما اشتدت الصعوبات، فهي ستنفرج حتماً، فلينطلق الإنسان بثقة واطمئنان، وليسع إلى أن يحقق في واقعه التقوى على المستوى الكامل؛ **لأن** القصور أحياناً يسهم في المزيد من الضيق.

انطلق على أساس التقوى والرزق على الله

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣]، هاجس الرزق يأتي أحياناً كهاجس كبير، الهاجس المعيشي والمعاناة المعيشية تؤثر على الناس، وتضغط على الناس، **وهمها يقلق الكثير من الناس فيبعده عن التقوى:**

- **التقوى في موقف:** أن يقف موقف الحق الذي يرضي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **أو على مستوى المعاملات:** التقوى في المعاملات، حتى في معاملات البيع والشراء، والأعمال المعيشية والاقتصادية.

١- الليل: الآية ٧

٢- الطلاق: من الآية ٢

٣- الطلاق: من الآية ٣

- **أو على المستوى السلوكي بشكلٍ عام:** فيؤثر على الإنسان إما مخاوفه، وإما أطماعه، قلقه على مسألة الرزق، ضغط الحالة المعيشية على نفسه، على واقعه، وأيضاً الأطماع لدى البعض، التي تدفع بهم إلى أن يتجاوزوا، إلى أن يقفوا موقف الباطل، إلى أن يخونوا الحق، إلى أن يتجهوا الاتجاهات الباطلة، إلى أن يعملوا الأعمال السيئة، إلى أن يغشوا في معاملاتهم، إلى أن ينهبوا الحرام، أن يأخذوا الحرام... إلى غير ذلك.

فيأتي الوعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **بالرزق** حتى من حيث لا يحتسب الإنسان المتقي لله، بالتأكيد لا يعني هذا أنه لا يرزقه من حيث يحتسب، **إنما يعني:** من حيث يحتسب، ومن حيث لا يحتسب، حتى من حيث لا تتوقع، أنت عليك أن تأخذ بالأسباب، عليك أن تواصل مشوار حياتك، أن تنهض بمسؤولياتك، أن تؤدي واجباتك، وأن تثق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]؛ **لأن** الإنسان أحياناً قد يكون ضمن حساباته قد وصل إلى مستوى المشكلة، إلى مستوى العائق والخط المسدود، من حيث حساباته، وتقديراته، وأساليبه، ووسائله المتاحة، ضاقت من هنا، وضاقت من هناك، وتعقدت من هنا، وتعقدت من هناك، فيفرِّج الله من حيث لا تتوقع، ويأتي من حيث لا تتوقع، فتنفرج الهموم، تنفرج الأمور، هذا يشجع الإنسان على المستوى الشخصي، والمجتمع كمجتمع أن يثق بالله، ألَّا ييأس إذا مرَّ بضائقه، إذا مرَّ بمعاناة، مثل ما هو حال شعبنا تجاه الحصار الذي يعانيه من تحالف العدوان، المهم هو أن نأخذ بالأسباب، المهم هو أن نعمل في إطار التقوى، أن نجد في إطار التقوى، والانفراجات تأتي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١- الطلاق: من الآية ٣

بالتوكل على الله نجتاز كل الصعوبات والتحديات

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[١]، من يتوكل على الله؛ **لأن** التوكل أيضاً مرتبطٌ بالتقوى، فهو يثق بالله، ويعتمد الله، ويثق بوعد الله أنه سيتحقق، وأن الله لن يخذله، مهما كان حجم التحديات والصعوبات، فهو يبقى واثقاً بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومواصلاً لتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله حسبه، كافيه، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾[٢]، كفى بالله معيناً.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **الذي إذا توكلت عليه هو كافيك**، وهو معينك، وهو ناصرك، وهو الذي يتولى رعايتك فيفرِّج عنك، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[٣]، فما أراد الله أن يمضيه أمضاه، ما أراد أن ينفذه نفذه، فهو القادر على تحقيق وعده، وإنجاز ما وعد، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٤]، جعل لكل شيءٍ من الأمور، على مستوى الأرزاق والآجال، على مستوى التأثيرات للأشياء، على مستوى النتائج للأشياء، كل شيءٍ له قدر معين، كل شيءٍ مضبوط بمعيار الحكمة الإلهية، فالأمور في سيطرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تخرج عن سيطرته أبداً، يقول أيضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٥]، ييسر ما تعسر، مثلما قال في آيةٍ أخرى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٦]، ويأتي باليسر أحياناً ليترافق مع العسر، فتنفرج آفاق وأبواب إذا اغتلقت أبواب، كما قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، وكما قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

١- الطلاق : من الآية ٣
٢- النساء: من الآية ٤٥
٣- الطلاق: من الآية ٣
٤- الطلاق: من الآية ٣
٥- الطلاق: من الآية ٤
٦- الطلاق: من الآية ٧

﴿يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١]، فهنا تكون هواجس العسر، العسر في الحالة المعيشية، العسر في الظروف العملية، ظروف عملية فيها صعوبات، فيها عسر، فليطمئن الإنسان بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبالسعي للكمال في التقوى، **يعني:** أحياناً قد تضيق الأمور أكثر لإغفال جوانب من تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جوانب عملية فيها وقاية من كثيرٍ من الشرور، من كثيرٍ من المعاناة، فعندما يتجه الناس للأخذ بالأسباب وتكامل التقوى، يأتي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التيسير لأمورهم، فبعد العسر يأتي اليسر.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾، سيئات ما قبل، والسيئات التي تأتي على نحو الزلات، فيتوب الإنسان منها، ويرجع منها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٢]، يُعَظِّم له الأجر الكبير، فيحصل على مكاسب كبيرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تتجلى في رعايته في عاجل الدنيا، وما أعده لك في آجل الآخرة من جنته ورضوانه.

هكذا نجد أن التقوى هي الخيار الصحيح، لصلاح حياتنا، لانفراجة همومنا ومضائقنا ومعاناتنا، بها صلاح حال الإنسان في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة.

١- الشرح: ٥-٦
٢- الطلاق: من الآية ٥

نكتفي بهذا المقدار...

نسـأل اللـه ﷻ أن يتقبـل منـا ومنكـم الصيـام، والقيـام، وصالـح الأعـمال، وأن يرحـم شـهداءنا الأبـرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنـه سـميع الدعـاء.

وَالسَّـلَامُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلَّا اللـهُ الملـكُ الحـقُّ المُبـين، وأشـهَدُ أنَّ سـيدَنا مُحَمَّـــداً عبدُهُ ورَسُـــوْلُه خاتـمُ النبيين.

اللّهـم صَـلِّ عـلى مُحَمَّـــدٍ وعـلى آلِ مُحَمَّـــد، وبـارِكْ عـلى مُحَمَّـــدٍ وعـلى آلِ مُحَمَّـــد، كـما صَلَّيْـتَ وبارَكْـتَ عـلى إبراهيـمَ وعـلى آلِ إبراهيـمَ إنـك حميـدٌ مجيـدٌ، وارضَ اللهـم برضـاك عـن أصحابـه الأخيـار المنتجبين، وعـن سـائر عبادك الصالحيـن والمجاهديـن.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهـم اهدنـا، وتقبَّـل منـا، إنـك أنـت السـميع العليـم، وتـب علينـا، إنـك أنـت التـواب الرحيـم.

في سـياق الحديـث عـن التقـوى وعـن المتقيـن فيـما قدَّمـه القـرآن الكريـم مـن علاماتهـم، وصفاتهـم، ونمـاذج مـن أعمالهـم، وكذلـك فيـما عرضـه مـما وعـد بـه اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبـاده المتقيـن، وردت آيـاتٌ مباركـة في سـورة آل عمـران، وفيهـا يتـم

٣

الفرز بين التوجهات والاهتمامات لدى المتقين، وما يصلون من خلال ذلك إليه من الفوز العظيم، والنتائج المهمة، وما عليه غيرهم من الاهتمامات والتوجهات، التي نتائجها محدودة، ويعقبها الخسران.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[1].

بدءاً بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾، **الشهوات:** هي غرائز لدى الإنسان، تدفعه غريزياً ونفسياً إلى متعلّقات ومتطلبات هذه الحياة في جانبها المادي، سواءً على مستوى الحياة الزوجية، والحياة الأسرية، أو متطلبات هذه الحياة، مما يحتاج إليه الناس، من المال الذي يعتمدون عليه كنفقات في حياتهم، من الحرث والثروة الزراعية وما ينتج عنها، الثروة الحيوانية وما ينتفعون فيها من المنافع المتنوعة والمتعددة مما أنعم الله به عليهم، هي شهوات غريزية، والإنسان يندفع إليها غريزياً، **ولكن المشكلة عندما تأتي حالة التزيين للشد إلى تلك الشهوات والمتطلبات والرغبات بشكلٍ كبير، حتى يتوجه إليها كل الاهتمام، كل التركيز من جانب الإنسان**، وهذا ما يحصل للكثير من الناس، تتوجه كل اهتماماتهم، وتُستغرَق كل جهودهم، وكل تفكيرهم، كل تركيزهم في

١- آل عمران: ١٤-١٧

هذه الحياة نحو هذه الشهوات، وهذه الرغبات، فيؤْثرون هذه الرغبات والشهوات، يُؤْثرونها على آخرتهم، إلى درجة أنه من الممكن **أن** ينحرفوا عن خط التقوى، **أن** يخدموا الباطل، **أن** يقعوا في الحرام، **أن** ينتهكوا حدود الله ﷻ، **أن** يرتكبوا المعاصي بكل أشكالها وأنواعها، **أن** يتحمَّلوا الآثام والأوزار؛ **بغية** تحقيق أهدافهم ورغباتهم ومتطلباتهم المادية، فهذا يحصل للكثير من الناس، مع أنَّ الكثير لا يصلون أصلاً إلى مبتغاهم من ذلك، ومن يصلون إلى مستويات معينة، فيصبحون مثلاً أثرياء ومتمكِّنين، لا تنتهي أطماعهم، ولا يصلون إلى حد القناعة أصلاً، فهم يبتغون المزيد والمزيد، ولا يصلون إلى درجة أن يشعروا بالتمتع الكافي بكل ما قد حصلوا عليه، وتمكنوا منه، بل لا تزال تدفع بهم الأطماع والرغبات والشهوات نحو المزيد والمزيد، وما أكثر الذين يدفعهم ذلك إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، وإلى استخدام الوسائل المحرمة، وإلى تجاوز شرع الله وتعاليمه وتوجيهه، ولا يصلون في نهاية المطاف إلى نتيجة؛ **لأن** كل هذه النعم، وكل هذه المتع، هي منافع مؤقتة في هذه الحياة، **ويجب** أن يستوعب الإنسان هذه الحقيقة؛ لأنها منافع مؤقتة، كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فهي منافع يعيش عليها الإنسان لمرحلةٍ مؤقتة، وبِقَدَرٍ معين، بمستوى معين.

كيف تكون نظرتنا وتعاملنا مع متع الحياة الدنيا؟

ولذلك هناك فرق بين من يتجه إليها ويجعل منها كل مأربه في هذه الحياة، كل مطلبه، كل رغباته، كل اهتمامه، يتوجه كلياً نحوها بكل اهتماماته وتركيزه، فيجعلها هي الأساس، الأساس في اهتماماته، الأساس في أعماله، الأساس حتى في مواقفه، الأساس حتى في ولاءاته، يبني على هذا الأساس كل اهتماماته وتوجهاته في هذه الحياة، **وبين** نظرة المتقين، الذين ينظرون النظرة الواقعية، النظرة الصحيحة، على هدىً من ربهم، فيرون فيها منافع مؤقتة،

لا ينبغي أن يتجه الإنسان إليها هي ليجعل منها غاية، ليجعل منها نهاية السؤول، وغاية المأمول، فيتوجه بكل اهتماماته نحوها، هي منافع لحياةٍ مؤقتة، ومنافع في أصلها مؤقتة، وكثيراً ما يشوبها الكثير من المنغصات.

وإذا اتجه الإنسان ليجعل منها وسيلةً لا غايةً، وتعامل معها بشكلٍ صحيح؛ فإنه سيستفيد ويكسب بدلاً من أن يتحمل الأوزار والآثام، يستفيد من ذلك الأجر والمثوبة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإنسان يستطيع أن يجعل مثلاً من حياته الزوجية حياةً راقيةً ساميةً في إطار التقوى، يجعل من حياته الأسرية حياة راقيةً ساميةً في إطار التقوى، يجعل من اهتماماته المعيشية في هذه الحياة اهتماماتٍ موزونةً بمعيار التقوى، ومضبوطةً بمعيار التقوى، فيكون كل سعيه في ذلك موزوناً بالضوابط الشرعية، وبأهداف عظيمة، أهداف سامية، مثلما يأتي عن حال المتقين في مواصفاتهم، كيف يتعاملون تجاه ما منحهم الله إياه، وما مكنهم فيه.

أمَّا غيرهم فهم يتجهون بشكلٍ كلي، وباهتمامٍ كامل نحو متع هذه الحياة ومتطلباتها المعيشية والمادية، ويتحول كل اهتمامهم إلى اهتمامٍ مادي، فيتحول الأساس عندهم في اهتماماتهم، في مواقفهم، في أعمالهم، في ولاءاتهم، في عداواتهم، نحو الجانب المادي، هو الأساس عندهم، يحبون عليه، ويبغضون عليه، يتجهون فيه بكل الاهتمامات، هو المحسوب لديهم من وراء كل عمل، من وراء كل سعي، من وراء كل موقف، حساباتهم كلها حسابات مادية.

مع أنَّ الكثير- كما قلنا- لا يصلون إلى مبتغاهم من ذلك، فالبعض قد لا يمتلك في هذه الدنيا ولا حتى جراماً واحداً من الذهب، دعك عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، التي يمكن أن تمثل ثروةً هائلة، القنطار يقال- في بعض التقديرات- أنه ما يعادل ملئ جلد ثور، **يعني:** كمية كبيرة

جدًّا، والقناطير المجمعة، قنطار على قنطار على قنطار، **يعني:** أعداداً كبيرة من القناطير المجمعة من الذهب، أو المجمعة من الفضة، فالقليل من الناس الذين قد يصلون إلى امتلاك ثروات هائلة مادية ومالية، وأكثر الناس وأغلبهم حتى ممن سخَّروا كل اهتمامهم النفسي والذهني، وكل جهدهم العملي، نحو الحصول على متع هذه الحياة وثرواتها، هم يعيشون حالةً من البؤس، والعناء، والشقاء، **وكما قلنا:** قد لا يمتلك الكثير من الناس ولا مقدار جرام واحد من الذهب، ولا من الفضة.

ولذلك من الخطأ، ومن الخسران، ومن الحماقة، أن يتجه كل اهتمام الإنسان إلى الجانب المادي، فيجعل منه الأساس في أعماله، في مواقفه، في مسيرة حياته في هذه الحياة؛ **لأن** الإنسان لا يحتاج إلى ذلك أصلاً، لا يحتاج إلى أن يجعل من ذلك كل اهتمامه، أن يستغرق كل الجهد، وكل الاهتمام، وكل التركيز، بل أن يحوِّل حتى واقعه النفسي إلى راغبٍ كل الرغبة إلى نحوٍ غير طبيعي، إلى نحوٍ مفرط، هذا يحصل للبعض، حبه للمال، حبه لمتع الحياة يتحول إلى حالة رهيبة **جدًّا** من الحب الشديد، والطمع المفرط، طمع رهيب **جدًّا**، يفعل من أجله أي شيء، يرتكب من أجله أي معصية، وهذا يحصل للبعض إلى حدٍ رهيب.

لاحظنا مثلاً خلال هذه المدة مع العدوان على بلدنا، كيف كان البعض مقابل الحصول على شيءٍ من المال، قد يرفع إحداثيات يتسبب فيها في استشهاد عدد كبير من الأبرياء من الأطفال والنساء، فينتج عن ذلك جرائم رهيبة **جدًّا**، وجرائم وحشية **جدًّا**، جرائم فظيعة للغاية، وكل ذلك من أجل أن يحصل على قليلٍ من المال، البعض يخون دينه، يخون أمته، يخون شعبه، يقف في صف الباطل، يسهم في ارتكاب الجرائم، يسهم في أن يلحق بشعبه الكثير من الظلم، بأمته الكثير من

الظلم، مقابل أن يحصل على مكاسب مادية، أن يصل إلى تلك الرغبات.

ولربما- في واقع الحال- منشأ أغلب الجرائم، أغلب المفاسد، يعود إلى تلك الرغبة المادية الرهيبة، إلى ذلك التوجه المادي الكبير، **الذي ينسى الإنسان معه كل شيء:** ينسى الدار الآخرة، ينسى الله، ينسى الحساب، ينسى الجزاء.

في إطار التوجه المادي، والطمع المادي، والرغبات المادية، البعض يظلم حتى قريبه، شريكة في الإرث مثلاً، يظلم أخته، فيستحوذ على حصتها من الإرث، يظلم ابنته، فيأخذ مهرها، ويأكله سحتاً حراماً، يظلم أخاه القريب، أو الصغير؛ **لأنه** استطاع أن يخادعه ويغالطه فيأخذ من حصته من الإرث، أو يخفي عنه وثائق، فيصادر عليه بعضاً من الممتلكات؛ لتلبية أطماعه وأهوائه ورغباته.

ثم على المستوى الكبير: مستوى الدول، مستوى أنظمة، مستوى كيانات، تدفع بها أطماعها وأهواؤها ورغباتها المادية إلى أن ترتكب بحق الشعوب الأخرى، بحق الأمم الأخرى، الظلم، والجرائم، وأفظع الانتهاكات، نتيجةً لتلك الأطماع الرهيبة، والأهواء الكبيرة.

بينما نجد كيف أنَّ التربية الإيمانية، التربية على التقوى- ونحن في شهر التقوى- تجعل الإنسان يتعامل بتوازن، وواقعية، ويحسب حسابات أكبر، حسابات أعظم، حسابات أهم؛ **لأن** الذين يتجهون إلى هذه الرغبات المادية، وتتحول كل اهتماماتهم، وكل جهودهم، وكل مساعيهم نحو الجانب المادي، هم يتعاملون وكأن هذه الماديات وهذه الحياة هي كل شيءٍ، ولا شيء بعدها، فيريدون أن يغتنموا الفرصة، وأن يغتنموا هذه الحياة وهذه المتع إلى أقصى حد.

وجه طمعك لما عند الله فهو الأرقى والأعظم!

والله ﷻ **قال:** ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، بعد أن بيَّن لنا أنَّ هذه المنافع في هذه الحياة هي محدودة، هي مؤقتة، والحياة بكلها مؤقتة، وستنتهي، والإنسان مهما حصل عليه من الإمكانيات المادية، هي لفترة مؤقتة، وسيفارقها، فهناك عند الله ﷻ ﴿حُسْنُ الْمَآبِ﴾: حسن المرجع، الذي يتحقق فيه للإنسان من النعيم، والحياة الطيِّبة، والمتع السامية والحقيقية والعظيمة والراقية، ما يتميز عن كل متع هذه الحياة، وعن كل مادياتها، **يتميز ما عند الله** ﷻ **بأنه أرقى، وأعظم، وأسمى، وبأنه أكبر وأكثر، وبأنه يدوم ويبقى ولا يفنى**، وهذا يفترض به أن يكون دافعاً كبيراً لرغبة الإنسان؛ **لأنها** في الأساس مشتهيات، لكن يأتي الشد إليها، ويأتي الإغراء بها في الدنيا، الإغراء بها والشد إليها في عملية التزيين التي تدفع البعض إلى أن يؤْثرها حتى على الآخرة، وكذلك تتحول إلى عائقٍ لدى البعض الآخر، عائق **عن أن** يستجيب للحق، **عن أن** يستجيب لله ﷻ، **عن أن** يتحرك في طريق الحق، **عن أن** يقف موقف الحق، **الكثير من الناس أكبر عائقٍ له عن أن يقف موقف الحق، هو: حساباته المادية، ومصالحه المادية، ومخاوفه على الإمكانات المادية... وما شابه.**

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، نحن عندما نستجيب لله ﷻ: **لن نخسر،** ليس معنى ذلك أنه سيحرمك من الخير، مما تشتهيه أنت بغريزتك الإنسانية، ففي الدنيا يمنحك من رزقه، من فضله، من رعايته، **أمَّا في الآخرة** فما هو أعظم، وهو الذي **يجب** أن تتطلع إليه أكثر، فما في الدنيا ترى فيه وسيلةً وليس غاية، وسيلةً تبتغي به الدار الآخرة، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾[1]، وتعمل فيه في إطار التقوى،

١- القصص: من الآية ٧٧

ليس هو الهدف، الهدف هي الدار الآخرة، هو وسيلة لهذه الدنيا.

﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، ولذلك يزيِّن الله لنا ما هو خيرٌ حقيقيٌ، وعظيمٌ، وكبيرٌ؛ **لأن** الإنسان يحب الخير لنفسه، فحتى بحساب غرائزنا المادية، رغباتنا المادية، شهواتنا، فالله يعرض علينا ما هو أعظم، وما هو أبقى وأدوم، وما هو أرقى وأسمى، ولهذا يقول: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، العادة عند الإنسان إذا كان يحب شيئاً، وعُرِضَ عليه ما هو خيرٌ منه، **يعني:** أشياء مادية، لكن هناك أشياء مادية أعظم منها، أفضل منها، أسمى منها، ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، الشيء الطبيعي أنَّ الإنسان يتفاعل، ما دام عُرِضَ عليه ما هو أعظم مما هو منشدٌ إليه أصلاً، مما يرغب فيه أصلاً، مما يشتهيه أصلاً، ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ﴾، ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، **يعني:** الخير الذي يعرضه الله علينا، وهو خيرٌ من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، خيرٌ مما في هذه الدنيا من كل الثروات المادية الهائلة، التي لا يصل إليها أكثر الناس أصلاً، أكثر الناس يبتعد عن تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتضيع جهوده في هذه الحياة وهو لا يزال تحت خط الفقر طول مسيرة حياته، أو في مستوى محدود من الإمكانيات الضرورية، أو نحواً منها، ويخسر مع ذلك آخرته، وهو لا يحتاج إلى أن يخسر آخرته؛ **لأنه**- كما قلنا- يمكن للإنسان أن تكون اهتماماته المعيشية مهما بلغت في إطار التقوى، مهما مكَّنه الله فيه، مهما أنعم به عليه، لا يخرج عن إطار التقوى، تبقى وسيلة، ولا تتحول إلى غاية.

٣

التقوى.. ثمن جنة الخلد!!

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، فهذا الخير الذي يعرضه الله علينا ثمنه التقوى، ثمنه التقوى، وسيلة الوصول إليه هي التقوى، الطريق للحصول عليه هو بالتقوى.

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، من عطائه، برحمته، بفضله، بكرمه، برضوانه، ما يعطينا في هذه الحياة يعطينا على أساس الاختبار، ليختبرنا فيه، ويبقى ضمن ظروف هذه الحياة، ما فيها من المنغصات، ما فيها من المشاكل، ما فيها من العناء، والذين بأيديهم ثروات وإمكانيات يحتاجون إلى الجهد، إلى العناء الدائم، إلى الشغل المكثف، إلى الاهتمامات الدائمة... إلى غير ذلك، يحتاجون إلى أن يقدِّموا لذلك الكثير من همهم، من تفكيرهم، من جهدهم العملي.

أمَّا الذي يعرضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيقدِّمه لك برضوانه، برحمته، بكرمه، بفضله، فيكون شيئاً عظيماً جدًّا من عطاء الله.

﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، جناتٌ في جنة الخلد، جناتٌ وبساتين عظيمة، شاسعة، فسيحة، كبيرة، ليست كما هو حال الكثير من الناس، الأغلب من الناس ما يمتلكونه مثلاً من إمكانات مادية، قد يكون قليلاً من المزارع، قليلاً من المدرجات الزراعية عندنا في الأرياف في اليمن، لا تكاد تتسع للثور إذا دخل إليها ليشتغل فيها، ضيِّقة وصغيرة، فيها القليل من أشجار القات، أو البن، وإذا بُذرت فيها البذور، كان محصولها من القمح، أو من الذرة، شيئاً يسيراً، وكم أخذت من الجهد، وكم أخذت من العناء، وكم أخذت من العمل.

أمّا تلك فهي ﴿جَنَّاتٌ﴾: بساتين في جنة الخلد، بساتين شاسعة، هائلة، كما قال عنها في آياتٍ أخرى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾(١)، فيها من كل الثمرات، ومن كل أصناف الفواكه، وعلى مستوى راقٍ عظيم، مثمرة بشكلٍ مستمر، ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾(٢)، كما قال عنها أيضاً في سورة الرعد: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾(٣)، الثمر مستمر، والأوراق- كذلك- ليست فقط لمواسم معينة، ثم تتساقط وتيبس في مواسم أخرى، وأوقات أخرى، هي مثمرة على الدوام بطيب الثمر، بدون عناء، بدون جهد، ولا تتساقط أوراقها، ولا تحتاج إلى عناء، لا في تحصيل الماء لها، ولا في العناية بها، من دون عناء.

﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، الأنهار تجري من تحتها باستمرار، فالماء متوفر، لا تحتاج إلى عناء في سقيها، في الدنيا تحتاج إلى بئر، ثم البعض إلى بئر ارتوازية عميقة، البعض قد لا يمتلكون ذلك، فيعانون أشد المعاناة في توفير الماء لها، في الجنة المياه تجري من تحتها بشكل أنهار غزيرة متدفقة، في منظرٍ بهيجٍ وخلّاب، وارتواءٍ دائم، لا تظمأ أبداً، تلك الأشجار في حالة ارتواء دائم، مورقة، مونقة، مثمرة على الدوام، بدون عناء، وعلى مستوى واسع، على مستوى واسع.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ليست لفترات مؤقتة، تنتهي عليك، أو تفارقها أنت، تخلد في ذلك النعيم الواسع **جدًّا**، الذي فيه من كل الثمرات، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾(٤)، تعيش للأبد، بدون مرض، بدون هموم، بدون أوجاع وأسقام، بدون حمية غذائية تمنع فيها من بعضٍ من الفواكه، أو ينتج لك أمراض

١- محمد: من الآية ١٥
٢- الواقعة: الآية ٣٣
٣- الرعد: من الآية ٣٥
٤- البقرة: من الآية ٢٥

معينة، تمنع عليك فواكه معينة، ذلك أمرٌ مختلف، هناك لا حمية، ولا مشاكل صحية، ولا معاناة، ولا نزاعات، ولا خلافات، ولا صراعات، تهنأ بذلك النعيم، بدون أي منغِّصات، تعيش في ظروف مستقرة، ليس فيها أي صراع، أي هموم، أي معاناة، أي أذية، أي مشاغلة، أي إزعاج، لا يحصل لك هناك أي إزعاج من أي أحد، ولا بأي شيء، حياة هنيئة، ولا آلام، ولا أمراض، ولا أسقام... ولا أي شيءٍ من المعاناة، حياة تهنأ فيها بذلك النعيم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، **فلا يعانون من الهرم، ولا من السقم، ولا من المرض، ولا من الموت، ولا من الشيخوخة، يبقون في صحة دائمة، يهنؤون بذلك النعيم للأبد.**

فعندما تقارن، من خلال هذه المقارنة يتضح لك أنَّ الله يعرض عليك ما هو خيرٌ لك، كما قال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾، ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، **الحياة الزوجية هناك حياة راقية، وسليمة من كل العيوب، وسليمة من كل الشوائب.**

ومع هذا النعيم غاية التعظيم والتكريم

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾، ومع النعيم المادي، ما يجعله نعيماً حقيقياً وعظيماً وسامياً، هو النعيم المعنوي، أنَّ كل ذلك يحصل بتكريم من الله، وأنَّ الذين اتقوا يعيشون في ظل تلك الحياة السعيدة، الهنيئة، الطيِّبة، التي يتوفر فيها النعيم، وكل المشتهيات على أرقى مستوى، كما قال في آيةٍ أخرى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾[١]، ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾، كل أصناف النعيم، كل أصناف المشتهيات والرغبات على أرقى وأسمى مستوى، حياة طيِّبة، ولكنها كلها برضوانٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بتكريم، بتكريم، الإنسان هناك يعيش في حالة التكريم تلك، كما قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[٢]، ﴿وَمُلْكًا﴾،

١- النحل: من الآية ٣١
٢- الإنسان: الآية ٢٠

على هيئة الملوك، كأنك هناك ملك، كأنك أمير، يعني تحس بأن لك كرامة، بأن لك قدراً، بأن لك احتراماً، شخصية محترمة في الجنة، الكل يحترمك ويقدرك حتى ملائكة الله تحترمك وتقدرك، تُحِسُّ بتعزيز، بإكرام، بتقدير، حتى ظروف الحياة هناك، أساليب المعيشة، تقدم إليهم موائدهم بصحافٍ من ذهب، يخدمون لا يحتاجون إلى العناء في توفير احتياجاتهم ومتطلباتهم، هناك غلمان متخصصون في خدمتهم وتقديم كل ما يحتاجون إليه.

حالة التكريم، الحالة التي يعيشون فيها نتيجة رضا الله عنهم، ما يعبر عن ذلك الرضوان، وما يتجلى به ذلك الرضوان، يلمسونه بشكل رعايةٍ واسعةٍ من الله فيها كلها تكريم، تكريمٌ لهم، يعيشون معززين مكرمين، ينالون ما ينالونه، ويقدم لهم ما يقدم من النعيم في كل أجواء ذلك التكريم والرضوان.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى برضوانه عنهم يرعاهم برعايةٍ عجيبة؛ لأن مسألة الاستضافة لمن أنت راضٍ عنه وتحبه وتقدره، تدفعك مثلاً- على سبيل المثال التقريبي والصورة التقريبية لنا- إلى أن تهتم به اهتماماً واسعاً، **يعني:** اهتماماً غير عادي، **مثلاً:** في واقع الحياة قد يكون لدى الإنسان اهتمام بضيوفه، أي ضيف، لكن عندما يكون هذا الضيف من تحبه، من ترضى عنه، من تقدره، من تعزه، فأنت أكثر حرصاً على أن تعتني به أكثر، أن تدفع عنه ما يؤذيه، أن تدفع عنه ما يزعجه، أن توفر له ما يرغب فيه بحسب إمكاناتك وقدراتك.

أما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وذو الفضل الواسع العظيم، وهو على كل شيءٍ قدير، ومع ذلك كما قال: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، ﴿بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ففي الجنة هو بصيرٌ بعباده الذين اتقوا، يعلم ما يسرهم،

يعلم ما يرتاحون به، ما يناسبهم، ما يلائمهم، ما يفرحون به، وقادرٌ على تحصيل ذلك، على أن يخلق ذلك، على أن يمنَّ عليهم بذلك، على أن يكرمهم بذلك، عالمٌ بخصائص النفس البشرية، ما يناسب كلاً منهم، وما يرتاح به، وما يفرح به، وما يناسبه، فينعم به عليه، وعالمٌ في الدنيا بحال الذين تتوجه كل اهتماماتهم مادية، فقادرٌ على أن يحوِّل اهتماماتهم تلك وأطماعهم تلك التي نسوا معها الله، ونسوا معها الدار الآخرة، وحولوا تلك المتع وتلك الرغبات إلى غاية، حولوها إلى غاية، يتوجه نحوها كل اهتمامهم، كل سعيهم، أن يحولها إلى عذابٍ لهم، فيعذبهم بها في الدنيا، ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

إذاً هذا العرض المغري هو عرضٌ صادق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو يعرض علينا هذا النعيم، هو يعرض علينا تلك الحياة الأبدية السعيدة، النعيم الأبدي الذي لا ينقطع، يدوم ولا يفنى، ومقابله فقط التقوى، والتقوى هي بمتناول كُلِّ منا، في هذه الحياة الأمور المادية ليست بمتناول كُلٍّ منا، **مثلاً:** قد ترغب في شيءٍ في هذه الحياة ولا تستطيع توفيره؛ **لأنك** لا تمتلك قيمته، إذا ثمنه مرتفعٌ **جدًّا**، وهو شيءٌ نفيس، لكن الوصول إليه يكاد يكون مستحيلاً للكثير من الناس، الذين لا يمتلكون إمكانات مادية كافية، فهذا المعروض من النعيم الأبدي من بساتين الجنة، **يعني:** الكثير منا ظروفه المادية لا يستطيع أن يوفر لنفسه بها ولو مزرعةً صغيرة، البعض عاجز عن أن يشتري حتى بقرة واحدة، عن أن يشتري- ربما البعض- حتى نعجة واحدة، ظروف صعبة لدى أكثر الناس، فما بالك بأن يشتري مثلاً مزرعةً كبيرةً **جدًّا**، تتوفر فيها كل متطلبات الزراعة من الماء وغيره، وتمويل العمل فيها على الدوام، هذه مسألة صعبة لدى الكثير من الناس، الذي يعرضه الله لنا ثمنه التقوى، التقوى التي نلتزم بها حتى في اهتماماتنا المعيشية، حتى في نشاطنا الزراعي

والتجاري وغيره، فنجعل منه وسيلةً نبتغي بها الدار الآخرة، ولا نجعل منه غايةً نخسر بها الآخرة، ثمنه التقوى، التقوى هي في متناول كُلٍ منا.

نماذج من مواصفات المتقين في القرآن الكريم

يأتي القرآن بنماذج من مواصفات المتقين؛ ليبين لنا التقوى، ويعرفنا على المتقين.

طلب المغفرة من واقع إيمانهم وعمق مشاعرهم

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ من واقع إيمانهم، من اقع شعورهم، يقولون بوعي من عمق مشاعرهم، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

من أهم مواصفات المتقين: أنهم يستشعرون مسؤوليتهم تجاه أعمالهم وتصرفاتهم، فهم هنا يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى في طلب المغفرة، فيقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾، **إننا آمنا**: آمنا بك؛ **فاستشعرنا** عظيم حقك علينا، آمنا بوعدك ووعيدك؛ فأدركنا أهمية ما نعمل، وما يترتب عليه من الجزاء في الآخرة، وما يترتب عليه حتى من العواقب والنتائج في هذه الدنيا، فأدركنا الخطورة في تصرفاتنا وأعمالنا، عندما نعصي، عندما نذنب، عندما نفرط، عندما نقصر، عندما نهمل، عندما نفرط في شيءٍ من التزاماتنا العملية الإيمانية فلا نقوم به، عندما لا نعمل ما ينبغي علينا أن نعمله، يستشعرون الخطورة، ليسوا مستهترين في أعمالهم، في تصرفاتهم، هم يدركون المسؤولية فيما يفعلون، فيما يتصرفون، في مواقفهم، فيما عليهم من التزامات إيمانية وعملية، ولذلك يطلبون من الله المغفرة، يطلبون من الله المغفرة، يدركون خطورة الذنوب، خطورة التفريط، خطورة التقصير، خطورة الإهمال تجاه التزاماتهم الإيمانية فيما أمرهم الله به، ويدركون الخطورة الرهيبة لتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى، أو لفعل الحرام، مسألة خطيرة **جدًّا** لديهم، فهم يخافون من

١- آل عمران: الآية ١٦

ذنوبهـم، وتقصيرهـم، وإهمالهـم، وتفريطهم، ليسـوا متهاونين، ليسـوا مسـتهترين.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: **لأنهـم** يدركـون أن مـا يصـل بالإنسـان إلى نـار جهنـم هـي ذنوبـه، ذنوبـه التـي هـي إمـا بشـكل تفريـطٍ فيـما أمـر اللـه بـه مـن الالتزامـات العمليـة، وهـذه مـن أخطـر الذنـوب التـي يغفـل عنهـا الكثـير مـن النـاس، مـا علينـا أن نعملـه، مـا أمرنـا اللـه بـه.

أو بشـكل انتهـاكٍ لحرمـات اللـه وفعل المحـرم، فهـم يدركـون خطـورة الذنـوب أنهـا هـي التـي تصـل بالإنسـان إلى نـار جهنـم، هـي التـي تسـبب للإنسـان سـخط اللـه، هـي التـي تسـبب للإنسـان المصائـب الخطـيرة والعقوبـات العاجلـة في الدنيـا، هـي التـي تسـبب للمجتمعـات النكبـات، مجتمعـات بأكثرهـا تدخـل في نكبـات كبـيرة؛ نتيجـة ذنـوب، نتيجـة تقصـير في مسـؤولياتها، في واجباتهـا، في الأعـمال الصالحـة التـي أمـر اللـه بهـا، تقصـير في إتبـاع مـا أنـزل اللـه، تفريـط تجـاه توجيهـات اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فهـم يؤمنـون بوعيـد اللـه، ويوقنـون بالآخـرة، ويدركـون أن النـار هـي العقوبـة الحتميـة للإنسـان المسـتهتر المتهاون، الـذي لا يرجـع إلى اللـه، لا ينيـب إلى اللـه، لا يسـتقيم عـلى أسـاس هـدى اللـه، لا يلتـزم بتعليـمات اللـه وتوجيهاتـه، فيـصر، عـلى عصيانـه، يـصر عـلى تقصـيره، يـصر عـلى تفريطـه، فيدركـون الخطـورة في ذلـك، ولذلـك يضرعـون إلى اللـه، وعندهـم اهتـمام عمـلي، ليسـوا فقـط يقولـون ذلـك، ثـم لا يلتفتـون إلى واقعهـم العمـلي لمعرفـة مـا هـم مقصـرون فيـه، فيتداركـون ذلـك، لمعرفـة مـا قـد يكـون الإنسـان واقعـاً فيـه، مـما فيـه إثـم في سـلوكياته، أو في تصرفاتـه، أو في طريقتـه في أداء المسـؤولية، فيقلعـون عـن ذلـك وينتبهـون، يقولـون وهـم يلتفتـون إلى واقعهـم العمـلي، يقيمـون واقعهـم العمـلي، **يحاسـبون أنفسـهم قبـل أن يحاسـبوا.**

٣ الصبر على السير وفق منهج الله

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾[١]، ﴿الصَّابِرِينَ﴾، الصابرين وهم يؤدون مسؤولياتهم العملية عندما يواجهون المشاق، أو الصعوبات، أو التحديات، الصابرين على ظروف هذه الحياة، التي يواجهونها وهم يستمرون في السير وفق منهج الله وتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأن** الكثير من الناس مشكلته في الصبر، أمام شهوات نفسه ورغباتها لا يصبر، فيرتكب المحرم، أو يقف في صف الباطل، أمام البعض من العوائق، أو الصعوبات، أو المشاق، في أداء المسؤولية، في فعل ما أمرنا الله به، لا يصبر، فيتقاعس عن ذلك، أمام أي مشاق، أو متاعب نفسية، أو جسدية، لا يريد أن يصبر، فيفرط في عملٍ مهم، أو يفعل ما هو من المحرمات.

فالصبر مسألة مهمة جدًّا وأساسية، والإنسان المؤمن هو أولاً يطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يفرغ عليه الصبر، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٢]، ثم هو يوطِّن نفسه على الصبر، يروض نفسه على الصبر، يستفيد من كل الوسائل التربوية التي ترتقي به، تمنحه القوة، قوة التحمل، تهيئه للاستعداد للصبر، من مثل صيام شهر رمضان، الذي هو عملية ترويضيه على الصبر، **والإنسان يصبر على:** أولاً على السيطرة على شهوات نفسه تجاه الطعام، والشراب، والمعاشرة الزوجية، ثم أيضاً يصبر على الجوع، على العطش، على متاعب معينة جسدية، عملية ترويضيه تكسب الإنسان قوة التحمل، وارتفاع المعنويات، والمزيد من القدرة والطاقة.

﴿الصَّابِرِينَ﴾، والصبر لابدَّ منه، لابدَّ منه، كثير من الناس يتهربون من المسؤوليات المهمة، كالجهاد في سبيل الله؛ لأنهم لا يريدون أن يصبروا، أو

١- آل عمران: من الآية ١٧
٢- النحل: من الآية ١٢٧

ظروف معينة، أو معاناة معينة، أو أحزان معينة؛ **لأنهم** لا يريدون أن يصبروا، فالصبر لابدَّ منه في التقوى، **في تحقيق التقوى لابدَّ من الصبر**، فبالتالي تعمل من خلال الصبر الأعمال العظيمة التي تقيك من عذاب الله، تقي الأمة من الخزي والهوان، تقي المجتمع من سيطرة أعدائه عليه، تقينا من مختلف الشرور، وتقينا من عذاب الله، ومن النار.

الصدق في القول والعمل

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، الصادقين في إيمانهم، عندما قالوا آمنا قالوها بصدق، آمنوا فعلاً، آمنوا بالله، آمنوا بوعده ووعيده، وكان لإيمانهم ثمرة هي التقوى، والصادقين في إيمانهم، في فهمهم لدينهم، فهموه بصدق، ولديهم المصداقية في أدائهم العملي، في التزامهم الإيماني، فيما عليهم أن يعملوا، وفيما عليهم أن يتركوا، مصداقية في الانتماء، في العمل، في الموقف، وهم من يتحرون الصدق فيما يقولون، من يتحرون الصدق في أدائهم لمسؤولياتهم، الصدق من أهم العناوين التي تترتب عليها مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، **الصدق عنوانٌ إيمانيٌ مهم، وأساسيٌ في تحقيق التقوى**، ولذلك واقع المؤمنين المتقين أنهم أهل صدق، ويتحرون دائماً الصدق.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، **في التزاماتهم الإيمانية، والعملية، وانتماءاتهم، ومواقفهم، ويتحرون الصدق فيما يقولون.**

الخضوع الدائم لله تعالى

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، هم دائماً في حالة خضوعٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خاضعين لله، خاشعين لله، ولذلك لديهم استعداد في طاعة الله في كل شيء، ليس هناك بالنسبة لهم تأثيرات سلبية لمزاجهم الشخصي، أو لنوازعهم وعقدهم الشخصية، فيأنفون من تنفيذ أي شيءٍ فيه رضاً لله، أو أمر الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المهم بالنسبة لهم هو

٣

رضوان الله، كيف يرضى عنهم، مقابل أن المهم لدى الكثير من الناس هو الناس وليس رضا الله، رضا الله هو المهم بالنسبة لعباده المؤمنين المتقين، ولا يأنفون، ولا يستنكفون، ولا يستكبرون من أن يعملوا ما هو رضا الله ﷻ، ولو كان مزاجهم الشخصي قد لا ينسجم مع ذلك، أو كلام الناس، أو إثارة الناس، وبالذات أن البعض من الناس لديهم خبرة شيطانية في استثارة الإنسان تجاه عمل قد يكون مهماً، وفيه مرضاةٌ لله ﷻ، فيأتون لاستثارة الإنسان؛ **ليعيقوه** عن ذلك العمل، مهما كان عظيماً ومهماً.

أو أحياناً في سياق العمل في سبيل الله وطاعة الله، والأعمال التي هي أعمالٌ منسجمةٌ مع التقوى، وقائمةٌ على أساس التقوى، قد يأتي من يثير فيك الحساسيات الشخصية، والحسابات الشخصية، والعقد الشخصية؛ **لينفرك** منها، ويجعل حساباتك فيها حسابات شخصية، مناصب، مواقع وهمية، مسميات معينة، حسابات معينة، وبالتالي تأنف، أو أحياناً بدافع العقدة تتوقف عن عمل معين، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، فهم في حالة خضوع تام لله، وانقياد تام لأمر الله ﷻ، لا أنفة فيهم، لا كبر فيهم، لا عقد لديهم.

روحية العطاء والإنفاق باستمرار

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾، فنلاحظ مثلاً وصفهم بالمنفقين، حتى تكون نظرتنا صحيحة إلى مسألة الإمكانات المادية، أن المسألة بالنسبة للمتقين أنهم يتعاملون بها كوسيلة وليس كغاية، فهم يبتغون فيما مكنهم الله منها يبتغون الدار الآخرة، يستشعرون مسؤوليتهم فيها، فهم في حالة إنفاق من كل ما رزقهم الله، ومن كل إمكاناتهم التي مكنهم الله بها ﷻ، وبشكلٍ مستمر، روحيتهم روحية عطاء.

٣

في مقابل أن روحية البعض هي روحية أخذ، واستغلال، وانتهازية، واكتساب دائم، واستحواذ دائم، وطمع، فهم على العكس من ذلك، هم يحملون روحية الإنفاق، روحية العطاء، يجودون مما رزقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضمن التزاماتهم الإيمانية، في مقدمها الإنفاق في سبيل الله، ومن ضمنها الصدقات على الفقراء والمساكين، والإحسان إلى الناس، والإحسان إلى ذوي القربى، إلى غير ذلك.

مسك ختام هذه المواصفات: الاستغفار في الأسحار

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، وهم أيضاً، ختم في هذه المواصفات ختمها بالاستغفار، وبدأها أيضاً بطلبهم للمغفرة، فهم على ما هم عليه من صبر عملي في ميدان العمل، ينهضون بمسؤولياتهم وواجباتهم، صبر في مقام التزامهم الإيماني وحذرهم من المعاصي والمحرمات، صدق، انقياد تام لأمر لله، إنفاق مستمر وروحية عطاء، طاعة تامة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هم لا يحملون حالة الغرور، الغرور والعجب بالنفس، فينظرون إلى أنفسهم بغرور كبير، يتصور أن الله يتمنى أنه قد مات ليدخله الجنة فوراً، هم لا يزالون يستشعرون تقصيرهم، وهم لا يزالون يخافون من الذنوب والمعاصي، وهم لا يزالون يستشعرون خطورة التفريط، خطورة التقصير، فيبادرون دائماً بالاستغفار وتلافي جوانب التقصير لديهم، حتى في وقت من أحسن الأوقات للذكر والدعاء والاستغفار، يخصصونه للاستغفار، هو وقت الأسحار، في آخر الليل ما قبل طلوع الفجر، ما قبل طلوع الفجر هو وقت السحر، وقت من أحسن الأوقات على مستوى قبول الدعاء، على مستوى قيمة الذكر والعبادة، على مستوى الأجواء الذهنية والنفسية للإنسان، وهو يتفرغ في ذلك الوقت لذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

في ذلك الوقت من يداوم على اليقظة فيه قد ينظر إلى نفسه أنه أصبح من عظماء أولياء الله، ومن العبَّاد الذين أصبحت مرتبتهم ودرجاتهم في

التقوى والعبادة والإيمان عالية، فقد يحمل شيئاً من الغرور، وهم على العكس من ذلك، لا يشعرون بغرور تجاه أعمالهم واهتماماتهم والتزاماتهم، ولا تجاه قيامهم في مثل ذلك الوقت الذي يخصصونه للاستغفار؛ لأنهم يدركون أهمية ذلك الوقت فيما يطلبونه من الله، وأهم وأول مطلبٍ لهم هو طلب المغفرة، طلب المغفرة.

هذه النماذج يقدمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعرفنا بها عن التقوى والمتقين، إضافةً إلى ما وعدهم الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه كلها في متناولنا جميعاً، في متناول الفقير والغني، في متناول المسؤول والشخص العادي مثلاً الذي هو مواطن ليس في موقع مسؤولية معينة، وهذه المواصفات في قوله: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾، هي تفيد الاستمرارية، هم هكذا بشكلٍ مستمر، البعض من الناس يصبر مرحلة معينة، بعد ذلك يتغير تماماً، يكون قانتاً منطلقاً بتسليمٍ تام لأمر الله، في طاعة الله، فيما هو رضا لله، لمراحل معينة، في مراحل يتغير، تصبح عنده أولويات، اعتبارات أخرى، يريد مناصب، يريد مكاسب، يريد أهدافاً شخصية، أو البعض من الناس يصل إلى مستوى معين فيدخل في عقد وإشكالات فيتوقف؛ **أما** هؤلاء فمواصفاتهم هذه تفيد الاستمرارية.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

في ظلال التقوى وآفاقها الواسعة (٤)

من مميزات المتقين: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

من أهم ما هو محسوبٌ في عداد مواصفات عباد الله المتقين، هو: اليقين بالآخرة، وهو من أهم الدوافع إلى التقوى، ومن أهم ما يساعد على التزام حالة التقوى، اليقين بالآخرة، **قال الله ﷻ عن عباده المتقين:**

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[١]، فهم يوقنون بالآخرة، وهم مؤمنون إيماناً صادقاً بوعد الله ﷻ ووعيده.

من المعلوم أنَّ من أهم المهام للرسالة والرسول والقرآن، هو: التبشير والإنذار، فالله يصف نبيه ﷺ بأنه ﴿بشيراً ونذيراً﴾ يصف القرآن- كذلك- ﴿بشيراً ونذيراً﴾.

فيأتي النُّذُر أو الإنذار بالآخرة من المهام الرئيسية للأنبياء والرسل «صلوات الله عليهم»، ومن أهم ما تتضمنه كتب الله ﷻ، وختامها القرآن الكريم والرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، حيث كان لذلك مساحة واسعة في الحديث عن الآخرة، واليوم الآخر، وبشكلٍ تفصيلي، لم يبق مجرد عنوان عام بدون تفاصيل، **مثلاً:** نسمع عن يوم القيامة، ثم لا نسمع عن أي شيءٍ من التفاصيل سوى أنه يومٌ للحساب، وبعده الجزاء.

أتى الحديث التفصيلي عن يوم القيامة في مرحلته الأولى: النفخة الأولى، التي بها نهاية الحياة، ودمار الأرض والسماوات، وإعادة تكوينها من جديد، ثم في النفخة الثانية، في حالة البعث والقيام والحساب، وتفاصيل مقامات الحساب بشكلٍ دقيق، ثم ما بعد ذلك فيما يتعلق بالجزاء، الذي هو الجنة والنار، فالحديث التفصيلي لامس كل جانب من الجوانب التي تتصل بحياتنا.

يأتي الحديث عن الجوانب النفسية للإنسان في تلك المقامات والمشاهد، في ساحة القيامة، وما بعد ذلك: في الجنة، أو في النار، يأتي الحديث عن كل ما يتصل بشؤون حياتنا في كل جانبٍ من جوانبها، عن الطعام، عن الشراب، عن الملابس، عن ظروف وأجواء الحياة التي يعيشها الإنسان هناك، بنحوٍ تفصيليٍ فيه العبرة الكبيرة لنا، فيه ما يدل على أهمية ما نحن قادمون عليه.

١- البقرة: من الآية ٤

ولذلك يأتي التأكيد على هذه الحقائق في القرآن الكريم، بالرغم من كل ذلك، أكثر الناس هم في حالة غفلة، بعد كل ذلك الإنذار المتكرر والمؤكد، والذي تأتي فيه الكثير من التفاصيل، والتي تلامس كل جانب يهم الإنسان، يتعلق بحياته، على نحوٍ تفصيلي، مع ذلك الحالة السائدة لدى أكثر البشر، أكثر الناس، هي حالة الغفلة، كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[1]، فحالة الغفلة الشديدة لدى أكثر الناس، وحالة تصل بهم إلى درجة الإعراض، واللامبالاة، وعدم الانتباه إلى أعمالهم، أقوالهم، تصرفاتهم... وغير ذلك، البعض إلى درجة التكذيب، إلى درجة التكذيب بالآخرة، وبعالم الآخرة.

من مميزات المتقين: التذكر والاستعداد لليوم الآخر

ما يتميز به المتقون: أنهم في حالة انتباه، في حالة تذكر، مع يقينهم بالآخرة، مع إيمانهم بوعد الله ووعيده، هم في حالة انتباه، وتذكر، وجهوزية، واستعداد؛ **ولذلك** يزنون تصرفاتهم، أعمالهم، مواقفهم على هذا الأساس، أنَّ هناك حساباً، هناك جزاءً، يتذكرون ذلك، وإذا حدثت لهم حالات غفلة، فهي حالات عارضة، وليست حالاتٍ مستحكمة، هي حالاتٌ عارضة، يخرجون منها، يُذَكَّرون فيتذكَّرون، يأتي ما ينبههم؛ **فيخرجون** من حالة غفلتهم، ويعودون إلى انتباههم، وهم يستشعرون دائماً قرب لقاء الله سبحانه وتعالى، ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]، فاستشعارهم المستمر لقرب لقاء الله سبحانه وتعالى، يجعلهم في حالةٍ من الانتباه، واليقظة، والاستعداد، والإدراك أنَّ مواقفهم محسوبة، وتصرفاتهم محسوبة، وأعمالهم محسوبة... إلى غير ذلك، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ

١- الأنبياء: الآية ١
٢- البقرة: الآية ٤٦

مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[١]، فهم قد تعرض لهم حالة الغفلة، ثم سرعان ما ينتبهون، فينتبهون لتصرفاتهم، لأعمالهم، لمواقفهم، ويتحركون على أساسٍ من إيمانهم.

أيضاً في علاقتهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لأن الإيمان بالآخرة هو جزءٌ** من إيماننا بالله، إيماننا بوعده ووعيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله يقول عنهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[٢]؛ **ولذلك يتأثرون**، ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ فيتأثرون بذلك، يكون لذلك تأثير في أعماق قلوبهم ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، مشاعرهم حيَّة، وجدانهم حي، ضميرهم حي، يخشون من عذاب الله، يستحيون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وحالة الاستشعار الدائم لذلك المستقبل الآتي حتماً، عبَّر عنها القرآن الكريم في إدراك أهميتها يوم القيامة، الإنسان الذي كان متذكراً هنا، منتبهاً، في حالةٍ من اليقظة، والاستعداد، والجهوزية، يوم القيامة يدرك قيمة أنه كان يستشعر أهمية الحساب، ويحسب لنفسه ذلك قبل مجيء يوم القيامة، فيقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن هذه الحالة: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٣]، هكذا هو الإنسان المؤمن المتقي يوم القيامة، بعد أن يأخذ كتابه بيمينه، وفيه الصفحات التي تبيِّض وجهه، تجعله يستبشر من أعماله الصالحة، من أعماله التي فيها مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو مستبشر، فيتذكر حينها أهمية استشعاره في حياته هنا في الدنيا لمسألة الحساب، ومسألة القيامة والجزاء، فيقول: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾، **يعني**: كنت استشعر في حياتي في الدنيا، ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾، أنه لابدَّ من الحساب، وأنني سألقى الحساب، ومن ثم الجزاء،

١- الأعراف: الآية ٢٠١

٢- الأنفال: من الآية ٢

٣- الحاقة: الآية ٢٠

فكان لهذا أهمية في **أن** أستعد، **أن** أتوب إلى الله، **أن** أتلافى تقصيري، **أن** أتدارك خطيئاتي، **أن** أتجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعمل الصالح فيما أمرني به، فكان لذلك الثمرة الطيِّبة.

حالة اليقظة، حالة الانتباه، حالة الاستعداد، حالة الاهتمام لدى المتقين، تصل إلى أن يكون لديهم انتباه واهتمام في مختلف الحالات والظروف، حتى في حالة النوم، قال الله عنهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]، يأتي التذكر للآخرة، للحساب، للجزاء، لذلك المستقبل الأبدي، حتى وهو مضطجعٌ على فراش نومه، فتثيره هذه الحالة، وتنشِّطه للقيام من نومه **إلى** العمل الصالح، **إلى** ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **إلى** التحرك لما فيه طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **إلى** الاهتمام بمسؤولياته وواجباته، هذه الحالة الهامة من التذكر والانتباه تجعلهم يتداركون أنفسهم عند كل حالة تقصيرٍ، أو عند كل هفوةٍ أو ذنب، فيبادرون سريعاً بالتوبة والإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]، هم يتجهون بمبادرة سريعة بالإنابة إلى الله، بتدارك خطيئاتهم، أو معاصيهم، أو ذنوبهم، أو تقصيرهم، أو تفريطهم، أو تهاونهم، ولا يصرون أبداً، لا يستمرون في حالة العصيان لهذا الانتباه.

هذه الحالة الإيمانية التي عليها أنبياء الله وأولياء الله، الله يقول عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهو في مقام الرسالة والنبوة والمنزلة العظيمة العالية عند الله، لكن هكذا هو الإيمان، يستذكر اليوم العظيم والعذاب العظيم.

١- السجدة: من الآية ١٦

٢- آل عمران: من الآية ١٣٥

يقـول اللـه ﷻ **عـن أوليائـه:** ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[١]، فيـما روي في قصـة الإمـام علـيٍّ عليه السلام، وفاطمة الزهـراء: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، في الحالـة الذهنيـة، في الحالـة النفسـية حالـة تذكـر واهتـمام، والتفاتـة إلى ذلـك اليـوم الآتي.

حالة الغفلة والإعراض ونتائجها السيئة

الآخـرون الذيـن هـم في حالـة غفلـة، وحالـة نسيان، ينتـج عـن ذلك اسـتهتار مـن جانبهـم، وتهـاون في أعمالهـم، في أقوالهـم، في تصرفاتهـم، تعـرض عليهـم الأعـمال العظيمـة، الأعمال المقربـة إلى اللـه، الأعـمال التـي هـي جـزءٌ أسـاسيٌ من التزاماتهـم الإيمانيـة والدينيـة، التـي لابـدَّ منها في نجاتهـم، في فوزهـم، في الخـير لهـم في الدنيـا والآخـرة، فـلا يبالـون، ولا يسـتجيبون، تغلـب عليهم حالـة الإعراض، يُحَـذَّرون مـن المعاصي، مـن الذنـوب، سـواءً مـا هـو منهـا انتهـاكٌ لحـدود اللـه، والمحرمـات التـي حرمهـا اللـه، أو إخـلالٌ بواجباتهـم ومسـؤولياتهم التـي عليهـم القيـام بهـا؛ **لأن** اللـه أمرهـم بهـا، ودعاهـم إليهـا، وهـي جـزءٌ مـن الالتزامـات الإيمانيـة والدينيـة، فـلا يبالـون، لا يسـتجيبون، لا يهتمـون، لا يتفاعلـون، قلوبهـم قاسـية، ذهنياتهـم متبلـدة، حالـة الغفلـة والإعـراض هـي المسـيطرة عليهـم، حالـة الانصراف الـكلي نحـو أهوائهـم ورغبـات حياتهـم، التـي هـي متـاعٌ قليـل، ومتـاعٌ زائـل، هـي المسـتحكمة عليهـم، اسـتحكام حالـة الغفلـة التـي عـبَّر عنهـا القـرآن الكريـم: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[٢]، فتـأتي معهـا حالـة الإعـراض.

مـن الحقائـق المعروفـة لدينـا جميعـاً، لـدى كل البشريـة جمعـاء: أن حياتنـا هنـا في هـذه الدنيـا هـي حيـاةٌ مؤقتـة، مهـما كان إعـراض الإنسـان وغفلتـه، واتجاهـه في اهتماماتـه بشـكلٍ كلي نحـو شـؤون هـذه الحيـاة فحسـب، مـع

١- الإنسان: الآية ١٠

٢- الأنبياء: من الآية ١

غفلة عن أن اهتمامه بالحياة الأخرى هو لمصلحته في هذه الحياة، وفي تلك الحياة، **يعني:** لا يحتاج صلاح حياتك هنا في الدنيا إلى أن تتجاهل أمر الآخرة، هناك ترابط ما بين الحياة الدنيا والآخرة، تذكرك للآخرة تستقيم به حياتك هنا في الدنيا، والخلل الكبير، والتجاوز، والانتهاك للمحرمات، والإعراض عن الله، وعن منهجه، وعن هديه، عواقبه سيئةٌ لك في الدنيا، وعواقبه خطيرةٌ **جدًّا** عليك في الآخرة.

نحن في هذه الحياة في حياةٍ مؤقتة، نعيش فيها بأجل، وهذه مسألة نعرفها جميعاً، وهي حياة مسؤوليةٍ واختبار، تأتي الحياة التي هي جزاء، **إما** جزاء خيرٍ خالصٍ دائمٍ على أرقى مستوى، **أو** حالة عذابٍ شديدٍ دائمٍ أبديٍ على أشد مستوى، التي خيرها خالص وشرها خالص الحياة الآخرة؛ أما هذه الحياة فهي ميدان مسؤولية، وميدان اختبار وميدان عمل.

ونخضع في حياتنا هذه لرقابةٍ دائمةٍ من الله ﷻ وملائكته، فلا يغفل عنا الله ولا للحظةٍ واحدة، ولا يغفل عنا ملائكته الذين من مهامهم الأساسية: الرقابة المستمرة علينا، وتوثيق كل أعمالنا وتصرفاتنا وأقوالنا، كما قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، رقابة دائمة في ليلنا ونهارنا، في كل أحوالنا، في خلواتنا واجتماعاتنا، أينما كنا، أينما ذهبنا، أينما انتقلنا، في رقابة مستمرة، توثق فيها كل أعمالنا، كل تصرفاتنا؛ **لأن** هذه الحياة هي ميدان مسؤولية، الله ﷻ قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2].

١- ق: ١٦-١٨

٢- الملك: من الآية ٢

الموت نهاية حتمية للفرصة الوحيدة المتاحة المؤقتة

ثم تنتهي هذه الحياة، نهاية هذه الحياة بالموت، الموت هو نهاية لهذه الحياة، وهو إقفالٌ لملف العمل، لملف عملك، إقفالٌ له على ما فيه من عملٍ صالحٍ تفوز به، أو عملٍ سيءٍ وتقصيرٍ وتفريطٍ يسبب لك الخسران والهلاك، **والموت أيضاً هو نهايةٌ حتميةٌ للفرصة**، لا فرصة بعده أبداً، الفرصة الوحيدة التي أتاحها الله لك هي هذه الأيام التي أنت تعيش فيها، هي هذه الحياة المؤقتة، التي لها أجلها، وستنتهي، وأنت لا تعلم متى هي النهاية، متى يأتيك الموت، متى ترحل من هذه الحياة، لا تعرف ذلك، ليس هناك وقتٌ محددٌ بالنسبة لك، تعرف أن حياتك ستنتهي عنده، كل يومٍ يمكن أن يكون هو اليوم الأخير من حياتك، وكل ليلةٍ من الممكن أن تكون هي الليلة الأخيرة من حياتك، ولذلك من المهم أن يكون الإنسان في جهوزيةٍ مستمرة، في استعدادٍ مستمر، فإذا رحل في أي يومٍ من الأيام، في أي ليلةٍ من الليالي، كان جاهزاً؛ **أما** إذا كان الإنسان في حالة غفلة، فهي الحالة الخطيرة.

ويؤكد الله لنا ويذكرنا بهذه الحقيقة التي نراها في واقع حياتنا، ونرى في كل يوم كم أن هناك القوافل من البشر الذين يرحلون من هذه الحياة، فيقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، كل نفس، لا أحد يستطيع أن يرد ذلك، أن يدفع ذلك، أن يمنع عن نفسه ذلك، أن يستثني نفسه من ذلك، أن يُحَصِّن نفسه من ذلك، أياً كان الإنسان، لا ملك، ولا زعيم، ولا... مهما كانت إمكاناته، قدراته، ذكاؤه، مهما كان يمتلك من العلاقات، من التأثيرات، لا شيء يمكن أن يدفع عنه ذلك.

٤

ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، ولا يستطيع الناس هم أن يدفعوا عن أحدٍ ذلك، مهما كان عزيزاً لديهم، أو مهماً لديهم، لا يستطيعون أن يمنعوا عنه ذلك.

فالإنسان يجهل موعد رحيله من هذه الحياة، موعد موته، موعد نهاية هذه الحياة، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2]، لكن الخطر الكبير عندما تستحكم حالة الغفلة لدى الإنسان، فلا ينتبه من غفلته تلك إلا حين يأتيه الموت، كان في حالة غفلةٍ وإعراض، ولا مبالاة، ولا اهتمام، فتفاجأ عندما أتى موعد الرحيل وهو في حالة غفلةٍ مستحكمة تامة، لم تنفع فيه في هذه الحياة حالة الأحداث والتقلبات والمتغيرات التي فيها العظة والعبرة، لم ينفع فيه أنه يشاهد ويعلم عن الكثير ممن يرحلون، قد يكون بينهم من أقاربه، من أحبائه، من أهل بلاده ممن يعرفهم، فلم يتذكر بذلك، ولم ينتفع بذلك، ولم يلتفت إلى ذلك، لم تنفع فيه المواعظ، لم ينفع فيه التذكير بهدى الله، بآيات الله ﷻ، لم ينفع فيه ما كان يمر به أحياناً، الإنسان أحياناً يمر بحالات مرضية مثلاً، أو حوادث، يكون فيها تذكيرٌ له، يوشك فيها على الرحيل من هذه الحياة، يحسُّ فيها أحياناً بخطر الموت، بخطر الوفاة، بتهديدٍ مباشرٍ على حياته، فيعود إلى غفلته التامة، وعدم اهتمامه نهائياً، ثم عندما أتاه الموت بشكلٍ حقيقي، بشكلٍ نهائي، أصبحت المسألة مسألة جدية ولا مناص من ذلك، ينتبه حينئذٍ، ولكن بعد فوات الأوان، حالة خطيرة على الإنسان ألَّا ينبهه في البداية إلا أمر الموت، ألَّا ينتبه إلا بعد فوات الأوان نهائياً، هذه حالة تحصل

١- الواقعة: ٨٣-٨٧

٢- لقمان: من الآية ٣٤

للكثير من الناس، تحصل للكثير من الناس، حينها تكون بدايةً للتحسر، بدايةً للعذاب النفسي، انتباهاً إلى حجم الفرصة التي فوتت، وحجم الخسارة التي حدثت، فالله يذكرنا بذلك، فيذكر ذوي الغفلة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾، عندما جاءت سكرة الموت، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[١]، هذه الحالة: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢]، ينتبه الإنسان، يتذكر في تلك اللحظة الحرجة **جدًّا**، يصل إلى أعلى مستوى من التذكر والانتباه والاهتمام، ويدرك أهمية المسألة، ولكن بعد فوات الأوان.

كما يقول الله ﷻ في آيةٍ أخرى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، أنفقوا؛ **لأن** هذا لمصلحتكم، أنتم تقدمون لأنفسكم، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣]، يطلب التأخير ولو لمهلة قريبة، ولو لم تكن طويلة، البعض قد ربما يتمنى من الله أياماً، أياماً يصلح فيها بعض أموره، أو فترةً وجيزة، ولكن لا يمكن أبداً أن يحصل على أي تأخيرٍ إضافي.

﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾: **لأنه يدرك حينها قيمة ما ينفق ويقدم ويتصدق به في نجاته، في مستقبله الأبدي.**

﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أصلح نفسي، وأصلح أعمالي، وأكن في زمرة الصالحين، لكن هل يفيده هذا الطلب؟ مهما كان ملحاً، مهما كان من أعماق قلبه، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤]،

١- ق: الآية ١٩
٢- ق: الآية ٢٢
٣- المنافقون: الآية ١٠
٤- المنافقون: الآية ١١

ولذلك الموت هو نهايةٌ للفرصة الوحيدة التي لا تعوض، مهما طالب الإنسان؛ **لأن** الإنسان يطالب بهذه الفرصة، وبإضافة فرصة جديدة، في تلك اللحظات عند الموت، يطلب في يوم القيامة، يطلب حتى في نار جهنم، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[1]، يطالبون بإلحاح، باستغاثة، بتضرع، فيرد الله عليهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا﴾[2]، **الفرصة هي هذه الحياة التي أنت فيها، هي هذه الساعات التي تهدرها، هي هذا الوقت الذي تضيعه، هذه هي فرصتك**، وهذه الأعمال التي تعرض عليك ومنها أعمالٌ عظيمة في ميزان الحسنات، في أسباب النجاة، في عوامل القرب من الله ﷻ، ثم لا تتفاعل معها، **الإنسان بحاجة إلى أن يدرك أهمية هذه الحقيقة؛ ليتلافى نفسه، وليستعد مبكراً.**

هنا الخطر.. عندما تتأخر محطات التذكر!

محطات التذكر التي تأتي متأخرة: عند الموت، عند البعث في يوم القيامة، لا تجدي الإنسان شيئاً، لا تجديه شيئاً، تصبح جزءاً من عذاباته النفسية الشديدة، وندمه العميق الشديد؛ **لأنه** أدرك أنه كان بإمكانه أن يغتنم الفرصة، أنَّ الله أعطاه الفرصة فلم يغتنمها.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[3]، في الدنيا كانت تأتيك المواعظ، يأتيك التذكير، كانت تأتيك الفرص، يأتيك شهر رمضان، تأتيك الأعمال التي تعرض عليك، أعمالٌ

١- فاطر: من الآية ٣٧

٢- فاطر: من الآية ٣٧

٣- الفجر: ٢١-٢٤

عظيمة، جهادٌ في سبيل الله، إنفاقٌ في سبيل الله، أعمالٌ صالحة تعرض عليك، فيها فوزك، فيها نجاتك، فيها فلاحك، وعد الله عليها بجناته، يقول لهم: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[١]، وعد عليها بالسلامة من عذابه، فكنت أنت ذلك المعرض، المستهتر، اللامبالي، والبعض النافر حتى، الذي ينفر من ذلك، ويستاء من ذلك، وكأن الإنسان أساء إليه، عندما يعرض عليه عملاً عظيماً، فيه فوزه، فلاحه، نجاته، صلاح حياته في الدنيا والآخرة، الخير له عند الله سبحانه وتعالى، فتستحكم حالة الغفلة لدى البعض، فلا يكترث، لا يتذكر أنَّ حياته الأبدية المهمة آتية، وأنها هي الجديرة بأن يستعد لها؛ **لأنها** هي التي خيرها خالص، أو شرها خالصٌ وأبديٌّ.

فحينئذٍ بعد كل هذه الأحداث، ﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: تغيرت معالمها بشكلٍ تام، أصبحت ساحةً للحساب والجزاء، أتى أمر الله، أتى حسابه، وأتت ملائكته، وقامت عملية الحساب على قدمٍ وساق، حساب مكشف لكل الخلائق، في تلك المتغيرات التي تأتي فيها جهنم، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، رأى جهنم، رأى عذاب الله الأكبر، رأى المصير الأبدي المظلم، المصير السيئ، المصير الذي هو كله عذابٌ رهيبٌ شديدٌ أليم، وحينها تذكر، **حالة خطيرة ألَّا يتذكر الإنسان إلَّا عندما يرى جهنم**، غفلة خطيرة على الإنسان، حينها لا ينفعه التذكر، التذكر ينفعك هنا، عندما تذكر بآيات الله فلا تعرض عنها، لا تكن من أولئك الذين إذا ذكروا بها أعرضوا عنها، لا تكن من أولئك الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾[٢]، لا يكن حالك كمثل من قال الله عنهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾[٣]، هنا عندما تتذكر بآيات الله، فتتجه وأنت في فرصة

١- آل عمران: من الآية ١٥

٢- الصافات: الآية ١٣

٣- الكهف: من الآية ٥٧

هـذه الحيـاة للأعـمال التـي فيهـا نجاتـك، فلاحـك، الخيـر لـك في الدنيـا والآخـرة، تعيـش مـن خلالهـا الشـعور بقيمـة هـذه الحيـاة، وأنـت عـلى صلـةٍ بالله ﷻ، في الأعـمال الصالحـة، في الأعـمال العظيمـة التـي تسـمو بهـا، تـشرف بهـا، تعتـز بهـا، تتحقـق لـك بهـا كرامتـك الإنسـانية، **وفي الآخـرة:** الجنـة، السـلامة مـن عـذاب اللـه، النعيـم العظيـم، الفـوز العظيـم، هنـا الفرصـة لـك أن تتذكـر.

أمَّا إذا اسـتحكمت غفلتك، واسـتمر اعراضـك، فحينهـا تتذكـر عندمـا يُجَـاء بجهنـم، مـا الـذي يفيـدك تذكـرك حينئـذٍ؟! ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝٢٣ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، حينئـذٍ لم يعـد وقـت التذكـير، ولا وقـت المحـاضرات، ولا المواعـظ، ولا النصائـح، انتهـى كل شيء، لم يبـق إلَّا الجـزاء، ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[1].

أنت معنيٌّ بهذا الحديث.. ويوم القيامة قريب فاستيقظ!

ولاحظـوا مـن الإشـكاليات لـدى الكثـير مـن النـاس، عندمـا يـأتي الحديـث عـن الآخـرة، عندمـا يـأتي التذكـير والإنـذار بالآخـرة، بالحسـاب، بالجـزاء، التذكـير بوعـد اللـه ووعيـده، البعـض كأن ذلـك لا يعنيهـم هـم، كأنهـم ليسـوا معنيـين، فليسـوا ممـن سـيموتون، ولا ممـن سـيبعثون، ولا ممـن سيحاسـبون، ولا هـم مجزيـون، كأنهـم خـارج هـذه الأمـور بكلهـا، هـذه حماقـة مـن البعـض، اعـراضٌ وغفلـةٌ وحماقـةٌ لا تجديهـم شـيئاً، لا تنفعهـم شـيئاً، لا تدفـع عنهـم شـيئاً، يـوم القيامـة الحضـور إجبـاري، إجبـاري عـلى الجميـع، ليـس هنـاك مـن منـاص.

أيضـاً البعـض يعيشـون هـذه الحالـة مـن الإعـراض ومـن الغفلـة، وكأنـك عندمـا تتحـدث عـن الآخـرة تتحـدث عـن شيءٍ بعيـد **جـدًّا**، شيء لم يحـن الوقـت بعـد للاهتـمام بـه، للالتفاتـة إليـه، للتركيـز عليـه، للانتبـاه لـه، سـيأتي

١- الفجر: ٢٤-٢٦

فيما بعد... هكذا ينظرون باستبعاد كبير، يرون المسألة بعيدة **جدًّا**، ولم يحن الوقت بعد، ونحن مشغولون الآن بأمور أخرى، مع أنَّ الأمور الأخرى مهما كانت لا تعيق الإنسان عن أن يحسب حسابه ليوم القيامة.

الله ﷻ **يقول:** ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، المسألة قريبة، لا تنظر للمسألة وكأنها بعيدة، متى ستأتي القيامة ويوم القيامة، والحساب والجزاء والنار، شيءٌ هناك بعيد **جدًّا**، لم يحن الوقت أن أشغل نفسي به، ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[1]، نحن هذه الأمة (أمة محمد) آخر الأمم، نحن في هذا الزمن في الحقبة التاريخية الأخيرة من الحياة البشرية ولهذا كان رسول الله محمدٌ ﷺ خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين لاقتراب القيامة، لاقتراب الساعة، هو من أشراطها، قد جاء أشراطها، هو من علاماتها، من علامات قربها؛ **لأنه** آخر الأنبياء والرسل، فالمسألة قريبة، والقيامة ستأتي فجأة وبغتة وفي وقتٍ غير متوقع، يتفاجأ بها الناس، يتفاجأ بها البشر، لا تأتي في وقتٍ محدد معلوم، لا يعلمها إلا هو، يختص الله ﷻ وحده بعلمها، ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[2]، فهي تباغت الناس، والكثير من الناس- إن لم يكن كلهم عندما تأتي- تأتي وهم في وضعٍ من الغفلة وعدم التوقع نهائياً أن قد أزف وقتها، هذا ينبهنا على أهمية الاستعداد والجهوزية المستمرة.

كذلك الموت، الموت هو الفاصل الذي يفصل الناس عن قيام الساعة، من لا يدركونها مباشرةً فبينهم وبينها فاصل الموت، الموت فاصلٌ قصيرٌ **جدًّا**، الإنسان الذي كان يتوقع أن المسألة بعيدةٌ **جدًّا**، سيكون متفاجئاً باستشعاره لقربها **جدًّا**، الغافلون سيلحظون كم أن الوقت مرَّ بسرعةٍ عجيبة وأتى عالم

١- القمر: من الآية ١
٢- الأعراف : من الآية ١٨٧

الآخرة، فالحالة التي تفصلك عنها من خلال الموت هي أشبه ما تكون بنوم ليلةٍ، أو ببعضٍ من ليلةٍ، بعضٍ من يوم، فتشعر بكل مشاعرك، بكل مشاعرك وكامل إحساسك وكأنه لم يكن بينك وبين القيامة إلا مدة وجيزة قصيرة **جدًّا**، وأنها سرعان ما أتت، حتى أنهم يتفاجؤون بذلك، والله أكد لنا هذه الحقيقة يوم القيامة في مشاعرهم، في إحساسهم، في حساباتهم، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[١]، **يعني:** تصور حالة الاستشعار لديهم إلى درجة وكأنهم كانوا متأكدين تماماً أن الوقت الذي مرَّ من لحظة مماتهم إلى لحظة بعثهم كان لساعةٍ واحدة، ويقسمون على ذلك، هذا هو شعورك عن الفترة التي مررت بها ما بين موتك وبين بعثك.

والبعض إذا زاد الوقت لديهم، كما قال الله عنهم في القرآن الكريم: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾، يتحدثون فيما بينهم بصوت هادئ، الكل في حالة هدوء، ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٢]، فلذلك لا يرفعون أصواتهم؛ إنما يتحدثون بأصوات منخفضة **جدًّا** وهم يتعجبون من سرعة مجيء القيامة، كيف أتى عالم الآخرة بكل هذه السرعة! فيختلفون على الحساب، تختلف تقديراتهم لحساب الزمن الذي مر من لحظة مماتهم إلى لحظة المبعث.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾[٣]، هذه أكبر تقدير لدى بعضهم، **يعني:** الذي قد طوَّل المدة الزمنية **جدًّا** بحسب تقديراته، فيقول عشراً، مقدار عشر ليالي تأخر الوقت، **لاحظ** مقدار العشر الليالي عندك في هذه الحياة، في سفر، أو في عمل، أو في مرحلة زمنية يقترن بها عمل معين، **يعني:** وقت وجيز، وقت وجيز، وكأنه لم يكن هناك... ولكن هذه تقديرات

١- الروم: من الآية ٥٥
٢- طه: من الآية ١٠٨
٣- طه: الآية ١٠٣

البعض منهم فقط الذين تصوروا أن قد قدروا أطول مدة، أطول مدة.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾، الأذكياء فيهم، الذين لديهم دقة في الحسابات والتقديرات، أكثرهم دقة في الموضوع، ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[1]، من لديه اعتماد على اعتبارات ومستندات في حساباته فهو يقدر المسألة بأقل من ذلك، ليس عشراً، يوماً، ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

هكذا هي تقديرات الإنسان يوم القيامة، يراها أتت بسرعة، وكأنه لم يكن الفارق الزمني عنها سوى يوم، أو ساعة، أو عشيةً، أو ضحاها، بحسب الاختلافات في التقديرات لديهم، والذين أكثروا وبالغوا في نظرهم وتقديراتهم قالوا عشرا، عشر ليالي مثلاً مرت، فهي سريعة، والإنسان سيراها سريعة وقريبة، يراها قريبةً **جدًّا** عندما تأتي.

يوم حسرة الغافلين والمعرضين!!

في ذلك اليوم، في يوم القيامة، يوم الحساب، هو ليس يوماً لمهرجانٍ يجتمع فيه البشر لأمور عادية، هو يوم الفصل، يوم الحساب، والكل سيحضر غصباً عنه، رغماً عنه، لا يمكنك الامتناع عن الحضور، أو التخفي، أو التهرب، أو التملص، كم كنت في الدنيا تتملص، تتهرب من أعمال عظيمة، من أمور مهمة، أو أحياناً تتعقد من بعض الأمور، فتجلس حبيس المنزل ممتنعاً عن كل عملٍ يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يوم القيامة ستحضر رغماً عنك، راضياً، ساخطاً، بأي حالٍ أنت، ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[2]، الكل يحضر، ويحضرّ للحساب ورغماً عنه، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ

١- طه: الآية ١٠٤
٢- يس: الآية ٣٢

٤

عَبْدًا ﴾(١)، الكل بلا استثناء، ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾(٢)، ليس هناك نسيان لأحد، أو غفلة عن أحد، أو خرج من الكشوفات والحسابات فنسي، ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾(٣)، فالمجيء للكل.

ولذلك حسرة الغافلين والناسين والمعرضين حسرةٌ رهيبة يوم القيامة؛ لأنهم نسوا ذلك اليوم؛ **لأنهم** لم يستعدوا له، لأنهم لم يدركوا قيمة الفرص التي أتاحها الله لهم في هذه الحياة، أتاهم النذير، أتاهم التحذير، أتاهم التذكير فأعرضوا، أتتهم الفرص، **لاحظوا** كم يمنحنا الله من فرص، يأتي شهر رمضان أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، لياليه أفضل الليالي، ساعاته أفضل الساعات، الأعمال فيه مضاعفةٌ **جدًّا**، وفيه ليلة القدر، تأتي أيضاً الأعمال العظيمة التي تعرض على الناس، مثل الجهاد في سبيل الله، الإنفاق في سبيل الله، الأعمال الصالحة التي تثقل موازينهم يوم القيامة، التي وعدهم الله عليها بالأمن يوم الفزع الأكبر، بالاطمئنان يوم اضطراب القلوب يوم القيامة، تكاد القلوب أن تخرج من الصدور، من رقابهم، عندما تنشب في حلوقهم من شدة الفزع، يعد الله بالأمن، بالطمأنينة، بالجنة، بذلك النعيم العظيم الذي وصفه في الجنة، فلا يلتفت البعض، ولا يهتمون، ويعرضون، ويغفلون، هناك سيتحسرون ويندمون، ويقول الله لهم: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾(٤)، نسيان، غفلة، عدم اهتمام، عواقبه الندم الشديد.

١- مريم: الآية ٩٣

٢- مريم: الآية ٩٤

٣- مريم: ٩٤-٩٥

٤- السجدة: من الآية ١٤

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، ونسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّـلَامُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن اليقين بالآخرة، وإيمان المتقين بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ووعيده، وما لذلك من تأثيرٍ كبيرٍ يساعد على التزام حالة التقوى في أعمال الإنسان وتصرفاته، في انتهائه وانضباطه تجاه حدود الله، وما نهى الله عنه، وفي اهتمامه بالقيام بما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به.

٥

تحدثنا بالأمس عن الموت كبدايةٍ للرجوع إلى الله ﷻ، ونهايةٍ لهذه الحياة، التي هي الفرصة الوحيدة للإنسان في العمل الصالح، في العمل بما يفوز به، ويؤمِّن به مستقبله الأبدي الدائم، وينجو به من عذاب الله ﷻ.

وتحدثنا بالأمس عن اقتراب الساعة، وأننا آخر الأمم، وأنَّ البشرية في هذا الزمن هم في الحقبة التاريخية الأخيرة للوجود البشري، على مقربةٍ من قيام الساعة، إضافةً إلى أنَّ الموت بنفسه يعتبر فاصلاً قصيراً **جدًّا**، الإنسان يتصور ويتخيل ويتوقع عندما يبعث يوم القيامة أنه لم يمض خلاله سوى فترة وجيزة، تقديرات البعض- الذين أكثروا- إلى عشر ليالٍ، وتقديرات البعض بيوم، وتقديرات البعض ببعض يوم، بعشيةٍ أو ضحاها، كأنها فترة وجيزة **جدًّا**.

والحالة التي يمكن أن تقرِّب للإنسان هذه المسألة، هي حالة النوم نفسها، والله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1]، الإنسان عندما ينام ويستيقظ، يستشعر فترة النوم التي نامها بأنها فترة وجيزة، قصيرة، بسيطة؛ ولذلك يوم القيامة عندما تبعث، الحال بالنسبة لك في مشاعرك في إحساسك، كما لو أنك نمت بالأمس واستيقظت اليوم، يعني: كالحالة التي نعيشها في مسيرة حياتنا عندما ننام ونستيقظ، فنرى أنَّ الفاصل الزمني ليس إلَّا عبارة عن ليلةٍ واحدة، أو ساعاتٍ محدودة... **هكذا هي مشاعر الإنسان عندما يبعث يوم القيامة**: كأنه عن قريبٍ أتاه الموت ثم استيقظ، **والحالة كما في الحديث النبوي عن النبي** ﷺ: **((لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون))**، فلذلك المسألة قريبة **جدًّا**، لا ينظر الإنسان إلى الحديث عن

١- الزمر: من الآية ٤٢

الآخرة وكأنه حديث عن شيءٍ بعيدٍ **جدًّا**، الإنسان على مقربة كبيرة **جدًّا**.

٥ **والحالة التي هي حالةٌ استثنائيةٌ في مسألة الموت، هي:** حالة الشهداء، كما بيَّن الله لنا في القرآن الكريم، وأكَّد لنا ذلك، عندما قال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١]، فحالهم يختلف عن بقية الذين يموتون، هم يحظون بهذا الامتياز الخاص، وهذه الرعاية الخاصة لهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حيث يستضيفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويمنحهم الحياة في تلك الضيافة، ويبقون في حالة الاستضافة الربَّانية إلى يوم القيامة، في حالة سعادةٍ، ورزقٍ، وحياةٍ حقيقية، وهذا يبين عظمة الشهداء، وعظمة الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والقيمة الكبرى للتضحية في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

في مسألة اليوم الآخر، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يخاطبنا جميعاً، وما أهم أن يستذكر الإنسان هذه المسألة: أنه مخاطبٌ، فلا يتصور أنَّ الكلام يعني الآخرين وهو بمعزلٍ عن ذلك، يقول الله جلَّ شأنه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢]، اتقوا ذلك اليوم.

كيف نتقي ذلك اليوم؟ كيف نعمل ما يقينا من أهوال ذلك اليوم، مما يترتب على البعث في ذلك اليوم: من الجزاء، من الحساب، من النتائج الرهيبة، مما فيه من الأهوال الرهيبة والعظيمة؟

١- آل عمران: الآية ١٦٩
٢- البقرة: الآية ٢٨١

٥

المجتمع البشري في ساحة المحشر!

رسم الله لنا ذلك في القرآن الكريم، ذلك اليوم هو يوم الرجوع إلى الله، الرجوع إلى الله للحساب وللجزاء، والرجوع الذي لا يمكن لأحدٍ- كما قلنا بالأمس- أن يمتنع عنه، الله ﷻ في مسألة البعث ويوم القيامة كما قال في القرآن الكريم: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[١]، سبحان الله المقتدر على كل شيء، العظيم، المهيمن، القاهر، صيحة واحدة فإذا بكل الخلائق منذ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر مولودٍ ولد من المجتمع البشري، في صيحةٍ واحدة يمنحهم الله الحياة، يبعثهم من مماتهم، يحشرهم إلى ساحة الحشر، بشكلٍ سريعٍ وهائلٍ **جدًّا** يفوق كل تصورٍ وكل خيال، من قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من آيات قدرته، من تجليات قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فتأتي عملية البعث على الأرض التي حولها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة إلى ساحةٍ مستوية وصعيدٍ واحد، تتحول لكي تتسع للحساب، تتسع للبشر، للمجتمع البشري في كل أجياله وأممه على مر التاريخ إلى نهاية الوجود البشري، لكي تتسع للجميع يحولها الله، ينسف ما فيها من الجبال، تنتهي ما فيها من المحيطات والبحار، وتتحول إلى ساحةٍ مستوية، كما قال عنها: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾[٢]، كما قال: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[٣]، ليس فيها أي نبات، ولا أي أشجار، ولا أي غابات، ولا أي جبال، ولا أي أنهار، ولا أي مناطق مرتفعة، ولا أي مناطق منخفضة، ساحة مستوية بشكلٍ دقيقٍ **جدًّا**، ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

١- يس: الآية ٥٣

٢- طه: الآية ١٠٧

٣- الكهف: الآية ٨

٥

في ذلك الصعيد الواحد، في تلك الساحة الواحدة يبعث الله ويحشر كل المجتمع البشري للحساب، قد اجتمع الكل، كل الأمم وكل الأجيال منذ فجر التاريخ، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[(١)]، وما أعظمه من جمع! جمع هائل **جدًّا**، في مشهد رهيب، مشهد كبير، مشهد عظيم، ليومٍ عظيم، وشأنٍ عظيم، وأمرٍ عظيم!

مع ذلك الجمع الهائل، المجتمع البشري بكل أجياله، بكل أممه، في ذلك الصعيد الواحد، في تلك الساحة الواحدة، الكل في حالة خضوعٍ تام، في حالة استسلامٍ تام، في حالة انقيادٍ تام، ليس هناك من يتكبر، من يتعالى، من يتغطرس، الكل قد أتى بصفة العبودية، وفي حال العبودية كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[(٢)]، حتى لو تحدثوا فيما بينهم، يتحدثون بصوتٍ منخفض، بأدبٍ تام، بخشوعٍ تام، وبصوتٍ منخفض، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، حالة من الرهبة، حالة من الهيبة الكبيرة **جدًّا**، حالة من الخشوع التام، والخضوع التام، ليس هناك من يمكن أن يتعنت، الكل ينقادون حتى لترتيبات عملية الحساب، وللإجراءات التي ينظمها الملائكة في حسم أمر الحساب، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾[(٣)]، فهم يستجيبون لكل التعليمات، وينتظمون وفقها دون أي تعنت، ودون أي تردد، بانقيادٍ تام، واستسلامٍ تام، على كثرتهم.

حالة رهيبة جدًّا، حالة خشوع وخضوع، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[(٤)]، حتى ملائكة الله يقفون في موقف الخاشع الخاضع، المستسلم لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يتكلمون

١- هود: من الآية ١٠٣

٢- طه: من الآية ١٠٨

٣- طه: من الآية ١٠٨

٤- النبأ: الآية ٣٨

إلا بإذنٍ من الله ﷻ، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، مع كثرة البشر هناك انتشارٌ هائلٌ لملائكة الله، للشرطة الإلهية، إلى درجة أن كل إنسان هناك من يقف بجانبه من ملائكة الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[١]، كل نفس معها سائقٌ وشهيد، فسيطرة تامة على الوضع، وانتشار هائل **جدًّا** لملائكة الله ﷻ، وإدارة حازمة وقوية لشؤون البشر، وشؤون الحساب، وإجراءات الحساب، وعملية الحساب.

يوم الحساب وتجليات العدالة الإلهية

والمسألة الهامة هي هذه: هي مسألة الحساب، بعد البعث يأتي الحساب؛ **لأنه** هدف أولي لمسألة البعث، الحساب الذي تتجلى فيه العدالة الإلهية، ويتجلى فيه للبشر، تتجلى مساوئ أعمالهم السيئة، وتتجلى لهم محاسن أعمالهم الحسنة.

للفائزين، للمتقين، للصالحين، للمستقيمين، للمستجيبين لله، يتجلى لهم عظيم عملهم، ثمرات أعمالهم، إيجابية أعمالهم، النتائج العظيمة لأعمالهم، ويفوزون فوزاً عظيماً، ويكسبون المكسب العظيم، فيرضون عن الله، ويرضون عن أنفسهم، وما قدموه، وما عملوه، ويسعدون بذلك.

ويتجلى للمجرمين، والمفرطين، والعصاة، والمقصرين، المتعنتين، المهملين، يتجلى لهم الفداحة الرهيبة **جدًّا** لأعمالهم، لخسارتهم، أنهم خسروا خسارةً رهيبةً **جدًّا**، وتتجلى لهم مساوئ أعمالهم، وما ينتج عنها، وما يترتب عليها، ويتجلى لهم ويتبين لهم كم كانوا مخطئين وخاطئين عندما تجاهلوا هداية الله، نداءات الله، دعوة الله ﷻ التي وصلت إلى مسامعهم، إنذاره الذي وصل إليهم، فلم يحذروا، ولم يسمعوا، ولم يفهموا، ولم يقبلوا، وتعنتوا، فكانت النتيجة خطيرةً **جدًّا**.

١- ق: الآية ٢١

٥

في عملية الحساب يخرج الله لكل إنسانٍ من المكلفين من بني آدم كتابه وصحيفة أعماله، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١]، المؤشرات والعلامات تبدأ من بعد عملية البعث مباشرة، العلامات التي يتجلى للإنسان مصيره، وجهته، تبدأ من المرحلة الأولى.

كحالة المؤمنين المتقين، من بعد بعثهم واستيقاظهم، وإدراكهم أنهم أصبحوا في ساحة المحشر، ومشاهدتهم بالعيان لأحوال المحشر، اجتماع البشر، وأنهم في ساحة القيامة للحساب، تبدأ عملية الطمأنة لهم، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، هكذا يقول الله في القرآن الكريم من تلك اللحظة، **(تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ)**، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾، وفي تلك الحال: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]، تتلقاهم الملائكة بالطمأنة، بالبشارة، فيخبرونهم أن هذا يومكم يوم فوزكم، اليوم الذي ستتجهون فيه إلى مأواكم العظيم، إلى رضوان الله وجنته، فتأتي لهم الطمأنة، يقولون لهم، كما يقول الله في آيةٍ أخرى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣]، مع عملية الحساب وانتقالهم إلى مرحلة الاطلاع على صحائف أعمالهم وما وراء ذلك، تستمر لهم البشارات، يقول الله في القرآن الكريم إن الملائكة يقولون لهم، وأن الله يناديهم: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[٤]، فتأتي البشارات، والعلامات، والطمأنة، التي تستمر في كل مراحل الحساب حتى النهاية.

أما الآخرون فتبدأ الحالة الرهيبة جدًّا، والفزع الأكبر، والخوف الشديد **جدًّا**، والوحشة الهائلة، والقلق والاضطراب النفسي، والندم الشديد، وإدراك

١- الإسراء: الآية ١٤
٢- الأنبياء: من الآية ١٠٣
٣- فصلت: من الآية ٣٠
٤- الحديد: من الآية ١٢

أن الخطر يقترب أكثر فأكثر، وأن الفاصل ما بينهم وبين جهنم أصبح فاصلاً قصيراً **جدًّا**، ليس سوى مرحلة الحساب، فيعيشون حالةً رهيبة من الخوف، والاضطراب النفسي، والندم الشديد، والتحسر الشديد، والشعور بالخزي، والحالات التي هي ضمن العذاب النفسي الشديد **جدًّا**، بحيث لو أمكن أن يموتوا؛ **لماتوا**، لو بقي موتٌ؛ لماتوا في ساحة المحشر من شدة العذاب النفسي، والغم الشديد، والضيق الشديد، والكرب الشديد، والاضطراب النفسي الهائل **جدًّا**، والغم الشديد، والحزن الرهيب **جدًّا**، حالة رهيبة **جدًّا جدًّا**، اجتمع الخوف الشديد، والحزن الشديد، والندم والتحسر الشديد، حالة رهيبة **جدًّا** تفوق أي خيال؛ **إنما** لأنه لم يبق مجالٌ للموت، يبقون على قيد الحياة.

طريقة توزيع الصحف تنبئ عن المصير!

في توزيع الصحف تكون عملية التوزيع- وفق ما ذكر الله في القرآن الكريم- فيها هي مؤشرات وعلامات واضحات، عن محتوى تلك الصحف، تلك الكتب، وعن مصير صاحبها، فالمؤمنون، المتقون، الفائزون، تقدَّم إليهم كتبهم من أمامهم، من تلقاء وجوههم، ثم يأخذونها بأيمانهم، يستلمونها بأيمانهم.

أمّا الآخرون: الهالكون، الخاسرون، الخائبون، يستلمونها من وراء ظهورهم، وبشمالهم، يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، وعملية متقنة، مسألة الصحف نفسها والكتب هي مسألة متقنة، لا يحصل فيها أخطاء، يغلطون فيعطونك كتاب غيرك، أو صحيفة غيرك، لا تستطيع إذا كنت ممن يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، لا تستطيع أن تمتنع عن ذلك، أنت خرجت عن سيطرة نفسك، أنت ستفعل ذلك رغماً عنك، خرجت عن سيطرة نفسك، أنت تحت السيطرة، حتى منطقك تحت السيطرة، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾[1]، في مرحلة من مراحل الحساب،

١- يس: من الآية ٦٥

٥

بعد أن تطلع على صحيفة أعمالك، أن تشاهد بنفسك نفسك وما تعمل، نفسك والمواقف التي وقفتها، نفسك وما عليك في الحالة التي تكون فيها خاسراً والعياذ بالله، إذا أنكرت ذلك، إذا حاولت من جديد أن تتعنت، وأن تتجاهل ما هو موثّق ومصوَّر وواضح، تأتي شهادة جوارحك وأعضائك.

الحالة تلك يقول الله عنها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[١]، تأتي له التسهيلات والتيسيرات حتى في مسألة الحساب، **والحساب اليسير هو من أهم الأشياء في يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين المتقين الفائزين**، ليس هناك مضايقة، ولا تشديد، ولا- كذلك- معاتبة، ولا... مسألة ميسَّرة لهم، وإجراءات ميسَّرة؛ **ولذلك** يخلصون منها بيسر، بل تتحول بنفسها إلى مسألة تسعدهم؛ **لأنهم** عندما يطَّلعون على صحائف أعمالهم، فيشاهدون فيها أعمالهم الصالحة، ما قدَّموه في هذه الدنيا من عملٍ صالح، من أعمالٍ ترضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من جهادٍ في سبيل الله، من تضحيةٍ في سبيل الله... مختلف الأعمال الصالحة التي هي رضا لله، ويرونها فيما هي فيه، فيما هي عليه، في مستوى عظمتها، في مستوى إيجابيتها، في مستوى قيمتها وما كُتِبَ لهم عليها؛ **يرتاحون**، يبتهجون، يسعدون، يدركون أنَّ جهودهم لم يضع منها شيء، كُتِبَ لهم عليها الأجر العظيم، والفضل العظيم، وثِّقت بكلها، حصرت بكلها، بكل تفاصيلها.

حتى- لربما- بعض الأشياء التي قد يكون الإنسان يتصور أنها أمور عادية، لكنها في سياق العمل الصالح، كتبت له ضمن عمله الصالح، وكُتِبَ له عليها الأجر؛ **فيرتاح**، ويسعد، يقول كما ورد في القرآن الكريم: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[٢]، هذه حالة من السعادة الغامرة، من الراحة

١- الانشقاق: ٧-٨

٢- الحاقة: من الآية ١٩

الكبيرة، من الشعور بالفوز، من الشعور بأنَّ الإنسان- فعلاً- في مقام يتفخر فيه بما وفَّقه الله له، يتشرَّف فيه بما تضمنته صحيفة أعماله، فهو يحس بالشرف، بالسمو، بالكرامة، بالعزة، بالفوز؛ **ولذلك** يقول هكذا: ﴿هَاؤُمُ﴾، يعرض على الآخرين [شوفوا كتابي، الحمد لله أعمال صالحة، أعمال عظيمة ، لربما يلتفت إلى رفاقه من المؤمنين وهو مبتهج وهو سعيد.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾"[1]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾"[2]، والعياذ بالله، حالة رهيبة **جدًّا**، عندما يؤتى كتابه بشماله، من وراء ظهره، أدرك، ومشاعره من البداية، الإنسان يعرف نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾"[3]، لكنها حجج الله على هذا الإنسان، ويتجلى بذلك العدل الإلهي.

محتوى كتاب الأعمال.. إحصاء دقيق وشامل!

الكتب تلك والصحف فيها إحصاءٌ دقيق وشامل، وحصر بالدقة لأعمال الإنسان، لتصرفاته، لأقواله، كل ما هو في إطار التكليف، كل ما هو في إطار عمل الخير، أو عمل الشر، إحصاء دقيق وشامل، وهذا من الأشياء التي تخيفهم، بالنسبة للعصاة والمفرِّطين، من الأشياء التي تخيفهم **جدًّا** ذلك الإحصاء الدقيق، الذي لم يفت فيه مثقال الذرة من الشر، أو من التفريط، أمر رهيب **جدًّا**، ويقولون: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾"[4]، لماذا لم يترك- على ما يقولون- [شاردة وواردة إلاَّ وأحصاها، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، أمر رهيب، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

١- الحاقة: ٢٥-٢٧

٢- الانشقاق: ١٠-١٢

٣- القيامة: ١٤-١٥

٤- الكهف: من الآية ٤٩

﴿خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١]، أمر رهيب **جدًا**، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢]، تكون هناك أشياء كثيرة مما كانت ضمن ما يتهاون به الإنسان؛ **لأن** مشكلة البعض- **وهي من أخطر المشاكل**- أنهم يجعلون مزاجهم الشخصي، وتقديراتهم الشخصية، هي المعيار في نظرتهم إلى الأعمال، **يعني:** يعتبر هذا عمل عادي، يعتبر هذا التفريط عادي، هذا التقصير بسيط، من مزاجه، من تلقاء نفسه، وفق هوى نفسه، يبسِّط ما يريد أن يبسِّط من الأعمال المهمة، من التفريط الرهيب، من الأعمال الخطيرة **جدًّا**، فيعتبر هذه بسيطة، ويمنِّي نفسه بالأماني، التي ينخدع بها، ويغر بها نفسه، وهذه مسألة خطيرة **جدًّا**، خطيرة **جدًّا**.

فعندما يأتي يوم القيامة، ويشاهد الإنسان صحيفة أعماله، ويشاهد الدقة فيها، وما ورد عن كثيرٍ من الأعمال التي كانت ضمن دائرة الأعمال المستبسطة التي يستهين بها، التفريط الذي كان يستهين به، تكون المسألة خطيرة **جدًّا**، ورهيبة، وينزعج **جدًّا**، تلك الأعمال سيحاسب عليها، سيجازى عليه، ذلك التفريط كانت آثاره خطيرة، والآثار، الآثار، وما أدراك ما الآثار! **آثار الأعمال- في كثيرٍ من الأحيان- هي أشد من الأعمال نفسها، أكبر من مستوى العمل نفسه**، تأثير العمل وخطورته كانت في آثاره، في نتائجه، فيما ترتب عليه، وهي مسألة خطيرة، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[٣]، الآثار في بعض التفريط قد تستمر لأجيال، والوزر فيها محسوبٌ على الإنسان، أمر رهيب **جدًّا**.

١- الزلزلة: ٧-٨

٢- المجادلة: الآية ٦

٣- يس: من الآية ١٢

ولذلك المسألة هامة جدًّا، وهذا من أكبر ما يزعجهم، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾، أعمال كثيرة كانوا قد نسوها، لم يعودوا يتذكرونها، فتذكروا ولاحظوا كيف حسبت عليهم، وكيف كتبت، تكون المسألة مسألة رهيبة **جدًّا.**

هنا ورطة المفرطين.. لا مناص ولا خلاص!!

ولذلك في تلك الأجواء يحصل الندم الشديد جدًّا لدى المعرضين المفرِّطين والعصاة، والحسرات الشديدة، وعندما يشاهدون تلك الأعمال وما يترتب عليها، يفكِّرون هل من مناص؟ هل من خلاص؟ هل من سبيلٍ، أو طريقٍ، أو وسيلة للتخلص مما سيترتب على ذلك من الجزاء؟ فيندمون، يتمنون لو أمكن أن يكون هناك أي وسيلة، إما فدية يفتدي الإنسان فيها من العذاب؛ **لأنهم** يدركون ما وراء الحساب، بعد الحساب العقاب، الجزاء، فيخافون بشدة، ويندمون بشدة، وتصل حالة الندم لديهم أنه لو كان للواحد منهم مثل الأرض بكل ما فيها، من ماديات، وإمكانات، وقصور، وأموال، وثروات، ومثلها معها، أو كانت الأرض بكلها كتلةً من الذهب، ومثلها معها، لافتدى الإنسان بها نفسه من عذاب يوم القيامة، لكن ما كانت حتى لتقبل، هنا في الدنيا حتى لو كنت فقيراً يقبل الله منك اليسير، ويعطيك عليه الكثير، لكل شيءٍ هنا في هذه الحياة من الأعمال الصالحة قيمته، أهميته، عظمته، ثوابه، أجره، بل ما يأتي من ظروفٍ صعبة أجره كبير، وفضله عظيم.

أمَّا هناك فالإنسان- والكثير من الناس أصلاً خسر وخاب وراء الأطماع، وراء الأهواء، وراء الرغبات المادية- فيوم القيامة هو يتمنى أصلاً لو كانت الأرض بكلها كتلةً من الذهب ومثلها معها ليفتدي بها نفسه من ذلك العذاب الرهيب، فكيف وقد خسر نفسه على التافه اليسير، سيصل إلى ذلك العذاب مقابل أشياء تافهة، أكثر الناس هم ممن هم أصلاً في دائرة

٥

الفقراء، والبائسين، والأشياء التي يحصلون عليها أشياء تافهة مقابل العصيان، أو أنهم وقفوا في صف الباطل... أو ما شابه ذلك، والذين حصلوا على أشياء معينة، هي أشياء أصبحت لا شيء بالنظر إلى العواقب الوخيمة، التي تصل بالإنسان إلى تمني أن يفتدي نفسه بالدنيا وما فيها، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[١].

بل إنَّ الإنسان على مستوى **قرابته**، أصدقائه، محيطه، بل كل الناس يتمنى أن لو أمكن أن يفتدي نفسه بهم، بهم، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾[٢]، لا تُدْبِر في هذه الحياة، التفت، اقبل إلى الله، استجب لدعوته، يدعوك إلى الجنة، يدعوك إلى المغفرة، يدعوك إلى الرحمة، لماذا تدبر؟ لماذا تعرض؟ لماذا تصر وتتعنت؟ ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾[٣]، اتجه وراء اهتمامات هذه الحياة فحسب، ونسي الله الذي بيده خير الدنيا والآخرة، حالة رهيبة **جدًا**.

لا يمكنك أن تفتدي نفسك بأحد، أو بشيءٍ من المال، لا وساطات، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٤]، ما من وساطات، ما من إمكانية للتخفيف عنك حتى، أن يأتي أحدٌ فيتحمل من أوزارك، من ذنوبك ما يخفف به عنك، ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[٥]، أي نفس مثقلة من الأوزار، من الذنوب، من التفريط، من التقصير، فتدعو أحداً

١- الزمر: الآية ٤٧

٢- المعارج: ١١-١٥

٣- المعارج: ١٧-١٨

٤- غافر: من الآية ١٨

٥- فاطر: من الآية ١٨

ولو من الأقارب، ولو كان الابن، أو الأب، أو الأخ القريب، أو البعيد، ليحمل شيئاً، ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾، ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[1]، فقط الأسر المؤمنة الصالحة، التي تلاقت أعمالها الصالحة فجمعتها في ذلك اليوم في جوٍ من الطمأنينة والسعادة.

الحالة آنذاك في تلك اللحظات هي حالة التحسر الشديد على التفريط، ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[2]، حسرة شديدة تكاد أن تمزق الإنسان، وتمزق قلب الإنسان وفؤاده، لو بقي إمكانية لأن يتفجر الإنسان من التحسر، أن يتمزق من التحسر الشديد **جدًّا**، هي حسرة رهيبة **جدًّا؛ لأن** الإنسان أدرك أنه قد حصل على الفرصة، قد هيَّأ الله له الفرصة، لكنه أضاعها، ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]، لو يمكن أن يعود الزمن، أعود إلى الحياة، فأهتم بالأعمال التي ترضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأكون في درجة المحسنين حتى، كن الآن من المحسنين، لماذا يعرض الله لنا تلك التفاصيل؟ لماذا يعرض الله لنا في القرآن الكريم، ويذكر لنا، ويبين لنا حتى أقوال الإنسان وحسراته، أحوال تلك بالتفصيل؟ **لكي** نتفادى ذلك هنا، **لكيلا** نصل إلى تلك الحال، **لكي** ننتبه في هذه الفرصة، **لكي** ندرك قيمة هذه الفرصة التي لا تعوض، ولا بديل عنها.

١- لقمان: من الآية ٣٣

٢- الزمر: من الآية ٥٦

٣- الزمر: من الآية ٥٨

المشهد الرهيب.. ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾!!

حالة رهيبة جدًّا في ساحة الحساب، في ساحة الجزاء، مع عملية الحساب، مع الاطلاع على الصحف، وفي أجواء المحشر، تأتي جهنم، وتقرَّب، وأمر رهيب **جدًّا** عندما تأتي جهنم نعوذ بالله، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[1]، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[2]، جهنم التي سمع الإنسان عنها، سمع آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقرأها، وهي تتحدث له وتبين له الكثير عن جهنم، أصبحت المسألة مسألة المشاهدة، المشاهدة، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[3]، وفرق رهيب **جدًّا ما بين** المشاهدة والعيان، **وما بين** السماع، نحن الآن نسمع ونقرأ، نتخيل صوراً تقريبية، نرى في الأرض نفسها مثلاً حالات البراكين الرهيبة **جدًّا**، استعار النيران في الغابات، مشاهد النيران، نراها فتكون عظة لنا، صورةً مصغرةً **جدًّا**، مصغرةً **جدًّا**، وصورةً تقريبية، والبراكين هي من أهم المشاهد التي يأخذ الإنسان منها العظة، والصورة التقريبية، بالذات أنَّ بعضها مشاهد رهيبة، مشاهد كبيرة، ولكنها لا تزال صورةً مصغرةً **جدًّا** عن جهنم؛ **ولذلك** من المهم أن يركز الإنسان على الاستفادة من تلك المشاهد؛ **ليأخذ** هذه الصورة التقريبية التي يكتسب منها العظة، والعبرة، والإزدجار، والتأثر النفسي، والإدراك لأهمية المسألة ولخطورتها.

في أحوال أهل الحشر، وبالذات الخاسرون، الخائبون، الهالكون، عندما تقدَّم جهنم، عندما يُجَاء بها، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، أمر رهيب **جدًّا** بأصواتها الرهيبة والهائلة، بشكلها المخيف **جدًّا**، من الأحوال والحالات الرهيبة **جدًّا**، كيف هو خوفهم من مصيرهم إليها من المفرِّطين، والعصاة، والمذنبين، نعوذ بالله، نعوذ بالله!

١- الفجر: من الآية ٢٣

٢- الشعراء: الآية ٩١

٣- التكاثر: الآية ٦

كذلك فيما يتعلق بالمتقين، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[١]، **لكي ينتقلوا إليها.**

وتبدأ عملية التوزيع والافتراق الأبدي!!

فباكتمال عملية الحساب تبدأ عملية النقل، النقل من ساحة الحساب من المحشر، وتبدأ حالة الافتراق الأبدي بين البشرية، بين المجتمع البشري، على مستوى من كانوا في هذه الدنيا في مدينةٍ واحدة، أو لربما- في كثيرٍ من القرى- في قريةٍ واحدة، وفي كثيرٍ من الأحوال على مستوى الأسرة الواحدة، وسكان المنزل الواحد، يفترقون إلى الأبد؛ **لأن** البعض سيتجهون إلى الجنة، والبعض سيتجهون إلى النار، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[٢]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[٣]، افتراق، كلٌ ذهب إلى دارٍ أخرى، إلى عالمٍ آخر، يفترق فيه عن الآخر للأبد، قد يكون البعض من الأسرة الواحدة، يفترقون للأبد، في تلك الحالة، في حالة النقل، النقل إلى جهنم والعياذ بالله، وهي مشاهد ستأتي، إذا سمعنا عنها الآن هي مشاهد ستأتي، وكما قلنا ليست ببعيد. **المحشر بالنسبة للمتقين إلى الجنة في عملية النقل لهم إليها، تأتي بتكريم، وهم في غاية السعادة،** ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[٤]، وهم في منتهى الفرح والسرور، سعادة لا يمكن أن نتخيلها، وفرح عظيم **جدًّا**، وشعور بالفوز، فينتقلون في أجواء من التكريم، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[٥]، كضيوف، كوفد، وفد رفيع المستوى، بتكريمٍ عظيم، بطريقة عظيمة، بوسائل راقية ينتقلون.

١- ق: الآية ٣١

٢- الروم: من الآية ١٤

٣- الروم: من الآية ٤٣

٤- الحديد: من الآية ١٢

٥- مريم: الآية ٨٥

المصير الأليم للعصاة المذنبين!

أما نقل الآخرين الهالكين، المفرطين، العصاة المذنبين، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[١]، يساقون بعنف، بشدة، هم لا يرغبون في الذهاب إلى جهنم، هم في منتهى الخوف، منتهى الفزع، في أسوأ حالٍ من الندم والقلق، والاضطراب، والهم، والحزن العميق **جدًّا**، حالة رهيبة للغاية، لكنهم يدعُّون ويدفعون دعاً ودفعاً، حتى يصلوا إلى مشارف جهنم، وإلى أبوابها السبعة، والعياذ بالله حالة رهيبة **جدًّا**!!

في نقل أولئك الذين هم من أهل النار إلى أبواب جهنم، كما قال الله عنها: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[٢]؛ **لأنها** دركات بحسب مستويات العذاب، وأدنى مستوى هو رهيب **جدًّا**، أدنى مستوى من العذاب في جهنم هو رهيبٌ **جدًّا جدًّا**، لا يماثله كل عذابات الدنيا، وأوجاعها، وآلامها، وأحزانها، وهمومها، لو اجتمعت بكلها، **يعني:** لو اجتمع كل ما قد حصل على البشر من أول مخلوق إلى آخر مخلوق، من حزن، وهم، وغم، وحسرة، وعذاب نفسي، وتعب نفسي، وآلام جسدية، وأوجاع في هذه الحياة، لو اجتمعت على إنسانٍ واحد، وأمكن أن تجتمع عليه في هذه الدنيا، لكانت هي بكلها أبسط وأيسر وأهون من أدنى مستوى من العذاب في جهنم، أمر رهيب **جدًّا** عذاب جهنم!

والحالة الرهيبة فيه، الدرك الأسفل، من ضمن من يعذبون فيه المنافقون، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٣]، وهم من كانوا يشهدون الشهادتين

١- مريم: الآية ٨٦

٢- الحجر: الآية ٤٤

٣- النساء: الآية ١٤٥

وينتسبون إلى الإسلام، أمر رهيب **جدًّا**، على أبواب جهنم، وحالة رهيبة **جدًّا** عندما يصلون، وأمر رهيب **جدًّا**، حتى الملائكة يوبخونهم، يوبخونهم على أبوابها ويرغمونهم على الدخول إليها، ويلقون بهم إلقاءً، هم لا يدخلون بطيبة نفس، لا يدخلون من تلقاء أنفسهم؛ **إنما** يلقون رغماً عنهم، وبشكلٍ إجباري، وبطريقةٍ مهينةٍ، وسحباً برؤوسهم، ودفعاً بالرغم عنهم يلقون في جهنم، نعوذ بالله!

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[١]، حالة رهيبة **جدًّا**، هي في أشد حالةٍ من الإستعار، ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: **لأنهم** أعداد كبيرة وهائلة من المجتمع البشري، ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[٢]، **يوبخونهم**: كيف لم تنتبهوا؟ كيف لم تحذروا؟ كيف ورطتم أنفسكم هذه الورطة الرهيبة **جدًّا**؟ أمر رهيب، أمر رهيب، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[٣]، أمر رهيب **جدًّا**، أمر هائل!

المتقون في ضيافة الله الكريم!!

بينما في انتقال أولياء الله المتقين، المؤمنين، الصالحين، المستقيمين، التائبين، إلى الجنة بشكل وفد، بطريقة مكرمة، يصلون، تستقبلهم الملائكة بالترحيب، بالترحيب، ووصولهم إلى أبواب الجنة فيه غاية السعادة والسرور، في الأخير وصلوا، جنة، رضوان الله، المبتغى العظيم الذي كانوا يؤمنون به بالغيب، وكانوا يثقون بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيستجيبون له، في الأخير يشاهدونه، فيرونه أرقى وأسمى وأعظم بكثير مما كانوا يتخيلون، يفوق كل خيال، غاية السرور، أعظم مستوى من الراحة، من الانسجام، من الشعور بالفوز.

١- الملك: ٧-٨

٢- الملك: من الآية ٨

٣- ق: الآية ٣٠

يصلون، تستقبلهم الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، بالسلام وليس بالتوبيخ، بالسلام والتكريم، ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾، تفضلوا **(فَادْخُلُوهَا)**، وهي لحظة لا تقدر، تفوق كل خيال ولا تقدر بثمن أبداً، تلك اللحظة، لحظة الدخول إلى عالم الجنة، ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[١]، ادخلوها لتعيشوا فيها أحياءً مكرمين بسعادة أبدية، لم يبق هناك موت، ولم يبق هناك هرم، ولم يبق هناك مرض، ولم يبق هناك تعب، ولم يبق هناك هم، ولم يبق هناك مشاكل، ولا ضائقة، ولا فقر، ولا محن، ولا هموم، ولا أي شيء من المنغصات، ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[٢]، يصل أهل الجنة الجنة، إلى حياتهم السعيدة الأبدية، إلى قصورهم، إلى مزارعهم وبساتينهم الرائعة **جدًّا**، إلى الحياة السعيدة، يجاورون فيها أنبياء الله، وأولياء الله.

يمكنك الآن فقط أن تتفادى هذا المصير!

ويصل أهل النار إلى النار، عندما يصلون: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[٣]، نعوذ بالله! بدل الترحيب يقال لهم هكذا: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وتغلق للأبد، عندما يدخلون إلى النار تغلق ولن تفتح، تغلق للأبد، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[٤]، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[٥]، ﴿وَلَهُمْ﴾ أي الخزنة والملائكة عليها ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٦]، يعادون بالضرب بمقامع الحديد والعياذ بالله!

١- الزمر: من الآية ٧٣

٢- ق: الآية ٣٤

٣- الزمر: من الآية ٧٢

٤- البلد: الآية ٢٠

٥- الهمزة: ٨-٩

٦- الحج: ٢١-٢٢

أمـر رهيـب جـدًّا، المهـم أن ننتبـه لذلك ونحن هنـا في إطار الفرصـة التي منحنا اللـه إياهـا، نحـن في هـذا الشـهر الكريـم مـن أهـم مـا ينبغـي أن يحرص الإنسـان عليـه، وأن يركـز عليـه، أن يدعـو بعتق رقبته من النار، أن يطلـب من الله التوفيق.

نسأل الله أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّـلَامُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن اليقين بالآخرة، وعن أهميته الكبيرة كعاملٍ ودافعٍ أساسيٍ لالتزام التقوى، تحدثنا عن ذلك في حديث الأمس، وفي المحاضرة ما قبل ذلك، ونواصل الحديث في هذا السياق؛ **لأهميته** الكبيرة.

من أهم ما يتحدث به القرآن الكريم عن المتقين، ضمن اهتماماتهم الأساسية، ومواصفاتهم الهامة التي يتحدث عنها، **هو:** سعيهم المستمر وبجديةٍ كبيرة للنجاة من عذاب الله تعالى، واستشعارهم للمسؤولية تجاه تصرفاتهم، وأعمالهم، وأقوالهم، وأفعالهم، ومواقفهم، **وربطها بذلك:** في أنها أعمالٌ ومواقف يترتب عليها الجزاء؛ **فلذلك** يتعاملون على أساسٍ من المسؤولية، ضمن اهتمامهم ذلك تبرز العناية بهذا الأمر في دعائهم، فيتصدر أدعيتهم الدعاء بالنجاة من النار، النجاة من عذاب الله؛ **لأنهم** يؤمنون بوعيد الله ﷻ، فيبرز في دعائهم، وفي تضرعهم، يطلبون من الله ﷻ النجاة من عذاب الله، ويأتي في القرآن الكريم الحديث عن ذلك جامعاً بين الصيغة الخبرية والتعليمية، فهو يخبرنا كمواصفةٍ من مواصفاتهم من جهة، ويعلمنا أن نهتم بذلك عندما نسعى لأن نكون من عباد الله المتقين.

فلذلك نجد من ضمن الأدعية التي يصف الله ﷻ عباده المتقين المؤمنين؛ باعتباره من أهم أدعيتهم قولهم: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1]، فإلى جانب اهتمامهم بالتوبة، والتخلص من المعاصي والذنوب، والتدارك لكل جوانب التقصير والتفريط لديهم، وبشكلٍ مستمر، **يعني:** اهتمام عملي، اهتمام بالاستغفار والرجوع إلى الله، عندهم أيضاً اهتمام بالدعاء، يطلبون من الله النجاة من عذاب الله، النجاة من نار جهنم، ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، عذاب شديد ورهيب، وملازم للإنسان، عذابٌ ليس فيه ذرةٌ من الراحة، عذابٌ يستمر ولا يتوقف، وتستمر معاناة الإنسان فيه دون أي لحظةٍ واحدة، أو ثانيةٍ واحدةٍ من الراحة.

١- الفرقان: ٦٥-٦٦

من ضمن الأدعية الواردة في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١]، فيأتي من ضمن ذلك قوله: ﴿وَقِنَا﴾، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، هكذا يعلِّمنا الله ويصف عباده المؤمنين المتقين، وهذا يعبِّر عن اهتمامهم، عن وعيهم، عن استشعارهم لخطورة المسألة، عن إدراكهم لأهميتها؛ ولذلك تتصدر أدعيتهم.

من ضمن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾[٢]، وهذا في مواصفات المتقين، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فنطلب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يقينا عذاب النار، كما هو حال عباد الله المتقين، وهكذا يأتي الدعاء بشكلٍ مباشر بالنجاة من عذاب النار، بالنجاة من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويأتي أيضاً من ضمن اهتمامهم في ذلك ما يظهر طلبهم المغفرة بشكلٍ كبير، ومن ضمن أهم مطالبهم، وفي مقدمة مطالبهم: يطلبون المغفرة، المغفرة، ويسعون للتخلص من الذنوب، والمبادرة بالتوبة، وتلافي التقصير، والاهتمام بأسباب المغفرة، التي يرشد الله إليها في القرآن الكريم، ويعد عليها بالمغفرة، فالوعد عليها بالمغفرة هو من أهم ما يمثل جاذبيةً لتلك الأعمال، ويلفت النظر إلى مدى أهميتها، فيأتي مما وصفهم الله به في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ﴾[٣]، ﴿التَّائِبُونَ﴾، يصبح صفة مستمرة؛ **لأنهم** يلازمون التوبة، يلازمون الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **استشعاراً** للتقصير، وتلافياً للتفريط، وتداركاً من المعاصي والذنوب، وبحالةٍ مستمرة.

١- البقرة: من الآية ٢٠١

٢- آل عمران: من الآية ١٦

٣- التوبة: من الآية ١١٢

ويأتي أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[١]، كصفة مستمرة، فهم يستمرون في الاستغفار، وطلب المغفرة، بل ويتخيرون لذلك أحسن الأوقات المعروفة بالاستجابة والقربة، أو من أحسنها، بالاستجابة والقربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المتقون دائماً يستشعرون التقصير والحاجة لطلب المغفرة

ومهما كان عملهم، مهما كان عطاؤهم، مهما كانت تضحياتهم، فهم لا يصابون بالغرور، ولا يصلون إلى درجةٍ يفقدون فيها استشعارهم للتقصير، ويفقدون فيها شعورهم بحاجتهم إلى طلب المغفرة، هذه حالة بعيدة عن الإيمان، وحالة بعيدة عن التقوى، ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الربيين في القرآن الكريم، وهم من هم على درجةٍ عالية من الإيمان، والتضحية، والجهاد في سبيل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، في ذروة التضحية، في أشد المعاناة، وهم يتحركون في سبيل الله، يقاتلون في سبيل الله، يعملون في سبيل الله، فعندما يخفقون إخفاقات معينة، أو يعانون من المزيد من المعاناة والشدائد، أو يقدمون التضحيات الأكبر، فهم يرجعون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويلجئون إليه مستشعرين للتقصير، فيطلبون من الله المغفرة، من واقع استشعارهم في أعماق نفوسهم، في أعماق قلوبهم للتقصير أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يعلمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في دعاء من أهم الأدعية، ويعبِّر عن الهوية الإيمانية، والانتماء الإيماني، والمواصفات الإيمانية، في ختامها يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معلماً، وبصيغةٍ خبرية، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

١- آل عمران: من الآية ١٧

٢- آل عمران: الآية ١٤٧

وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[١].

فنجد ضمن كل هذه الفقرات في هذا الدعاء المبارك ما يعبر عن الاستشعار، والوعي، والإدراك العميق، لأهمية العمل، لما يترتب على تصرفات الإنسان، حتى على أخطائه، حتى فيما يخطئ به على طريق النسيان، أن له تأثيرات، له نتائج ولو على الأقل في عاجل هذه الدنيا، كذلك ما يترتب على ذلك من الإصر، من الحمل الثقيل، من التبعات حتى في ميدان أداء المسؤولية، في ميدان العمل في سبيل الله سبحانه وتعالى، للأخطاء التي تأتي حتى على طريق النسيان، وعلى طريق الخطأ غير العمد، تأثيراتها، تبعاتها، نتائجها؛ **أما** على مستوى العمد فله آثار خطيرة **جدًّا**، تبعات، ولذلك يضرعون إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء، ويأتي من ضمن هذا الدعاء: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾، بطلب العفو، وطلب المغفرة، **وطلب الرحمة، للخلاص من الإصر**، من الأحمال الثقيلة، من التبعات الناتجة عن الأخطاء، والناتجة عن التصرفات الخاطئة، وما أتى منها على سبيل العمد هو الأكثر خطورةً على الإنسان، فلا نجد مجالاً للتهاون، للاستهتار، للامبالاة، لعدم الاكتراث تجاه التصرفات والأعمال والمواقف والأداء العملي، نلحظ الجدية، الاستشعار العالي للمسؤولية، الإدراك العميق لأهمية ما يحصل من جانب الإنسان من تصرفات.

كما نجد في القرآن الكريم في دعاء الأنبياء «صلوات الله عليهم» أن المطلب الأول، والمطلب الرئيسي الذي يتكرر في أدعيتهم، وهم من هم على مستوىً عظيم من الإيمان، من القربة إلى الله، من المنزلة العالية عند الله سبحانه وتعالى، يأتي طلب المغفرة، طلب المغفرة: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[٢]، ﴿رَبِّ

١- البقرة: من الآية ٢٨٦

٢- إبراهيم: من الآية ٤١

﴿اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[١]، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾، تتكرر في أدعية نبي الله نوح، ونبي الله إبراهيم، وسائر الأنبياء، ويأتي حتى الأمر للنبي محمدٍ خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، فيقول الله له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٢]، ويتكرر أمره بالاستغفار في آياتٍ متعددة في القرآن الكريم، وهو بالتأكيد كان يهتم بذلك، ويحرص على ذلك، حتى أُثر عنه أنه كاد لا يقوم من مجلسٍ من مجالسه، أو مقامٍ من مقاماته، إلا ويطلب من الله المغفرة، ويكرر الاستغفار بشكلٍ مستمر، وباهتمامٍ كبير.

هذه الحالة التي تعبر عن الإدراك لخطورة الأعمال، ما ينتج عنها في حالة الإهمال، في حالة التفريط، في حالة المعصية، وضرورة السعي للتدارك الفوري، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، لا إصرار لا في حالة التجاوز، ولا في حالة التفريط تجاه ما أمر الله به بعد الإدراك لذلك، بل مبادرة بالإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فنجد كيف أن ضمائرهم حية، مشاعرهم حية، وجدانهم حيٌّ، يستشعرون حالة التقصير والأخطاء، وما ينتج عنها، وما يترتب عليها، مهما كان اهتمامهم، كما قلنا، لا تصيبهم حالةٌ من الغرور، والاطمئنان الكاذب الوهمي، الذي يتصور الإنسان من خلاله أنه أصبح جاهزاً لدخول الجنة بشكلٍ فوري، ولم يبق عنده أي تقصير، ولا أي خطأٍ، ولا أي معصيةٍ، الله يقول عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٤]، مهما قدموا، مهما كان عطاؤهم، ومهما كان مستوى عطائهم، لا يزالون يستشعرون التقصير، ويدركون أن المرجع إلى الله للحساب

١- نوح: من الآية ٢٨
٢- محمد: من الآية ١٩
٣- آل عمران: من الآية ١٣٥
٤- المؤمنون: الآية ٦٠

والجـزاء يتطلـب منـا الاسـتعداد المسـبق، والإنابـة إلى اللـه بشـكلٍ دائـم.

واستشـعارهم للخـوف مـن عـذاب يـوم القيامـة، مـن مواقـف يـوم القيامة، مـن أهـوال يـوم القيامـة، وأن يـردوا ذلـك المـورد، وأن يصلـوا إلى ذلـك المقام وهـم عـلى حالـةٍ مـن التقصير، أو تحمـل الأوزار، يقـول اللـه عنهـم: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[١]، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٢].

دع الغفلة والاستهتار وتنبه لمخاطر الذنوب والأوزار

حالـة الـلا اهتـمام تجـاه ذلـك، والغفلـة تجـاه ذلـك، الاسـتهتار تجـاه ذلـك، التهـاون تجـاه ذلـك، الشـعور وكأن الإنسـان بعيـدٌ عـن ذلـك بكلـه، وليـس عليه أي خطـر، ولا يشـعر بـأي تقصير، ولا بـأي خـوف، هـي حالـة الغافلـين، حالـة الجاهلـين، حالـة الذيـن وصلـت بهـم الغفلـة الشـديدة إلى درجـة رهيبـة **جـدًّا**.

أو المكذبـين، الذيـن قـال اللـه عنهـم: ﴿كَلَّا بَل لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[٣]، قـال عنهـم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾[٤]، ولذلـك كانـوا مهملـين، مسـتهترين، وكانـوا يعيشـون وكأنهـم مطمئنـين كل الاطمئنـان، وكأن اللـه قد تعهد لهـم تعهداً مسـبقاً ألَّا يعذبهـم، ولا يؤاخذهـم، ولا يعاقبهـم، ولا يجازيهـم، حالـة رهيبـة.

أما الحالـة الإيجابيـة، الحالـة المفيـدة، الحالـة التـي تعبر عـن الإيمان، عـن الوعـي، عـن التقـوى، وفي نفـس الوقـت لهـا إيجابيتهـا الكبـيرة، التـي تسـاعد بشـكلٍ أسـاسيٍ عـلى الاسـتقامة، عـلى الطاعـة، عـلى العمـل، هـي هـذه الحالـة مـن اليقظـة، مـن الوعـي، مـن الخـوف، مـن الإدراك لمخاطـر الذنـوب، ومخاطـر التقصـير، ومخاطـر المعـاصي، إيجابيـة ذلـك كبـيرةٌ **جـدًّا** تجـاه هـوى النفـس، والله

١- النور: من الآية ٣٧
٢- الإنسان: من الآية ٧
٣- المدثر: الآية ٥٣
٤- النبأ: الآية ٢٧

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[1] نفس الإنسان عندما تنجذب نحو الإغراءات، أو نحو الشهوات، أو نحو الأطماع المادية، فيما يسبب لها أن تقع في العصيان، أن تتحمل الأوزار والذنوب، ما الذي يمكن أن يساعد في لجمها، في ضبطها، في السيطرة عليه، في إيقافها عند حدها؟ **في مقدِّمة ذلك:** هذا الخوف من إدراك ما يترتب على ذلك من العقوبات، من العذاب والعياذ بالله.

وأيضاً تجاه جانب آخر وهو المخاوف، التي تؤثر على الكثير من الناس **جدًّا**، فتمثل عاملاً يصدهم عن الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما وجَّه به، وأمر به من أعمال مهمة، ومسؤوليات كبيرة؛ ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، الخوف من أعداء الله، الخوف من المجرمين، والظالمين، والطغاة، وأعداء الله، يؤثر على الكثير من الناس؛ فيتخذون قرارهم بالتخلي عن القيام بمسؤولياتهم، في العمل على إحقاق الحق، وإقامة العدل، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتصدي للظالمين، والوقوف ضد المجرمين المعتدين، فيتقاعسون، ويتنصَّلون عن المسؤولية، فيخالفون الكثير من توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويترتب على ذلك عواقب سيئة في الدنيا والآخرة.

فعندما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، هذا الخوف تتغلب به على كل المخاوف؛ **لأن** الآخرين الذين قد تخاف منهم، فتتقاعس عن مسؤولياتك، وتتنصل عن مسؤولياتك، وتتهرب من أداء وجباتك، ما الذي بأيديهم؟ ما الذي يمكن أن يفعلوه بك؟ كل ما بأيديهم من إمكانات، وجبروت، ووسائل للبطش، لا تساوي شيئاً، لا تساوي لحظةً واحدةً في

١- النازعات: الآية ٤٠

٢- آل عمران: من الآية ١٧٥

نـار جهنـم، فيمثـل هـذا عامـلاً مهـماً في التغلـب عـلى المخـاوف **مـن جهـة**، والتغلـب عـلى الإغـراءات، والشـهوات، والميـول النفسـية، وهـوى النفـس **مـن جهـة أخـرى**، فهـو خـوفٌ لـه إيجابيتـه، يشـكل وقايـةً للإنسـان مـن العـذاب، وأوليـاء اللـه المتقـون، المؤمنـون؛ **هـم** يدركـون هـذه الإيجابيـة الكبـيرة، وهـم يتذاكـرون في الجنـة، فيذكـر اللـه ذلـك عنهـم في القـرآن الكريـم، عـن أسـباب نجاتهـم، وفوزهـم، ووصولهـم إلى جنـة اللـه ورضوانـه، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[1]، فهـذا الإشـفاق، هـذا الحـذر، هـذا الانتبـاه تجـاه المسـؤوليات، تجـاه الأعـمال، تجـاه التصرفـات، تجـاه الأقـوال، وضبطهـا بمعيـار التقـوى، ضبطهـا بمعيـار تقـوى اللـه سبحانه وتعالى، كان لـه إيجابيتـه في النجـاة مـن عـذاب اللـه سبحانه وتعالى، مـع الدعـاء، مـع الالتجـاء إلى اللـه سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، فلذلـك أهميـة كبـيرة **جـدًّا**.

من حديث القرآن عن مقامات يوم القيامة

فيـما يتعلـق بيـوم القيامـة، تحدثنـا في محـاضرة الأمـس عـن بعـضٍ مـن المقامـات التـي تحـدث عنهـا القـرآن الكريـم، وعـن بعـضٍ مـن المواقـف التـي وردت في الآيـات المباركـة، والحديـث في القـرآن الكريـم حديـثٌ واسـعٌ **جـدًّا** عـن الآخـرة، عـن القيامـة، عـن اليـوم الآخـر، عـن الجنـة والنـار، الحديـث بوعـد اللـه ووعيـده يتكـرر كثـيراً في القـرآن، وفي أكـثر الأحـوال هـو يترافـق مـع الجوانـب العمليـة، **إمّـا** مـع حـثٍ وأمـرٍ مـن اللـه سبحانه وتعالى عـلى عمـلٍ معـين، ولفـتٍ لنظـر الإنسـان إلى أهميـة عمـلٍ معـين، **أو** في التحذيـر مـن أعـمال معينـة، فيـأتي مرتبطـاً بمقامـات العمـل، وأيضـاً في مقـام معرفـة اللـه سبحانه وتعالى فيـما يتعلـق بوعـده ووعيـده.

١- الطور: ٢٦-٢٨

الحديث في القرآن الكريم هو واسعٌ؛ لأن من المهام الأساسية للقرآن وللرسول هو الإنذار، الإنذار هو نذير، ينذرنا، يحذِّرنا، ينبِّهنا؛ **حتى** لا نقع في العذاب، إن التفتنا إلى هذا الإنذار، إن استفدنا من ذلك، إن آمنا بذلك، وأدركنا أهمية ذلك، فيأتي أيضاً في الحديث عن مقامات يوم القيامة، عن الحساب، وسواءً في مقام الحساب في ساحة القيامة، أو في حالة العذاب في نار جهنم والعياذ بالله، الحديث عن كثيرٍ من الأسباب التي هي أسبابٌ للهلاك، أسبابٌ للخسران، أسبابٌ توصل إلى العذاب، **فيأتي من ضمنها:** جوانب سلوكية، تصرفات من جانب الإنسان وأعمال تمثل عصياناً لله ﷻ في الجوانب الأخلاقية، أو تتعلق بأطماع النفس، أو تتعلق بالظلم، أو تتعلق... مع أنَّ الظلم عنوانٌ يشمل- في نهاية المطاف- كل أنواع الذنوب والمعاصي، ولكن يأتي في القرآن الكريم التنبيه على مخاطر الأعمال، والكبائر، وكبائر الذنوب، التي تسبب للإنسان الهلاك والعذاب.

المواقف والولاءات

فضمن ما يأتي أيضاً مما يتحدث عنه القرآن الكريم في مقامات يوم القيامة بشكلٍ كبير، هو ما يتعلق بجانبٍ من الجوانب التي يتهاون بها الكثير من الناس، ويخرجونها من حسابات الأعمال المحاسب عليها، وهي مسألة المواقف، والولاءات، والإتِّباع، يعني: البعض المعاصي عندهم والذنوب التي يمكن أن تصل بالإنسان إلى نار جهنم، هي تتعلق بالجانب الأخلاقي مثلاً، أو بالسرقة، أو بالجرائم الأخلاقية... أو ما شاكل، لكن فيما يتعلق بالمواقف، عندهم طبيعي يقف الإنسان أي موقف، أو ينطلق من منطلقات مادية، أو حسابات مكاسب شخصية معينة، بعيداً عن التقوى، بعيداً عن موقف الحق، بعيداً عن الاتجاه الصحيح الذي يتطابق مع توجيهات الله ﷻ، ويحسبون مسألة الصراعات وكأنها بعيدة، أو منفصلة كلياً عن

الالتزامات الإيمانية، **بمعنى:** أنَّ للإنسان أن يفعل فيها ما يشاء ويريد، يقف مع من يشاء ويريد، بحسب مزاجاته، **وحسب تعبيرهم:** مصالحه، وأطماعه، وأهوائه، ورغباته، يقف الموقف الذي يريد، يوالي من يريد، يعادي من يريد، يتَّبع من يريد... **وهكذا:** على أساس هوى النفس، وبعيداً عن الالتزامات الإيمانية.

مع أنَّ من أكبر ما يؤثر في واقع البشر، وينتج عنه الكثير من التفاصيل، من الأعمال، من السلوكيات، بل وتترتب عليه المظالم الكبرى، هو: حالة النزاع فيما بين البشر، حالة الخصومات، حالة الصراعات، وهناك دائماً فيما يتعلق بالصراعات، هناك طريق حقٍ يجب على الناس أن يسلكوه، موقف حقٍ يجب على الناس أن يقفوه، وهذه مسألة يتجاهلها أكثر الناس.

من أسماء يوم القيامة، سمَّاه الله بيوم الفصل، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[١]، يومٌ يفصل الله بين عباده في كل ما كانوا فيه يختلفون، اختلافاتهم الدينية، سواءً بشكل ديانات، أو مذاهب... أو بأي شكلٍ من الأشكال، اختلافاتهم في واقع الحياة، صراعاتهم في واقع الحياة، والمعيار فيها عند الله هو معيار الحق، معيار الإيمان والتقوى، من الظالم ومن المظلوم، من المحق ومن المبطل، لا تأتي المسألة مثلما يتصور البعض، وكأن الموضوع عادي، المسألة هامة **جدًّا**، يوم الفصل، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾، يومٌ عظيم الشأن، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢]، فهو الموعد المحدد الذي يجتمعون فيه بكلهم للفصل فيما بينهم، وبدون أي هزل، يوم جد، لا هزل فيه، وفصل في كل الأمور: على مستوى النزاعات، على مستوى الأعمال، على مستوى المواقف، على مستوى السلوكيات، فصل وأحكام باتة وعادلة من

١- المرسلات: الآية ١٤
٢- الدخان: الآية ٤٠

اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القائـل: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١].

ويوضِّـح اللـه في القـرآن الكريـم في مواقـف القيامـة، ومقامـات الحسـاب، كيـف أنهـا مـن أهـم مواطـن النـصر، التـي ينـصر اللـه فيهـا عبـاده المؤمنـين، الذيـن وقفـوا في هـذه الحيـاة موقـف الحـق، لم يغوهـم عـن ذلـك، ولم يحـد بهـم الإغـراءات، والأطـماع، والأهـواء، ولا الضغوطـات، ولا المعانـاة، ولا المتاعـب، ولا التضحيـات، ولا الأوجـاع، ولا الآلام، ثبتـوا، ثبتـوا عـلى موقـف الحـق مهـما كانـت المتاعـب والصعوبـات، ولم يتأثـروا بـأيٍّ مـن الإغـراءات والأطـماع، يقـول اللـه تعـالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ليـس فقـط الرسـل، بـل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بنـصر قضيتهـم، بإعـلاء موقفهـم، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٢]، هـذا في يـوم القيامـة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[٣]، مهـما قدَّمـوا مـن تبريـرات، مثلما هـو عادتهـم في الدنيـا، يقدِّمـون لمـا يقومـون بـه مـن ظلـم، وإجـرام، وعـدوان، وطغيـان، وبغـي، وسـعي للسـيطرة عـلى النـاس للانحـراف بهـم عـن منهـج اللـه الحـق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيسـوقون التبريـرات، وينظِّمـون الحمـلات الدعائيـة والإعلاميـة، وهنـاك لا يفيدهـم ذلـك شـيئاً، لا مجـال أبـداً ولا قبـول أبـداً لـكل التبريـرات والذرائـع الواهيـة، السـاقطة، الباطلـة، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، فـلا تبريـرات، ولا حتـى اعتـذار، أو توبـة، أو إنابـة، أو إعـلان عـن التراجـع عـن الخطـأ... أو غـير ذلـك، ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾؛ **لأن** الموقـف موقـف يفصـل اللـه فيـه بـين العبـاد، يتبـين فيـه مـن هـو المحـق مـن المبطـل، مـن هـو الظـالم مـن المظلـوم، ويـأتي عـلى ذلـك الحسـاب، والجـزاء، والعقـاب.

١- آل عمران: من الآية ٥٥
٢- غافر: من الآية٥١
٣- غافر: من الآية ٥٢

وهكذا يبين في مواقف كثيرة، في آياتٍ كثيرة، فيما يتعلق بسخريتهم من الذين آمنوا، بضحكهم منهم، باستهتارهم بهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[١]، مواقف كثيرة، في نهاية المطاف في مشاهد القيامة يحاسبون، يعيشون حالة الذل والهوان، يتبين ويفصل الله في الأمر، أنهم هم الضالون، الخاسرون، الخائبون، الهالكون، المبطلون، ويتحدد مصيرهم وجزاؤهم وهو جهنم والعياذ بالله.

المنافقون والمنافقات

من المقامات في يوم القيامة التي هي من المقامات المهمة فيما يتعلق بالمنافقين، عندما تتجلى خسارتهم؛ **لأنهم** من أكثر الناس خسراناً، المنافقون والمنافقات هم من أكثر الناس خسراناً، وانحرافهم هو في الموالاة، أنهم يوالون أعداء الإسلام، هذا ما يؤكِّد عليه القرآن الكريم كقاسمٍ مشترك بين المنافقين بمختلف فئاتهم، يعادون المؤمنين، ويوالون الكافرين، فالقرآن الكريم كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيه عنهم: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ينتج عن ذلك ما يقومون به من دورٍ تخريبيٍ كبير في واقع الأمة؛ لأنهم يعادون المؤمنين، لأنهم يعملون هم على تنفيذ مخططات ومؤامرات أعداء الإسلام، أعداء المسلمين من الداخل، مثلما يفعله النظام السعودي، مثلما يفعله النظام الإماراتي، مثلما يفعله المتجنِّدون في صفهم، والموالون لهم، والمقاتلون معهم، والمؤيِّدون لهم، **يتحول كل نشاطهم بشكلٍ عدائي في كل المجالات**: يقاتلون، يكذبون، يضللون، يتحركون إعلامياً، سياسياً، عسكرياً، أمنياً... في كل المجالات، لخدمة أعداء الأمة ضد عباد الله المؤمنين.

١- المطففين: ٢٩-٣٠

٢- النساء: ١٣٨-١٣٩

من المقامات التي يتجلى فيها خسرانهم في يوم القيامة، ما ورد في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1]، هم كانوا في الدنيا يحاربون المؤمنين، يعادون المؤمنين، ولا يقبلون بالنور الذي يتحرَّك به المؤمنون، نور الله، هديه، الذي يتحرك عليه المؤمنون في هذه الدنيا، ولا يقتبسون من نورهم في هذه الدنيا، بل يبغضونهم، يعادونهم، يكرهونهم، يصدون عنهم، يحاربونهم بكل أشكال المحاربة، يتحركون ضدهم بكل الأساليب والوسائل... وهكذا في الدنيا، **أمَّا** في الآخرة فيتجلى خسرانهم، فيحاولون أن يطلبوا منهم أن ينتظروهم، يحاولون أن يقتبسوا من نورهم، ولكن لا مجال هناك، يطردون، تطردهم ملائكة الله بإذلال، بإهانة، بخزي، ويُذْهَب بهم إلى جهنم، ويُضرَب بينهم وبين المؤمنين بسورٍ، هذه من الحالة الخطيرة **جدًّا**، من المقامات التي يتبيَّن فيها فداحة خسرانهم.

بين الضعفاء والمستكبرين

من المقامات فيما بين الضعفاء والمستكبرين، وللأسف فإنَّ الكثير من أتباع الباطل- وبالذات من الذين يتجنَّدون كجنود عاديين في صف بالباطل، ويقومون بدورٍ أساسي في خدمة الباطل، وحماية الباطل، ونصرة الطغاة والظالمين والمجرمين- هم من الضعفاء، الضعفاء مادياً، ممن كانوا فقراء في هذه الدنيا، ضعفاء على مستوى الجانب المعنوي، لم يكونوا أصحاب جاه ونفوذ، فجنَّدوا أنفسهم في صف الباطل؛ **لأنهم** يرون في جانب أهل الباطل القوة، يرون في جانبهم المال... هكذا يتصورون، فيقفون في صفهم، يوم القيامة يندمون، يندمون من اتِّباعهم لهم، من ولائهم لهم، من نصرتهم

١- الحديد: الآية ١٣

٦

لهم، من وقوفهم في صفهم، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾، يتناقشون، يتجادلون، يُحَمِّل بعضهم بعضاً المسؤولية، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[1]، **قالوا:** أنتم من كنتم السبب في انحرافنا عن خط الإيمان والتقوى، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾[2]، أنتم بأصلكم مجرمون، ولذلك اخترتم أن تقفوا الموقف المنحرف عن الهدى، عن موقف الحق، فيحمِّلونهم المسؤولية، وهم يشعرون بالخسارة الرهيبة، **فجوانب الولاءات، المواقف، الاتجاهات، هي من المواقف الرئيسية التي يجري عليها الحساب، والتي يتحدد بها مصير الإنسان**، مصير الإنسان، **وكذلك التفريط في أداء المسؤولية عليه وعيدٌ كبيرٌ في القرآن الكريم**، عندما يقف الإنسان في صف الباطل.

حديث القرآن عن جهنم وأنواع العذاب فيها!

ثم عندما نأتي إلى العذاب وما يتعلق بالعذاب، عندما يتحدث القرآن عن التفاصيل فيما يتعلق بجهنم، وأنواع العذاب في نار جهنم، فهي تفاصيل مهمة، على الإنسان أن يقف عندها، أن يتأمل فيها، أن يحسب حساب نفسه هنا في عاجل الدنيا، لا يزال في حالة فرصة، فرصة كبيرة **جدًّا** يستطيع أن ينتبه لنفسه، أن يسعى لوقايتها مع الاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يتوجه النذير في القرآن الكريم إلى الذين آمنوا في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3].

١- سبأ: من الآية ٣١

٢- سبأ: الآية ٣٢

٣- التحريم: الآية ٦

- **أول عناوين العذاب في نار جهنم هو: الاحتراق، الاحتراق بنارها**، كلنا ندرك أنَّ الاحتراق هو من أشد الأشياء المؤلمة للإنسان، عندما يحترق بالنار، إذا احترق الإنسان بنار الدنيا- التي هي نعمة في الأساس- كيف تكون آلامه وأوجاعه؛ **أمَّا** نار جهنم- والعياذ بالله- عندما يتحول الإنسان فيها إلى كتلةٍ محترقة، مشتعلة بنيرانها المستعرة، كما قال هنا في هذه الآية: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾، عندما تكون من وقود جهنم، **معنى ذلك:** أن تشتعل بكلك، تشتعل ناراً، فتتحول بين نار جهنم إلى كتلة مشتعلة، تتحرك وأنت تشتعل نيراناً، وتحترق بنيرانها المستعرة، وهي في أشد حالات الاحتراق، في درجات الحرارة العالية **جدًّا**، تصور كيف هي آلامك، أوجاعك في كل بدنك، وأنت تشتعل بكلك، تحيط بك النار من كل الجهات، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[1]، النار تشتعل من فوقك، تشتعل من تحتك، تشتعل من خلفك، تشتعل من أمامك، تشتعل عن يمينك، تشتعل من يسارك، وكل محيطك نارٌ مستعرة، مشتعلة، وأنت تحترق بها، تتعذب بها، تتألم بآلامها الشديدة والعياذ بالله، هذا أمر رهيب **جدًّا**، أمر رهيب، ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[2].

- **ثم في نار جهنم كل شيءٍ عذاب، بدءاً من النفس الذي تتنفسه**، أنت هناك في الدنيا تستنشق الأوكسجين، وتشعر بالراحة عندما تستنشقه، فلو تعرضت لآلام، أو أمراض، أو ضيق تنفس، تشعر بالمعاناة الشديدة، والبعض- إذا تضرر الجهاز التنفسي لديه- قد يسبب له ذلك الوفاة، لا يتحمل، يختنق، ينقص الأوكسجين على الجسم؛ **فيتضرر** الإنسان ويختنق.

١- الزمر: من الآية ١٦

٢- الزمر: من الآية ١٦

أمَّا في جهنم فالذي تستنشقه وتتنفس به بدلاً عن الأوكسجين فهو السَّموم، السَّموم والعياذ بالله، ذلك الهواء الحار **جدًّا جدًّا**، يقول الله عنهم: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾[1]، فالاستنشاق للسموم الحار **جدًّا**، الذي يعذبك ويحرقك من داخلك، النار تشتعل في كل محيطك وأنت تستنشقه إلى داخلك، وبشكلٍ صعبٍ **جدًّا**، حتى عملية الاستنشاق، الله يقول عنها: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[2]، حالة خطيرة **جدًّا**، ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾، لا تأتي عملية التنفس على نحوٍ طبيعي كما أنت في الدنيا تستنشق الأوكسجين بكل راحة، هناك تستنشق الهواء الحار **جدًّا** بصعوبة شديدة، وتخرجه بصعوبة شديدة، في حالة الزفير والشهيق، وأنت تتألم آلاماً شديدة، تجتمع عليك الآلام في كل شيء، وتتعذب فيها بكل شيء.

- **على مستوى الشراب**، والإنسان مع الحرارة الشديدة يظمأ، يزداد ظمأه ويشعر بحاجة شديدة للشراب، للماء، فهم في نار جهنم يعذبون بالظمأ الشديد **جدًّا**، يظمؤون على أشد حالةٍ من الظمأ الشديد **جدًّا**، وفي أقسى الحالات، في أصعب الحالات من الظمأ الشديد، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾، وهم يستغيثون، ويطالبون بإلحاح واستغاثة، أن يقدم لهم الماء ليشربوا منه، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[3]، والعياذ بالله! يقدم لهم ماء، لكنه كحثالة الزيت، ماءٌ قذر، ليس ماءً نقياً، ماءٌ تشوبه الشوائب الكريهة والقذرة، فهو قذرٌ في غاية القذارة، وفي نفس الوقت حارٌ **جدًّا جدًّا** إلى درجة أنه يشوي الوجوه عندما يقرب منهم ليشربوا منه، فيشوي وجوههم والعياذ بالله! ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾؛ أما في

١- الواقعة: ٤٢-٤٤

٢- هود: الآية ١٠٦

٣- الكهف: من الآية ٢٩

داخلهم: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[١]، حالة رهيبة **جدًّا** من الألم، فلا يرويهم؛ **إنما** يزيد في عذابهم، لشدة ظمأهم، وهو رهيبٌ **جدًّا**، إلى درجة تفوق كل تخيل، فهم يتجرعون حتى الصديد في داخل جهنم من شدة ظمأهم، يتجرعون حتى الصديد الذي يغلي وهو في غاية القذارة، نتنٌ في رائحته، قذرٌ في مذاقه، وأيضاً في غاية الحرارة، ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[٢]، يتجرعونه جرعاً، الجرعة بعد الجرعة، على نتانته، على قذارته، على حرارته الرهيبة **جدًّا**، على رائحته الكريهة **جدًّا**، على مذاقه السيء **جدًّا جدًّا**، لكنه ظمأهم الشديد الذي لا نتصوره لشدته.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، تشتد العذابات والأوجاع التي تكفي لأن يموت بأي جزءٍ منها، عذابه في أي جزءٍ من جسده، في أي موضعٍ من جسده، كافٍ في أن يميته لو بقي موت، لو بقي موت، لكنها آلامٌ شديدةٌ **جدًّا**.

- **ثم أيضاً مع عذابهم بالظمأ يأتي عذابهم بالجوع**، يجوعون أشد الجوع، فيحاولون أن يحصلوا على الطعام، ويلحون، ويتضرعون، ويطالبون، وحينها يقدم لهم أنواع سيئة **جدًّا** من الطعام، في مقدمتها الزقوم: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝٤٤ كَالْمُهْلِ﴾[٣]، كذلك مذاقها بشعٌ **جدًّا**، تغلي داخل الإنسان، ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[٤]، حرارتها رهيبةٌ **جدًّا**، إلى درجة أنها تغلي وهي في داخل البطن، تغلي في داخله من شدة حرارتها، وكيف ستكون آلامهم بذلك، أثناء تناولها، وعندما تصل إلى بطونهم، ولكن

١- محمد: من الآية ١٥

٢- إبراهيم: من الآية ١٧

٣- الدخان: الآية ٤٣

٤- الدخان: ٤٥-٤٦

من شدة جوعهم الذي يعذبون به، قال عنهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[١]، يضغط عليهم الجوع الشديد **جدًّا**، فيأكلون المزيد والمزيد وهم يتعذبون به حتى تمتلئ به بطونهم، فتصبح تغلي في داخلهم، وهم يعانون من أشد الآلام والأوجاع.

- **على مستوى الملابس**، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾[٢]، تفصل لهم ملابس يلبسونها نارية، تبقى دائماً مصدراً للحر الشديد الذي يحترقون به، ويتألمون منه بشكلٍ مستمر.

- **على مستوى الغسل**، هم في حالة رهيبة **جدًّا** من الاحتراق الشديد، يتحركون ككتل من نار جهنم- والعياذ بالله- في حالة اشتعال دائم، آلام دائمة، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[٣]، كما يقول الله تعالى في آيةٍ في القرآن الكريم.

- **في تلك الحالة إذا أراد أن يبرد نفسه**، أن يبرد جسده من ذلك الاحتراق الشديد، من تلك الحرارة اللامتناهية، حرارة رهيبة **جدًّا**، فما الذي سيحصل عليه، ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٤]، يذهبون إلى حميم في منتهى الحرارة، منتهى الحرارة، فتزداد حرارتهم، تزداد آلامهم وأوجاعهم، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[٥]، عندما يصب من الأعلى من فوق رؤوسهم، فهو لشدة حرارته يذيب جلودهم، يذيب بطونهم، أمر رهيب **جدًّا**.

١- الصافات: الآية ٦٦
٢- الحج: من الآية ١٩
٣- النساء: من الآية ٥٦
٤- الرحمن: الآية ٤٤
٥- الحج: ١٩-٢٠

تأمل الآن وتذكر قبل فوات الأوان!!

كل هذه العذابات، والاحتراق، والآلام، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾، يتعالى صراخهم بشكلٍ مستمر، يصرخون، يستغيثون، يصيحون، يتوجعون، يبكون، يتحسرون، ولا يفيدهم ذلك شيئاً، يدعون الله في تلك الوضعية الرهيبة جدًّا، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، لا يستجيب لهم، يتضرعون أكثر فأكثر، ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١]؛ **لأنهم** أضاعوا هذه الفرصة في هذه الحياة، هنا في الدنيا الفرصة متاحةٌ لك للدعاء، للاستغاثة هنا في الدنيا، للعمل بما يقيك من كل ذلك العذاب والعياذ بالله.

كلما استغاثوا لا يقبل منهم ذلك، يطلبون الوساطة من خزنة جهنم بالتخفيف ليومٍ واحد، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾[٢]، يوم واحد، فلا يستجاب لهم في ذلك، يطلبون الموت، ويقولون لخازن النار: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٣]، الموت بالنسبة لهم- لو يتحقق- أكبر أمنية يتمنونها، فلا يجابون إلى ذلك.

يحاولون الخروج بكل جهدهم، فيتحركون في جهنم بعناء شديد، وعذابات شديدة، وأوجاع شديدة، لكن ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٤]، يضربون بمقامع الحديد ويعادون إلى أماكنهم ومواقعهم المحددة لهم في نار جهنم والعياذ بالله، وكلما استمر الوقت ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٥]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، أمر رهيب، لا يخرجون منها، يبقون في حالةٍ مستمرة في العذابات والأوجاع، يتندمون، يتحسرون، أمر رهيب.

١- المؤمنون: من الآية ١٠٨

٢- غافر: من الآية ٤٩

٣- الزخرف: من الآية ٧٧

٤- الحج: من الآية ٢٢

٥- النبأ: الآية ٣٠

كل هـذا يذكـره الله لنـا في القـرآن الكريـم مقدمـاً، قـدَّم إلينـا بالوعيـد، مسـبقاً، ونحـن في فسـحة، في فرصـة، لنأخـذ الحـذر والحيطـة، يتطلـب منا هـذا أن نؤمـن بوعـد اللـه ووعيـده، ثـم إذا تأملنـا ليـس هنـاك أي شيءٍ يسـتحق منـك أن تجـازف بـه، وأن يكـون سـبباً لتورطـك إلى جهنـم، أي شيءٍ مـن الأهـواء، مـن الشـهوات، مـن الرغبـات، ولا أي شيءٍ مـن المخـاوف، والمتاعـب، والصعوبـات، والتحديـات، والمخاطـر، كل شيءٍ يهـون أمـام نـار جهنـم، أمـام نـار جهنـم، أمـام ذلـك العـذاب الشـديد.

ولذلـك نحـن في فرصـة في هـذه الحيـاة لنبـادر، اللـه يدعونـا، يدعونـا إلى الجنـة، يدعونـا إلى المغفـرة، يدعونـا إلى الرحمـة، يرسـم لنـا فيـما يأمرنـا بـه مـن الأعـمال الصالحـة التـي فيهـا الخـير لنـا أساسـاً في الدنيـا، فيهـا اسـتقامة حياتنـا في الدنيـا، فيهـا صـلاح حياتنـا في الدنيـا، وفيهـا فوزنـا العظيـم في الآخـرة، لنكـون مـن عبـاده المتقـين، ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[1] كـما قـال، ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، نسـلم مـن عـذاب اللـه، نفـوز بمـا وعـد اللـه بـه عبـاده المؤمنـين مـن النعيـم العظيـم الواسـع، **يقابـل كل هـذه العذابـات في الجنـة تجـري مـن تحتهـا الأنهـار:** أنهـار اللـبن، أنهـار العسـل المصفـى، أنهـارٌ مـن خمـرٍ لـذةٍ للشـاربين، أنهـار المـاء غـير الآسـن، مـن كل الثمـرات الطيبـة، مـن كل فاكهـة، النعيـم العظيـم في قصورهـا، في فللهـا الضخمـة، في مسـاكنها الطيبـة، في كل مـا فيهـا مـن الخـير والنعيـم العظيـم، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾[2]، ظـل الجنـة في روحهـا وراحتهـا.

١- الدخان: من الآية ٥١
٢- الرعد: من الآية ٣٥

٦

فلماذا لا يتجه الإنسان بجدية، يحذر من التهاون، يستعين بالله ﷻ، ينيب إلى الله، والله يزيد الإنسان هداية، هو وعد بهذا: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]، يعينك عندما تستعين به، يهديك، يوفقك، يسددك، فقط ارجع إليه، أقبل إليه، لا تدبر عنه، لا تتول عنه، أقبل إلى الله، ارجع إلى الله، اقبل هدي الله، اقبل من الله واستعن به، وهو خير معين.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

الإنسان يدعو في شهر رمضان بالعتق من النار، بالتوفيق لما يرضي الله ﷻ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

١- محمد: الآية ١٧

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

مما ورد في القرآن الكريم في الآيات المباركة من سورة البقرة في الحديث عن فريضة الصيام، وتعيين شهر رمضان ليكون هو الشهر المحدد لأداء فريضة الصيام، كركنٍ من أركان الإسلام، وكفرضٍ أساسيٍ من فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ، أتى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ

﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[١]، فشهر رمضان المبارك هو شهر نزول القرآن، الذي اتبدأ فيه نزول القرآن الكريم من خلال الوحي إلى رسول الله وخاتم أنبيائه محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وقد يكون- والله أعلم- هو بنفسه شهر البعثة بالرسالة إلى الناس، فتختلف الأقوال، البعض يعتبرون شهر البعثة هو شهر رجب، ولكن العجيب أنَّ أولئك الذين يعتبرون أنَّ شهر البعثة هو شهر رجب، هم يعتبرون نزول القرآن في بداية البعثة، وأنه من خلال أول لقاء بالبعثة بالرسالة نزلت سورة اقرأ، هكذا يقولون هم، وهذا لا يستقيم؛ **لأنه** من المعلوم قطعاً أنَّ نزول القرآن الكريم ابتدأ في شهر رمضان المبارك، في ليلة القدر منه، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢]، فالإرسال قد يكون إذا كانت البعثة مترافقة مع نزول القرآن، أو ابتداء نزوله، في شهر رمضان المبارك، وهو شهرٌ مباركٌ، وشهرٌ عظيم، وهناك روايات عن أمير المؤمنين عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَام أيضاً تفيد ذلك، وعلى كلٍّ فمما لا شك فيه أنه إذا كان نزول القرآن الكريم متزامناً مع بداية البعثة بالرسالة؛ فستكون البعثة حتماً في شهر رمضان المبارك.

القرآن الكريم الذي أنزله الله في شهر رمضان المبارك، ثم شرع صيام هذا الشهر، وبيَّن لنا غايةً عمليةً أو ثمرةً عمليةً أساسيةً ومهمةً بالنسبة لنا هي التقوى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]، فمما لا شك فيه أيضاً أنَّ هناك تلازماً تاماً **ما بين** تحقيق التقوى، **وما بين** الاهتداء بالقرآن الكريم؛ **لأن** من أول متطلبات التقوى هو الهدى، أن نعرف ونعلم ماذا نفعل؟ ما الذي فيه الوقاية لنا إن فعلناه؟ ما الذي فيه الوقاية لنا إن التزمنا به، من الأعمال، من الأقوال، من المواقف، من التصرفات؟ أيضاً كيف يأتينا من الهدى ما

١- البقرة: من الآية ٥١٨
٢- القدر: الآية ١
٣- البقرة: من الآية ١٨٣

يساعدنا على تزكية أنفسنا؛ **لأن من متطلبات التقوى:** تزكية النفس، نحتاج إلى تزكية أنفسنا؛ **لكي** نتقي الله ﷻ.

ثم عندما نأتي إلى الجانب العملي، الجانب العملي لا يأتي هكذا بدون إرشاد، بدون تعليم، بدون معرفة، يحتاج الإنسان إلى معرفة ماذا يعمل؛ **حتى** يعمل، حتى يتحرك، وما الذي يجتنبه؟ ما الذي ينتهي عنه؟ ما الذي يحذر منه، مما فيه خطرٌ عليه، أو شرٌ عليه، أو عقابٌ له؟ ولذلك يقول الله ﷻ فيما يتعلق بالتقوى والمتقين في علاقتهم بالقرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ويقول عنهم في آخر تلك المواصفات التي وردت في أول سورة البقرة: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[2]، **فمن أساسيات ولوازم التقوى، هو:** الاهتداء بالقرآن الكريم، والتحرك على أساسه، فبذلك تتحقق التقوى من خلال الالتزام عملياً بما يهدي إليه الله في القرآن الكريم، وبما للقرآن الكريم من أثرٍ تربويٍ عظيمٍ في تزكية النفس البشرية، يساعدها على الالتزام، يهيئها للعمل، ولما له من عطاءٍ تربويٍ أيضاً يتناسب مع الصيام في تحفيز النفس البشرية على الصبر، على التحمل، في توفير الدافع الإيماني الكبير، الذي يجعل الإنسان ينطلق بكل رغبة، بكل جد، بكل اهتمام، باستشعارٍ للمسؤولية، وبما يمثّله أيضاً من صلةٍ بالله ﷻ، يحظى الإنسان من خلالها بمعونة الله، بتوفيقه، فكل هذه الاعتبارات مأخوذةٌ بعين الاعتبار، كل هذه الحيثيات مأخوذةٌ بعين الاعتبار في أهميتها وتناسبها، والتلازم مع بين فريضة الصيام والقرآن الكريم في مسألة التقوى.

١- البقرة: الآية ٢

٢- البقرة: من الآية ٥

الله ﷻ ضمن سنته في هداية عباده يرسل الرسل، وينزل عليهم الكتب، وهذه سنَّةٌ ماضيةٌ مع عباده، ترافق نزول الهدى ومسيرة الهداية للمجتمع البشري منذ بداية وجودهم، منذ آدم عليه السلام، الله هداه، وأتت الهداية مترافقةً مع بداية استخلافه على الأرض، ثم استمرت المسألة إلى خاتم النبيين في مسألة إرسال الرسل وإنزال الكتب، إلى خاتم النبيين محمد «صلوات الله وسلامه عليه على آله»، فبعثه الله بالرسالة إلى العالمين، رحمةً للعالمين، وأنزل عليه القرآن العظيم.

مفتاح كل النعم الإلهية على البشرية

والقرآن الكريم هو نعمةٌ عظيمةٌ أنعم الله بها علينا، نعمة الهداية بالرسول والكتاب هي أعظم النعم على الإطلاق، وهي مفتاح كل النعم، بدونها تتحول كل النعم إلى نقم، إلى وسيلة لاكتساب المعاصي، لاكتساب الآثام، إلى وسيلة للجناية على النفس، للجناية على المجتمع البشري، إلى وسيلةٍ للشقاء، إلى وسيلةٍ للإفساد في الأرض، إلى وسيلةٍ لإفساد الحياة، فالإنسان بحاجة إلى أن ترتسم له منهجية التعامل مع نعم الله عليه، وأن ترتسم له المسيرة الصحيحة لكيفية الاستخلاف في الأرض، التي يجمع فيها ما بين المبادئ والقيم الإلهية والإنسانية الراقية العظيمة، التي تنسجم مع كرامته الإنسانية، **أو** أن ينحرف عن ذلك، إذا لم يحصل على ذلك، **أو** لم يرتبط بهذه الصلة، بهذه الهداية، فيكون انحرافه سبباً لشقائه، سبباً لسوء تصرفاته، سبباً لكفرانه للنعم، سبباً للجناية على نفسه.

نعمة الله علينا بالقرآن الكريم هي نعمةٌ عظيمة، وهو كان المعجزة الرئيسية، من ضمن المعجزات هو المعجزة الرئيسية لرسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وقد عظمت نعمة الله ﷻ أن حفظ النص

القرآني للأجيال اللاحقة ما بعد عصر وزمن مبعث الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وحركته المباشرة وحياته، من بعد وفاة الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ لو لم يَحفظ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بمعجزةٍ إلهية، بآيةٍ عجيبة- النص القرآني للأجيال اللاحقة؛ **لكانت** المشكلة خطيرة **جدًّا** في مسألة التحريف للنص القرآني؛ **لأن** التحريف فيما يقدَّم باسم الدين مسألةٌ معروفة، **يعني:** كل المسلمين يعرفون هذه الحقيقة، أنَّ هناك تحريفاً خطيراً حصل في نقل المعارف الدينية، وفي نقل المفاهيم الدينية، وفيما يقدَّم باسم الدين، حتى في المرويات عن رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، هناك الكثير من الأحاديث المكذوبة، التي لم تصح عن النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وهناك الكثير أيضاً مما يقدَّم باسم الدين، باسم الإسلام، بصفة الشريعة، بمختلف العناوين الدينية، من المعروف أنه لا يصح باسم الدين، فمن المسائل المعروفة هي مسألة التحريف، ولكن الأمة متفقة على أنَّ النص القرآني محفوظ؛ **لأن** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكفَّل بحفظه، هو القائل في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، فهو أكَّد أنه حافظٌ له بشكلٍ مستمر إلى يوم القيامة، وهذا ما حصل، على مدى كل هذه القرون التي مضت وانقضت، لا يزال النص القرآني محفوظاً، وسيبقى محفوظاً إلى نهاية أيام الحياة، إلى قيام الساعة، فهذه نعمة، نعمةٌ عظيمةٌ **جدًّا** لنا؛ **لأنه** وإن حاول البعض أن يحرِّف في المعنى، أو أن يحرِّف في المفاهيم، فالقرآن يفضحه، **سلامة النص، وبقاء النص، وحفظ النص القرآني نعمةٌ عظيمة تفضح المتقوِّلين على القرآن**، فهذه من النعم العظيمة علينا في هذا الزمن، وفي كل زمن، أنَّ الله حفظ القرآن الكريم من التحريف لنصه، نعمةٌ عظيمةٌ **جدًّا**، وبقي لنا إلى هذا الزمن، ويبقى ما بعد هذا العصر إلى نهاية التاريخ، إلى نهاية الوجود البشري.

١- الحجر: الآية ٩

مما وصف الله تعالى به القرآن الكريم

القرآن الكريم هو من نور الله، من علمه، من حكمته، من رحمته، ولهذا يسمِّيه بالحكيم، يسمِّيه بالعظيم، يسمِّيه بالمجيد، يسمِّيه بالنور، يصفه بأنه رحمة، ويصفه بأنه هدى، وعندما نأتي إلى سوره المباركة، فمطلع كل سورةٍ منه- باستثناء سورةٍ واحدة- مطلعها وبدايتها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ **ليبين** لنا، وليرسخ فينا أنَّ كل ما في هذا القرآن الكريم من هداية، من إرشاد، من توجيه، من تعليمات، من أوامر، من نواهٍ، هي من منطلق رحمة الله بنا؛ **لأنه** الرحيم، الذي يريد لنا الخير، يريد لنا السعادة، يريد لنا الفلاح، يريد لنا النجاة، يريد لنا ألَّا نشقى، ألَّا نسبب لأنفسنا الخسران الرهيب، مظاهر رحمته في نعمه المادية التي أنعم بها علينا، ومظاهر رحمته وتجليات رحمته فيما كرَّمنا به في هذه الحياة كمجتمعٍ بشري، وفي خلقنا، معروفةٌ وواضحةٌ، وذكَّرنا بها أيضاً في القرآن الكريم كثيراً، وكذلك نحتاج كمجتمعٍ بشري إلى هداية، إلى تعليمات، إلى إرشاد، إلى نظام لمسيرة حياتنا، فقدَّم لنا ذلك من منطلق رحمته بنا، وكل ما فيه على هذا الأساس، وهذا ما **يجب** أن نبني عليه نظرتنا إلى القرآن الكريم، وإلى ما فيه، إلى ما فيه من تعليمات، من توجيهات، من أوامر، من نواهٍ؛ **حتى** لا ننظر إلى شيءٍ من مسؤولياتنا في القرآن، أو مما أمرنا الله به في القرآن، ووجهنا إليه، وأرشدنا إليه، إلى أنه يمثِّل مشكلةً لنا في واقع حياتنا، وكأنه يتنافى مع الرحمة، أو أن ننظر إلى شيءٍ مما حرَّمه الله ونهانا عنه وكأنه حرمانٌ لنا، **يجب** أن تكون نظرتنا صحيحة، من هذا المنطلق الذي نرى فيه كل ما أمرنا الله به رحمة، ونرى أنَّ كل ما نهانا الله عنه فمن منطلق رحمته بنا، فنثق، ونطمئن إلى هذا؛ **لأن** الإنسان بحاجة إلى ثقة بذلك، واطمئنان تجاه ذلك، مهما كان في بعض الأمور شيءٌ من شكل

المشقة، أو الصعوبات، أو التحديات، فالصعوبات والتحديات والمشاق هي جزءٌ من حياة هذا الإنسان، لكن **الحقيقة أنَّ اليسرى هي في طريق القرآن، في طريق الحق، أنها هي الأيسر، هي الأقل كلفة، وهي الأعظم والأحسن عاقبةً للإنسان، مهما كانت المشاق.**

٧

القرآن كتاب مبارك وبركاته واسعة

الله أيضاً يصف كتابه بأنه مبارك، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]، **وهذه من أهم مواصفات القرآن، فهو كتابٌ مبارك:**

مباركٌ فيما يتضمنه هو من الهداية الواسعة، من المعارف العجيبة، من سعة الهداية، ومن المعارف الواسعة **جدًّا**، ولذلك الإنسان كلما ارتبط بالقرآن أكثر؛ **كلما** توسعت معارفه، كلما ازداد حكمةً، كلما ازداد بصيرةً، كلما ازداد علماً، ولا يرى نفسه في مرحلة من المراحل مهما بلغ أنه قد استوعب ما في هذا الكتاب من النور، من الهدى، من العلم، من المعرفة؛ **لأنه** واسعٌ **جدًّا**، وفيه بركةٌ عجيبة في عطائه المعرفي.

ومباركٌ أيضاً في أثره التربوي، أثره عجيبٌ **جدًّا** في إصلاح نفس الإنسان، في تزكية النفس البشرية، في تأثيره الوجداني، تأثير عجيب، لا يصل إلى مستواه أي شيءٍ آخر، ولا أي بديلٍ آخر، في مستوى تأثيره الإيجابي في النفس البشرية، التي يكسبها الطمأنينة، يساعدها على التزكية، ينمِّي فيها ما فطرها الله عليه من مكارم الأخلاق، يزكيها مما قد تلوثت به، مما يتنافى ولا ينسجم مع فطرتها... وهكذا مباركٌ في عطائه التربوي.

١- الأنعام: الآية١٥٥

مباركٌ أيضاً فيما يهدي إليه، فهو يهدي إلى ما فيه البركة، إلى ما فيه سعة الخير لنا، وعندما نتحرك على أساسه، على أساس ما فيه من التعليمات، على أساس هدايته، يبارك الله لنا في جهودنا، تكون جهوداً مثمرة، مباركة، آثارها، نتائجها، فاعليتها عالية، أكثر بكثير من مستوى إمكاناتنا، من مستوى قدراتنا؛ **لأن** البركة هي سعة تفوق مسألة الأرقام، مسألة الإمكانات، تفوق حجم الشيء الواقعي بزيادة، زيادةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فبركته أيضاً في النتائج، في الآثار، فيما يترتب عليه، وهذا يمثل إغراءً كبيراً للعمل بالقرآن؛ **لأنه** لا شيء آخر له هذه الميزة بهذا المستوى، بهذا المقدار، بركته عجيبة، **الجهود التي تبذل لأمةٍ تتحرك على أساسه يباركها الله، فتأتي البركة في كل شيء: بركةٌ في الأعمال، بركةٌ في النتائج، بركةٌ في الآثار، بركةٌ في كل مجالات الحياة، الأمة التي تتحرك على أساسه، تهتدي به، تلتزم به، تستبصر به، تعي به، تنطلق على أساسه، تقف المواقف التي يرشد إليها، سيمنحها الله أيضاً البركة فيما يمنحها من الخيرات، في أرزاقها، فيما يكتبه لها من النصر، فيما يكتبه لها من الخير في كل شؤون حياتها.**

القرآن نور يضيء لنا واقع الحياة

مما وصفه الله به، أنه نور، القرآن هو نور، وتكرر الوصف له كثيراً في القرآن الكريم، من ضمن ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[١]، وكذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾[٢]، **يعني**: إلى رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣].

١- المائدة: من الآية ١٥

٢- إبراهيم: من الآية ١

٣- إبراهيم: من الآية ١

٧

الحالة التي يكون الإنسان فيها بدون الهداية الإلهية هي حالة ظلمات؛ لأنه لا يبصر فيها الحقائق، لا يبصر فيها الخير بالفعل، لا يبصر فيها الطريقة الصحيحة التي بها فوزه، بها نجاته، بها سعادته، وتتكون لديه تصورات وتخيلات؛ **وبالتالي** ثقافات ومفاهيم خاطئة، فتمثل ظلمات تحول بينه وبين أن يرى الحقيقة كما هي، والحق كما هو، والخير كما هو، وتنعكس عنده الأمور في كثيرٍ من الأشياء، فيصبح لديه مفاهيم خاطئة، تصورات خاطئة، عقائد باطلة، أفكار خاطئة، وتشكل تلك الأفكار الظلامية حاجزاً يحجبه عن إدراك الحق والحقائق، عن إدراك الاتجاه الصحيح، فيتخبط في مسيرة حياته، في مواقفه، في أعماله، في قراراته، في تصرفاته، في سلوكياته، على المستوى الشخصي، أو على مستوى المجتمع الذي يتجه اتجاهاً بعيداً عن القرآن الكريم، يعتمد له نظاماً مخالفاً للقرآن الكريم، يبني مسيرة حياته على أساسٍ مناقضٍ للقرآن الكريم، فينتج عن ذلك انحرافات وحالة خطيرة **جدًّا** من التخبط.

فالقرآن هو نور؛ لأنه يقدم لك ما يضيء لك في واقع الحياة، فينير لك الدرب، ينير لك الطريق الموصلة فعلاً إلى الله سبحانه وتعالى، إلى خير الدنيا والآخرة، إلى الفوز العظيم، إلى النجاة من عذاب الله، إلى النجاة من الشقاء والخسران، ما يسمو بك، ولذلك هو يهدي، يهدي إلى الصراط المستقيم، فتتجه في مسيرة حياتك الاتجاه الصحيح الموصل إلى الغاية العظمى، إلى النتيجة الكبرى، إلى الفوز العظيم، وإلا كانت مسيرة الإنسان منحرفة، يتجه ويتخبط في هذه الحياة فلا يصل إلى النتيجة العظيمة، إلى الغاية العظيمة، إلى العاقبة الحسنة، وبعد شقاء الدنيا يكون مصيره- والعياذ بالله- إلى النار في الآخرة.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(١)، ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٢)، وتجلى ذلك في حركة رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، كيف أخرج الناس من الظلمات، كم كان لديهم من العقائد الباطلة، التي يبنون عليها أمورهم العملية، كم كان لديهم من المفاهيم والتصورات الخرافية والجاهلة والخاطئة، التي تتسبب في ضلالهم على المستوى العملي، كم كان لديهم من سلوكيات وأخلاقيات منحرفة وبشعة، لا تنسجم مع الكرامة الإنسانية، لا تنسجم مع ما أراده الله للإنسان وكرَّمه به من السمو في أخلاقه، في رشده، في تصرفاته، فبمسعى رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، بتبليغه للرسالة الإلهية، بجهوده الكبيرة، بأدائه العظيم، الذي تجسدت فيه حكمة القرآن الكريم، وبركة القرآن الكريم، غيَّر الواقع الذي كان سائداً آنذاك، واقع الجاهلية بكل ما تعنيه، وانتقل بالمجتمع نقلةً عظيمةً، ونقلةً كبيرةً **جدًّا**، ترتب عليها نقلةٌ كبيرة في واقع حياة المجتمع العربي آنذاك، المجتمع العربي الذي كان في واقع حياته، في ظروف حياته، دون مستوى بقية المجتمعات، أولئك الأميون، يعرفون بالأميين، ليس لديهم ثقافة، أكثر ما لديهم خرافات، وأساطير، وضلالات، وجهالات، وحالة من الشتات والفرقة لا مثيل لها لدى غيرهم من الأمم، والتخلف في شؤون حياتهم بشكلٍ كبير، بالنقلة التي أحدثها الرسول صلوات الله عليه وعلى آله لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وصلوا في أعلى مستوى في المجتمع البشري آنذاك، فسادوا بقية الأمم على وجه الأرض، نقلة في فارقٍ زمنيٍ بسيط، انتقلت بهم، وغيَّرت واقعهم تماماً، لو استمروا وواصلوا على ذلك، لما كان واقع حالهم على ما هو عليه اليوم. ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(٣).

١- المائدة: ١٥-١٦

٢- إبراهيم: من الآية ١

٣- إبراهيم: من الآية ١

القرآن المعجزة الخالدة

وهكذا أيضاً يبين لنا الله في القرآن الكريم عظمة كتابه، أنه كتابٌ عظيم الشأن، أحكمت آياته، تضمَّن الحكمة، وهو معجزةٌ للرسول صلى الله عليه وعلى آله

٧ ، قال الله عنه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]، **يعني**: لو تعاونوا، وتظافرت كل جهودهم جنباً إلى جنب؛ **لكي** يأتوا بمثل القرآن الكريم، لا يستطيعون أن يأتوا بمثله أبداً، لا في إحكامه، ولا في نظمه، ولا في بلاغته، ولا في حكمته، ولا بمستوى ما فيه من الهداية، هدايته هدايةٌ عجيبة شاملة واسعة، بشكلٍ عجيبٍ **جدًّا**، وهو أرقى ما أعطاه الله للبشر، ليس لديهم شيءٌ يرقى إلى مستواه، في أفكارهم، في نظرياتهم، في مقترحاتهم، في تصوراتهم، في كل إنتاجهم الفكري والثقافي والمعرفي، ليس لديهم شيءٌ يماثل القرآن الكريم، **في أي مجال من المجالات**:

- **الرؤى السياسية**: لا ترقى إلى مستوى ما في القرآن الكريم، ولا مقارنة، ليست شيئاً في مقابل ما في القرآن الكريم.
- **على المستوى الاقتصادي**: النظريات، المقترحات، الدراسات، كل نتاجهم المتعلق بذلك من الرؤى والأفكار لا يساوي شيئاً في مقابل ما هو في القرآن الكريم، في أثره، في واقعيته، في نتيجته الطيبة، في مستوى ما يفيد به البشر.
- **وهكذا، على المستوى التربوي، على المستوى الاجتماعي، على المستوى... على كل المستويات.**

١- الإسراء: الآية ٨٨

والقرآن الكريم وردت أوصافه المتنوعة وأسماؤه المتعددة، التي أيضاً تبين لنا جوانب من عظمته وأهميته بالنسبة لنا، ويتجلى لنا مدى إنعام الله علينا بذلك:

القرآن الحكيم في كل المجالات

من الأوصاف الأساسية للقرآن الكريم: الحكيم، وأتى القسم بالقرآن الكريم، والقسم به أيضاً يبين أهميته، وأنه نعمة وآية من آيات الله، ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[١]، قسمٌ بالقرآن وحكمة القرآن، وحكمة القرآن، القرآن هو حكيم، ما فيه حكمة، ما فيه من الهداية هو حكمة في مختلف المجالات، **عندما يهدينا إلى شؤون حياتنا في أي مجال من مجالات الحياة:** في المجال السياسي، أو المجال الاقتصادي، أو المجال الاجتماعي، أو المجال الأمني... أو في أي مجال من مجالات الحياة؛ **لأنه** كتابٌ يهدينا في حياتنا، في شؤون حياتنا، فيما يوصلنا إلى الله، وإلى رحمته، ويصلنا بفضله وكرمه ورحمته، والآخرة أيضاً، في الدنيا والآخرة، ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾، **ومن أهم ما نحتاج إليه هو الحكمة؛ لأن** البديل عن الحكمة هو الحماقة، والعشوائية، والتوجهات الخاطئة، والأفكار الخاطئة، والمفاهيم الخاطئة؛ **وبالتالي** التحرك على أساسها يكون تحركاً خاطئاً، مهما أخلص الناس وبذلوا من جهد.

إنه كتابٌ حكيم، إلى درجة أن يوصف بالحكيم، ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[٢]، كل ما يهدينا الله فيه إليه من الأعمال، أعمال حكيمة، من التصرفات، تصرفات حكيمة، من السلوكيات، من المواقف، من... كل ما فيه على هذا الأساس، يجعل منا أمةً حكيمة، راشدةً في فكرها، مستقيمةً ومتوازنةً في أعمالها ومواقفها وسياساتها،

١- يس: الآية ٢

٢- الإسراء: من الآية ٣٩

الإنسان بحاجة إلى هذا على المستوى الشخصي، والأمة كأمة وكمجتمع.

ولذلك تتجلى لنا الخسارة الرهيبة للمسلمين عندما تركوا الاهتداء بالقرآن الكريم في كثيرٍ من شؤون حياتهم، وفي مجالات رئيسية من مجالات الحياة، كيف فقدوا الحكمة، فقدوا الحكمة، وأنتجوا، أو اكتسبوا، أو تقبَّلوا بدائل، بدائل عن حكمة القرآن، عن هداية الله في القرآن، مما هو ضلال، مما هو حماقة، مما هو غباء، مما سبب لهم التعاسة، العناء، الشقاء، مما كان له تأثيرات سيئة **جدًّا** في شؤون حياتهم.

٧

القرآن المجيد

مما ورد في القرآن الكريم: الوصف له بالمجد، وكذلك في سياق قسم أيضاً: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[1]، فهو قسمٌ بالقرآن ومجده، القرآن كتابٌ مجيد، الأمة إذا التزمت به، إذا اهتدت به في شؤون حياتها، تكتسب المجد لنفسها؛ **لأن** كل هداية الله في القرآن الكريم هي هدايةٌ تسمو بنا، ترقى بنا، تكسبنا الشرف، ليس فيها شيءٌ يحط المجتمع البشري، يسيء إليه، أو يسبب له الهوان، أو ينزل به إلى الدناءة والانحطاط.

القرآن الكريم كل ما فيه من هداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **رفعة، عزة، شرف، سمو، وكذلك قوة، وبالتالي كل ما يتحقق به المجد للأمة، إذا سارت عليه،** تكون أمةً مجيدةً، تكسب المجد لنفسها، أمةً تسمو، وتزكو، وتقوى، وتعظم، وتبتعد عن كل ما فيه الانحطاط، والدناءة، والسقوط، والضعة، وهذا من أهم ما تسمو إليه وتتوق إليه النفس البشرية الكريمة، التي بقي فيه كرامة، فهي دائماً تتوق إلى المجد، وتترفع عن الضعة، عن السقوط، والقرآن الكريم كفيلٌ، لو اتبعته الأمة الإسلامية واهتدت به بشكلٍ متكامل في مسيرة

١- ق: الآية ١

حياتها، أن يرقى بها لأن تسود بقية الأمم، وأن تقود المجتمع البشري، تقوده على نحوٍ صحيح، بما فيه الخير له، على أساسٍ من المبادئ والقيم الإلهية، التي تصلح بها الحياة، وتستقيم بها الحياة، ويسمو بها الإنسان، ويزكو بها الإنسان، فتحفظ للإنسان كرامته الإنسانية، ولكن هذا أيضاً لا يقتصر فقط على الأمة بشكلٍ كامل، أي مجتمع، أي أمةٍ من داخل الأمة تسير على هذا الأساس ستكسب المجد لنفسها.

القرآن كتاب عزيز

مما ورد من أوصاف القرآن الكريم: العزيز، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[١]، القرآن الكريم أيضاً هو من تجليات عزة الله سبحانه وتعالى، هو عزيزٌ من حيث أنه لا يقبل شيئاً من الباطل، لا يقبل الاختلال في نظمه، وبلاغته، وحكمته، أحكمت آياته، فلا مجال للخلل فيها أبداً، وعزيزٌ في أن الله حفظ نصه، وبقي سليماً من الاختراق في نصه، وعزيزٌ أيضاً فيما يهدي إليه، ليس فيه رؤى سخيفة، أو أفكار باطلة يتبناها، هو يعرض أفكار الآخرين ويبطلها، يزهق باطلهم، يدحضها، يفندها، لكن هو عزيزٌ.

أيضاً في أثره التربوي، هو يربي على العزة، يربي النفس البشرية على العزة، ويسمو بها، يربي المجتمع الذي يهتدي به على العزة، ويقدم أيضاً من الهداية ما إن تمسكت به الأمة، أو تمسَّك به أي مجتمع من هذه الأمة؛ **يعتز**، ليس فيه أفكار، أو ثقافات، أو مفاهيم، أو تعليمات، أو توجيهات، تسبب للأمة الهوان والذلة، على العكس، **مشكلة الأمة حين ذلت:** أنها ابتعدت عمَّا في القرآن الكريم من هدايةٍ تعتز بها لو سارت عليها، لو اتبعت ذلك الذي ورد في القرآن الكريم والتزمت به.

١- فصلت: من الآية ٤١

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾، **فهو عزيزٌ في نفسه، عزيزٌ في عطائه، عزيزٌ في ما يهدي إليه، وما يهدي إليه فيه العزة.**

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]،

وهو تنزيلٌ من الله الحكيم، ما يقدمه حكمة، ما يهدي إليه حكمة، ما يدعو إليه وفقاً لحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والحميد**، ما يدعونا إليه، ما يوجهنا به فيه الحمد، فيه الشرف الكبير، ليس فيه ما يخجل الإنسان، يحط من قيمته وكرامته الإنسانية، يسيء إلى إنسانيته، مثلما في كثير من الآراء والثقافات والمفاهيم الخاطئة، فيها ما يحط من كرامة الإنسان، من منزلته، يسيء إليه، يكون له تأثيراته السيئة عليه، وعلى واقع المجتمع كمجتمع. ٧

القرآن كتاب هداية للتي هي أقوم

والقرآن الكريم هو كتاب هداية، الوظيفة الرئيسية للقرآن الكريم الهداية، الله قال، كما تلونا في بداية المحاضرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، هداية، قال عنه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[٢]، قال عنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٣]، فما يهدينا إليه القرآن الكريم، هو هدايةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للأقوم في كل شيء، للأرقى في كل شيء، للأنجح في كل شيء، للأفضل في كل شيء، فهو ليس فقط يقدِّم مثلاً الرؤية الصحيحة، أو الفكرة الصحيحة في موضوع معين، أو التعليم الصحيح تجاه موقفٍ معين، أو قضيةٍ معينة؛ **إنما** أحسن، أحسن، وأفضل، وأرقى، وأسمى، وخير ما يستقيم به الأمر في ذلك، أفضل ما يستقيم به الأمر في ذلك يقدمه لنا القرآن الكريم، يقدم شيئاً راقياً **جدًّا** وعظيماً،

١- فصلت: الآية ٤٢

٢- المائدة: من الآية ١٦

٣- الإسراء: من الآية ٩

بحيث لا يستطيع بشرٌ أن يقدم ما هو أرقى من ذلك، أفضل من ذلك، أنجح من ذلك، أحسن عاقبةً من ذلك، أفضل أثراً من ذلك، يقدم الأرقى دائماً.

ولهذا من الخسران الكبير على المسلمين أن يبحثوا عن بدائل عن القرآن الكريم، وأحياناً بغرور، بنظرة إكبار وإعجاب إلى تلك البدائل التي هي- في أغلب الأحوال- ليست فقط دون مستوى ما يهدي إليه الله في القرآن الكريم، وإنما ليست شيئاً، ليست شيئاً مفيداً، ولا نافعاً، ولا صالحاً، ولا تستقيم به الحياة، يترتب عليه النتائج السيئة.

ولذلك عندما نتحرك في مسيرة حياتنا، نريد أن نقف موقفاً، الطريقة الصحيحة أن ننظر ما الذي يهدي إليه الله في القرآن الكريم، فنقف الموقف الذي يهدي إليه، وبكل ثقة، بكل اطمئنان، **في** مواقفنا نعتمد على القرآن الكريم، **في** ولاءاتنا لنعتمد على القرآن الكريم، **في** نظم شؤون حياتنا في المجال الاقتصادي لنعتمد على القرآن الكريم بثقة، ما الذي يثنينا عن ذلك؟! ما الذي يصرفنا عن ذلك؟! ما الذي يبرر لنا أن نبحث عن بدائل تخالف القرآن الكريم، وتتناقض معه؟!

فعندما نفهم أن القرآن الكريم كتاب هداية، لنعتمد عليه في كل مسيرة حياتنا، بدءاً من الجانب الإيماني، الجانب الإيماني الذي نحتاج إلى تنميته، يعتمد في بداية الأمر وفي أول شيء على معرفة الله ﷻ، نحن كعالمٍ إسلامي تنقصنا المعرفة بالله، وكان لهذا آثار سلبية علينا في مدى ثقتنا بالله، اعتمادنا على الله، حتى في علاقتنا بالقرآن، والقرآن يعالج لنا هذه المشكلة، القرآن الكريم في أهميته وأثره العظيم فيما يتعلق بمجال معرفة الله أن الله قال عنه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

﴿الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]، لو نزل القرآن على جبلٍ واستوعبه، لخشع من خشية الله إلى أرقى مستوى، لبلغ في معرفته بالله، وبالتالي في خشيته من الله، إلى درجة أن يتصدع، وأن يظهر عليه الخشوع، ﴿لَرَأَيْتَهُ﴾: يتجلى ويظهر في حاله إلى درجة التصدع من خشية الله سبحانه وتعالى فالقرآن الكريم كفيلٌ في عطائه في هذا المجال (في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى) أن يرتقي بك في معرفتك، وبالتالي في إيمانك بالله، وثقتك بالله، وخشيتك من الله، إلى مستوى عظيم، ولا يماثله شيءٌ في ذلك، وهو من أهم ما نعود فيه إلى القرآن، وما ينبغي علينا أن نعود فيه إلى القرآن الكريم، وأن نركز عليه في القرآن الكريم. ٧

القرآن شفاء وتزكية للنفوس

كما أسلفنا فيما يتعلق بأثر القرآن على المستوى التربوي، الله قال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، **(مَا هُوَ شِفَاءٌ)**: شفاء للنفس البشرية مما قد تلوثت به، تدنست به مما يتناقض مع فطرتها، مما يؤثر سلباً على فطرتها، القيم الخيّرة، الصفات الحميدة، مكارم الأخلاق، في منابع الفضيلة والخير، مختلف أنواع الفضائل هي موجودةٌ في الفطرة البشرية، فطر الله الناس عليها، ولذلك الإنسان يقر بهذه الحقيقة، يتبناها بشكلٍ كبير في مسيرة حياته، حتى العناوين تبقى عناوين عند الجميع، وإن لم تكن على مستوى المصداقية قائمةً لدى الكثير.

فالإنسان بحاجة إلى القرآن الكريم على المستوى التربوي، هو يربي نفسية الإنسان تربيةً راقيةً عظيمة، ويسمو بها، ويحيي فيها وينمي فيها ما أودعه الله في فطرتها من مكارم الأخلاق، من الفضائل، من المعاني العظيمة التي ميزت الإنسان، وأكسبته الكرامة، وتعزز من دوره، وتهيئ له أيضاً أن يندفع

١- الحشر: الآية ٢١

٢- الإسراء: من الآية ٨٢

في مسيرة حياته في الأعمال الصالحة، في المواقف الصالحة، في الاتجاه الصحيح، برغبة كبيرة، بقناعة تامة؛ **لأن** القيم العظيمة وزكاء النفس يساعده على ذلك، فينطلق ملتزماً، يمقت مساوئ الأخلاق، يكره الرذائل، نفسه عزيزة، نفسه كريمة، تترفع عن الأشياء السيئة والمنحطة والدنيئة، تترفع عن الذلة والهوان والخزي، تنسجم مع ما فيه الخير، مع ما يحقق له كرامته الإنسانية. ٧

من المهام الأساسية للقرآن من خلال الرسول: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾[1]، صلوات الله على رسول الله وعلى آله **هو كان يزكي بالقرآن، بهداية القرآن، تعليمات الله في القرآن.**

من أهم ما نهتدي به في القرآن: تحديد المسؤوليات

من أهم ما يجب أن نستفيده من القرآن، وأن نهتدي من خلال القرآن الكريم إليه، هو: تحديد مسؤولياتنا كأمةٍ مسلمة: أولاً المسؤوليات كمجتمع بشري، ما هو دورنا، لماذا استخلفنا الله في الأرض، كيفية هذا الاستخلاف، وما يحقق لنا النجاح فيه في الدنيا والآخرة، في عواقبه في الآخرة، ثم على مستوى مسؤولياتنا والتزاماتنا الأخلاقية، والدينية، والإيمانية، التي حددها الله في القرآن الكريم؛ **لأن** البعض يرسخ في أوساط الناس أننا أمة بلا مسؤولية، ليس لدينا التزامات ولا مسؤوليات، أمة تبقى هكذا خاضعة، تقودها بقية الأمم، تتدخل في شؤونها بقية الأمم، تتحكم فيها بقية الأمم، ليس لها هدف، ليس لها رسالة، ليس لها دور عالمي، ولا دور حتى في واقع نفسها، وإنما تبقى هكذا على ما هي عليه في هذا العصر، وهذه كارثة، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، وحتى بتفسير أن الآية تعني في المقدمة وبشكلٍ رئيسي أخيار هذه الأمة وصفوتها، لكن على أساس أنهم يقودونها ويسيرون

١- البقرة: من الآية ١٢٩

٢- آل عمران: من الآية ١١٠

بها في مسؤوليتها، **يعني:** مسؤولية هي هذه المسؤولية في الأساس، وإن كان الذي يضطلع بهذا الدور في الحركة بالأمة على أساسه أخيار هذه الأمة، وصفوتها، الصالحون منها.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، لديكم مسؤولية، مسؤولية عالمية ٧
تتحركون فيها، ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، هذه رسالتكم، المعروف الذي يحارَب، المعروف في كل المجالات، الذي يُغيّب، ويحل بدلاً عنه المنكر وأهل المنكر، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

مسيرة إيمانية، فيها مسؤولية عالمية، مسؤولية كبيرة، بدءاً من داخل الأمة، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، فنحن أمة لديها مسؤوليات، ليست المسألة أن نبقى في قرانا ومساجدنا وبيوتنا، ومن منزلك إلى مسجدك، وليس لك دُخل في أي شيء، وأنت منعزل عن واقع هذه الحياة، وما يجري في هذه الحياة، وما يحدث في واقع هذه الحياة، أنت كمنتمٍ للإسلام مكلف بأن تكون ضمن أمة تحارب الظلم، تحارب الفساد، تحارب الطغيان، تتصدى للمنكر، تتصدى للشر والأشرار، تصلح في أرض الله، تصلح عباد الله، مسؤولية جماعية ومسؤولية مهمة، والقرآن يهدينا إلى مسؤولياتنا، يعرِّفنا بها، يؤكد لنا عليها، وعمَّا يترتب عليها، وعن خطورة الإخلال

١- آل عمران: الآية ١٠٤

٢- المائدة: الآية ٥٤

بها، ويهدينا إلى ما يبنينا لنكون في مستوى النهوض بهذه المسؤوليات، ما يبنينا معرفياً، ثقافياً، تربوياً، ما يبنينا على المستوى العملي، ما يبنينا على المستوى العملي، كيف نتحرك للنهوض بهذه المسؤولية، ونقتدي برسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه في طريقته، وفي مسيرته، وفي حركته بالرسالة الإلهية، وفي بناء الأمة.

من أهم ما نهتدي به في القرآن: الوعي عن الأعداء والمخاطر

من أهم ما نهتدي به في القرآن الكريم- وخسرت الأمة كثيراً؛ **لأنها** غيَّبته- الهداية في مجال الوعي عن الأعداء، وعن التحديات، وعن المخاطر، وهذا مما حصل فيه جهلٌ رهيب، وغباءٌ كبير، وانحرافات كارثية، وسياسات خاطئة للغاية، إلى حد كارثي، أوقع الأمة في مآزق، وهوى بها إلى الأسفل، ومكَّن أعداءها منها، وتكبَّدت الأمة بسببه خسائر رهيبة للغاية، فقدت الوعي عن الأعداء، من هم الأعداء؟ القرآن يحدد لك من هو العدو، وهذا من أهم ما تحتاج إليه الأمة؛ **لأن** هناك عملية تضليل كبيرة في داخل الأمة عمَّن هو العدو، ومن هو الصديق، من هو العدو؟ القرآن يحدد لك من هم أعداؤك كمسلم، ولماذا هم أعداؤك، وعلى أي أساس، ما هي حقيقة مشكلتك معهم، ومشكلتهم معك، حديث واسع في القرآن الكريم، وحديث واسع عمَّا يبني الأمة للتصدي لمخاطر الأعداء، حديث عن طبيعة نشاط الأعداء، طريقتهم في استهداف الأمة، الأسلوب الصحيح لمواجهتهم، مجالات المواجهة معهم، حديثٌ واسعٌ **جدًّا** فيه ما يكفي ويفي لدرء الأخطار عن هذه الأمة، ولتكون في منعة من أعدائها، وعزة، وعلى قاعدة مهمة أوردها الله في القرآن الكريم، هي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾[1]، **أعلم بهم** من هم، **أعلم بهم** كيف هم، **أعلم بهم** ماذا يفعلون، ما هي سياساتهم، ما هي أساليبهم،

١- النساء: من الآية٤٥

أعلم بهم كيف هو مستوى خطورتهم عليكم، **أعلم بهم** ما هي نقاط الضعف لديهم، ما هو الأسلوب الصحيح في مواجهتهم، ما هي السياسات الحكيمة والراشدة والمثمرة والمفيدة تجاههم... وهكذا، **(أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ) دائرة واسعة تشمل كل ما يتعلق بالعدو، وما يتعلق بنا تجاه العدو.**

القرآن ميسّر لمن تأمل وتدبر

ومع كل مزاياه العظيمة التي هذا جزءٌ يسيرٌ منها، مزاياه أكبر وأعظم، فقد يسَّره الله للذكر، عندما نتلو القرآن الكريم بتدبر، بتأمل؛ **نستفيد،** بدايةً مما يقدِّمه بشكلٍ واضحٍ **جدًّا،** وبشكلٍ بديهيٍ وسريع، من اللحظة الأولى، بأدنى تأمل، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١]؛ **إنما** كيف نلتفت إلى واقعنا ونحن نتأمل القرآن، ونقيِّم واقعنا على هذا الأساس، هدايته واسعة، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[٢]، **ولا يتحقق للأمة أن تصلح واقعها، إلاّ إذا تمسكت به، واهتدت به، وسارت على أساس هديه،** ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[٣]، طريق الإصلاح للنفس، طريق الإصلاح لواقع المجتمع، طريق الإصلاح في حالة الأمة، لكل ما قد تخرَّب في داخل هذه الأمة، هو عن طريق القرآن الكريم، والتمسك به، والاهتداء به.

الحديث عن القرآن الكريم يمكن أن يطول كثيراً، لكن من خلال التلاوة، من خلال الاهتمام بثقافته، الإنسان يستفيد أكثر وأكثر، وتتعزز علاقته بالقرآن أكثر وأكثر، **والأهم من كل ذلك:** ما يمنحك الله من خلال إقبالك

١- القمر: الآية١٧

٢- الروم: من الآية٥٨

٣- الأعراف: الآية١٧٠

إلى القرآن من الاهتداء به، والأنس به، والاستيعاب- ولو إلى حدٍ ما- لعظمة هذا الكتاب وأهميته.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يهدينا بكتابه، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال. ٧

وَالسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

الدعـــاء

معناه.. أهميته.. أسباب الاستجابة وموانعها

أَعُـوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلَّا اللـهُ الملـكُ الحـقُّ المُبين، وأشـهَدُ أنَّ سـيدَنا مُحَمَّــداً عبدُهُ ورَسُــوْلُه خاتـمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّــدٍ وعلى آلِ مُحَمَّــد، وبارِكْ على مُحَمَّــدٍ وعلى آلِ مُحَمَّــد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضـاك عـن أصحابـه الأخيار المنتجبين، وعن سـائر عبادك الصالحـين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهـم اهدنـا، وتقبَّـل منـا، إنـك أنـت السـميع العليـم، وتـب علينـا، إنـك أنـت التـواب الرحيـم.

مـن ضمـن الآيـات المباركـة التـي أتـت في سياق الحديث عـن فريضـة صيـام شـهر رمضـان- الآيـات المباركـة في سـورة البقـرة- أتى قـول اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

١- البقرة: الآية ١٨٦

الدعاء في الحالة الإيمانية هو من لوازم الإيمان، وجزءٌ مما يعبِّر به الإنسان المؤمن عن إيمانه، فالدعاء يعبِّر عن إيمانك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أنه** الحي القيوم، **أنه** المدبر لشأنك، وشؤون السماوات والأرض، وشؤون الخلائق أجمعين، **أنه** الرحيم الكريم، **أنه** أرحم الراحمين، **أنه** سميع الدعاء، **أنه** المنعم المتفضل، **أنه** الملاذ والملجأ، الذي تلجأ إليه، وتلوذ به، وتفر إليه من كل هموم هذه الحياة، ومن كل التحديات والمخاطر فيها.

ومن جانبٍ آخر، هو يعبِّر ويدل على تذكُّرك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنك ذاكرٌ له، لست غافلاً عنه، لست ناسياً له، الحالة البديلة عن الدعاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **هي:** حالة النسيان لله، والالتجاء إلى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأن** الإنسان هو عبدٌ ضعيفٌ مفتقرٌ دائماً، يحتاج إلى العون، يحتاج إلى الرعاية، يحتاج إلى المساعدة، هو **إمَّا** أن يكون متوجِّهاً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وإلَّا** كان البديل أن يتوجه إلى غير الله، إلى أمثاله من العبيد الضعفاء المحتاجين، الفقراء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهو أيضاً يعبِّر عن رجائك كإنسانٍ مؤمن، أنك ترجو الله، ترجو رحمته، ترجو فضله، تثق به، تتوكل عليه، أنك منيبٌ إليه، توَّابٌ إليه، رجَّاعٌ دائماً في كل المهمات والملمات، وفي كل الأحوال والظروف، إلى رحمته وكرمه وفضله، فالدعاء موقعه من الإيمان هذا الموقع المهم **جدًّا**، والذي **لابدَّ منه في الحالة الإيمانية**.

بالدعاء تعبر عن عمق علاقتك مع الله سبحانه

في إطار الحديث عن صيام شهر رمضان المبارك في الآيات المباركة من سورة البقرة، أتت هذه الآية المباركة، بهذا التعبير الرقيق، الذي يعبِّر عن رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن كرمه، وعن فضله، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو القريب من عباده،

يعلم بكل أحوالهم وظروفهم، ويسمع دعاءهم ونداءهم، يَذْكُر من ذَكَرَه، ويَشْكُر من شَكَرَه، وهو ﷻ يسمع الدعاء، ويجيب الدعاء، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ويَسَّر لعباده مسألة الدعاء، فليست مسألةً معقَّدةً في وسائلها، وليست مسألةً ترتبط بأشخاص محددين فقط، يَسَّر المسألة إلى هذا المستوى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فهو يجيب كل من دعاه

٨ إذا دعاه، **وفق** حكمته ورحمته ﷻ وتدبيره، وهو الحي القيوم، **ووفق** ما يتعلق أيضاً بأحوال الداعي إذا دعا، وهو ما نتحدث عن بعضٍ منه على نحوٍ مختصرٍ إن شاء الله.

في مسألة الدعاء، الدعاء حالةٌ مطلوبةٌ من الإنسان في كل الأحوال؛

لأنها- كما قلنا- جزءٌ من إيمانه، ومن التزاماته الإيمانية، ومن اهتماماته الإيمانية، تعبِّر عن عمق علاقته بالله ﷻ، فهي حالةٌ مطلوبةٌ في العسر واليسر، وفي الشدة والرخاء، وفي مختلف الحالات، وفي مختلف الظروف، وفي مختلف الأوقات، فالإنسان المؤمن لا يغفل عن الله بشكلٍ مستمر، لا يبقى في حالةٍ من الغفلة والنسيان والإعراض، وينكفئ على نفسه في همومه، في مشاكل حياته، في آماله ورغباته، في متطلبات حياته، كل شيءٍ في واقع حياته يشده إلى الله، حالة اليسر تشده إلى الله، وحالة العسر كذلك، حالة الرخاء تشده إلى الله، وحالة الشدة كذلك، الاهتمامات التي لديه المتعلقة بإيمانه ودينه ومستقبله في آخرته تشده إلى الله ﷻ، وظروف وشؤون حياته هذه، بكل ما فيها من هموم ومشاكل ومعاناة، وبكل ما فيها من يسرٍ وخيرٍ، تشده إلى الله ﷻ، فهو ذلك الذي يلتجئ إلى الله دوماً، ويتوجه إليه بالدعاء في كل الحالات، كل شيءٍ يشده إلى الله، يدفعه إلى الدعاء لله ﷻ.

البرنامج العبادي في الذكر والصلاة يشده إلى الله ﷻ، الأوقات المباركة، الأوقات المميزة، التي تعتبر فرص الاستجابة فيها أكثر، من أهم الأوقات عند الإنسان المؤمن التي يحاول أن يقتنص الفرصة فيها، وألَّا تفوته الفرصة فيها، فهو أيضاً يبحث عن تلك الأوقات، وهو أيضاً يحرص عليها، يحرص على المناسبات، على الأعمال؛ **لأن** هناك من الأوقات، ومن الأعمال، ومن الحالات، ما تكون فرصة الاستجابة فيها للدعاء أكثر، فهو يحرص على تلك الأوقات المميزة، الحالات المميزة، **ومنها:** شهر رمضان، **ومنها:** ليلة القدر أيضاً في داخل شهر رمضان، **ومنها:** العشر الأواخر في شهر رمضان، **ومنها:** الأوقات المباركة على الدوام، **مثل:** أوقات السحر، أوقات آخر الليل، **مثل:** عقب الصلوات... أوقات متعددة تعطى فيها للإنسان فرصة أن يدعو الله ﷻ، وأن يحظى بالاستجابة من الله ﷻ.

ففي الآية المباركة يأتي الحث والترغيب في الدعاء، ما أكرم الله! ما أعظم رحمته وفضله! هو الذي يدعونا أن ندعوه، هو الذي يحثنا على أن ندعوه، هو الذي يرغِّبنا في أن ندعوه، ويعدنا بالاستجابة، ويرشدنا إلى أسباب الاستجابة، ويحذِّرنا من العوائق التي تمثِّل مشكلةً لنا وعائقاً في أن نحظى بالاستجابة.

في هذه الآية المباركة هو يقدِّم هذا العرض المبارك منه ﷻ، يعرضه علينا، ينادينا، ويدعونا، ويرغِّبنا، هل نريد أكثر من ذلك؟! إلى درجة أن يعد هذا الوعد بالاستجابة: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، والله يريد من كل عباده أن يدعوه، وليس فقط أن يتصوروا أنَّ هذه المسألة خاصةٌ بمن بلغوا منتهى الصلاح منهم، أو بلغوا أعلى مستويات الإيمان منهم، **الكل عليهم أن يتوجهوا إلى الله ﷻ بالدعاء، وأن يحرصوا -في الوقت نفسه- على أسباب الاستجابة.**

أسباب استجابة الدعاء والعوائق أمامها

في آخر الآية المباركة قال جَلَّ شَأنُه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، إذا أردنا أن يستجيب الله دعاءنا، ووفق حكمته، وتحت سقف حكمته، وبمقتضى ما يدبِّره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأنه** الحي، القيوم، الرحيم، عالم الغيب والشهادة، الأعلم بمصلحتنا منا، الأعلم بما فيه الخير لنا حتى منا، إذا أردنا أن نعرف أسباب الاستجابة، فلنلحظ قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، فلنستجب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولنؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إيماناً ثمرته الثقة بالله، التوكل على الله، الرجاء الصادق في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا الإيمان وهذه الاستجابة هي ما ينقصنا كثيراً في واقعنا، وهي ما يؤثِّر علينا، **إلى درجة أن يتساءل الإنسان:** لماذا أدعو فلا يستجاب لي في أكثر الأمور؟]، هناك نقصٌ كبير في مسألة الاستجابة، الاستجابة الجزئية التي هي الحالة الغالبة السائدة في مجتمعنا الإسلامي، في واقعنا بشكلٍ عام، مع إهمال لأشياء أساسية لا تحصل الاستجابة فيها من جانب الناس، من جانب مجتمعنا الإسلامي، من جانبنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هي تمثل مشكلةً كبيرةً علينا.

٨

المطلوب في الاستجابة أن تكون استجابةً شاملة، أن نستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مختلف التزاماتنا الإيمانية: في الجانب السلوكي، في الجانب الأخلاقي، في الجانب الروحي والعبادي، في جانب المسؤوليات التي حددها الله لنا، ورسمها لنا... في مختلف الجوانب، أن نتجه، أن يكون هذا هو التوجه الأساس نحو الاستجابة الشاملة، مع التوبة والإنابة إلى الله عند الزلل، عند التقصير، عند التفريط في شيءٍ ما، والرجوع العملي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عندما يكون التوجه نحو الاستجابة الكلية، الشاملة، المتكاملة، حالة قائمة في واقعنا، ونسعى لأن نبادر إلى تلافي أي تقصير، وأن نرجع إلى الله عند كل زلل، فالله هو أرحم الراحمين، هو أكرم الأكرمين، هو ذو الفضل الواسع العظيم، هو الذي لا يخلف وعده أبداً، لا يخلف الله وعده، والذي يفي بما وعد به، وهذه مسألة مهمة **جدًّا، من ضمن الاستجابة أن نستجيب لله في الدعاء نفسه**، أن نتوجه إلى الله بالدعاء؛ **لأن** هذا مما أمرنا به، ورغَّبنا فيه، ووجَّهنا إليه. ٨

أيضاً من ضمن الاستجابة الكاملة والشاملة: الاستجابة أيضاً في الأسباب العملية، يرتبط بالدعاء الأسباب العملية، ليس الدعاء بديلاً عن العمل، الدعاء في الحالة الإيمانية مرتبطٌ بالعمل، مبنيٌ على أساس الانطلاقة العملية، والاستجابة العملية، **مثلاً:** لا يمكن بأن نكتفي بالدعاء بأن ينصرنا الله على أعدائنا فحسب، ونتنصل عن مسؤولياتنا العملية التي ترتبط بالنصر، فالله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[١]، ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٢]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[٣]، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٤]... وهكذا تأتي تعليمات وتوجيهات كثيرة ترتبط بهذه المسألة، فنأتي في حالة الاستجابة الكاملة إلى الأخذ بهذه الأسباب العملية، وندعو الله، ندعوه بأن ينصرنا، ﴿وَانْصُرْنَا﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٥]، ندعوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من ميدان العمل، في إطار الأخذ بالأسباب العملية.

١- محمد: من الآية ٧

٢- التوبة: من الآية ٤١

٣- الأنفال: من الآية ٦٠

٤- الأنفال: من الآية ٤٦

٥- آل عمران: من الآية ١٤٧

في مسـألة الـرزق: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾[١]، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[٢]، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾[٣]، الأخـذ بالأسـباب العمليـة، ومـع الأسـباب العمليـة يـأتي الدعـاء أيضـاً.

ففـي إطـار الفـرص المميـزة لاسـتجابة الدعـاء، يـأتي شـهر رمضـان المبـارك، ٨
وتـأتي هـذه الآيـة المباركـة، التـي تلفـت نظرنـا إلى هـذه الفرصـة، وإلى أهميـة المسـألة بشـكلٍ عـام، ويـأتي في آخرهـا قولـه تعـالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، ومـا أحوجنـا إلى الرشـد! مـا أحوجنـا إلى أن نهتـدي إلى الخير في شـؤون ديننـا ودنيانـا، في شـؤون دنيانـا وآخرتنـا! مـا أكـثر مـا يتخبـط فيـه النـاس، وهـم يسـعون وراء الخـير، كل إنسـان يريـد الخـير لنفسـه، الإنسـان هـو مفطـورٌ عـلى ذلـك، يريـد الخـير لنفسـه، ولكـن مـا أكـثر الوسـائل، والأعـمال، والتصرفـات، التـي تصـدر مـن الإنسـان، ويريـد أن تكـون وسـيلةً يصـل بهـا إلى خـيرٍ لنفسـه، أو يحقـق بهـا خـيراً لنفسـه، فـلا يصـل، بـل ينتـج عـن الكثـير منهـا النتائـج السـيئة، المعاكسـة، يعمـل عمـلاً معينـاً، ينطلـق عـلى أسـاس رؤيـة معينـة، فكـرة معينـة، وهـي في عواقبهـا سـيئةٌ عليـه، لا توصلـه إلى الخـير، **الاهتـداء إلى الخـير يحتـاج إلى فكـرة صحيحـة، يعتمـد عـلى رؤيـة سـليمة**، اللـه ﷻ إذا اسـتجبنا لـه، إذا انطلقنـا وفـق هديـه، تعليماتـه، توجيهاتـه، هـو الأعلـم بالخـير لنـا، وهـو مصـدر كل الخـير ﷻ، بيـده الخـير، وهـو عـلى كل شيءٍ قديـر، فلـكي نرشـد، فلـكي نهتـدي للخـير في مسـاعينا، في أعمالنـا، في اهتماماتنـا، فيـما نطلبـه ونسـعى إليـه، نحتـاج إلى اللـه ﷻ، إلى هديـه، ونسـتجيب لـه، ونؤمـن بـه، وهـذا مـا يوصلنـا إلى الخـير كلـه في الدنيـا والآخـرة.

١- الملك: من الآية ١٥
٢- الجمعة: من الآية ١٠
٣- النساء: من الآية ٣٢

استجابة الدعاء يرتبط بها التدبير والحكمة الإلهية

استجابة الدعاء أيضاً يرتبط بها التدبير الإلهي، وليست مسألةً متروكةً إلى مزاج الإنسان، إلى سقفه وسقف رغباته، وأهوائه، وآماله التي قد لا تكون منضبطةً بالحكمة، ولا وفق تدبير الله العام الحكيم، الإنسان أحياناً ينطلق من منطلق رغباته، وأهوائه، والتي هي مزاجيةٌ إلى حدٍ كبير، ولا يلتفت لا إلى واقعه العملي من جهة، ولا إلى واقع الحياة من جهةٍ أخرى.

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1]، أمور الكون، أمور الحياة مُدَبَّرةٌ بتدبير الله الحي القيوم الحكيم، وهناك الأسباب والنتائج، والسنن التي رسمها الله في شؤون هذه الحياة، لا يمكن للإنسان، لا يمكن له هو وفق رغباته أن يخترق هذه السنن التي نظَّم الله واقع الحياة على أساسها، ولكن تبقى هناك مساحة مهمةٌ **جدًّا**، مساحةٌ هي الكفيلة بالانتقال بك إلى الخير، إلى الفلاح، هي الكفيلة بالنقلة بك إلى ساحة الرحمة الإلهية، الإنسان يدعو الله، ويكون واثقاً بالله، ومقتنعاً بأن الله هو الحكيم، هو المدبر لشؤون السماوات والأرض، هو الأعلم بمصلحته، فالإنسان أحياناً يطلب شيئاً من الله بإلحاح، وبعض الأشياء قد لا تكون مناسبةً للإنسان في علم الله سبحانه وتعالى، قد يترتب عليها ما يؤثر على الإنسان في حياته، أو في دينه، فيكون من رحمة الله سبحانه وتعالى ألَّا يستجيب لك في ذلك، وأن يبدلك خيراً منه، ويعطيك مكافأةً ورحمةً وتفضلاً منه في مقابل دعائك، التجائك، طلبك، ما هو خيرٌ لك.

١- الطلاق: من الآية ٣

الأنبياء وأهم ما يركزون عليه في الدعاء

في القرآن الكريم عندما نعود إلى أنبياء الله- والقرآن الكريم يتحدث عن دعائهم- نجد مختلف الأدعية، أنواع الأدعية، التي تتعلق بجوانب كثيرة، بشؤونٍ متعددة من ظروفهم وشؤونهم، **ونجد في مقدِّمة ما يطلبونه من الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **هو:** المغفرة، وهذا يعلمنا أن يكون في مقدمة ما نطلبه من الله، ومن أهم ما نطلبه من الله، هو المغفرة، **نحن بحاجة إلى المغفرة، لا شيء يضرنا كذنوبنا، كمعاصينا، كتقصيرنا، كتفريطنا**، لا شيء يسبب لنا أن نخسر الكثير الكثير من رعاية الله، من رحمته، من فضله، مثل المعاصي والذنوب، والتفريط والتقصير، ولذلك يأتي الطلب بالمغفرة من واقع الوعي بهذه الحقيقة، ومن واقع الوعي بخطورة الذنوب والمعاصي على مستقبل الإنسان الأبدي الدائم، الكبير والمهم والعظيم في الآخرة.

فنجد في دعاء أنبياء الله: نوح، وإبراهيم، وكذلك يعقوب، داوود، وسليمان، وموسى، وعيسى، وزكريا... أنبياء كثر نجد في أدعيتهم في القرآن الكريم التركيز على مسألة المغفرة، على جوانب مهمة يحتاج إليها الإنسان.

أيضاً في أدعية نبي الله نوح، مع الدعاء بالمغفرة، الدعاء بالنصر، بعد جهدٍ عملي كبير، تسعمائة وخمسين سنة من الصبر، من العمل، من الجهد، من المثابرة، ويأتي الدعاء بطلب النصر.

إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ**، أدعية متنوعة، منها طلب المغفرة، منها أدعية بالذرية المباركة والطيِّبة.**

يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ **في محنته الكبيرة، كيف كان دائم الرجوع إلى الله:** ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[1]، عانى من الحزن الشديد، والمحنة الشديدة،

١- يوسف: من الآية ٨٦

فصبر، وبثَّ شكواه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتجأ إلى الله بالدعاء على طول تلك المحنة التي استمرت لسنواتٍ طويلة؛ **حتى** فرَّج الله عنه حزنه، وكشف غمه.

أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في معاناته الصحية، التي صبر فيها لدهرٍ طويل، ووقتٍ طويل، والتجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالدعاء، حتى فرَّج الله عنه.

زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ - كلهم هؤلاء من أنبياء الله- عندما التجأ إلى الله في أن يرزقه الذرية الطيبة، حتى في وقتٍ متأخر، فالتجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واستجاب الله دعاءه. ٨

ونجد في دعائهم الالتجاء إلى الله من أعماق قلوبهم، التجاءً إلى الله التجاءً عميقاً، التوجه إلى الله توجهاً قوياً، توجهاً بالخشوع، والرغبة، والرهبة، إقبالاً عجيباً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك من موقع الثقة بالله، والرجاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يأس من رَوْحِ الله، ولا قنوط من رحمته.

مهما طالت المحن والشدائد لا تيأس من الفرج

نبي الله إبراهيم، ذكر الله عنه أنه قال: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[1]، لا قنوط من رحمة الله، لا يأس من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مهما طالت بالإنسان محنته، أو آلامه، أو همومه، أو... مهما كانت الظروف التي يعيشها الإنسان، مهما كان مستوى الصعوبات، والتعقيدات، والتحديات، التي يواجهها الإنسان، لا يأس ولا قنوط من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر الله عنه أنه قال لأبنائه: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[2]، **فمهما طالت المحنة، مهما كانت الغمة، مهما كانت التعقيدات والصعوبات، ومهما كان حجم المعاناة، لا يأس من رَوْحِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

١- الحجر: الآية ٥٦

٢- يوسف: من الآية ٨٧

الإنسان يبقى راجياً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رجاؤك جزءٌ من إيمانك الصادق، والإنسان له تجارب في مسألة الاستجابة، كل إنسان له تجارب في مسألة الاستجابة لدعائه، كيف يستجيب الله الدعاء في حالة الكرب والاضطرار، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾[1]، كم قد تكون الحالات الكثيرة التي توجه الإنسان إلى الله فيها وهو في حالة الاضطرار، الكرب الشديد، الضائقة الشديدة **جدًّا**، الألم الشديد **جدًّا**، فتضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتوجه من كل أعماق قلبه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مستغيثاً، راجياً، متضرعاً، فاستجاب الله له وفرَّج عنه، ولكن الإنسان ينسى.

كثيراً ما ينسى من كان من هذا النوع، الذي يلتجئ إلى الله في حالة الاضطرار الشديد، والضائقة الكبيرة **جدًّا**، ثم عندما يفرِّج الله عنه، عندما يخرج من تلك الحالة الشديدة يغفل، ينسى، يلهو، يعرض.

البعض من الناس هكذا حالهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، **من حالات اللؤم، من حالات الدناءة، من حالات الكفران للنعمة، من حالات الإساءة إلى الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والتنكر لفضله، لرحمته، لجميل ما أسداه، أن تتعامل مع الله على هذا النحو:** عند الضر الشديد، تدعو الله، تلتجئ إليه، تستغيثه، وعندما يفرِّج عنك، تعرض وتتجه في هذه الحياة وكأنك لم تدع الله ليكشف عنك ذلك الضر، وكأنه لم يكشف عنك ذلك الضر، أصبحت شخصيةً مختلفة، في ذهنك، في نفسك، في مشاعرك، لم تعد ذلك الذي أقبل إلى الله عند حالة الشدة الشديدة، والضر الشديد، تغيَّرت نفسيتك، تغيَّر إقبالك إلى الله، وتنكَّرت

١- النمل: من الآية ٦٢

٢- يونس: الآية ١٢

لله سبحانه وتعالى، واتجهت في واقع حياتك، في أعمالك، في تصرفاتك بما تسيء به إلى الله سبحانه وتعالى، حالة إسراف، ﴿مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾، يتنكَّر لله سبحانه وتعالى.

البعض من الناس حتى في حالة الشدة تقسو قلوبهم، يزداد يأسهم، يتنكَّرون لله سبحانه وتعالى، يفقدون الأمل والرجاء، وهي حالة خطيرة **جدًّا**، حالةٌ سيئة، لا تنسجم مع الإيمان أبداً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[1]، **يئوس**: لا يرجو الله، **وكفور**: يقنط من رحمة الله سبحانه وتعالى، فيزداد قسوةً، ويزداد يأساً، ويكون لذلك آثاره السيئة على نفسه، على تصرفاته، على أعماله، فقد يتجه في واقع حياته لمعالجة مشاكله، وهمومه، وظروفه، بالأعمال السيئة، بالأعمال التي هي معصيةٌ لله سبحانه وتعالى، وهذه حالةٌ خطيرة.

الشيء الصحيح بالنسبة للإنسان المؤمن: أنه عند كل شدة، وفي كل مشاكله، في كل مشاكله يلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، **أولاً**: من واقع الثقة بالله سبحانه وتعالى، والتوكل على الله، والرجاء في الله سبحانه وتعالى، وتوجهاً صادقاً، توجهاً بالتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا من أهم ما ينبغي أن يكون الإنسان عليه في حالة الدعاء لله سبحانه وتعالى، قال جلَّ شأنه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

المشاعر والأجواء التي يجب أن تسود حالة الدعاء

الدعاء هو عبادة، بل هو -كما ورد في الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله- مخ العبادة، موقعه في العبادة مهمٌ **جدًّا**، ونحن نعبِّر عن عبوديتنا لله، وافتقارنا إلى الله، وإيماننا بأنه المدبر لشؤون السماوات والأرض، من خلال الدعاء، كما أنه أيضاً صلة تعبِّر عن علاقتك الإيمانية بالله سبحانه وتعالى، في التجائك

١- هود: الآية ٩
٢- الأعراف: ٥٥-٥٦

٨

إليه، في مناجاته، في ذكره وشكره، ولهذا يأتي الأمر بذلك والحث عليه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]، توجهوا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستجب لكم.

فعندما نتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينبغي أن نكون في حالة التضرع، أن نتوجه بتضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن نكون في حالة الدعاء في حالة تضرعٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

٨ **يعني**: ألَّا نتجه في دعائنا بقلبٍ قاسٍ، وعينٍ جافة، وذهنٍ شارد، الحالة التي يتوجه الإنسان فيها بالدعاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومشاعره جامدة، لا خشوع، لا خضوع، لا استشعار للقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا استشعار لواقعك أنك تتوجه في تلك الحالة بالدعاء إلى الله، بالمناجاة لله، بالتخاطب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتكون في جوٍ بعيدٍ عن الأدب، أدب المقام، مقام العبد بين يدي ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنت تتوجه إلى الله، فمشاعرك الجامدة، قلبك القاسي، ذهنك الشارد، الذي لم يركِّز حتى معك، لم يركِّز حتى على ما تقول وأنت تدعو، هذه الحالة بعيدة عن الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مما يميز حالة الشدة، وحالة الاضطرار: أنَّ الإنسان يتوجه فيها بالدعاء من عمق قلبه، ووجدانه، وشعوره، فيكون توجهاً صادقاً، توجهاً يتجه فيه اتجاهاً بالوجدان والمشاعر، وليس فقط باللسان.

فالدعاء عندما يأتي كحالة فقط على أطراف اللسان، لا يعيش معها الإنسان بقلبه، بوجدانه، بفكره وذهنه، هي حالة لا مبالاة، تعبِّر عن عدم الاهتمام، عن عدم الجدية، وتعبِّر عن حالة الغفلة لدى الإنسان وهو يقدم الموضوع بشكلٍ عاديٍ **جدًّا**، هذه حالة في واقع الأمر لا يتعامل بها الإنسان مع الإنسان، إذا أراد منه شيئاً، هو يتعامل بطريقة محترمة، وبإقبال، إقبالٍ في الذهن، إقبالٍ في التعبير، إقبالٍ نفسي، **فالحالة التي نتوجه بها إلى الله**

١- غافر: من الآية ٦٠

ﷻ ينبغي أن تكون بتوجهٍ شعوريٍ ووجدانيٍ وذهنيٍ ونفسيٍ، وفي حالةٍ إيمانية، وبتضرع، بتذلل لله ﷻ، بخشوع وخضوع لله ﷻ، بشعورٍ بالافتقار إلى الله، وشعورٍ عميقٍ بالرجاء والأمل في فضله، في رحمته، في كرمه، بتذكرٍ لنعمه الواسعة التي لا تحصى ولا تعد، ومن واقع استجابةٍ عملية.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، ادعوه واتجهوا بالاستقامة على منهجه، على دينه، على تعليماته، اتجهوا لتكونوا مصلحين في أرضه، مستقيمين على نهجه، ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، مشاعرك لتكن مشاعر حيَّة، فيها حالة الخوف، فيها حالة الطمع والرجاء فيما عند الله، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، هذا بشارة، وفي نفس الوقت يلفت نظرنا إلى أن نكون من المحسنين؛ **ليستجيب** الله دعاءنا.

ما الذي يجب التركيز عليه في دعائنا؟

الدعاء أيضاً يعبِّر عن اهتمامات الإنسان، فالبعض من الناس مثلاً كل أدعيتهم، أو معظم أدعيتهم تتوجه نحو مطالب هذه الحياة، رغباتهم في هذه الحياة، لا تركز على الجوانب الإيمانية والدينية، ولا على مستقبلهم في الآخرة، **فأكثر ما يطلبونه مثلاً:** يطلبون الرزق، يطلبون ما يبتغونه من مطالب في هذه الحياة، وينسون ما عدا ذلك، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۝٢٠٠ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]، فتتجه اهتمامات البعض كلها نحو هذه الدنيا، ﴿مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، يطلب الرزق، يطلب الصحة، يطلب العافية، يطلب دفع الشر، دفع الضر،

١- البقرة: ٢٠٠-٢٠١

٨

مطالب كلها دنيوية، ويقتصر على ذلك؛ **لأن** كل اهتماماته تتجه فقط إلى ذلك، هذه حالة خطيرة، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾، ليس له أي نصيب في الآخرة، هو في الأساس لم يتجه في اهتماماته العملية، ولا النفسية، ولا في حتى دعائه، إلى مسألة الآخرة، كل ما يطلبه هو فقط من أمور هذه الحياة، ومتطلبات هذه الحياة فقط.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، فهو يتجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من واقع رؤيةٍ صحيحة، الاحتياج إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شؤون هذه الدنيا في حدود ما هو حسن، ما فيه الخير لنا في ديننا ودنيانا، ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، أولئك قال عنهم: ﴿مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾، ما عاد بش حسنة، آتنا في الدنيا وبس، هؤلاء ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، ما يحسن به حالنا، ما تستقيم به أمورنا، ما لا يؤثر على ديننا، ما نرتفق به في شؤون حياتنا، تحت سقف: ﴿حَسَنَةً﴾، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، مع طلب الوقاية من عذاب الله، طلب الخير في الآخرة، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾[1]؛ **لأن** الدعاء لابدَّ أن يرتبط به عمل، لابدَّ أن ينطلق من واقعٍ عملي؛ حتى يستجاب له، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2].

موسم الدعاء والفرص المتميزة للإجابة

في شهر رمضان كموسمٍ عظيمٍ للدعاء، فيه فرصٌ مميزةٌ للاستجابة، في ظل الظروف الإيمانية والواقع الإيماني، مع الصيام، مع القرآن، مع الأثر الروحي والتربوي لشهر رمضان في صيامه، وقيامه، وصالح الأعمال فيه، في آثارها النفسية والتربوية في مشاعر القرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيما نعيشه في واقع حياتنا من تحديات، من أخطار، من هموم، من مشاكل، من ظروف،

١- البقرة: من الآية ٢٠٢

٢- البقرة: الآية ٢٠٢

ومنها: حالة الجدب العالمي، الذي شمل بلدنا، هناك جدب على مساحة واسعة من الأرض، على كثيرٍ من بلدان هذا العالم، وأيضاً على بلدنا، شمله هذا الجدب، وهناك معاناة كبيرة ناتجة عن هذا الجدب، هذا الجدب هو واحدٌ من همومنا في ظروف حياتنا ومعيشتنا، تأثيراته السلبية علينا في الأرياف، في الإنتاج الزراعي، في ظروف المعيشة، حتى في توفر مياه الشرب في كثيرٍ من المناطق الريفية، هذه الحالة **يجب** أن نعود فيها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن نتضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضمن اهتماماتنا، نطلب من الله المغفرة، نطلب من الله الهداية، نطلب من الله النصر، نطلب من الله العون، نطلب من الله التوفيق، نطلب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الرزق، الخير، الفرج، نطلب من الله متطلباتنا الأساسية على المستوى العام، وعلى المستوى الشخصي، كل إنسان له همومه، له مشاكله، له معاناته، له ظروفه الخاصة، ومشاكله الخاصة أحياناً، نلتجئ إلى الله في كل ذلك، ندعوه خوفاً وطمعاً، نرغب إليه، نثق به، نتوكل عليه، نلتجئ إليه، ومن واقع الاستجابة العملية، كتوجهٍ نتوجه به في واقعنا على أساس الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نتوجه بالتوبة الدائمة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصف الله عباده المؤمنين الصادقين المتقين بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ﴾[1]، ﴿التَّائِبُونَ﴾، يتوبون إلى الله باستمرار من تقصيرهم، من ذنوبهم، وبالرجوع العملي.

من أهم ما يجب الرجوع فيه على المستوى العملي: التخلص من الحقوق والمظالم، إخراج الزكاة، وللأسف فالكثير من المزارعين هم ممن يبخلون بإخراج الزكاة، وهذا يؤثر، يؤثر على البركات، يؤثر على الأرزاق، حالة الرجوع إلى الله **يجب** أن تكون من الجميع، من المسؤولين أيضاً؛ لأنها تصدر من جانبهم الكثير من المظالم، الكثير من المعاصي، ومن المواطنين،

١- التوبة: من الآية ١١٢

نحن كلنا معنيون بالرجوع الصادق إلى الله، بالتوبة، بالدعاء، بالتضرع، بالإنابة، بالاستغفار، بالالتجاء إلى الله، وبالرجوع العملي في إصلاح واقعنا العملي، لتكن حالة الشدائد مفيدةً لنا في أثرها في عودتنا إلى الله، وفي رجوعنا العملي، الذي نصلح به أعمالنا، نفتش فيه عن جوانب التقصير لدينا، نحرص فيه على أن نحقق الاستجابة المتكاملة لله سبحانه وتعالى، في كل مجالات حياتنا، فنتضرع إلى الله، ونلتجئ إلى الله.

حالة البأساء والضراء من أهم ما فيها أن تكون دافعاً للتضرع وللعودة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[1]، هنا نلاحظ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾، يتذللون لله، يخشعون لله، يخضعون لله، يعودون إلى الله بالتوبة والإنابة والرجوع العملي، بدلاً من أن تكون الحالة هي قسوة القلوب، أو اليأس والقنوط، التي هي حالة خطيرة **جدًّا** على الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[2]؛ **لأنها** هي الحالة الصحيحة، التي تنفعهم، التي تنقذهم، التي تخرجهم مما هم فيه من الضيق، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، هذه هي الحالة الخطيرة **جدًّا**: أن تقسو القلوب، وأن يزين الشيطان للناس أعمالهم، فيستمروا على حالة التقصير، يستمروا على أسباب المؤاخذة، والعقوبة، ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، أن يستمروا على الأسباب التي أدَّت إلى ذلك.

١- الأعراف: الآية ٩٤
٢- الأنعام: الآية ٤٢
٣- الأنعام: الآية ٤٣

فالحالة الإيمانية، الحالة الصحيحة، الحالة الإيجابية المفيدة النافعة: هي بالرجوع إلى الله على المستوى العملي، وبالتضرع، بالدعاء، بالاستغفار، ليتوجه الجميع في هذه الليالي المباركة بالتضرع، بالدعاء، بالاستغاثة، بالالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم تأتي صلاة الاستسقاء، مثلاً: في نهاية كل أسبوع؛ **حتى** يفرِّج الله، لكن لا تكون يتيمة، لا تكون صلاة الاستسقاء يتيمة، الناس يتعودون على أن يصلوا فقط صلاة الاستسقاء، صلاة الاستسقاء ينبغي أن يتقدمها الاستغفار، أن يتقدمها الذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على نحوٍ مستمر، في الليل والنهار، عقب الصلوات، والإكثار من الاستغفار، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[1]، والتوجه على أساس الرجوع العملي، الرجوع العملي، والاهتمام بالزكاة، والاهتمام بالصدقات للفقراء والمساكين، والاهتمام بالتوبة، والتخلص من المعاصي، والكف عن الذنوب.

8

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، وأن يفرِّج عنا، وأن يَمُنَّ علينا من واسع فضله، وأن يغيثنا بغوثه، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

١- نوح: ١٠-١١

الصبر
ملازم للإيمان.. وعنوان للنجاح والفلاح

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلَّا اللـهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّـداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، وبارِكْ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عـن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

من فوائد الصيام في شهر رمضان المبارك المساعدة على التقوى، وتحقيق هذه الثمرة العملية للصيام، **هي**: الصبر، الصبر الذي نكتسبه من خلال الصيام في تحملنا في التحمل والعزم المكتسب تجاه متاعب الظمأ والجوع، وتجاه السيطرة على شهوات النفس من جانبٍ آخر، فنحن نتعوَّد من

خلال الصيام على التحمل، التحمل النفسي في السيطرة على شهوات النفس، والتحمل البدني في التحمل على عناء الجوع والظمأ بحسب الأحوال المختلفة.

الصبر هو عنوانٌ مهمٌ، وهو من لوازم النجاح والفلاح في كل الأمور المهمة، وهو لدى البعض عنوانٌ مزعج، يقترن به على الدوام شبح المعاناة والمشقة، عندما يسمع كلمة (صبر)، وكأنها ترادف (مر).

الصبر لابدَّ منه مع العمل، وهو شيءٌ واقعيٌ وقائمٌ في حياتنا جميعاً، الجميع في شؤونهم المعيشية، في ظروف حياتهم المختلفة، ولربما قد تكون بشكلٍ شبه يومي، على نحوٍ مستمر يواجه الناس في العادة ما يحتاجون فيه إلى الصبر، إلى التحمل، وهذه مسألة معروفة لدى الإنسان، لدى الناس في مختلف ظروف حياتهم.

المزارع وهو يعمل يدرك أنه لابدَّ من الصبر، بل يستحلي عواقب الصبر، عندما يصل- في نهاية المطاف- إلى النتائج الطيِّبة لجهوده وصبره، فيحصل بعد جهدٍ وبعد صبرٍ معين يصل إلى أن يجني ثمار ذلك الجهد، فيما يحصل عليه نتيجة جهوده من زراعته ومن أموال.

التاجر كذلك، العامل، الإنسان في ظروفه المعيشية وهو يسعى لتوفير متطلبات حياته، يدرك ذلك، الإنسان يصبر ويتفاعل بقدر ما يؤمن بالقضية التي يصبر من أجلها، بقدر ما تمثله من أهميةٍ بالنسبة له، سواءً على المستوى المعيشي، أو على مستوى أوسع من ذلك، المسألة مرتبطة بدرجةٍ أساسية بقدر ما يتفاعل الإنسان ويؤمن بالقضية التي يصبر من أجلها.

على المستوى الإيماني: الصبر من لوازم الإيمان، هو منه بمنزلة الرأس من الجسد كما ورد في الأثر، وهو أيضاً وسيلةٌ مساعدةٌ على العمل الصالح، ولهذا يأتي في القرآن الكريم في المواصفات الأساسية للمؤمنين المتقين: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[1]، فالصبر هو صفة أساسية لديهم، وهو وسيلة- في نفس الوقت- لتجاوز كل تلك الصعوبات، ﴿فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾.

٩ **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أيضاً**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، فيأتي التوجيه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى الذين آمنوا، من موقع انتمائهم الإيماني؛ **لأنه** في الأعمال الإيمانية، في الالتزامات الإيمانية، في المسؤوليات الإيمانية لابدَّ من الصبر.

يأتي أيضاً قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]، فالصبر وسيلة أيضاً تساعدنا على أداء أعمالنا، والنهوض بمسؤولياتنا، **وسيلة مساعدة**، والصبر في الأساس هو قضية نفسية، قوة إرادة، وعزم، ومعنوية، وتحمل، هذا كله مبنيٌّ على مدى إيمانك- كما قلنا- بالقضية التي تصبر من أجلها.

مثلاً: في الأمور المعيشية الناس يعتبرون الأمور الضرورية التي لابدَّ منها لحياتهم، لمعيشتهم، يرون فيها دافعاً كافياً لأن يصبروا، ولأن يتحملوا، ويستحلون النتائج التي تنتج عن ذلك فيما يتحقق لهم، وبقدر ما يتحقق لهم، كلما كان رضاهم عن جهدهم، عن صبرهم، أكثر وأكثر، وهكذا على مستوى شؤون الحياة كافة، طموحات البشر في حياتهم، متطلباتهم وآمالهم في حياتهم، وما يصلون إليه، وما

١- البقرة: من الآية ١٧٧

٢- آل عمران: الآية ٢٠٠

٣- البقرة: الآية ١٥٣

يتحقق لهم في شؤونهم السياسية والاقتصادية... ومختلف شؤونهم.

الصبر في ميدان طاعة الله والنهوض بالمسؤولية

فالصبر في ميدان العمل، والنهوض بالمسؤولية، والتزام طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسيطرة على هوى النفس، لابدَّ منه في انتمائنا الإيماني، وهو أمرٌ بديهي، وأمرٌ طبيعي، طالما الإنسان يصبر في كل الأمور، **ليس معناه:** أنَّ هناك اتجاهاً في الحياة لا تحتاج فيه إلى الصبر على شيء، ولا تواجه فيه المتاعب النفسية أو البدنية في شيء، الصبر لابدَّ منه، ولذلك في الاتجاه الإيماني لا تزال العوامل المساعدة أكثر من غيره، أكثر من غيره، الحوافز المعنوية أكثر من غيره، النتائج المرجوة أكثر من غيره؛ **فبالتالي** يفترض في الاتجاه الإيماني أن يكون الإنسان مقرراً للصبر، موطناً نفسه على الصبر، متجهاً للصبر، وأن يتخذ قراراً حاسماً بذلك، **عندما يتجه الإنسان الاتجاه الإيماني في مسيرة حياته، ليوطن نفسه على الصبر، وليتخذ قراره الحاسم بذلك، هذه مسألة أساسية**، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]، في وصية لقمان لابنه أيضاً: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2]، فهي من الأمور المعزومة، المحسومة، التي لابدَّ منها، الأساسية المهمة، والبديهية والطبيعية في نفس الوقت، ليست كارثة.

وفي مجال الصبر فتح الله لنا المجال للعودة إليه، للالتجاء إليه، للاستعانة به، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[3]، تستطيع أن تعود إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن تستمد منه أن يفرغ عليك المزيد من الصبر، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، تتفاوت المتاعب والظروف التي نصبر فيها، فنحتاج في بعضٍ منها أيضاً

١- آل عمران: من الآية ١٨٦

٢- لقمان: من الآية ١٧

٣- النحل: من الآية ١٢٧

إلى المزيد والمزيد من الصبر، وقد تضيق نفس البعض في ذلك، الله فتح المجال على الدوام للاستعانة به، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[١]، أنت تحتاج إلى الله سبحانه وتعالى في ذلك، وفي الأدعية المهمة في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، في ميدان الجهاد، في ميدان الثبات على الإيمان، على الحق، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[٣].

٩ الصبر وعلاقته بالتوكل على الله والثقة بالله

الصبر في الواقع الإيماني له علاقةٌ بالتوكل على الله سبحانه وتعالى، والثقة به جل شأنه، الإنسان عندما يطمئن ويثق بالنتائج المرجوة التي وعد الله بها الصابرين، ينطلق فيصبر؛ **لأنه** واثق، لأنه مطمئن، لأنه على يقينٍ من أنه سيصل إلى تلك النتائج المرجوة العظيمة، **فصدق التوكل ينتج عنه أيضاً الصبر، والتحمل؛ لأنك** واثقٌ من النتيجة التي وعدك الله بالوصول إليها.

نجد في مسيرة حياتنا، في ظروف حياتنا، الفارق الكبير مثلاً بين العامل الذي هو واثقٌ بأن ذلك الذي يعمل معه سيسدده أجرته بشكلٍ كامل، وبدون أي مماطلة، وربما يزيده مكافآت إضافية على ذلك، وبين العامل الذي ليس واثقاً بأنه سيحصل على أجرته، وقد يتوقع أن يماطله ذلك الذي يعمل معه، أو قد يتنكر له وينكره، ويجحده حقه، فإذا أدَّى العمل، فيؤديه وهو في حالة من التردد، والاضطراب، وغير الاطمئنان، وبدون جد في العمل، على نحوٍ مختلف.

١- النحل: من الآية ١٢٧

٢- البقرة: من الآية ٢٥٠

٣- الأعراف: من الآية ١٢٦

ففي الاتجاه الإيماني المؤمنون يتوكلون على الله، ويثقون، يثقون بالنتائج المرجوة التي وعد الله بها الصابرين، ولذلك يقول الله عنهم: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، هم يدركون قيمة صبرهم، نتائج صبرهم، ثمرة صبرهم، ليسوا يائسين، أو مترددين في جدوائية صبرهم، ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[1].

حديث القرآن عن ثمرة الصبر ونتائجه المهمة

عندما نأتي إلى الغايات المرجوة من الصبر، والنتائج المهمة، التي تحدث عنها الله في القرآن الكريم، ووعد بها الصابرين في القرآن الكريم من عباده المؤمنين، نجد الكثير مما يحفزنا جدًّا على الصبر:

- **في بداية القائمة: معية الله** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول لعباده المؤمنين: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2]، وهذا جامعٌ لكل خير، جامعٌ لكل فلاح، جامعٌ لكل نجاح، أساسٌ مهمٌ **جدًّا** لكل الغايات المرجوة، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، معهم، هو يعلم بأحوالهم، بمعاناتهم، بظروفهم، وهو المعين لهم، المؤيد لهم، المثبت لهم، الموفق لهم، الذي سيتولاهم برعايته الواسعة، سيحقق لهم في الأخير النتائج العظيمة، والغايات المرجوة، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، والإنسان لو لم يعتد بمعية الله، لم يحسب معية الله، فلم يصبر، فتراجع عن التزامه الإيماني، أو عن عمله في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي حالة سيئة **جدًّا**، حالة بعيدةٌ كل البعد عن التقوى، ولا تنسجم أصلاً مع الإيمان، فكيف يفترض أن يكون الإنسان في مدى صبره، وهو يشعر أن الله معه، أنه ليس بمفرده في مواجهة المتاعب، والصعوبات، والتحديات، والمخاطر، أن الله معه، هو سنده، هو ملاذه، هو ملجؤه، هو نصيره، هو معينه؟ للمسألة أهمية

١- الرعد: من الآية ٢٢
٢- الأنفال: من الآية ٤٦

كبيرة **جدًّا** على المستوى المعنوي، **والصبر هو حالة معنوية في المقدِّمة.**

- **مما وعد الله به الصابرين: محبته، وتكرر في القرآن الكريم قوله** ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1]، وهذا مكسبٌ كبير، مكسبٌ عظيم، أن تحظى أنت أيها الإنسان العبد الصغير الحقير الفقير بمحبة الله ﷻ، ربِّ السماوات والأرض، ملك السماوات والأرض، الملك لهذا الكون بكله، المدبر لشؤون السماوات والأرض، الله ﷻ ربنا العظيم، إلهنا العظيم، تحظى أنت بمحبته، وأن تكون في عداد أوليائه، بما يترتب على ذلك من الشرف الكبير، وبما يترتب على ذلك من الرعاية الواسعة، والتدبير الذي هو وفق محبة الله ﷻ، من منطلق محبته لك، كم يترتب على المحبة من الله ﷻ من النتائج العظيمة، في رعايته الواسعة، ومن الشرف الكبير.

٩

- **أيضاً مما وعد الله به: الأجر العظيم،** الذي يدخل تحته الشيء الكثير في الدنيا والآخرة، الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، فالله ﷻ لا يضيع معاناتك، لا يضيع جهدك الذي صبرت عليه، وصبرت فيه؛ **إنما** هو كله محسوب، لا يخفى على الله ﷻ منه شيء، فتذكر هذا، **تذكر إذا شعرت بشيءٍ من الملل، أو بشيءٍ من الضيق، أو بشيءٍ من التعب، أو بشيءٍ من التردد، أن جهدك لن يضيع، أن عناءك في طاعة الله ﷻ، في سبيله لا تضيع،** بل الله ﷻ سيوفيك أجرك، وستحظى منه بالأجر العظيم، والمكافأة الكبيرة، هو يعلم بكل أحوالك، هو القائل ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، **فالأجر على الصبر أجرٌ عظيمٌ وواسعٌ جدًّا، ويفوق كل تخيل،** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

١- آل عمران: من الآية ١٤٦

٢- النحل: من الآية ٩٦

٣- الزمر: من الآية ١٠

﴿الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، **مثلما يقولون:** [رصيد مفتوح للصابرين، هذا أجر عظيم **جدًّا**، يفوق كل تخيلٍ].

- **تأتي أيضاً على المستوى العملي في النتائج العاجلة المرجوة في الدنيا في النجاح في الأعمال مرتبطةً بالصبر**، في ميدان الجهاد في سبيل الله، والتصدي للأشرار والطغاة، في إطار تحرك المؤمنين في أداء مسؤولياتهم ليكونوا أمةً حرةً، عزيزةً، مستقلةً، متحررةً من سيطرة أعداء الله، متحررةً من سيطرة الطغاة الظالمين الجائرين، المفسدين في الأرض، لابدَّ من الصبر؛ لكي تنتصر، أي أمة تتحرك على هذا الأساس، تريد أن تكون حرةً على أساسٍ من هدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وانتمائها الإيماني، فيأتي الوعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مقترناً بالصبر، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[١]، **تأتي الغلبة في الميدان مرتبطةً بمدى الصبر**، بمدى الصبر.

في التصدي لكل مؤامرات الأعداء ومكائدهم، وكل أشكال عدوانهم، لابدَّ من الصبر، وتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في فعل ما ينبغي، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، صبر مع العمل، مع التقوى، مع فعل ما ينبغي، ما يلزم في إطار المسؤولية، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[٢]، تسقط- في نهاية المطاف- كل مؤامراتهم ومكائدهم، وتتلاشى، ولا تحقق النتائج التي أرادها الأعداء من ورائها.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضاً: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣]، فارتبط ذلك واقترن بمدى الصبر.

١- الأنفال: من الآية ٦٥

٢- آل عمران: من الآية ١٢٠

٣- البقرة: من الآية ٢٤٩

في الحصول على المدد الإلهي- كذلك- لابدَّ من الصبر، ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[١]، كان هذا الوعد الإلهي للمؤمنين مع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله مرتبطاً بالصبر نفسه.

في الغاية العامة التي تعبِّر عن كل نجاح، عن الظفر بالخير، عن الوصول إلى النتائج العظيمة والمهمة، مضى قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فقوله جل شأنه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، يعبِّر عن الوصول إلى النتائج العظيمة، عن العبور لتلك الظروف الصعبة والحساسة، والوصول إلى نتائجها المرجوة التي وعد الله بها، الوصول إلى النصر في ميدان الجهاد، الوصول إلى النتائج العظيمة على المستوى المعنوي، على مستوى ما يتحقق في الواقع، النتائج المهمة، ثم النتائج الكبرى والعظيمة في الآخرة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

- **كذلك فيما يتعلق أيضاً بالفوز برضوان الله وجنته، والسلامة من عذابه، وهي الغايات الكبرى للإنسان المؤمن،** لابدَّ فيها من الصبر، ويتجلى في يوم القيامة وفي الجنة أيضاً القيمة العظيمة للصبر، تتجلى القيمة العظيمة للصبر، وحسن نتائجه العجيبة، والعظيمة، والمهمة، والكبيرة.

الله سبحانه وتعالى **يقول مخاطباً لأهل النار،** وهو يبين لهم كيف فاز أولياؤه، كيف فاز المؤمنون الصادقون الذين استجابوا له، بالرغم مما واجهوه في هذه الحياة (في الحياة الدنيا) من محاربة، من سخرية، من استهزاء، من عداء، من مشاق وصعوبات معينة، وتحديات معينة، فيقول الله جل شأنه: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢]، نتيجة عظيمة **جدًّا،** ﴿إِنِّي

١- آل عمران: الآية ١٢٥

٢- المؤمنون: الآية ١١١

﴿جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾، بصبرهم، صبروا على السخرية، على الاستهزاء، على الدعايات، على المحاربة بكل أشكالها، على مواجهة الصعوبات والتحديات بكل أنواعها، **لكن في الأخير فازوا**، تحققت لهم أعظم نتيجة، تحقق لهم الفوز العظيم، الذي لا يماثله شيءٌ أبداً، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

وحتى في تهنئة الملائكة للمؤمنين في قصورهم في الجنة، في مساكنهم في الجنة، بعد وصولهم إليها، وهي لحظات عجيبة **جدًّا**، أوقات عجيبة **جدًّا**، يعيشون فيها الفرحة الكبرى، والسعادة العظيمة **جدًّا**، بعد أن وصلوا إلى قصورهم في الجنة، ومساكنهم الطيِّبة في الجنة، فيقوم الملائكة بالزيارة لهم إلى مساكنهم في الجنة، يهنئونهم، ويباركون لهم بما وصلوا إليه، بهذا المستقر العظيم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[1]، أفواج كبيرة من الملائكة تزورهم إلى كل منازلهم، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2]، فهم يقولون لهم في السَّلام عليهم، **في التهنئة لهم**: أنَّ هذا هو نتيجة صبركم، فلاحظوا كيف كانت نتيجةً عظيمة، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾، وصلتم إلى جنة الله، إلى السعادة الأبدية، إلى الحياة الهنيئة.

فالإنسان يرى حينها أنَّ كل عناءٍ يمكن أن يكون قد مرَّ به على المستوى النفسي، أو على المستوى الجسدي، هو لا شيء في مقابل تلك النتيجة العظيمة التي تحققت، والمكسب الكبير العظيم الذي ظفر به، وفاز به.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[3]، **وتأتي التفاصيل في سورة الإنسان التي تتحدث عن ذلك.**

١- الرعد: من الآية ٢٣
٢- الرعد: الآية ٢٤
٣- الإنسان: الآية ١٢

فنجد كل هذه النتائج العظيمة الكبرى مغريةً على الصبر، مغريةً على الصبر، ونرى الصبر مسألةً طبيعية في ظروف هذه الحياة، ضمن الممارسات الاعتيادية التي يتمرن عليها الإنسان، بل إنه حتى قد يعتاد على الكثير من الأمور، يحتاج إلى الصبر في بدايتها، ثم فيما بعد ذلك يعتاد عليها، يكتسب قوة العزم، قوة الإرادة، قوة التجلد، قوة التحمل، وهذه مسألة واضحة في ظروف الناس وفي حياتهم، **نجد الأكثر عطاءً الأكثر عملاً، الأكثر جهداً، والمستمرين على ذلك، قد تروَّضوا على القيام بالأعمال الكثيرة، والأعمال المهمة**، إلى درجة أنهم لو تعطَّلوا عن ذلك سيشعرون من الفراغ، من القعود، من الجمود، بالملل، بالسآمة، بالضجر الشديد، أصبحوا يستحلون العمل والجهد، وأصبحوا في مستوى قدرتهم على العمل، جهدهم، تحملهم، متمرسين، متروِّضين، معتادين على الأعمال التي قد تصعب على الكثير من الناس الآخرين، الذين لم يتعودوا، لم يتمرَّنوا، لم يتروَّضوا على القيام بالأعمال.

٩

الأنبياء.. النموذج العظيم في الصبر والتحمل

النبي محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)

عندما نأتي إلى الصبر كحالة قائمة في حياة البشر فيما يتعلق بالجوانب الإيمانية والعظيمة والمهمة، نجد النموذج العظيم في سيرة الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام»، بدءاً من رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، الذي تكرر الأمر له بالصبر في القرآن الكريم، فصبر، واستجاب لله سبحانه وتعالى، صبر على أرقى مستوى، على مستوى راقٍ وعظيم، وتحمل الشيء الكثير؛ فوصل إلى مستويات عظيمة، وحقق النتائج الكبيرة.

يقول الله له في القرآن الكريم: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[١]، وهو يتحرك في الدعوة إلى الله، وفي تبليغ الرسالة، وفي إقامة دين الله، وفي هداية عباد الله، فيواجه بدءاً من مجتمع مكة- المجتمع الأول الذي تحرك فيه- التكذيب، والتهديد، والصد، والمعارضة، والدعايات الكاذبة، والتشويه، والسب... وكل أشكال المحاربة الدعائية والإعلامية، والتشكيك في كل ما يأتي به، وفي صحة رسالته... إلى غير ذلك، محاربة شرسة **جدًّا**، وإساءات بالغة، واستفزازات يومية، وإساءات متنوعة، ومضايقات كبيرة، فالله سبحانه وتعالى يقول له: ﴿فَاصْبِرْ﴾، اصبر واستمر، واصل مشوارك، واصل عملك، فصبر صلوات الله عليه وعلى آله، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، الذي استعجل.

نبي الله يونس عليه السلام **الذي استعجل وغادر قومه** قبل أن يكمل دوره في تبليغ الرسالة إليهم، ضاق من تكذيبهم، ووصل إلى اليأس من استجابتهم، تصور أنه قد أكمل ما عليه، وأدَّى ما عليه فذهب، فكانت قصته المعروفة في القرآن الكريم، عندما ركب في السفينة في البحر، ثم حصل أن ألقي في البحر، وابتلعه الحوت، ثم فرَّج الله عنه، وعاد لأداء مهمته، لكنه حصل له ما حصل نتيجةً لأنه لم يصبر بالمستوى المطلوب في الاستمرارية حتى يأذن الله له، فاستعجل قبل ذلك.

فالله يقول للنبي صلوات الله عليه وعلى آله: ﴿فَاصْبِرْ﴾، يقول له: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾[٢]، استمر، وواصل مسؤوليتك، والتزم بهذا: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾، اتبعه، حتى لو واجهت على ذلك الانتقادات، والإساءات، والحرب الدعائية، والحرب العسكرية... وكل أشكال المحاربة، لا يثنيّك ذلك، لا يصدنّك

١- القلم: من الآية ٤٨

٢- يونس: من الآية١٠٩

ذلك عن إتِّباع ما أوحى الله إليك، اصبر على ذلك، على كل ما تواجهه نتيجةً لذلك، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾، اصبر وستأتي النتيجة، سيأتي الفرج، الله سيحكم، مهما كان هناك من صعوبات، وتحديات، ومخاطر، ومعاناة، ومشاق، ومحاربة، ومؤامرات كثيرة، ومكر كبير من الأعداء، لكن ستصل إلى النتيجة.

يقول الله له: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[١]، فاصبر واستمر؛ **لأن** الله قد وعدك، وعدك بالنصر، وعدك بتحقيق النتائج الكبيرة، ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾؛ **لأن** الذين لا يوقنون ييأسون، فيريدون التوقف في وسط الطريق، في وسط المسافة، قبل الوصول إلى النتيجة، يتململون، يضجرون، يسأمون، ييأسون، يفترون، يترددون، فتطلع لديهم المقترحات الخاطئة، التي هي في مضمونها عبارة عن التراجع، عبارة عن اليأس، عبارة عن الاستسلام، عبارة عن التوقف عن مواصلة الطريق المهم، العظيم، المقدَّس... وهكذا الذين لا يوقنون لأنهم لا يملكون اليقين؛ لم تتوفر لديهم الإرادة اللازمة للاستمرار، للتحمل، وللصبر بالتالي.

٩

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾، **فيستعجلونك**، يستعجلونك إمَّا للتوقف، أو يستعجلونك أيضاً لاتخاذ خطوات لم يحن وقتها بعد، أو أعمال لم يحن وقتها بعد، **حالة الاستمرارية وفق هدي الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، وفق المسيرة الحكيمة في التوجيهات والهداية الإلهية، لابدَّ فيها من الصبر، فلا يحصل التسرع الذي لا ينبغي، ولا يحصل التراجع الذي لا ينبغي.**

يقول الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ**:** ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٢]، حتى الرسل كان لابدَّ لهم من الصبر، لا يمكن أن يكون هناك عمل عظيم، بنتائج عظيمة، ينال الإنسان من خلاله الشرف الكبير، والفضل الكبير،

١- الروم: الآية ٦٠

٢- الأحقاف: من الآية ٣٥

والأجر العظيم، وتتحقق له النتائج الكبيرة في واقع الحياة، في مسيرة الحياة، وتتحقق من خلاله المتغيرات التي يصنعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والتحولات في الواقع إلى حدٍ كبير، من دون صبر، فالأنبياء والرسل هم القدوة في الصبر، صبروا، **لم تكن المسألة:** بما أنهم رسل، وبما أنهم أنبياء، أن تتحقق لهم كل النتائج دون حاجةٍ إلى الصبر، دون حصول ما يحتاجون فيه إلى الصبر، **من:** صعوبات، أو عناء، أو مشاق معينة، فيحظون بالدلال؛ **لأنهم** أنبياء، وتمشي لهم الأمور بدون أي مشقة، بدون أي عناء؛ **لأنهم** رسل، ولأنهم أنبياء، كان لابدَّ لهم من الصبر على كل ما واجهوه من المعاناة في إطار مسؤولياتهم، وصبرهم كبير؛ **لأن** مسؤولياتهم ومهامهم عظيمة وكبيرة، والظروف التي واجهوها في واقع الحياة ليست ظروفاً عاديةً، ظروف كبيرة **جدًّا**، وتحديات كبيرة.

نماذج أخرى من الأنبياء (عليهم السلام)

يأتي في القرآن الكريم على المستوى التفصيلي الإشارة إلى صبر الأنبياء، والحديث عن صبر بعضهم، وتقديم نماذج لنا نحن، نحن كمسلمين، كمؤمنين؛ لكي نستفيد منها في الصبر.

- **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **عن مجموعة من أنبيائه:** ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[١]، هؤلاء من أنبياء الله الذين صبروا، حتى أصبح الصبر صفةً من صفاتهم المستمرة والثابتة، ﴿الصَّابِرِينَ﴾، أصبحوا ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

- **إسماعيل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **الذي بلغ به الصبر إلى درجةٍ عاليةٍ** من الاستعداد للتضحية والصبر عليها، عندما أتى الاختبار له ولوالده إبراهيم «عليهما السلام» في قصة الذبح، قال كلمته العظيمة لوالده: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، **يعني:** في الصبر على الذبح، **يقول لوالده:** إذا صدر الأمر من الله

١- الأنبياء: الآية ٨٥

٢- الصافات: من الآية ١٠٢

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذبحي أنا، فسأصبر إن شاء الله، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

- **وهكذا يتحدث القرآن عن نبي الله يعقوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ في محنته من أبنائه، في قصة ابنه نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتكررت محنته مع أبنائه، فكان يقول لهم في كل مرةٍ منها: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[1]، وصبر صبراً جميلًا، صبراً بوقار، ليس فيه كثرة التشكي، وكثرة الصراخ والصياح، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

- **كذلك في قصة نبي الله يوسف** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عندما قال لإخوته في نهاية المطاف:** ٩
﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

- **في محنة أيوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **يعني:** نجد الصبر تجاه الأنواع المختلفة، من المحن، من المتاعب، من الصعوبات، من المشاق، من الآلام، نجد الصبر هو المهم **جدًّا** في كل الأحوال المختلفة والظروف المتنوعة، أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في محنته الصحية والنفسية، التي كانت صعبةً **جدًّا**، صبر، وحظي بشهادةٍ عجيبة قالها الله عنه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾[3]، هذا ثناءٌ عظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل في اختبار تميز فيه وتبين فيه صبره، وخرج بنجاح من هذا الاختبار، وكان اختباراً صعباً، على مستوى معاناته الصحية في نفسه وبدنه، ولكنه صبر على شدة المحنة، شدة الألم، شدة المعاناة، طول المدة، فحظي بهذا الثناء العظيم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[4]، ونجد في الأخير كيف فرَّج الله عنه.

أيضاً كيف فرَّج الله عن نبيه يعقوب، كيف فرَّج عن نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف فرَّج عن نبيه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفداه بذبحٍ عظيم، تأتي النتائج

١- يوسف: من الآية ١٨
٢- يوسف: من الآية ٩٠
٣- ص: من الآية ٤٤
٤- ص: من الآية ٤٤

نتائج طيّبة للصبر، نتائج عظيمة، نتائج مبشرة، ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ في الثناء على نبي الله أيوب عليه السلام، ثناء عظيم من الله سبحانه وتعالى أثنى عليه، ومدحه، وأشاد به، وأعطاه الجزاء العظيم، والخير الكبير في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

- **نبي الله موسى** عليه السلام **في تحمله لمسؤولية كبيرة**، وقيامه بدورٍ عظيم، في إنقاذ قومه من طغيان فرعون وقومه، فيما واجهه من صعوبات وتحديات، وصلت إلى الأمر من فرعون بقتل أبناء من يؤمن بموسى عليه السلام، ومن يستجيب له، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾، الاستعانة بالله مع الصبر، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وفعلاً، بالاستعانة بالله، والصبر، والاستمرارية في الاستجابة العملية، تحققت النتيجة، التي لربما كان الكثير منهم يائساً من حصولها، أنقذهم الله من تلك الوضعية الصعبة، وقال في الأخير: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾[2]؛ **لأنهم** صبروا فاستمروا في الاستجابة العملية، بالرغم من التضحية، والآلام، والمعاناة، وقتل الأبناء، واستحياء النساء، ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[3]، فأنقذهم الله من تلك الوضعية الصعبة، وبعد مرور سنوات خرجوا إلى وضعٍ مختلفٍ تماماً، وفرَّج الله عنهم بشكلٍ تام، لكن هذا كان لابدَّ فيه من الصبر، كان لابدَّ فيه من الصبر.

الرعاية الإلهية التي تحظى الأمة المؤمنة فيها بالهداية الكبيرة، بأن يجعل الله لها دوراً بنَّاءً وعظيماً في واقع الحياة، لابدَّ فيها من الصبر، أيضاً قال عن بني إسرائيل مع الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا

١- الأعراف: من الآية ١٢٨
٢- الأعراف: من الآية ١٣٧
٣- الأعراف: من الآية ١٣٧

﴿صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١]، لما كانوا في مراحل معينة أمةً تصبر، توقن بآيات الله، الصالحون منهم، جعل الله منهم قادةً في المجتمع البشري، هداةً، يتحقق على أيديهم هذا الدور المهم **جدًّا** في واقع الحياة: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، لكن كل هذا كان لابدَّ فيه من الصبر، ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾؛ **لأن** اليقين أيضاً ملازمٌ للصبر، **لا يستمر الصبر إلا من أهل اليقين.**

٩ **في المواصفات الإيمانية يأتي الوصف للمؤمنين بالصبر؛ لأنهم** يستمرون عليه، يوطِّنون أنفسهم عليه، فيقول الله عنهم: ﴿الصَّابِرِينَ﴾، في مقدمة مواصفاتهم كمؤمنين متقين، ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[٢]، فتأتي صفة الصبر لتتصدر قائمة المواصفات، ﴿الصَّابِرِينَ﴾.

يقول عنهم أيضاً: ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾[٣]؛ **لأنه** لابدَّ من الصبر للجميع رجالاً ونساءً، في الواقع الإيماني لابدَّ من الصبر حتى على مستوى الأسرة، الصبر في التضحية، الصبر في مواجهة المعاناة والمشاق في إطار النهوض بالمسؤولية، في التزام طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول عنهم ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾[٤].

فنجد كيف هذه الصفة أساسية من الرسل والأنبياء، قال الله لنبيه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٥]، وصولًا إلى الواقع الإيماني، كما هي حالةٌ لابدَّ منها في الاختبار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو القائل جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[٦]؛ **حتى** يتبين من يستمرون في صبرهم، فيواصلون أداء مسؤولياتهم، والقيام بواجباتهم، والثبات في موقف الحق.

١- السجدة: الآية ٢٤

٢- آل عمران: الآية ١٧

٣- الأحزاب: من الآية ٣٥

٤- الحج: من الآية٣٥

٥- الأحقاف: من الآية ٣٥

٦- محمد: من الآية ٣١

العواقب الوخيمة الخطيرة لعدم الصبر الإيجابي

ثم عندما نأتي إلى العواقب الوخيمة لعدم الصبر في الاتجاه الصحيح، عواقب خطيرة جدًّا:

- **في الدنيا:** لا يتمكن أعداء الله من السيطرة على الناس، ويستحكم الظلم، ويتمكن الطغاة، ويعم الفساد، ويعم الشر، ويسود الباطل، **إلَّا** إذا فقدت الأمة صبرها في النهوض بمسؤولياتها التي ستحول دون ذلك.

٩

لا يعاني الناس ويخفقون ويفشلون في حياتهم، في مختلف أمورهم المهمة، **وفي مقدمتها:** في أن يكونوا أمةً تتحرك وفق هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **إلَّا** إذا فقدوا الصبر، لم يصبروا.

فالعواقب التي تنتج عن عدم الصبر هي وخيمةٌ جدًّا في الدنيا، الأمة تعاني وتدفع كلفةً أكبر، ما قد يتحاشاه الناس من الصبر، من كلفة معينة، من ثمن معين، من تضحية معينة، يحصل ما هو أصعب منها، أكبر منها بكثير، بدون مقارنة، مع ذلٍ، وهوانٍ، واضطهادٍ، وضيمٍ، وقهرٍ، وعناءٍ شديد، وعناءٍ شديدٍ **جدًّا**، في حالة عدم الصبر.

وصولاً إلى دخول جهنم والعياذ بالله، ومكابدة الآلام الرهيبة، والعذاب الأليم الشديد، حيث لا يجدي الصبر، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[1]، يقال لأهل النار، هم حتى هم يقولون عن أنفسهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[2].

١- الطور: من الآية ١٦

٢- إبراهيم: من الآية ٢١

الصبر هنا في إطار العمل في طاعة الله ﷻ هو مجدٍ، مثمر، له نتيجته العظيمة، له عواقبه الحسنة، له آثاره الطيِّبة، وهو متاحٌ وممكن مع الاستعانة بالله ﷻ، ويقي الإنسان من الأمور الرهيبة، ومن عواقبها الفظيعة جدًّا والرهيبة جدًّا جهنم والعياذ بالله.

نكتفي بهذا المقدار...

٩

ونسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يجعلنا من الصابرين، الصابرين في طاعته، وفيما يرضيه، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، نسأله ﷻ أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

الصبـــــر

التواصي به وعلاقته بالنهوض بالمسؤوليات الكبرى

أَعُـوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّـداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، وبارِكْ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا بالأمس عن الصبر، وعن علاقته بتحقيق التقوى، **وعن** أهميته الكبيرة في ذلك، وفي القيام بالأعمال الصالحة، والأعمال العظيمة والمهمة، كما هو أيضاً- في نفس الوقت- حالةٌ واقعيةٌ قائمةٌ في الواقع البشري، ترتبط بكل أنشطة الحياة، واهتمامات الناس في مختلف ظروف حياتهم،

واهتماماتهم المعيشية... وغيرها، هو **عاملٌ أساسيٌ من عوامل النجاح في النهوض بالأعمال**، وهو مسألة مستساغةٌ في ذلك، بقدر ما يتفاعل الناس مع الأمور التي يتحركون فيها، في المجالات التي ينطلقون فيها.

وتتزايد أهمية الصبر في الجوانب الإيمانية والعملية، مع أهميته في الالتزام الإيماني بشكلٍ عام، على المستوى السلوكي، على المستوى الأخلاقي، على المستوى الروحي، على مستوى الالتزام بالعبادات... في مختلف المجالات ذات الصلة بالالتزام الإيماني، ولكن له علاقةٌ كبيرةٌ **جدًّا** فيما يتعلق بالمسؤوليات الكبرى، والنهوض بها، حيث لابدَّ منه، ويعتبر أساسياً إلى حدٍ كبيرٍ في ذلك. ١٠

ولذلك في مراحل الصراع ما بين الأمة وبين أعداء الله وأعدائها، والأمة تسعى من خلال المؤمنين فيها، والصالحين من أبنائها، إلى أن تتحرر من هيمنة أعداء الله، وأعداء الإنسانية، وأن تحقق لنفسها الاستقلال على أساسٍ من انتمائها الإيماني، وهويتها الدينية الإسلامية، فالأمة تواجه الصعوبات، وتواجه التحديات، وتواجه المخاطر في سبيل النهوض بهذه المسؤولية، وهذا شيءٌ بديهيٌ واعتياديٌ في ظروف الأمم، في اهتماماتها التي هي من هذا القبيل، فأي أمةٍ تسعى إلى التحرر من أعدائها؛ **ستواجه في** سبيل تحقيق ذلك الصعوبات والتحديات، التي لابدَّ فيها من الصبر، لذلك.

لمواجهة التحديات لابد من التواصي بالصبر

لابدَّ من العناية بالتواصي بالصبر، وهذا مما ركَّز عليه القرآن الكريم، وجعله واحداً من العناصر الأساسية والمواصفات المهمة للمؤمنين، وأيضاً من العوامل المهمة للنجاح والفلاح والفوز، فأتى الحديث عن ذلك في سورة العصر، ضمن المواصفات الأساسية لمن استثناهم الله ﷻ من الخسران،

عندما قال ﷻ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١].

كذلك أتى ضمن المواصفات المهمة للمؤمنين، في اهتماماتهم الإنسانية، في رحمتهم بالفقراء والمستضعفين: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٢]، فالتواصي بالصبر لابدَّ منه أن يكون ضمن الاهتمامات التثقيفية والتوعوية والتذكيرية، وضمن الاهتمامات الإعلامية بشكلٍ عام، في أوساط الأمة، في وسط المجتمع المسلم، الذي يجاهد، ويضحي، وينهض بمسؤولياته العظيمة والمقدسة؛ **لأن** في المقابل هناك نشاطٌ معاكسٌ لذلك، نشاطٌ للمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، والمخذولين المفرِّطين في القيام بالمسؤولية، يتجه نحو تثبيط الهمم، وكسر العزائم، يتجه نحو زرع حالة الوهن واليأس في أوساط الأمة، وترسيخ حالة الضعف، والدفع بالأمة دائماً نحو الاستسلام، والتشجيع المستمر على التنصل عن المسؤوليات العظيمة والمقدسة، التي هي من أهم التزاماتنا الإيمانية والدينية، التي يحاسبنا الله سبحانه وتعالى عليها يوم القيامة، فلهم اتجاهات مخالفةٌ للقرآن الكريم، مخالفةٌ لما فيه المصلحة الحقيقية للأمة، وبالذات عندما تمر الأمة، أو يمر شعبٌ معين- مثلما هو حال شعبنا- بظروف عصيبة، نتيجةً لما يقوم به الأعداء، من جرائم، من حصار، من ظلم، من طغيان، يسعون من خلال ذلك إلى كسر إرادة شعبنا، وكسر إرادة أمتنا، والدفع به نحو الانهيار والاستسلام، فيتحرك بالتزامن مع ذلك المنافقون، والذين في قلوبهم مرض، والمخذولون، المتنصلون عن المسؤولية، المفرطون في القيام بمهامهم، ومسؤولياتهم، وواجباتهم، التي هي من صميم دينهم، يتحركون بالاستغلال لذلك بالدفع بالأمة، بالدفع

١- العصر: ١-٣

٢- البلد: الآية ١٧

١٠

بالشعب، إلى ردة فعلٍ خاطئة، ردة فعل تكون عبارةً عن حالة انهيار، استسلام، خضوع للعدو، تنفيذ لأجندة العدو ومؤامرات العدو، التحرك وفق ما يريد العدو، وهذه حالة سلبية وليست جديدة، هذه حالة قائمة على مرِّ التاريخ، يواجهها القرآن الكريم، يقدم التعليمات اللازمة في التصدي لها.

ومن ضمن ذلك: الحث على التواصي بالصبر، التواصي بالصبر، لمواجهة مثل هذه الحالات التي تتحرك سلباً في الساحة، وأيضاً لمواجهة التأثيرات الناتجة عن ضعف الإيمان على البعض من الناس، الذين يملّون، يتعبون، يرهقون، يتذمرون، عندما تكون هناك صعوبات، وتحديات، ومعاناة، فلا يكادون يتحملون، أو سقف تحملهم سقفٌ نازلٌ، هابط، إلى مستوى بسيط، ثم لا يتحملون أكثر.

فيأتي التواصي بالصبر، باعتبار أهميته الكبيرة فيما له من تأثيرٍ إيجابيٍ يساعد الأمة على الاستمرارية في النهوض بمهامها، في أداء مسؤولياتها، في أداء واجباتها، في تحمل الصعوبات مع ذلك، حتى الوصول إلى النتيجة، حتى الوصول إلى النتيجة.

١٠

الصبر من أعظم العبادات المقرِّبة إلى الله

فعندما نأتي إلى التواصي بالصبر، نُذكِّر بأهميته، وقيمته، أهميته على المستوى الإيماني، أنه من أعظم العبادات والقرب، التي نتعبد لله بها، نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بها، نحظى من خلالها بالدرجات العالية، عندما نصبر في طاعة الله، عندما نصبر ونحن نقوم بمسؤولياتنا ومهامنا الإيمانية التي أمرنا الله بها، وجَّهنا إليها، نصبر ونجاهد، نصبر ونضحي، نصبر ونتصدى للطاغوت، نتصدى للطغاة والظالمين والمجرمين، نقف في وجه المعتدين، صبرٌ عمليٌ، صبرٌ في أداء مسؤولياتنا، ومهامنا، وواجباتنا، صبر الأحرار، صبر المؤمنين،

صبر المجاهدين، صبر المتقين، عبادةٌ عظيمة نتقرب بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسببٌ لنيل مرضاته، ومعونته، وتأييده، ويرتبط بذلك الغايات العظيمة، التي تحدثنا عن الكثير منها بالأمس.

ولهذا يتوجه الأمر بالصبر إلى الجميع، إلى الذين آمنوا رجالاً ونساءً، إلى الأسرة، إلى الفرد، يتوجه الأمر بالصبر إلى القادة، إلى غيرهم، إلى كل المؤمنين، إلى كل الذين ينهضون للتحرك بالمسؤولية.

١٠ **وفي القرآن الكريم نجد كم توجه من الأوامر بالصبر للرسول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مع عظيم منزلته عند الله، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالتأكيد لا يريد لنبيه هكذا أن يعاني لمجرد المعاناة، وأن يتعب لمجرد التعب، وأن يواجه الصعوبات الكبيرة، والتحديات الكبيرة هكذا بشكلٍ مجرد، ويصبر عليها هكذا فقط؛ **إنما لأن** الصبر له قيمته، له إيجابياته الكبيرة على المستوى التربوي، في بناء الإنسان، في بناء نفسية الإنسان، في بناء أخلاق الإنسان، وعلى مستوى الواقع، فيه ما يترتب عليه من نتائج مهمة، وعلى مستوى تحقيق الأعمال الكبيرة، التي هي أعمال عظيمة، يُشرِّف الإنسان أن يقوم بها، أن ينفِّذها، هو شرفٌ له، سموٌّ له، يزيد من رصيده الأخلاقي والإيماني، ومن إسهامه الكبير في واقع الحياة، فيترتب على ذلك النتائج الكبيرة، التي هي لمصلحة الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة، ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1].

١- الأعلى: الآية ١٧

صبَر النبي الأكرم فتغير الواقع المظلم

فيأتي الأمر للنبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **من مثل قوله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، اصبر، ولن يضيع أجرك، أنت ستتحقق لك بذلك النتائج العظيمة، التي هي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحققها لك، ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وهكذا صبر، صبر في كل مراحل تبليغ الرسالة، منذ البداية، والوضع مختلفٌ تماماً، ليس له جيش، ولا أنصار، ولا أعوان، والمؤمنون به قلة قليلة في البداية، والمتغيرات التي يراد منه العمل والإسهام في تحقيقها، حجمها كبيرٌ **جدًّا**، الواقع واقعٌ مختلف، واقعٌ معادٍ، بيئةٌ كافرة، معاديةٌ للرسالة، وصبر في كل المراحل التي تحرك فيها، أتت المتغيرات شيئاً فشيئاً؛ **حتى** تغيَّر الواقع بكله، وسقطت كل كيانات الطاغوت، وقام للإسلام قائمة، وأصبح للأمة الإسلامية كيانها الكبير والعظيم، الذي ارتقت به إلى أن وصلت إلى أهم كيانٍ قائمٍ في واقع البشر آنذاك، وأهم كيانٍ فاعلٍ في الساحة، أمة قوية، ودولة عظيمة، ومجتمع عظيم وكبير ومهم، أصبح له حضوره الأول في الساحة العالمية بين أوساط الأمم، وتأثيره الكبير، هذا في عاجل الدنيا؛ **أمَّا** في آجل الآخرة فالذي يتحقق هو الشيء العظيم من فضل الله، وجنته، ورضوانه، والسلامة من عذابه.

إضافة إلى الإنجازات الحقيقية الكبيرة في حركته صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، مما أحدثه من تغييرٍ جذري في واقع المجتمع، فأخرجه من الظلمات، في عقائده الباطلة، في تصوراته الخاطئة، في خرافاته الجاهلية، وفي ممارساته الوحشية واللا إنسانية، وسلوكياته المنحرفة، إلى النور، أخرج المجتمع الجاهلي من كل ذلك، من الظلمات في العقائد، والأعمال، والتصرفات، والسلوكيات، إلى النور، إلى واقعٍ مختلفٍ تماماً، كان هناك نتائج عظيمة تحققت، فيما كان الله يقول له:

١- هود: من الآية ١١٥

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[١]، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٢]، وهو يواجه التكذيب، والصد، والمعاناة الكبيرة، في البداية من الكافرين، وفيما بعد من الكافرين، والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، ومن السمَّاعين لهم، ولكن تخطى كل تلك التحديات والصعوبات ووصل إلى نتيجة.

الصبر سلاح في مواجهة العدوان.. شواهد من الواقع

١٠ **من أهم ما يتعلق بالصبر:** أنه إلى جانب أنه عبادةٌ عظيمةٌ، لها نتيجتها، لها آثارها الكبرى، أنه سلاحٌ مهمٌ في مواجهة العدو؛ **لأن ما يلجأ إليه العدو في محاربته للمؤمنين:** من حصار، من تضييق، من جبروت، من إجرام، من وحشية، هو بهدف النيل منهم، والإضعاف لهم، وضرب إرادتهم ومعنوياتهم، وإرغامهم على الاستسلام، وتحطيم معنوياتهم.

العدو يحرص على كسر الإرادة، على تحطيم المعنويات، على الإرغام للأمة على الاستسلام، على زرع حالة اليأس، على الوصول بها إلى الانهيار التام، هذا ما يسعى له العدو، فعندما يرى أنَّ ما يفعله من إجرامه، ووحشيته، وفظائعه، وانتهاكاته، وعدوانه، وحصاره، له ردة فعلٍ عكسية، هو يزيد من اهتمام الأمة، من عزمها، من قوتها، من إصرارها، من تصميمها، من جديتها في مواقفها، من استشعارها لحجم مسؤولياتها، من غضبها على عدوها، وترجمة ذلك الغضب في الواقع العملي، من خلال الجدية الكبيرة في عملها وهي تتصدى للعدو، في تحركها وهي تواجه العدو، سيكون لذلك الأهمية الكبيرة التي يترتب عليها يأس العدو، يأس العدو، **فما يكون هناك من** صبر، من ثبات، من قوة، من ردة الفعل الواعية في واقع الأمة تجاه العدو، **يقابله** هبوط لدى العدو، يأس، شعورٌ بالفشل،

١- المعارج: الآية ٥

٢- الأحقاف: من الآية ٣٥

شعورٌ بالإخفاق، شعورٌ بالعجز، يصل به- في نهاية المطاف- إلى الاستسلام.

وهذا ما حصل على مرِّ التاريخ، في التجارب القائمة في واقع البشر، كما أشرنا في حركة النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وحركة المسلمين معه، وما ترتب على ذلك من متغيرات كبرى، في الأخير كان من يئس، من انهار، من تفككت قواه، هم المشركون، هم الكافرون، هم المعادون للرسالة، ومن أحُبِط، وفَشِل، وأخْفَقَ، وانهَزم، ولم يحقق أهدافه الرئيسية، هم المنافقون معهم أيضاً، والذين في قلوبهم مرض.

في واقعنا المعاصر نرى الأمثلة الكثيرة، مثلاً: فيما يتعلق بحزب الله في لبنان والصراع مع العدو الإسرائيلي، صراع استمر لسنوات طويلة، وكان العدو الإسرائيلي يحاول أن يكسر إرادة المجاهدين في لبنان، أن يكسر إرادتهم، وأن يوهن من عزمهم، وأن يوصل المجتمع إلى حالة اليأس في إمكانية الانتصار في مواجهة العدو، فكان يقوم بحملات إجرامية، ووحشية، واعتداءات كبيرة، وجرائم فظيعة، ولكنهم استمروا في جهادهم، وصبروا على كل المعاناة، في نهاية المطاف كانوا يزدادون قوةً، وكان العدو يضعف أكثر فأكثر، كان يحصد المزيد من الهزائم، وكان بالتالي ييأس أكثر فأكثر، حتى وصل إلى يأسٍ تام وانسحب، في هزيمةٍ مذلةٍ تاريخية، كانت هي الأولى بذلك المستوى، وهزيمة استمرت، استمرت إلى حد الآن، هزيمة مستمرة في واقع العدو الإسرائيلي. ١٠

عندما نأتي إلى الحالة القائمة فيما يتعلق بشعبنا اليمني المسلم العزيز، وهو يتصدى للعدوان الأمريكي السعودي، منذ بداية العدوان وإلى اليوم حصلت الكثير من المتغيرات، فيما كان لدى الأعداء آمال في أن يسيطروا بشكلٍ تام في فترةٍ وجيزة، بالاستناد إلى إمكانياتهم الهائلة، إلى جبروتهم، وطغيانهم، وحصارهم، وظلمهم، وصلوا اليوم إلى نقطةٍ مسدودة، وصلوا إلى مستوى الفشل الذي عرف به كل العالم، الذي يتحدث عنه الجميع، ما من

شكٍ في أنهم قد فشلوا إلى الآن في تحقيق أهدافهم الرئيسية التي أرادوها من خلال العدوان، وأنهم تكبَّدوا الكثير من الخسائر، وأنهم أيضاً تكبَّدوا الكثير من الهزائم تلو الهزائم، وأنَّ شعبنا قد حقق الكثير والكثير والكثير من الانتصارات، وبات هذا العدوان فيما فيه من حصار، وإجرام، ومعاناة، حافزاً مهماً لشعبنا في أن يبني واقعه، وأن يحوِّل التحدي إلى فرصة، وأن يجعل من ذلك عاملاً لنهضته في كل المجالات، ولكن ذلك بكله يحتاج إلى صبر.

١٠ **لَمَّا كان الصبر سلاحاً في مواجهة العدو، أتى قول الله** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾، المصابرة أكثر من مسألة: ﴿اصْبِرُوا﴾، ﴿وَصَابِرُوا﴾؛ **لأنه** سلاح في مواجهة العدو، إذا أصرَّ العدو واستمر على وسائله الإجرامية الوحشية، على سعيه لإضعافكم، للسيطرة عليكم، كونوا أكثر إصراراً منه، أكثر اهتماماً منه، أكثر جديةً منه، في الثبات في موقفكم الحق، في التمسك بقضيتكم العادلة، في أدائكم لمسؤولياتكم المقدَّسة، ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]، فالعدو يرى في الأخير أنَّ وسائله وأساليبه ليست مجدية، وأنَّ ردة الفعل هي عكس ما يريده، هو يريدهم أن ينهاروا، أن ييأسوا، أن تنكسر إرادتهم، فإذا بهم أكثر عزماً، أكثر تصميماً، أكثر قوةً وجديةً في اهتمامهم وعملهم.

درس مهم من صبر الربانيين مع الأنبياء

أتى في القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، هذا درسٌ مهمٌ وعظيمٌ قدَّمه الله ﷻ لنا من المؤمنين الذين

١- آل عمران: من الآية ٢٠٠
٢- آل عمران: الآية ١٤٦

وقفوا مع الأنبياء، نصروا الأنبياء، جاهدوا مع الأنبياء، الذين تحمَّلوا هذه المسؤولية المقدَّسة، ونهضوا بهذا الدور العظيم في الواقع البشري، وأنَّ الكثير منهم، **يعني:** كحالة ليست مجرد حالة نادرة، أو حالة استثنائية، حالة تكررت كثيراً على مرِّ التاريخ؛ **حتى** لا يتصور البعض أنَّ هذا مطلوبٌ منا لوحدنا، أو أنه حِمْلٌ بلينا به عن سائر الناس، أو عن سائر المؤمنين، لا، المسألة مختلفة، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ﴾، **يعني:** حالة تكررت كثيراً، كم وكم وكم ﴿مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾، أيضاً ليست حالة نادرة على المستوى الشخصي، **مثلاً:** لا يتهيَّأ لها، لا يتمكَّن منها، لا يمكن أن تتوفر إلَّا لدى القليل القليل من الناس، **الصبر مسألة ممكنة من الجميع**، وإن تفاوتت نسبة الصبر، وإن تفاوتت، لكنها مسألة ممكنة.

الله هيَّأ الإنسان في فطرته، في قدراته، في طاقته لذلك، والله يزيد الذين آمنوا، الذين يلتجئون إليه، يستعينون به، يزيدهم على مستوى الدعم النفسي بالسكينة، بشرح الصدر، بالعوامل التي تساعد من تحملهم أكثر فأكثر.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾، عندما أصابهم ما أصابهم في سبيل الله، قدَّموا الكثير من الشهداء، جُرِح الكثير منهم، حصلت لهم المعاناة في الميدان (في ميدان الصراع)، المعاناة المتنوعة، **المعاناة المتنوعة:** على المستوى الاقتصادي، على المستوى العسكري... من جوانب كثيرة، لم يصبهم ذلك بالوهن، لم تأت النتائج التي يريدها العدو، يسعى لها العدو، **الوهن:** عكس الصلابة، فتحصل لديهم حالة من الفتور، من الجمود في التفاعل في أداء مسؤولياتهم، فلا يتحركون إلَّا بتثاقل، وبنفوس لم تعد بذلك العزم، بتلك القوة، بتلك

١٠

الإرادة الفولاذية، أصبحوا يتحركون بفتور، أثَّر عليهم ما حصل عليهم.

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾، لم يهنوا، استمرت صلابتهم، عزمهم القوي استمر، ثباتهم، جديتهم، كل ذلك استمر، ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾، لم يصلوا إلى ما هو أكثر من الوهن، وهو الضعف مثلاً أن يصلوا إلى حالة الضعف، فيفقدون الشعور بالقوة، الناتج عن اعتدادهم بمعية الله، عن إيمانهم بقضيتهم الحق، عمَّا يحملونه من القيم والأخلاق الإيمانية.

١٠ ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾، ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾، لم يستكينوا، بقوا في حالةٍ من العزة، من الكرامة، لم تنهر عزائمهم إلى حد أن يستكينوا، فيتنصَّلوا عن المسؤولية، فيجمدوا بشكلٍ تام، استمروا وواصلوا نهوضهم بمسؤولياتهم، وأدائهم لواجباتهم.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾؛ **لأنهم** صبروا، بدلاً عن الوهن، بدلاً عن الضعف، بدلاً عن الاستكانة، صبروا، فكان الصبر وسيلة مساعدة لاستمراريتهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: الآية ١٤٧]؛ **لأن** الناس عندما يحصل لهم الوهن، والضعف، والاستكانة، أيٌّ منها، أو بكلها، تكون لهم أقوال تعبِّر عن التذمر، أقوال تعبِّر عن اليأس، أقوال تقدِّم التبريرات الواهية لتنصُّلهم عن مسؤولياتهم، تقدِّم حالة الفشل وكأنها حالة لازمة، وحالة لا مناص منها، أقوال سلبية تخدم العدو، تشجِّع العدو، ترفع من معنويات العدو.

أمَّا الربَّانيون، المؤمنون، المخلصون لله سبحانه وتعالى، فمقولاتهم مقولات التجاء إلى الله، استشعار للتقصير أكثر، اهتمام وجدية أكثر، اتجاه إلى الواقع العملي لمعالجة جوانب القصور فيه والخلل أكثر فأكثر، استمرارية وجدية مع

الالتجاء إلى الله، وإصلاح الواقع العملي بكل اهتمام، **وهذا هو التصرف الصحيح، هو التصرف الصحيح، هو الموقف الصحيح.**

في الواقع البشري لا تنهض الأمم، ولا تواجه التحديات، ولا تتحرك في إطار المهام الكبرى، إلَّا وتستند إلى الصبر، لابدَّ من الصبر، حتى الجيوش في بنائها لتكون جيوشاً قوية، الأساس في ذلك هو الصبر، لابدَّ من الصبر، وحتى في داخل الجيوش، من لهم مهام خاصة، مهام استثنائية، يحظون بتمرينٍ كبير على الصبر، على التحمل الذي يقترن به أداء مهام وأعمال عظيمة، كبيرة، نوعية، مهمة، ذات تأثير كبير؛ **لأنه كلما أردنا أن يكون هناك فاعلية أكثر، فاعلية في العمل، فاعلية في الأداء، في مستوى الأداء، لابدَّ من الصبر أكثر.**

١٠

نتيجة الصبر وثمرته الطيبة

من أهم ما يتم التذكير به في التواصي بالصبر، هو الحديث عن عاقبة الصبر الحسنة، وأنَّ من أهم ما يميِّز الصبر في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أن نتيجته الإيجابية، ثمرته الطيِّبة، عاقبته الحسنة حتمية؛ **لأنها** ارتبطت بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي لا يخلف وعده، وهو الصبر المجدي، الصبر في سبيل الله، الصبر في القيام بالمهام والمسؤوليات الكبرى هو الصبر المجدي، المثمر، النافع، المفيد.

وإذا جئنا إلى هذا، فنجد في القرآن الكريم التأكيد على البشارة: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1]، هكذا يقول الله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، بشَّرهم بهذه العاقبة الحسنة، بهذه الثمرة الطيِّبة؛ **لأنهم** سيصلون من خلال صبرهم إلى النصر، إلى الفرج، إلى الخير الكبير، إلى تحقيق النتائج المهمة التي يسعون للوصول إليها، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ بشِّرهم أيضاً بأنه سيأتي لهم حتى وهم يعانون، حتى وهم يواجهون الصعوبات والتحديات، المؤشرات والانفراجات التي

١- البقرة: من الآية ١٥٥

هي بشارةٌ لهم، التي هي مقدِّماتٌ لنصرهم الكبير، لفرجهم العظيم، وهذا فعلاً مما يأتي، لا تبقى الحالة دائماً حالةٌ صعبة، وقاسية، وقاتمة اللون، وشديدة، تحصل انفراجات، تحصل مقدِّمات، هي بحد ذاتها بشائر، هي بحد ذاتها بشائر، تحصل انتصارات وانفراجات تبشِّر بما سيأتي من نصرٍ عظيم، من فرجٍ كبير، من متغيرات.

حتى في الشدائد على المستوى الاقتصادي تحصل انفراجات، لا تبقى الشدة كما هي في أقسى حالاتها على نحوٍ مستمر، تأتي انفراجات، وانفراجات، وانفراجات، حتى يأتي الفرج الكبير، ويترافق مع العسر اليسر، كما قال الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1]، يأتي اليسر، فتأتي انفراجات من هنا، إيجابيات من هنا، عوامل مساعدة من هناك... وهكذا لا يبقى العسر بشكلٍ خالصٍ، مستمرٍ، ضاغطٍ، والعناء شديدٌ بشكلٍ مستمر، تأتي حالة اليسر لتترافق مع العسر، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]، وتتحقق إيجابيات مع ما يحصل.

فالغايات المذكورة في القرآن الكريم للصبر، هي **غايات عظيمة، غايات كبيرة، جمعتها عبارة واحدة:** ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، الفلاح، الفلاح الذي هو وصول إلى النتائج العظيمة، ظفرٌ بالخير، وصولٌ إلى النتائج المرجوة في الدنيا والآخرة.

النتائج السيئة للتفريط وعدم الصبر

بينما إذا جئنا لما هو بديلٌ عن الصبر، إذا جئنا للحالة الأخرى: عدم الصبر في سبيل الله، في طاعة الله، في أداء المهام والمسؤوليات الكبيرة **جدًّا، واتجهنا إلى الخيارات الأخرى:** خيار الانهيار، الاستسلام، العجز، اليأس، الضعف، الانهيار أمام العدو، وتمكين العدو من فعل ما يشاء ويريد،

١- الشرح: الآية٥
٢- الشرح: ٥-٦

من الوصول إلى أهدافه ومآربه الشيطانية، ما الذي ينتج عن ذلك؟ **ينتج عنه**: العناء، القهر، الذلة، الاضطهاد، الضيم، الذي يستمر، وإذا صبر الناس عليه، فصبرهم لا يفيدهم، لا يجديهم، لا ينفعهم، لا يغيِّر من الواقع شيئاً، وحتى لا يؤجرون عليه، ليس لهم عليه أجرٌ ولا فضل، فيكون هو الصبر السلبي، بدلاً عن الصبر الإيجابي، عن الصبر المطلوب، وهي حالة خطيرة **جدًّا**، وتدوم الحالة، تستمر ما داموا مستمرين على ذلك، وإذا أرادوا التحرك فيما بعد، وتحرَّكوا متأخرين بعد أن يتمكن العدو منهم أكثر، بعد أن يكونوا قد فرَّطوا بمسؤولياتهم وواجباتهم لمدةٍ طويلة، وتحرَّكوا متأخرين، كانوا محمَّلين بالإصر الثقيل، بالحمل الثقيل، الذي هو نتاجٌ لتفريطهم، عاقبةٌ لعصيانهم، لاستهتارهم، لإهمالهم، لتقصيرهم، فتكون الكلفة هائلة، والنتيجة ضئيلة، ويحتاجون إلى عناء كبير **جدًّا**، ومدة زمنية طويلة **جدًّا**، وهذه مسألة خطيرة **جدًّا**.

إنَّ كل الغايات العظيمة للصبر في القيام بمسؤولياتنا، في طاعتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأدائنا لمهامنا وجهادنا في سبيل الله، وتصدينا لأعداء الله، على النقيض منها تماماً نتاج التخاذل، نتاج التفريط، عواقب التقصير، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عندما قال لنا في الصبر في سبيله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، **النتيجة المناقضة لها عندما لا نصبر في سبيله**: لعلكم تخسرون، لعلكم تخسرون في الدنيا والآخرة، تخسرون كل شيء، تخسرون حريتكم؛ **فيستعبدكم** أعداؤكم، تخسرون كرامتكم؛ **فيذلكم** ويهينكم أعداؤكم، تخسرون شرفكم، تخسرون أمنكم، تخسرون كل شيء، تخسرون دينكم ودنياكم، البديل عن: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، عندما تنهارون، عندما لا تؤدون واجباتكم بصبر، **لا تنهضون بمسؤولياتكم بصبر**: لعلكم تخسرون كل شيء والعياذ بالله.

١٠

البديـل عـن قولـه تعـالى في الصبـر في سـبيله، في الصبـر في طاعتـه، في الصبر في القيـام بالمسـؤوليات المقدسـة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، **البديـل عـن ذلـك:** أنَّ اللـه يخـذل أولئـك الذيـن لم يصبـروا في سـبيله، لا يقـف معهـم، لا يؤيِّدهـم، لا يعينهـم، لا يرحمهـم؛ **لأنهـم** لم يسـتجيبوا لـه، فيـما فيـه عزهـم، فيـما فيـه نصرهـم، فيـما فيـه خيرهـم، فيـما فيـه فلاحهـم، فيـما فيـه قوتهـم، فيـما فيـه كرامتهـم، لم يسـتجيبوا لـه، ولذلـك فليـس معهـم، سـيخذلهم، سيسـلط أعداءهـم عليهـم، والتسـليط حالـة رهيبـة **جـدًا**، تتضاعـف بهـا وتـزداد أشـكال المعانـاة مـع الذلـة والهـوان إلى حـدٍ كبـير، فيصلـون إلى حالـة: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[1]، واقـعٌ مخـزٍ، مـذل، مهـين، كلـه اضطهـاد، وظلـم، وقهـر، وذلـة، ويسـتمر، والصـبر فيـه- كـما قلنـا- ليـس مجديـاً، وليـس عليـه أجـرٌ، وليـس لـه فضـلٌ، **هـذه المقارنـات مهمـة جـدًا في التـواصي بالصـبر**، عندمـا نقـارن بـين النتائـج، بـين العواقـب، بـين مـا يترتـب عـلى هـذا، ومـا يترتـب عـلى ذاك.

الدوافع المهمة المساعدة على الصبر

مـن أهـم مـا ينبغـي التركيز عليـه في التواصي بالصـبر: التـواصي بالدوافع المهمة المسـاعدة عـلى الصبـر، **وفي مقدمتهـا:** الدافـع الإيـماني، كلـما زاد إيمانـك؛ **كلـما** زاد تلقائيـاً صبرك، الصبـر هـو ترجمـة للحالـة الإيمانيـة، تجـلٍ للحالـة الإيمانيـة، أنـت في واقعـك الإيـماني تندفـع، ولديـك مـا يدفعـك إيمانيـاً لتصـبر أشـياء كثـيرة **جـدًا:** اعتـدادك بمعيـة اللـه، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، أنـت تحـرص عـلى أن يكـون اللـه معـك، فتعـرف قيمـة الصـبر في ذلـك، الصـبر في طاعـة اللـه، في العمـل في سـبيله.

١- الطور: من الآية ١٦

١٠

ولهذا عندما يقول الله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[١]، من أجل الله، أنت تصبر استجابةً لله سبحانه وتعالى فيما يرضيه، وفيما له أهميةٌ كبيرةٌ في أن تحظى أنت برضوانه، أن تحظى برعايته الشاملة، الواسعة، وأن تحظى بما وعد به من الوعود العظيمة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[٢]، فكيف كان حرصهم على أن يحظوا برضوان الله عنهم، من أجل الله، هذا دافعٌ كافٍ، دافعٌ عظيم، دافعٌ مهمٌ **جدًّا** سيساعد الإنسان في مواجهة كل التحديات والصعوبات، أنه من أجل الله، وفي سبيل الله، ومع الله، وأنه يرجو من الله ما يرجوه منه من عظيم الأجر، والفضل، والمنزلة، والنتائج التي وعد الله بها في الدنيا والآخرة.

١٠

من الدوافع المهمة للصبر: الدوافع الإنسانية والأخلاقية، زكاء النفوس، والقيم الفطرية التي يعشقها الإنسان بفطرته، كالعزة، والكرامة، والإباء، والإنسان إذا امتلك أيضاً الضمير الحي، فكل هذه القيم كلما نمت في الإنسان، كلما ترسخت فيه، كلما تربى عليها أكثر؛ **كلما** كان ذلك عاملاً مساعداً في الصبر أكثر.

فالذي يعشق العزة، ويريد أن يكون عزيزاً، يأبى الذلة، يأبى الهوان، يأبى ما يسعى له الأعداء، وما يعملون من أجله، من إذلال الأمة، من إهانتها، من استعبادها؛ **وبالتالي** يندفع إلى الأعمال، إلى المهام، إلى المسؤوليات في التصدي للأعداء بإقبال واندفاع كبير، لا يحتاج إلى أن تعظه ليلاً ونهاراً، وتتحدث معه في كل لحظة، وميكرفون إلى أذنه على طول أربعة وعشرين ساعة، لو فترت عنه قليلاً من الوقت، تغيرت اهتماماته، وتغير تفكيره، وتغير توجهه، وتكاسل، وتراجع، يوجد لديه الدافع الداخلي، الدافع الداخلي،

١- المدثر: الآية ٧

٢- الرعد: من الآية ٢٢

عزته، كرامته، إباؤه، ضميره الحي، عندما يشاهد الأعداء، يشاهد إجرامهم، مؤامراتهم، طغيانهم، فظائعهم، ظلمهم بحق الناس، ظلمهم بحق شعوب أمتنا، ظلمهم لشعبنا اليمني، الجرائم الفظيعة **جدًّا**، الإنسان الذي لا تزال فطرته سليمة، ويمتلك هذه القيم، بمجرد مشهد واحد من مشاهد تلك الجرائم الفظيعة **جدًّا**، ينطلق بكل جد، وبكل صبر، وبكل اهتمام، وبكل تفانٍ، وبكل استبسال، والإنسان الذي مات ضميره، وفقد هذه القيم، لو يشاهد ما يشاهد، ولو يسمع ما يسمع، لا يتفاعل، لا يتأثر، لا يتحرك.

١٠

من أهم الدوافع المهمة للصبر، هو: الوعي بظروف الحياة، هذه الحياة هي ميدان مسؤوليةٍ واختبار، فيها المشاق، فيها الصعوبات للمؤمن والكافر، للفاجر والتقي، لكل الناس، هذه الحياة فيها الصعوبات، فيها التحديات، فيها المعاناة، فيها... للجميع، **الفارق الكبير جدًّا هو أنه:** في طريق الإيمان والتقوى يكون لصبرك إيجابياته العظيمة، نتائجه الكبيرة، الأجر العظيم، وتكون أيضاً في الموقف المشرف، الذي يتناسب مع كرامتك الإنسانية التي أراد الله لك أن تصونها.

ليس هناك مثلاً أمل في أنَّ الإنسان لو يتنصل عن صبره في طاعة الله، عن صبره في النهوض بمسؤولياته، عن صبره في العمل في سبيل الله، أنه سيكون الواقع مختلفاً تماماً، فسيرتاح ولا يتعب أبداً، وسيهنأ بهذه المعيشة، ولا ينال أي منغصات، وسوف يعيش وكأنه في الجنة، لا تحصل هذه الحالة.

الآخرون الذين هم في سبيل الطاغوت، الذين باعوا كرامتهم، باعوا إنسانيتهم، باعوا دينهم، باعوا قيمهم وأخلاقهم، هم في عناء، هم في شقاء، هم يتكبَّدون الخسائر الكبيرة، يلحقهم بأكثر مما يلحق الآخرين في كثيرٍ من الأمور، مع الفارق الكبير في الموقف، ونتائجه، وعواقبه في الدنيا والآخرة،

ولذلك المسألة هذه مسألة مهمة **جدًّا، الوعي بظروف هذه الحياة.**

والوعي أيضاً بعواقب التفريط، عواقب التقصير المهولة، الرهيبة، الخطيرة، الفظيعة، التي **يجب** أن يسعى الإنسان لما يقيه منها، لما يقيه منها، عواقب التفريط، والتهاون، والتنصل عن المسؤولية، عواقب خطيرة **جدًّا** في الدنيا وفي الآخرة.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، نسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

من أهم ما يساعد على تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مما هو باعثٌ على التقوى، ومفيدٌ في الالتزام بها على نحوٍ مستمر، هو: الصلاة، الصلوات الخمس هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي فريضةٌ عظيمةٌ من فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ، ولها أهميتها الكبيرة **من حيث** موقعها في الدين، ما يترتب عليها من

النتائج التربوية العظيمة، الفضل والأجر الكبير عليها من جوانب متعددة.

والكل يعرف عن أهمية الصلاة على نحوٍ إجمالي، وأنها ركنٌ عظيمٌ من أركان الإسلام، وأتى في القرآن الكريم من ضمن المواصفات الرئيسية، وفي كثيرٍ من المواقع في القرآن الكريم، **في أول المواصفات الأساسية للمتقين وللمؤمنين:** العناية بالصلاة، تحت العنوان المعروف: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، وتكرر هذا في القرآن الكريم؛ **باعتباره** من المواصفات الأساسية اللازمة، التي عليها أهل التقوى والإيمان، لا تنفك عنهم، يستمرون على ذلك، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، تتكرر ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾... في كثيرٍ من الآيات المباركة التي تحدثت عن مواصفاتهم، وعلاماتهم، واهتماماتهم العملية التي يواظبون عليها.

١١

ونجد مثلاً في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١]، فبعد قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، يأتي بقوله: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، وهي تفيد الاستمرارية على ذلك، أنهم يواظبون على الصلاة القيّمة، التي يؤدونها على نحوٍ تام.

وتكرر كثيراً في القرآن الكريم إلى جانب الحديث عن صلاتهم القيّمة، التي يتميزون بها؛ لأن الكثير يصلون، لكن ما يميِّز صلاة المتقين: أنها صلاةٌ قيِّمة، وهذا ما سنتحدث عنه أثناء حديثنا في الموضوع.

١- البقرة: ٢-٣

يأتي أيضاً مما وصفوا به: المحافظة على الصلاة، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[١]، هكذا يقول الله عنهم، فهم يحافظون عليها باستمرار أيضاً، ويستمرون عليها، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٢]، ليسوا موسميّين، فقط في شهر رمضان، أو في يوم الجمعة، أو في بعض الأوقات، أو يهتم بالبعض من الصلوات على نحوٍ شكلي، ثم يترك البعض منها.

وأيضاً يصفهم بالخشوع في صلاتهم، صلاتهم صلاة مميزة، من حيث حضور الذهن، من حيث الخشوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[٣].

لأهمية الصلاة تكرر الأمر بإقامتها في القرآن الكريم كثيراً، فيأتي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٤]، **وتكررت هذه الصيغة في القرآن الكريم:** الأمر بإقامة الصلاة، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٥]، في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، في عدة سور، وفي عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[٦]، وعادةً ما يقترن مع الأمر بالصلاة الأمر بالإنفاق، والأمر بالزكاة، في كثيرٍ من الآيات القرآنية، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً إن شاء الله، عندما نتحدث عن الزكاة وعن الإنفاق.

فالصلاة تأتي في رأس القائمة، في مقدِّمة المواصفات والأعمال الأساسية، وكعنوانٍ رئيسي، حتى أنها تدل على ما بعدها من الاهتمامات والالتزامات العملية، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾.

١- المؤمنون: الآية ٩

٢- المعارج: الآية ٢٣

٣- المؤمنون: الآية ٢

٤- البقرة: من الآية ٤٣

٥- النساء: الآية ١٠٣

٦- إبراهيم: الآية ٣١

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]، فيأتي هنا الأمر بشكل رئيسي ومباشر في ما يخص الصلاة، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أدُّوا صلاتكم صلاةً قيِّمة، فهو أمرٌ بالصلاة نفسها، وأن تؤدَّى قيِّمة.

وجوب المحافظة على الصلاة في كل الظروف

أيضاً يأتي قول الله سبحانه وتعالى في المحافظة عليها: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[2]، ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ في كل الحالات، في كل الحالات المختلفة، والله سبحانه وتعالى قد شرع كيفيةً متناسبةً مع مختلف الظروف التي يواجهها الإنسان، **مثلاً:** في حالة المرض، الذي يتعذر فيه أداء الصلاة كاملةً، من قيام، وقعود، وفق هيئاتها، شرع الله صلاة المريض بحسب استطاعته من قعود، إذا لم يستطع من قعود، فهو مضطجع، وكذلك مثلاً في حالة السفر (السفر بعيداً) هناك أيضاً صلاة السفر، وفي ما يتعلق أيضاً بظروف القتال المستمر، الذي يتعذر معه- مثلاً- أداء الصلاة وفق هيئاتها وأركانها المعروفة في حالة الأمن والاطمئنان، فهناك ما يتناسب مع تلك الظروف.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، **(الصَّلَاةِ الْوُسْطَى) يختلف المسلمون ما هي من بين الصلوات، وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنها صلاة الجمعة في يوم الجمعة، وفي بقية الأيام الظهر.**

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، قوموا في صلاتكم وقفوا- لأنها وقفة بين يدي الله سبحانه وتعالى- لله بإخلاص، بإخلاص لله سبحانه وتعالى، من أجل الله سبحانه وتعالى، مع الحذر من الرياء والدوافع غير الإيمانية، ﴿قَانِتِينَ﴾: خاضعين لله سبحانه وتعالى؛ **لأن وقفة الصلاة هي وقفة تعبُّد لله سبحانه وتعالى، وتعبير عن العبودية لله سبحانه وتعالى، وذكر لله جل شأنه.**

١- الأنعام: الآية ٧٢

٢- البقرة: الآية ٢٣٨

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[١]، في ظروف الخوف لها اعتبارها، ظروف الخوف التي قد يفوت وقت الصلاة بكله قبل أدائها، فتؤدّى كما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، بحسب الحالة.

أيضاً يقول جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٢]، هناك: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، **يعني:** فأدوا صلاتكم كاملةً مع الذكر لله سبحانه وتعالى، والإكثار من ذكره، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٣]، **فيأتي للظروف:** الظروف القتالية، ظروف الخوف، حالاتها التي لا تفريط فيها بالصلاة، وفي نفس الوقت تتلاءم مع تلك الظروف والحالات.

١١

ما ذا يعني إقامة الصلاة؟

الأمر بإقامتها في القرآن الكريم هو متكرر، كما أشرنا في بداية المحاضرة، وما تعنيه إقامتها، **هو:** أداؤها خالصةً لله، كاملةً شروطها وفروضها، الإتيان بها وفق ما شرعها الله سبحانه وتعالى، وهذا أمرٌ مهمٌ **جدًّا؛ لأن** البعض ممن يؤدّي صلاته بشكلٍ اعتياديٍ روتينيٍ، لا يعي أهميتها، وفضلها، وعظيم شأنها، قد يؤدّيها بشكلٍ عاديٍ **جدًّا،** من دون إتقانٍ لهيئاتها وأركانها، أو مع تفريطٍ وتقصيرٍ في شيءٍ من شروطها وأركانها، فيكون لذلك تأثير سيئ على أدائه، لا يؤديها كاملة، لا يؤديها متقنة وفق ما شرعها الله سبحانه وتعالى.

١- البقرة: الآية ٢٣٩

٢- النساء: من الآية ١٠٣

٣- النساء: من الآية ١٠٣

البعض ممن يؤدِّيها- كما قلنا- بشكل اعتيادي روتيني، وقد يؤدِّيها وهو مستعجلٌ **جدًّا** لأمرٍ من أمور الدنيا، لشأنٍ من شؤون نفسه وأغراض حياته، فعادةً يترك عجلته عليها هي، مع أنه قد يكون متأنياً في بقية الأمور، إنما يستعجل **جدًّا** فيها؛ **فيفرِّط** في شيءٍ منها.

الصلاة في رأس قائمة الفرائض المؤكدة في كل رسالات الله

لأهمية الصلاة، وعظيم شأنها، كانت في رأس القائمة ضمن الأولويات العبادية، والأعمال العظيمة، والفرائض المؤكَّدة في كل رسالات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولدى كل أنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويتضح لنا في القرآن الكريم كيف كانت أهميتها في عهد الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام»، وكيف كانت عنايتهم بها، مما يدل على عظيم شأنها، وعلى منزلتها وموقعها المهم **في** دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وفي** القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وفي** آثارها المهمة التي نحتاج إليها نحن كبشرٍ في كل زمانٍ ومكان.

في القرآن الكريم على نحوٍ إجمالي، في حديثه عن الأنبياء صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يقول الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أوحى إلى الأنبياء ﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾، عنوان واسع يشمل كل الأعمال الصالحة التي فيها الخير، ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾، فنلاحظ كيف كانت أساسيةً، وخصَّت بالذكر؛ **لأهميتها** وموقعها، وأثرها الكبير على المستوى التربوي والعبادي، ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾، وكثيراً ما تقترن الزكاة بالصلاة، ويقترن الإنفاق بالصلاة، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾.

١- الأنبياء: من الآية ٧٣

من ضمن ما يذكره الله أيضاً عن نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام، في اهتمامه الكبير بأمر الصلاة، وهو الذي بنى الكعبة، أعاد بناءها، وأحياها من جديد، فأحيا دورها الكبير كقبلةٍ للصلاة، وكذلك في دورها فيما يتعلق بالحج، فإبراهيم عليه السلام كان من ضمن أدعيته: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[1]، وورد الكثير في القرآن الكريم فيما يتعلق بذلك في سورة البقرة، وفي سورة إبراهيم... وفي سورٍ أخرى أيضاً، كان من الملاحظ لاهتمامه الكبير بالموضوع، أنَّ من ضمن أدعيته هذا الدعاء: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾، وهذا مما ينبغي أن يأخذه الإنسان المؤمن بعين الاعتبار، أن يدعو الله أن يوفِّقه لأداء الصلاة، أن يعينه على أداء الصلاة القيِّمة؛ **لأن** المطلوب هو أن تكون صلاةً قيِّمة، ما أكثر المصلين! وما أقلَّ الذين يقيمون الصلاة! وهذا الدعاء بنفسه دعاءٌ عظيم، دعاءٌ مهم، يمكن للإنسان أن يعتمده ضمن أدعيته التي يدعو الله بها: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، يدعو الإنسان لنفسه بذلك، ويدعو لذريته، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.

كذلك في القرآن الكريم عن نبي الله إسماعيل عليه السلام **يقول الله عنه:** ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾[2]، من ضمن أوصافه العظيمة، من ضمن ما يتحدث به القرآن عنه؛ **باعتباره** شيئاً مهماً، وشيئاً عظيماً، ومواصفة مهمة، **من مميزاته** عليه السلام **أنه كان هكذا:** يهتم بأمر الصلاة، ويأمر أهله بها بشكلٍ متكرر، فهي ضمن الاهتمامات التربوية التي يحرص عليها الإنسان مع أهله، **ضمن المسؤوليات والالتزامات الأخلاقية والتربوية تجاه الأهل:** أن يأمرهم الإنسان بالصلاة، أن يحثهم على الصلاة، أن ينبههم على الصلاة... وهكذا شيءٌ مستمر، ﴿يَأْمُرُ﴾ كحالة مستمرة، ﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُ

١- إبراهيم: الآية ٤٠
٢- مريم: من الآية ٥٥

﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، **وقرينة الصلاة هي الزكاة.** ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾، هذا يدل على اهتمامه العظيم بأمرهما، بأمر الصلاة والزكاة، ويدل على موقعهما العظيم في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنهما عنوانان رئيسيان بارزان، يعبِّران عن غيرهما، عن بقية المواصفات الإيمانية.

كذلك في القرآن الكريم في سورة طه، في الحديث عن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما أوحى الله إليه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو يخاطبه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[1]، فلعظيم شأن الصلاة، أفردت أيضاً بالذكر مع أنها من العبادة، تدخل ضمن قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾، فيأتي أيضاً الإفراد لها بالذكر، والتخصيص لها بالذكر؛ **لأهميتها** الكبيرة **جدًّا**، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، فمن الأدوار الأساسية للصلاة، **هي:** أنها ذكرٌ لله، أنت في صلاتك تذكر الله، وتتذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتخرج من حالة الغفلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **إذا** أدّيت صلاتك كما ينبغي بإقبالٍ ذهنيٍ ونفسيٍ، وتوجهٍ بالقلب والمشاعر، وبالوجدان واللسان نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كذلك فيما أوحى الله به إلى نبيه موسى ونبيه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، **يقول الله تعالى:** ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، فإقامة الصلاة تأتي ضمن الأوامر الإلهية المؤكدة والمتكررة؛ **لِمَا** للمسألة من أهمية كبيرة **جدًّا** لنا نحن، للبشرية أنفسهم.

١١

١- طه: الآية ١٤

٢- يونس: الآية ٨٧

أيضاً في سورة مريم، فيما ذكره الله عن نبيه عيسى عليه السلام، عندما أنطقه الله وهو في المهد، فقال عليه السلام ضمن ما قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[1]، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، ما شاء الله! سبحان الله العظيم! كان نبي الله عيسى مباركاً أينما كان، فيقول: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، **يعني**: بالاستمرار على ذلك، بالاستمرار على ذلك، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: طول الحياة، طول العمر.

السر في عظمة الصلاة وأهميتها

١١

فكم في القرآن الكريم من الحديث عن الصلاة، من الأمر بها، من التأكيد عليها كعنوانٍ رئيسيٍ إيمانيٍ يساعد على التقوى، والصلاة لها- كما أشرنا في سياق الحديث- أهميتها من جوانب متعددة:

التذكر والذكر لله تعالى

أول ما في الصلاة: أنها ذكرٌ لله تعالى، كما قرأنا في قوله سبحانه وتعالى مخاطباً لنبيه موسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، **الإنسان بحاجة إلى الذكر لله، ومن أخطر ما يمكن أن يتعرض له الإنسان في التأثير السلبي على نفسه، واهتماماته، وأعماله، وتصرفاته، ومواقفه، هو: الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، هي الحالة الخطيرة التي يصطادك فيها الشيطان، يوقع بك الشيطان، تسقط فيها في حبائل الشيطان ومصائد الشيطان، حالة الغفلة عن الله، حالة النسيان لله سبحانه وتعالى**، فأتت الصلوات الخمس، التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والفرض العظيم من فرائض الله سبحانه وتعالى، في أوقات موزَّعة على اليوم والليلة؛ **حتى لا** تنسى لفترة طويلة مع انشغال الإنسان في ظروف حياته، ظروف معيشته.

١- مريم: الآية ٣١

البعض قد ينهمك ذهنياً نفسياً عملياً في مشاغله المعيشية مثلاً، في بيعه، في شرائه، في شغله، في زراعته... في أي أعمالٍ من أعماله، على نحوٍ ينسى فيه تذكُّر الله، والذكرى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلو لم تكن هذه الصلوات الخمس الموزعة على اليوم والليلة؛ **لبقي** لفترة طويلة، قد يمر يومه بكله غافلاً عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يذكر الله، ناسياً لله، وهي حالةٌ خطيرةٌ **جدًّا،** لها تأثيراتها السلبية على مشاعر الإنسان، وعلى واقع الإنسان العملي بالتالي، على التزامه الإيماني، على اهتمامه، فعندما يمر بعضٌ من الوقت، مثلاً ما بين الفجر والظهر، وقت متسع، لكن يأتي الظهر كذلك، ثم فريضة العصر، ثم كذلك يأتي المغرب، وهكذا العشاء، فهكذا تأتي هذه الفواصل الزمنية، والتي هي أيضاً في حركة الزمن، في حركة الليل والنهار، في حركة الشمس، أشبه ما تكون بفواصل زمنية، لها علاقة بواقع الإنسان، لها علاقة بنظم حياته وأعماله وتحركاته، كذلك مثلاً عندما نستيقظ من نومنا، فيكون أول الفرائض التي نؤديها هي فريضة الفجر، هذا في غير شهر رمضان طبعاً، مع سهر الليل في شهر رمضان وقيامه.

وهكذا يأتي الذكر لله، والتذكر لله، الذي له أهميته الكبيرة في أن تبقى متجهاً نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خائفاً من العصيان لله، متنبهاً ومستحياً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنتبهاً إلى أعمالك، إلى تصرفاتك، كيف لا تعصي الله، كيف لا تسبب لنفسك سخط الله، كيف تعمل ما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كيف تتقي الله جَلَّ شَأْنُهُ، فهذا الجانب جانبٌ مهم.

فالصلاة هي ذكرٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي أيضاً حافلةٌ بالأذكار العظيمة، بالتكبير لله جَلَّ شَأْنُهُ، وبالتسبيح لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع التسبيح التهليل والتحميد، وأيضاً مع ذلك قراءة القرآن، وقراءة سورة الفاتحة التي لا بدَّ منه في كل صلاة، فللأذكار

نفسها، ولقراءة القرآن نفسه الأثر العظيم في الذكر لله ﷻ، وفي ترسيخ ما تعنيه تلك الأذكار.

في التكبير لله، الذي يعني: ترسيخ الشعور بعظمة الله ﷻ، وأنه أكبر من كل شيء، بكل ما لهذا من أهميةٍ كبيرة بالتالي في مواقف الإنسان، في أعمال الإنسان، في طاعته لله ﷻ، في نهوضه بمسؤولياته، في مواجهته لأعداء الله، في تصديه للأخطار والتحديات مهما كانت.

ما يتعلق بالتسبيح كذلك، ما يتعلق بقراءة القرآن كذلك... وهكذا، أذكار الصلاة أذكار عظيمة، وليست عشوائية، هي شرعت، وأتت عن رسول الله ﷺ، شرعها الله لعباده، شرع لنا ما نذكره به في صلاتنا، فهي أذكار محددة ومشروعة للصلاة، حافلةٌ بالأذكار العظيمة المهمة، التي ترسِّخ في نفس الإنسان ووجدانه المعاني العظيمة، التي تشده نحو الله ﷻ، وهذا المجال يطول الحديث عنه، لسنا في سياق الحديث عنه تفصيلياً؛ **إنما** الحديث عنه على نحو الإجمال.

ترسيخ معنى العبودية لله سبحانه

من أهم ما في الصلاة: أنها تساهم في ترسيخ معنى العبودية لله ﷻ، وهي في أذكارها، **وأركانها من:** ركوعٍ، وسجود، وقيامٍ، وقعود، هي تعبِّر عن عبوديتك لله ﷻ، أنت تقف في صلاتك في موقف الصلاة، وفي مقام الصلاة، تتوجه، لا تتلفت إلى شيءٍ آخر، تبقى ملتزماً وفق هيئة الصلاة، وفق أذكارها، أركانها، شروطها، فروضها، لا تنشغل بشيءٍ آخر، لا تلتفت إلى شيءٍ آخر، لا تمارس أي أعمال أخرى، بوقفة الإجلال والخشوع والخضوع لله ﷻ، ركوعك وسجودك كله، وإقبالك ذلك الذي يمنع فيه أي حديثٍ آخر غير أذكار الصلاة، ويمنع فيه أيضاً أي أعمال أخرى غير أعمال الصلاة، أيّ

تلفت بوجهك، برأسك، إلى أي جهةٍ أخرى، كل ذلك ممنوع، تُقبِل بشكلٍ كليٍ، ولا تؤدي في الصلاة إلا أذكارها وأعمالها، وتترك أي شيءٍ آخر، هذا الإقبال بخشوع وخضوع، وحالة من القنوت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والخشوع لله جَلَّ شَأنُهُ، والإقبال إلى الله، هي تعبيرٌ عن عبوديتك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي أذكارها كذلك، في أذكار الصلاة كذلك تعبير عن العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمهم في ذلك هو: استحضار الذهن، التركيز الذهني على ما تقول وما تفعل، هذا أمرٌ مهمٌ **جدًّا**، التركيز الذهني والحضور الذهني على ما تقول وما تفعل، هذا يساعدك على أن تستشعر هذه الحالة من العبودية لله، من التعبير عن أنك عبدٌ لله، تقف بين يديه، تتوجه إليه، تذكره، تكبره، تسبحه، تقرأ من كتابه، تتلو آياته... إلى غير ذلك مما في أذكار الصلاة، وهذا جانبٌ مهمٌ، وترسيخه في وجدان الإنسان، وفي مشاعره له أهميته الكبيرة فيما يتعلق بطاعتك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بإقبالك إلى الله، بتسليمك لله، وتقبلك لهدي الله، وتقبلك لتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١١

العطاء التربوي للصلاة

من أهم ما في الصلاة، هو: عطاؤها التربوي، وأثرها الكبير في تزكية النفس، وتطهير نفسية الإنسان، وهذا جانبٌ مهمٌ **جدًّا**، يحتاج إليه الإنسان، ولأن هذا الموضوع موضوعٌ مهمٌ **جدًّا**، والإنسان في ظروف حياته، وشواغله، واحتكاكه بواقع هذه الحياة وما فيه، قد تتلوث نفسية الإنسان بالكثير مما يواجهه في ظروف هذه الحياة، وتتأثر سلباً، ولكن ما بين الصلاة إلى الصلاة، تأتي الصلاة الأخرى، فتمثل أيضاً عملية تطهير للنفس، وكأن الإنسان يتجه إلى حيث يطهر نفسيته من جديد، **وهذا يعود إلى إقبال الإنسان إلى الصلاة بوعي، وأدائها بوعيٍ واستحضارٍ لقيمتها، وأهميتها، وفوائدها.**

تزكية النفس جانبٌ مهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[1]**، فالصلاة تساعد على تزكية النفس، وتسهم في ذلك إسهاماً مهمًا.**

يقول الله جلَّ شأنه أيضاً عن هذا الجانب: عن أهمية الصلاة في تطهير نفسية الإنسان، في تزكية نفسه، في ترسيخ حالة التزام التقوى لدى الإنسان، والانضباط الأخلاقي والإيماني، في تنمية الروح الخيِّرة والمشاعر الطيِّبة في نفسية الإنسان، التي تبعده عن الفحشاء، عن المنكر، عن المعاصي: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[2]؛ **لأنها** ترسخ الحالة الإيمانية، تشدك إلى الله، تنمِّي في نفسك التذكر لله سبحانه وتعالى، والحياء من الله، والخشية من الله، والحب لله، والشعور بالقرب من الله سبحانه وتعالى، وتطهر نفسيتك، وتنمِّي فيك المشاعر الطيبة، المشاعر الإيجابية، الطاقة الإيجابية، التي تساعدك على الاستقامة إلى درجة أن تمقت الفحشاء، أن تكره الأعمال السيئة، أن تنفر منها، أن تستوحش منها، وهذا أثرٌ عظيمٌ ومهمٌ **جدًّا**، يحصل عندما يؤدِّي الإنسان صلاته كما ينبغي، ضمن استقامته العملية، وحرصه على الاستقامة العملية.

يقول الله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[3]، وأيضاً يذكر مواصفات أخرى مع الصلاة، لكن الصلاة كانت على رأس القائمة، في مقدمة ما يفيد في معالجة حالة الهلع لدى الإنسان، ما هي حالة الهلع؟ هي هذه: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾، يجزع من الشر، ليس عنده تحمل وطاقة، يحتاج إلى تربية تؤهله لذلك، وإذا مسه الخير منوعاً، يمنع، يبخل، يشح.

١٢

١- الأعلى: ١٤-١٥

٢- العنكبوت: من الآية ٤٥

٣- المعارج: من ١٩-٢٠

فهذه الحالة الإيجابية على المستوى التربوي للصلاة، الإنسان بحاجةٍ إليها، كل إنسان بحاجةٍ إليها، وينبغي أن تكون من الأشياء التي نحرص عليها، ونسعى لها، ونعي أهميتها الكبيرة لنا.

وسيلة مساعدة على التقوى والنهوض بالمسؤولية

من أهم أيضاً ما في الصلاة: أنها وسيلةٌ مساعدةٌ وعونٌ على أداء العمل الصالح، وعلى النهوض بالمسؤولية، فالله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، **فالصلاة هي وسيلةٌ مهمةٌ جدًّا، تساعد الإنسان على تقوى الله، على اهتمامه بالأعمال الصالحة الأخرى**؛ **لأن** لها الأثر الإيجابي الذي يساعدك على الاندفاع للأعمال الصالحة، ولتحمل المسؤولية التي عليك أن تتحرك للنهوض بها، في الجهاد في سبيل الله تعالى، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، في مواجهة الطاغوت، في مواجهة التحديات... إلى غير ذلك مما يدخل في إطار المسؤولية، فلابدَّ من الاستفادة من الصلاة في ذلك، هي وسيلة لها أثرها الكبير، الذي يكسبك في وجدانك الاطمئنان، الشعور بالقرب من الله سبحانه وتعالى، الدافع الذي يمثل دافعاً مهماً **جدًّا** للتحرك، للاهتمام، للعمل، للالتزام، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، مرتبطةٌ بالصلاة، لها أثرها الإيماني الكبير في ذلك.

ضرورة الوعي بخطورة التفريط والتهاون بالصلاة

فمن خلال هذا الدور المهم للصلاة، والأهمية الكبيرة لها، يجب أن نعي أيضاً خطورة التهاون بالصلاة، والتفريط بالصلاة، والبعض- للأسف الشديد- قد يكون سبب تهاونه بأمر الصلاة، أو عن بعض الصلوات، هو الغرق في شهوات النفس، الاسترسال في هوى النفس، الضياع للوقت والجهد في أشياء تافهة، أو أشياء عبثية، وهذه مسألة خطيرة **جدًّا**.

١- البقرة: الآية ١٥٣

على كُلِّ حال لا ينبغي أن يكون هناك أي شيءٍ من الشواغل المعيشية، أو مما يدخل- كما قلنا- ضمن الأمور العبثية، أو أهواء النفس، مما يسبب لدى الإنسان أن يتهاون بصلاته، وأن يفرط في صلاته، **فالتفريط** فيها والتهاون بها ذنبٌ عظيم، وجرمٌ كبير، الإنسان إذا تجرأ على ذلك، فهو يورط نفسه، هو يسبب لنفسه ورطةً كبيرةً **جدًّا**، يجني على نفسه جنايةً كبيرة، يفتح للشيطان المجال على نفسه، ويتحمل وزراً عظيماً، يدنس نفسيته.

الله جَلَّ شَأنُهُ **يقول في القرآن الكريم،** وهو يحكي عن واقع أهل النار في النار، وهم يتحدثون عن الأسباب الرئيسية التي أوصلتهم إلى نار جهنم، كان في مقدمتها: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[1]، كان في مقدمة الأسباب لهلاكهم، لأن يكونوا من أهل النار والعياذ بالله: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، على رأس القائمة. ١١

أيضاً يأتي الوعيد في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[2]، حالة الاستهتار بالصلاة، والغفلة عنها، والتهاون بأمرها، وقد يفوت لدى البعض من المتهاونين وقتها في أكثر الأحيان، وبالذات بعض الصلوات، البعض مثلاً يعتادون ويدمنون على التفريط في صلاة الفجر، فلا ينهض إلا في وسط النهار، أو بعد طلوع الشمس، وتصبح لدى البعض حالة يستمر عليها، فهو أصبح معتاداً لتضييع فريضة صلاة الفجر، ومدمناً على ذلك، هذا أمر خطير للغاية، **معناه:** أنك في مثل هذا الحال لم تعد من المؤمنين، ولا في عداد المتقين، وأنك ترتكب جرماً عظيماً، وتتحمل وزراً فظيعاً ثقيلاً، أمر خطير للغاية على الإنسان، في الحديث عن الرسول صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وَعَلى آلِه: ((**لا يزال الشيطان هائباً مذعوراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن، تجرأ عليه، فألقاه في العظائم**))، الشيطان يتجرأ

١- المدثر: الآية ٤٣

٢- الماعون: ٤-٥

على الإنسان إذا فرَّط وضيَّع في صلواته، أصبح لا يهتم ببعضها، أصبح يؤديها على نحوٍ يتخلص منها، كأنها مشكلة، فيؤديها [مغضى] على حسب تعبيرنا المحلي، هكذا بطريقة ليتخلص منها، وكأنها أصبحت مشكلةً بالنسبة له.

بالوعي الإيماني ندرك عظمة الصلاة وقيمتها

من خلال الوعي الإيماني يجب أن ندرك عظمة الصلاة، قيمتها، أهميتها، ويبدأ الإنسان على المستوى النفسي والذهني في رسم صورةٍ إيجابيةٍ عن الصلاة، وفي حمل مشاعر إيجابية نحوها، **يعني:** أن تدرك أنت أنها قربةٌ عظيمةٌ إلى الله، أنها نعمة، أنها مفيدةٌ لك أنت، أنك بحاجةٍ أنت إليها حتى على المستوى النفسي، حتى لعلاج الحالات النفسية، التي هي مؤثرة سلباً عليك في مشاعرك، في اهتماماتك، في أعمالك، وتحمل المشاعر الإيجابية نحو الصلاة، في أهميتها، في دورها، في عظمتها، فيما تكتسبه منها أنت، على المستوى النفسي: من الشعور بالاطمئنان، والسكينة، والراحة، والقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ((أرحنا يا بلال))، **يقال أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ كان إذا أتى وقت الصلاة في بعض الأحيان يقول لبلال عندما يأمره بالأذان للصلاة: ((أرحنا يا بلال))،** راحة، راحة، واطمئنان، وسكينة، ومشاعر إيجابية يعيشها الإنسان، هذه هي الصلاة بشأنها العظيم.

يتفاوت الناس في مستوى الاستفادة من هذا المورد التربوي الإيماني العظيم، بحسب إيمانهم، بحسب إقبالهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي ميسَّرة، ميسَّرة، ليست على نحوٍ ثقيل، على نحوٍ صعب، ليست أعدادها كبيرةً **جدًّا،** الله جعلها ميسَّرةً **جدًّا،** ليس هناك ما يبرر أن يستثقلها الإنسان، أو أن ينفر منها الإنسان، أو أن يعتبرها أمراً صعباً ومعقداً يتهرب منه، هي من أيسر الأعمال، من أيسر الأعمال الصلاة، أمر يسير، وسهل، وغير معقد، وله آثار

١١

إيجابية، وإذا استمر الإنسان عليه بإقبال، أصبح من الأعمال الشيقة **جدًّا**، التي يشتاق إليها، يتطلع إليها، يحس من خلالها بالراحة النفسية العظيمة، يحسُّ بآثارها وبركاتها الكبيرة، بنتائجها العظيمة.

ومع ذلك، مع الصلوات الخمس، هناك صلاة المناسبات، الصلوات المتعلقة بالمناسبات، **منها مثلاً:** صلاة العيدين، منها صلاة الجنازة، هي فرضٌ على الكفاية طبعاً بالنسبة لصلاة الجنازة، هناك صلاة الكسوفين، كسوف الشمس والقمر، وهكذا صلوات تتعلق بمناسبات معينة، وهناك صلاة النافلة، من أهمها صلاة الليل، في آخر الليل، أو من بعد منتصف الليل هي نافلة، ليست فريضة، لكن فضلها عظيم، أثرها النفسي التربوي كبيرٌ **جدًّا**، والإنسان يتزود بحسب ظروفه العملية، وبحسب اهتماماته في مسيرته في هذه الحياة.

ارتباط الصلاة وصلتها الوثيقة ببقية الأعمال

وعلى كل حال تأتي الصلاة كوسيلة عظيمة جدًّا، بأثرها الكبير **جدًّا**، وارتباطها ببقية الأعمال، ليست بديلةً عن بقية الأعمال، ولا متعارضةً مع بقية الأعمال، بل لها صلتها الوثيقة؛ **لأنها** تؤدي هذا الدور في التذكر لله، في الإقبال إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الدور المساعد على التقوى، فتصبح هي وسيلةً معينة، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[1]، كما الصبر يساعدك على أداء مسؤولياتك، كذلك هي الصلاة.

فلا معنى أبداً لتقديمها وكأنها مثلاً بديلٌ عن الجهاد في سبيل الله، أو عن الأعمال المهمة الأخرى، في السعي لإقامة دين الله، لإقامة الحق، لإقامة العدل، لا مبرر أبداً يبرر التعامل معها وكأنها شيءٌ يغني عن بقية الدين،

١- البقرة: من الآية ٤٥

وهـي تربطـك ببقيـة الديـن، تربطـك بالاسـتجابة للـه ﷻ تجـاه ما أمـرك الله بـه.

مـن آخـر مـا نـوصي بـه في حديثنـا هـذا الموجـز عـن الصـلاة؛ لأن الحديـث عنهـا يمكـن أن يتسـع **جـدًّا، هـو:** الحـث للذيـن لم يتعلمـوا الصـلاة جيـداً أن يتعلموهـا، وألَّا يسـتحيوا مـن ذلـك، ألَّا يتحـرَّج الإنسـان مـن تعلمهـا، أو التأكـد مـن أنـه يتقنهـا في أذكارهـا، وأركانهـا، وشروطهـا، وفروضهـا، وأن يكـون هـذا مـن ضمـن الأشـياء التـي يتعلمهـا، بالـذات المناطـق التـي تنتـشر فيهـا الأميـة، وليسـت فيهـا حركـة جيـدة للتعليـم، أن يكـون هنـاك اهتـمام بهـذا الأمـر.

نسـأل اللـه ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكـم لما يرضيـه عنـا، وأن يرحـم شـهداءنا الأبـرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنـه سـميع الدعـاء، ونسـأله أن يتقبـل منـا ومنكـم الصيـام، والقيـام، وصالـح الأعـمال. ١١

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

الزكاة والإنفاق

أهميتها وأثرها في واقع الفرد والمجتمع والأمة

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن التقوى، وعمَّا هو من لوازم التقوى والإيمان، يأتي الحديث في القرآن الكريم عن الزكاة، وعن الإنفاق، **وكما أشرنا في المحاضرة السابقة:** كثيراً ما يقترن ذلك بالصلاة، فعندما يأتي الأمر بالصلاة في القرآن

الكريم، يقرن الصلاة بالأمر أيضاً بالزكاة، أو بالإنفاق، تكرر هذا في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة.

مما هو معروفٌ أنَّ الزكاة هي أيضاً ركنٌ من أركان الإسلام، وفريضةٌ عظيمةٌ ومهمةٌ وأساسيةٌ من أهم فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي أيضاً- كما قلنا- من مواصفات المتقين، ومن لوازم التقوى والإيمان، **يترتب عليها في إخراجها، في العناية بها:** النتائج والآثار الطيِّبة والمهمة، كما هو شأن الأعمال الصالحة والفرائض المهمة، التي فرضها الله، وشرعها الله، ويترتب أيضاً على الإخلال بها، أو الجحود لها، **أو التنكُّر لها والتهرب منها:** الآثار السيئة **جدًّا** على الإنسان في نفسه، في دينه، في دنياه، في أموره، في علاقته ما بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

في القرآن الكريم تكرر كثيراً قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، **أمرٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم، يأمرنا بإقامة الصلاة، ويقرن مع إقامة الصلاة الأمر بإيتاء الزكاة.**

﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، **وإيتاء الزكاة يعني:** المبادرة من الإنسان بإخراجها، عندما يتعين عليك الحق في الزكاة، أصبح لديك نصاب من الأنصبة التي **تجب** فيها الزكاة من أموالك، فعليك أن تبادر أنت برغبةٍ منك، باهتمامٍ منك، لإخراج زكاتك، لا أن تنتظر حتى يأتي من يخرجها قسراً وإرغاماً، وبدون طِيْبَةٍ من نفسك، مع محاولتك قبل ذلك التهرب والتمنع، **هذه حالة ليست إيمانية بالمطلق.**

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، **مثلما هو الأمر بالنسبة للصلاة أن نحرص على العناية بها، وأن نؤديها قيِّمةً، كذلك فيما يتعلق بالزكاة، أن نسعى للمبادرة بإخراجها.**

لا تبخل بالزكاة والإنفاق فأنت إنما تقدِّم لنفسك

ومـما ورد أيضـاً في القـرآن الكريـم في هــذا السـياق الـذي يقـول فيـه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، قولـه تعـالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1]، ليشـمل ذلـك الإنفـاق في سـبيل اللـه، الإنفـاق فيـما وجَّـه اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحـث عـلى الإنفـاق فيـه، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[2].

ينبِّهنا في هـذه الآيـات المباركـة أنما نقدِّمـه بالصـلاة القيِّمـة، بإيتائنـا للـزكاة، بإنفاقنـا، بأعمالنـا الصالحـة، إنمـا نقدِّمـه لأنفسـنا؛ **لأن** اللـه غنـيٌ عنـا، غنـيٌ عـن أعمالنـا، غنـيٌ عـن صلاتنـا، غنـيٌ عـن إنفاقنـا، غنـيٌ عـن زكاتنـا، لا يحتـاج إلينـا، ولا إلى شيءٍ منـا، هــو الغنـي الحميـد؛ **ولذلـك** فنحـن نحـن مـن نسـتفيد فيـما نقـدِّم بمـا نعمـل، بمـا ننفـق، بصلاتنـا وزكاتنـا، كل ذلـك لنا نحـن، في آثـاره التربوية التـي نحتـاج إليهـا، نحتـاج إليهـا في واقعنـا النفسـي، في مسـيرة حياتنـا، في واقـع حياتنـا، نحتـاج إلى ذلـك، كلـه لمصلحتنـا، وكلـه يفيدنـا في مـا هـو حاجـةٌ لنـا، **عـلى** المسـتوى النفسـي، **وعـلى** المسـتوى العمـلي، **وعلى** مسـتوى واقـع الحيـاة، وظروف الحيـاة، وعـلى مسـتوى الآخـرة، الآخـرة فيـما يـأتي في الحيـاة الآخـرة الأبديـة.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، فأنـت تقـدِّم لنفسـك، إذا كان الشـح والطمـع والبخـل قـد يؤثِّـر عـلى الإنسـان، ويسـبب لـه أن يمتنـع؛ **لأنـه** يعتـبر نفسـه يقـدِّم شـيئاً للآخريـن، ويخرجـه مـن نفسـه، **يعنـي:** يعتـبر نفسـه يخـسر، يعتـبر مـا يقدِّمـه مغرمـاً، غرمـاً وخسـارةً، وأنـه شيءٌ قـد فـات عليـه، ولم يسـتفد منـه شـخصياً؛ **لأنـه** أعطـاه هنـا، أو هنـا، حيـث أمـر اللـه، وحيـث وجَّـه اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهـي نظـرة خاطئـة، إذا نظـر الإنسـان مـن هــذا المنظـور نظـرة خاطئـة.

١- المزمل: من الآية ٢٠

٢- المزمل: من الآية ٢٠

عليك أن تتيقن أنَّ ما تقدِّمه، سواءً في زكاتك، في صدقاتك، **في** إنفاقك في سبيل الله، **أنت** تقدِّمه لنفسك أنت، وحُسِبَ لك، والذي تكسبه منه هو المهم على نحوٍ عظيم، وبدون أي مقارنة، في مقابل ما كنت ستصرفه فيه على نفسك، إذا كنت ستصرفه مثلاً لتوفير أشياء مادية، أو أغراض معينة لنفسك، فأنت ستحصل في المقابل عندما أخرجت هذا زكاةً، أو أخرجته صدقةً، أو إنفاقاً في سبيل الله، أنت ستحصل على ما هو أهم بكثير، أنت تؤمِّن لك رصيدك فيما ستكسب به النتائج العظيمة في الدنيا، والخير العظيم العظيم العظيم في الآخرة، في الآخرة، قد تكون في بعض الظروف والأوقات الحسَّاسة قيمة الإنفاق بأن يكون ما أنفقته تكسب به قصراً في الجنة، تكسب به في جنة الخلد الشيء العظيم، والشيء المهم، والشيء الكبير، تؤمِّن مستقبلك الأبدي فيما تضيفه من أعمال صالحة، من إنفاق إلى إنفاق، يجتمع ذلك كله فيكتب لك به السعادة الأبدية، والحياة العظيمة، إضافةً إلى فوائده العاجلة في الدنيا كما يتضح لنا من خلال ما سنتحدث عنه.

أداء الزكاة من لوازم التقوى والإيمان

أيضاً في القرآن الكريم إضافةً إلى الأمر المباشر: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ﴿وآتوا الزكاة﴾، الذي تكرر كثيراً، يأتي أيضاً في المواصفات الإيمانية للمؤمنين المتقين، الذي أيضاً يقترن بالصلاة، ويبيِّن أنَّ ذلك من لوازم التقوى والإيمان، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[1]، فتتكرر أيضاً في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، ويأتي إلى جانبها، يقرن بها قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ

١- النمل: من الآية ٣

١٢

﴿يوقِنون﴾[١]، هذه من صفات المؤمنين المتقين، ومن لوازم التقوى والإيمان.

وتفيد هذه العبارة في: ﴿وَيُؤْتُونَ﴾، هذه الصيغة (صيغة المضارع) **في:** ﴿وَيُؤْتُونَ﴾، الاستمرارية، ليسوا ممن قد يترجح له في بعض الأحيان بعد أن يسمع الكثير من المواعظ، ويأتيه الكثير من الإلحاح، والتأكيد، والحث، والأمر، والنهي، والملاحقة، فيخرج الزكاة، لكن فيما لو غُفِلَ عنه، فيما لو لم تحصل تلك الملاحقة، والأخذ، والرد، والضغط، والإحراجات، والضجة، والتوبيخ، فسيتغنم الفرصة لأن يتهرب من ذلك، وشيء مؤسف، شيء مؤسف على الكثير من الناس تجاه ركنٍ عظيمٍ من أركان الإسلام، من أهم فرائض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **مما لا نجاة لهم إلَّا بأدائه**، مما يتسبب تهربهم من أدائه، وتقصيرهم فيه، ومغالطتهم فيه، إلى **ألَّا** تقبل منهم صلاتهم، **وألَّا** يقبل منهم صيامهم، **وألَّا** تقبل منهم أعمالهم، التي هي أعمال صالحة، لا تقبل؛ **لأن** هذا بعيد عن التقوى، لأن هذا خروج عن حالة التزام التقوى.

وتجد الكثير من الناس على هذا النحو، يعني نسبة الذين يؤتون الزكاة من المصلين، وأكيد بأنهم لا يقيمون الصلاة، يصلون، لكنها ليست صلاةً قيّمة، لم تترك أثرها في أنفسهم، **فالأغلبية هم ممن:** إما يحاول أن يخرج بعضاً من زكاته، وأن يبخل ببعضٍ آخر، لا يخرج زكاته كاملة، وهذا غير مقبول، عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يبقى عليك الإثم والوزر، وتجلب لنفسك سخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو تصرفٌ غير مبررٍ من جانبك، أن تحتفظ بجزءٍ من الزكاة، وألَّا تخرج إلَّا جزءاً منها، ثم تستهلك الجزء الآخر، فلربما القليل القليل من المؤمنين المتقين، الذين يبادرون برغبةٍ من أنفسهم، باستشعارٍ للمسؤولية، بإقبالٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بوعيٍ بأهمية إخراج الزكاة، وما يترتب على ذلك من الخير والبركات، ثم يخرجونها أيضاً كاملة، ويحرصون على ألَّا يبقوا ولا مثقال

١٢

١- النمل: الآية ٣

ذرة، ولا شيئاً يسيراً منها يستهلكونه، يدركون أهمية أن يخرجوها كاملة، وألَّا يسوِّفوا، وألَّا يؤجِّلوا، أن يبادروا بذلك.

فيما يتعلق مثلاً فيما أنبتت الأرض، فيما يتعلق بزكاته، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[١]، المبادرة، المسارعة، كذلك فيما يتعلق بالحول، بالعام، باكتمال العام من أموال التجارة ونحوها، المبادرة في ذلك، دون تسويف، دون تهرب، **التهرب هو حالة مذمومة، غير مبررة، إلَّا أنها تعبِّر- فعلاً- عن نقصٍ في الإيمان، وعن بُعْدٍ عن تقوى الله ﷻ، وعن سوء فهم، وعن تأثرٍ بوساوس الشيطان،** الذي قال الله عنه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾[٢]، وساوس الشيطان التي يصوِّر للبعض من خلالها وكأنه إذا أخرج الزكاة أفلس، وكأنه تورَّط وخسر كل شيء، والمسألة ليست كذلك أبداً.

١٢

فيما تلونا في المحاضرة عن الصلاة وإقام الصلاة، فيما يتعلق بالأنبياء «عليهم السلام»، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾[٣]، ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾، فقرنها بالصلاة، كما يقرنها في كثيرٍ من المواطن، وكما يقرنها في كثيرٍ من التوجيهات، وبنفس صيغة التأكيد والاستمرارية: ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾؛ **لأهمية** المسألة تفرد بالذكر، تخص، ويأتي التأكيد عليها، والتأكيد على أهميتها، **فهي قربة عظيمة تقرِّب الإنسان من الله ﷻ إذا أدَّاها وفق ما ينبغي،** وهي من الأشياء الثابتة في شرع الله، المستمرة على مرِّ الرسالات والتاريخ مع الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام»، مسألة ذات قيمة إيمانية عالية **جدًّا،** وأثر إيجابي، وقربة عظيمة إلى الله ﷻ.

١- الأنعام: من الآية ١٤١

٢- البقرة: من الآية ٢٦٨

٣- الأنبياء: من الآية ٧٣

الزكاة والإنفاق وأثرهما التربوي المهم

من أهم ما فيها أيضاً، هو: أثرها التربوي، والإنسان بحاجة إلى ما يساعده لتزكية نفسه، لإصلاح نفسه، يحتاج الإنسان إلى هذا، النفس البشرية **إذا** تدنَّست، **إذا** خبثت، **إذا** تقذَّرت؛ **تغيَّرت**، وأصبح الإنسان يحس بصعوبة تجاه فعل الخيرات، وأصبح ميَّالاً إلى حد الهيجان نحو الشهوات، والخبائث، والسيئات، والعياذ بالله.

فالإنسان بحاجة إلى أن يعمل ما يساعده ويفيده في تزكية نفسه، في تربية نفسه، في إصلاح نفسه، في تنمية مشاعر الخير في نفسه، وهذا متاح، أتاحه الله سبحانه وتعالى، هو يأمرنا، ويدُلّنا، ويرشدنا على ما يساعدنا على تطهير أنفسنا، على تزكية أنفسنا، على تنمية المشاعر الطيِّبة والإيجابية في أنفسنا، وهذا يساعدنا في أن ننطلق في الأعمال الصالحة بكل رغبة، **وأن** نبتعد عن الأعمال السيئة، **وأن** نمقتها، **أن** نكرهها، **أن** نبغضها، **أن** نبتعد عن الميل إليها، وهذا شيءٌ عظيم، وشيء مهم، **من جانب** هو سموٌ للإنسان، وشرفٌ كبيرٌ له، **ومن جانب** هو على المستوى العملي مفيدٌ **جدًّا** للإنسان؛ **لأنه** ينطلق تلقائياً بكل رغبة، وبكل اعتزاز، وبكل راحة، في الأعمال الصالحة، في الأعمال العظيمة، نفسه بزكائها تسمو، وبعودتها إلى فطرتها، وتنقية الفطرة من الشوائب والترسبات الخبيثة والسيئة، فهو يتجه برغبة كبيرة، نتيجةً لهذا الطهر، لهذا الصلاح، لهذا الزكاء، في الأعمال الصالحة.

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بأمر الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[1]، فالزكاة لها هذه القيمة التربوية، هذا الأثر الطيِّب على مستوى تربية النفوس، وتخليصها من الشوائب التي تمثل عائقاً أمام الإنسان تجاه الكثير من الأعمال.

١- التوبة: من الآية ١٠٣

البعض من الناس- مثلاً- يجد في نفسه تغيراً سيئاً، تغيراً غير طبيعي تجاه البعض من الأعمال الصالحة، باتت نفسه، أصبحت نفسه تنفر منها، وهي أعمال عظيمة، أعمال صالحة، وتتثاقلها، وأحياناً يجد في نفسه كذلك استصعاباً لكثيرٍ من الأمور، التي ليست في أصلها صعبة؛ **إنما** كانت الصعوبة في نفسه، هذه شوائب، ترسُّبات، دنَّست نفسه، أثَّرت على نفسه، يحتاج إلى تطهير هذه النفس.

من فوائد الزكاة (الصدقة الزكاة)، والصدقة بشكلٍ عام، والإنفاق بشكلٍ عام: أنه يساعد في تطهير نفسية الإنسان المؤمن، مع الصلاة، مع الأمور الأخرى التي أرشد الله إليها، فهنا يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، **فلها هذا الأثر المهم جدًّا:** التطهير والتزكية، التطهير للنفس، والتزكية للنفس، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، كم هي الشوائب والترسُّبات التي تدنِّس نفسية الإنسان؛ **وبالتالي ينتج عنها تنامي المعاني السيئة في وجدانه:** من أطماع، من أهواء، من رغبات وميول خبيثة، من توجهات مادية... من أشياء سيئة تؤثر على الإنسان وعلى أعماله بشكلٍ كبير.

١٢

الوعيد الشديد للمفرطين في أداء الزكاة

أيضاً فيما يتعلق بالوعيد على ترك الزكاة، وعلى الإخلال بها، والإخلال بها يعتبر من كبائر الذنوب، من كبائر الذنوب، التي تسبب أن يحبط عمل الإنسان فيما قد عمل من أعمال، ثم أيضاً لا يقبل منه أي عملٍ يقدِّمه من الأعمال الصالحة، حتى صلاته، حتى صيامه، كل ذلك لا يقبل منه.

أضف إلى ذلك أنها كفيلةٌ بأن يدخل نار جهنم والعياذ بالله، تسبب للإنسان سخط الله، غضب الله ﷻ، أمر رهيب ومخيف.

ولذلك يأتي الوعيد في القرآن الكريم من ضمن ذلك، طبعاً هناك الوعيد الشامل للعصاة الذي يتكرر في القرآن: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[١]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾... **تتكرر هذه العبارة في القرآن:** الوعيد للعصاة، والإنسان الذي لا يخرج زكاته، أو لا يخرج إلَّا جزءاً منها، ويستهلك الجزء الآخر، ويبخل به، يدخل ضمن الوعيد، من العصاة، أصبح عاصياً، عاصياً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويأتي أيضاً قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٢]، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، الويل لهم، **والويل عندما يقول الله: (وَيْلٌ)،** هو يعبِّر عن عذابه الشديد، عما أعده من شديد العذاب لهم، فهذا أمر رهيب على كل الذين لا يؤتون الزكاة، أو لا يؤتون إلَّا جزءاً منها، ويستهلكون البعض الآخر، أن يخافوا من الله، أن يتقوا الله، وأن يخافوا من عذاب الله، من الويل، ﴿وَوَيْلٌ﴾، عندما يقولها الله، ماذا تعني من شديد العذاب، ماذا وراءها من العقاب الشديد! ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

فيما يتعلق بالأسباب الرئيسية لدخول النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[٤]، **سؤال لأهل جهنم، [يسألهم أهل الجنة:** ما الذي ورَّطكم هذه الورطة الرهيبة، المخيفة، التي تمثل خسراناً أبدياً؟!]، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[٥]، **أيضاً من أهم ما في الزكاة، هو:** العناية بالفقراء والمساكين، حصةٌ رئيسيةٌ لهم في الزكاة، عندما يبخل بها الناس، هم يبخلون بهذا الحق الذي يتضرر أهله، فمن مثل هذه النتيجة: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾.

١٢

١- الجن: من الآية ٢٣
٢- فصلت: ٦-٧
٣- آل عمران: من الآية ١١
٤- المدثر: الآية ٤٢
٥- المدثر: ٤٣-٤٤

يأتي الحديث عن رسول الله ﷺ ليؤكِّد اقتران الزكاة بالصلاة، حتى في قبول العمل، حتى في قبول الصلاة، **فعن النبي** صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: **((لا تتم صلاةٌ إلَّا بزكاة))**، الذين عليهم حق الزكاة ثم لا يخرجونه؛ لم تتم صلاتهم، ولم تقبل صلاتهم، **وفي روايةٍ أخرى: ((لا تقبل صلاةٌ إلَّا بزكاة، ولا تقبل صدقةٌ من غلول))، مما ورد عن رسول الله ﷺ: ((مانع الزكاة وآكل الربا حرباي في الدنيا والآخرة))**.

انعدام الأمطار ونزع البركات من نتائج البخل بالزكاة

فنجد هذا التأكيد الكبير جدًّا على مسألة الزكاة وأهميتها، وأيضاً ما يترتب عليها من البركات والخيرات في الأموال، في الغيث، من أهم ومن أكبر الأسباب التي تسبب للناس الجدب، وانعدام الأمطار، وانعدام البركات، **وغوران المياه:** بخلهم بالزكاة، بخلهم بالزكاة، أمر خطير عليهم، يسبب لهم أن يخسروا.

ولذلك نحن نقول: الذي قد يبخل بالزكاة نتيجة طمعه المادي، وجشعه الهائل، وبخله الشديد، وحرصه على المال إلى حدٍ جنوني، حتى بالحسابات المادية، حتى بحساب المصالح المادية، **إذا** أردتم الخيرات، **إذا** أردتم البركات، **فاتقوا الله في إخراج الزكاة، لا تبخلوا بالزكاة**، عندما تصبح ظاهرة لدى الكثير من المزارعين أن يبخلوا بالزكاة، أن يعتبروها مغرماً يتهربون منه، فهي حالةٌ خطيرة، تسبب- إلى حدٍ كبير- انتزاع البركات، فيخسرون بركات السماء، الأمطار التي هم بحاجةٍ إليها، الكل بحاجةٍ إليها، يسبب هذا المعاناة الكبيرة للناس.

نحن في هذه المرحلة، ونحن في بلدنا نعاني من الجدب الشديد، مما لا شك فيه أنَّ من ضمن الأسباب الرئيسية، **هو:** التقصير في إخراج الزكاة، من ضمن الأسباب الرئيسية، ومن التوبة إلى الله، **ومن الرجوع إلى الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:** العناية بإخراجها، العناية بإخراجها، ومن الغريب **جدًّا** أن تصبح المسألة

١٢

بالنسبة لدى البعض مشكلة، **كيف يقال لهم:** [أَنْ أخرجوا زكاتكم]، **كأنه يقال لهم:** [أخرجوا أنفسكم من أجسادكم]، **يعني:** مشكلة عليه كبيرة.

في مسألة الزكاة أيضاً الإنفاق يقترن بالصلاة، ويقترن أيضاً بها من حيث الأهمية، كقربة عظيمة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لها شأنٌ عظيم في الأجر، والفضل، والمنزلة عند الله جَلَّ شَأنُهُ، ولها أيضاً الأثر التربوي، الزكاة هي ترتبط بالنصاب، النصاب فيما أنبتت الأرض، النصاب في أموال التجارة، والحول في أموال التجارة، وما أشبه ذلك من التفاصيل، النصاب أيضاً في الثروة الحيوانية، وفق أرقام معينة معروفة، على الإنسان الذي أصبح مكلفاً بالزكاة أن يعرف، وأن أيضاً يتجاوب مع الجهات المعنية التي تبين له، والتي تتابعه، والتي تعينه في إخراج زكاته. ١٢

الإنفاق في سبيل الله مسؤولية دينية والتزام إيماني

وفي نفس الوقت الإنفاق دائرةٌ أوسع، أوسع من مسألة الزكاة، الإنفاق جزءٌ منه يتعلق بالإنفاق في سبيل الله تعالى، وأتى الحث عليه في القرآن الكريم كثيراً، من مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالإنفاق في سبيله، يشمل ذلك الجهاد في سبيل الله، وما يتصل به، ما يرتبط بالجهاد في سبيل الله، وهو جانبٌ أساسيٌ يدخل أيضاً ضمن الجهاد بالمال، أليس في القرآن الكريم يتكرر الأمر كثيراً، الأمر لنا من الله: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]؟ فهو ضمن أيضاً المسؤوليات، **الإنفاق في سبيل الله هو ضمن مسؤولياتنا والتزاماتنا الإيمانية والدينية،** وهو لا يقترن بنصاب معين، لا يرتبط بنصابٍ معين، بحسب حالة الإنسان، بحسب ظروفه، بحسب إمكاناته، الإنسان الذي ظروفه متوسطة

١- البقرة: الآية ١٩٥

٢- التوبة: من الآية ٤١

بحسب حاله، ظروفه ميسورة بحسب حاله، بل يبادر حتى الإنسان الذي إمكاناته بسيطة وبحسب حاله، جُعِلت مسألة مرتبطةً بمستوى ظروف الإنسان، بحسب حاله، ولكنها أيضاً من المسؤوليات، من الالتزامات الإيمانية، من الالتزامات الدينية؛ لأن علينا أن نجاهد في سبيل الله، وجهادنا في سبيل الله هو بالمال- كما أكَّد عليه القرآن الكريم في كثيرٍ من الآيات- والنفس، فالتزامنا المتعلق بالمال- كما قلنا- بحسب حال أي إنسانٍ منا، بحسب ظروفه.

والأمة في هذه المرحلة، وشعبنا العزيز في هذه المرحلة في مرحلة تحديات، مرحلة من أهم المراحل للجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، والبخل- فعلاً- يسبب للأمة الهلاك؛ **لأن** الأمة إذا بخلت، فستضعف، ستضعف حركتها في الجهاد في سبيل الله، إذا نقص التمويل، لم يتوفر التمويل لذلك، **معنى ذلك:** تتوقف الحركة في ذلك، **معنى ذلك:** يتغلب عليها أعداؤها، يسيطر عليها أعداؤها، فتكون هي ببخلها، وتنصلها عن مسؤولياتها، وشحها عن العطاء فيما أمرها الله به؛ **تسبب** لنفسها الهلاك، وسيطرة أعدائها عليها، مع الهلاك في دينها، يضاف إليه الهلاك في دنياها أيضاً، هذه مسألة خطيرة **جدًّا**. ١٢

يتكرر اقتران الإنفاق بالصلاة، وأكثر من ذلك في بعض الأحيان اقترانه بالإيمان نفسه، **يعني:** حتى بما هو أكثر وأعم وأكبر من مسألة الصلاة، والصلاة شأنها عظيم، هذا لا يقلل من أهميتها وشأنها، لكنَّ عنوان الإيمان هو العنوان الرئيسي قبل كل ذلك، فيأتي الإنفاق أحياناً مقترناً بعنوان الإيمان؛ **لأهمية** المسألة.

يقول الله ﷻ أيضاً فيما يتعلق بالإنفاق: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1]، فنجد هنا كيف قرن الإنفاق بالصلاة، وأيضاً بصيغةٍ تفيد الاستمرارية: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، فهم يستمرون على

١- الأنفال: الآية ٣

ذلك؛ **لأنه** يرتبط بمسؤولية مستمرة، هي الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1]، فيقرن الإنفاق ليرفع من مستوى أهميته، إلى مستوى الإيمان، فيقترن بالإيمان، ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾، فالمال الذي أعطاكم الله هو نعمةٌ من الله، وأنتم وما بأيديكم ملكٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو المالك الحقيقي، لكم، ولأموالكم، وللسماوات والأرض، وهو استخلفكم فيما أعطاكم؛ **لكي** تعملوا فيه وفق مسؤولياتكم، هذا جزءٌ من مسؤولياتكم.

الضمانات الإلهية بالعوض المضاعف والأجر للمنفقين!

١٢

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2]، هم من يستفيدون، الأجر على ذلك هو أجرٌ عظيمٌ كبيرٌ **جدًّا، منه ما** يأتي في الدنيا، من البركات، يخلف الله لهم، يعوضهم الكثير، يُقَدِّم لهم الرعاية الواسعة في جوانب كثيرة، **ومنه ما** يتعلق بمستقبلهم الأبدي والعظيم والمهم في الآخرة.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أيضاً:** ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[3]، هذه الآية تجعل الإنسان يخجل من الله، يستحي من الله، معناها عميق، ودلالتها كبيرة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم بشح الكثير من الناس، ببخلهم، بطمعهم، بقبض أيديهم في مسألة المال، بصعوبة الإنفاق عليهم؛ **فيقدم** ضمانةً على أن يعوضهم، على أن يخلف لهم، على أن يَمُنَّ عليهم بالأجر الكبير، وأن يعطيهم أكثر مما أنفقوا كثيراً وكثيراً، إضافةً إلى الأجر الكريم، كريم في مستواه الكثير الكثير **جدًّا**، وكريم في كيفيته، يقدَّم لك بكرامة وبتكريم، ما الذي نريده من الله بعد ذلك؟! إلى درجة أن يسمي لنا

١- الحديد: من الآية ٧

٢- الحديد: من الآية ٧

٣- الحديد: الآية ١١

إنفاقنا قرضاً، وأن يقدم له هذا العنوان؛ **لكي** نطمئن أنه سيبدل لنا الكثير والكثير والأفضل والأحسن، وأن ما نستفيده هو أكثر وأعظم مما قدمناه.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: يقدمه وفق تعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، برغبةٍ إيمانية، من المال الحلال، بطريقة فيها إخلاص، وفيها احترام، وفيها تقرُّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سليمة من المفسدات، سليمة من المن، سليمة من الأذى والمحبطات، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾: سيعطيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما هو أكثر منه بكثير، ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

كذلك يقول في مسألة الصدقات، وطبعاً ليس فقط صدقة الزكاة، هناك صدقات غير صدقة الزكاة، الصدقات التي تقدم أيضاً للفقراء والمحتاجين: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1]، **بنفس العبارة: (المضاعفة، والأجر الكريم)**، فما الذي تريده أكثر من ذلك، إذا كنت ستحصل على الأجر العظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والكريم، كريم في كثرته، وكريم في أن يقدم إليك ويصل إليك بتكريمٍ لك أيضاً؟!

هذا يبين لنا أهمية الإنفاق، واقترانه بالصلاة في آيات، واقترانه بالإيمان في آياتٍ أخرى، **والإنفاق** له علاقة بالإيمان من جوانب كثيرة، هو محكٌ إيماني يبين مدى مصداقية إيمانك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **أولها:** ثقتك بالله، الله يأمرك بالإنفاق، وفي نفس الوقت يعدك، يعدك بأن يضاعف لك، يسمي إنفاقك قرضاً، يعدك وعداً صادقاً أن يضاعفه لك، وأن يبدل لك عنه الأجر الكريم، فإذا بخل الإنسان بعد هذه الضمانة من الله، بعد هذا الوعد، الوعد الصادق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من الله الذي لا يخلف وعده، فماذا يعني ذلك؟ **بكل صراحة يعني ذلك:** أنه لم يثق بوعد الله، لم يثق بوعد الله.

١٢

١- الحديد: الآية ١٨

أمَّا إذا كان مستجيباً بثقةٍ بوعد الله، وتصديقٍ بوعد الله، فهذه حالة إيمانية، لكن إذا بخل، **معنى ذلك:** أنه لم يثق بوعد الله، وهذا خللٌ في إيمانه، **معناه:** مشكلة عنده في إيمانه.

الله يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1]، **وعد مؤكد، ألا تثقوا بوعد الله؟!**

في مسألة الإنفاق في سبيل الله، جزءٌ من الإنفاق في سبيل الله يعود إلى الإعداد، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ﴾، **حتى إعدادك على المستوى الشخصي يحسب إنفاقاً في سبيل الله**، عندما تشتري لك سلاحاً لتجاهد به في سبيل الله، أو ذخائر لتجاهد بها في سبيل الله، حتى على المستوى الشخصي هو من الإنفاق في سبيل الله؛ للترغيب في ذلك، فيأتي في آخر الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ﴾، ليقول في آخرها: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2].

١٢

أيضاً علاقة الإنفاق بالإيمان أنه من الأعمال الرئيسية في الإيمان، التي لا يمكن أن تصل إلى مرتبة الإيمان الصادق، ومواصفات المؤمنين والمتقين، إلَّا بها، لا يمكن أن تكون في صف الأبرار، وفي عدادهم إلَّا بها، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[3].

الإنفاق أيضاً يعتبر شاهداً على تقديرك لنعمة الله عليك، وتأثرك بنعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **وبالتالي** توجهك برغبةٍ لأن تشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو القائل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4]؛ **لأن** ما بين يديك من المال والإمكانات، وما رزقك

١- سبأ: من الآية ٣٩

٢- الأنفال: من الآية ٦٠

٣- آل عمران: الآية ٩٢

٤- إبراهيم: من الآية ٧

الله به، في أي مستوى كان هذا الرزق، بحسب ظروف الناس المتفاوتة، هو من الله، هو من الله، تشكره عليه، جزءٌ من هذا الشكر يتعلق بماذا؟ بالإنفاق، هنا أنت تنفق ما تنفق وأنت تشكر الله المنعم، الكريم، الذي كل ما لديك من النعم فهي منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1].

بينما الحالة المختلفة التي تبخل فيها، وتشح عن الإنفاق، وتمتنع عن الإنفاق، هي حالة تُعَبِّر عن كفرانك للنعمة، عن عدم تقديرك لنعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه مسألة مهمة جدًّا.

من معطيات الإنفاق وآثاره المهمة

١٢ أيضاً من أهم الدوافع ذات الصلة بالجانب الإيماني للإنفاق، هي: الأثر التربوي المميز للإنفاق في تثبيت النفس، تثبيت القيم الإيمانية، الأخلاق الإيمانية، المعاني الإيمانية، في نفسية الإنسان، ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[2]، ابتغاء القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمنزلة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي تطهير نفسيتك من الشح، لا تتحول نفسيتك إلى نفسية خبيثة، تترسخ فيها إلى العمق حالة الشح، التي هي خطيرةٌ **جدًّا** على الإنسان، يجمع فيها بين البخل والحرص، البخل في المال، والحرص عليه، فتكون الحالة هي حالة شُح.

الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]، **حالة الشح حالة خطيرة جدًّا، هي وراء الكثير من المفاسد والجرائم التي يصل إليها الإنسان نتيجة أطماعه الشديدة، أطماعه الكبيرة، توجهه المادي الجنوني، يعني:** المفرط، المفرط الرهيب، جشعه المادي الشنيع **جدًّا**، حالة ناتجة عن الحرص، بخله عن كل الحقوق، أطماعه التي يسبب بها أن يأخذ الكثير من

١- النحل: من الآية ٥٣
٢- البقرة: ٢٦٥
٣- التغابن: من الآية ١٦

الحرام، وأن يأكل الحرام، وأن يتاجر بالحرام، وأن يجمع الحرام، الذي يُخَلِّدُهُ في نار جهنم والعياذ بالله، فللإنفاق الأثر التربوي الإيجابي الذي يُخَلِّصُ الإنسان، يُخَلِّصُ نفسيته من الشح، هذه مسألة مهمة **جدًّا، الإنسان بحاجةٍ إليها.**

من حيث الرغبة في الأجر العظيم الذي وعد الله به: من أعظم الأعمال قربةً إلى الله في الأجر، والفضل، وما يقابل ذلك عند الله، فيما يقدمه لك، فيما يَمُنُّ به عليك، في مستقبلك في الآخرة، وفيما له أثره العظيم في الدنيا، هو الإنفاق، بدءاً بالإنفاق في سبيل الله ﷻ، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

الإنفاق في سبيل الله يضاعف الله الأجر عليه إلى حدٍ عجيب، الإنسان ينبهر، يُذهل الإنسان أمام هذا الأجر العظيم، أمام هذه المضاعفة الواسعة **جدًّا**، فالحد الأدنى من المضاعفة يصل إلى سبعمائة ضعف، هذا هو الحد الأدنى، **يعني:** لو أنفق الإنسان ألف ريال مثلاً، فكأنه أنفق سبعمائة ألف في الأجر، لو أنفق التاجر مثلاً مليوناً، فكأنه أنفق سبعمائة مليون، المضاعفة في الأجر مضاعفة هائلة **جدًّا جدًّا**، الأجر العظيم، وهذا هو الحد الأدنى.

الله قال بعد ذلك: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قد تأتي المضاعفة لعوامل واعتبارات، منها: طبيعة الظروف التي أنفق الإنسان فيها، مستوى إخلاصه وإقباله إلى الله، وبُعدِه عن المحبطات والمفسدات، واستقامته، مستوى استقامته، طبيعة ظروفه التي أنفق فيها، وإقباله إلى الله ﷻ، اعتبارات أخرى

١- البقرة: الآية ٢٦١-٢٦٢

١٢

للمضاعفة، تتضاعف فيها الأجور إلى أكثر بكثير من ذلك، **في بعض الروايات: ((حتى تصير اللقمة مثل جبل أحد))**، اللقمة الواحدة مثل الجبل الكبير.

فالأجر العظيم الذي وعد الله به، لابدَّ للإنسان المؤمن أن يرغب فيه؛ **لأن** الإنسان المؤمن هو يرجو الله، ويرغب فيما عند الله، ويعي قيمة ما يُقَدِّمُهُ الله وما يعرضه الله عليه، عروضاً مغريةً **جدًّا**، يعرض الله علينا عروضاً مغريةً **جدًّا جدًّا**، كيف لا يرغب الإنسان؟ إذا لم يرغب، فهو قليل الإيمان، ممن لا يرجوا الله ﷻ، أو لا يثق بوعده!

الآثار الاجتماعية والتربوية العظيمة للإنفاق

كل هذا له أهميته الكبيرة، إضافةً إلى الآثار الاجتماعية للإنفاق بين أبناء المجتمع؛ **لأن** جانباً أساسياً من الإنفاق أيضاً يتجه إلى من؟ إلى المجتمع، ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١]، فتأتي هذه الفئات في المجتمع بدءاً من محيط الإنسان، من قرابته، وهو يصلهم، وهو يعطف على فقيرهم، وهو يواسي محتاجهم، ثم تتسع هذه الدائرة في الوسط الاجتماعي، إلى اليتامى، إلى المساكين، إلى ابن السبيل، إلى الفقراء، وهو يعطيهم، فيكون لهذا الأثر العظيم بين أبناء المجتمع.

أولاً هو- في واقع الحال- ظاهرة إيمانية وإنسانية، حالة التراحم بين أبناء المجتمع، حالة الإحسان فيما بينهم، حالة العطف والرحمة هي حالة إيمانية، من لوازم الإيمان، الله يقول عن عباده المؤمنين: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، يقول عنهم: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٣]، فيهم- يعني- مع الجانب الإيماني إنسانية، فلديهم الضمير الحي، والعاطفة الإنسانية،

١- البقرة: من الآية ٢١٥

٢- الفتح: من الآية ٢٩

٣- البلد: من الآية ١٧

والدافع الإيماني، الذي يجتمع مع بعض، فَيُشَكِّل حالةً من المواساة، من الإحسان فيما بينهم؛ فيعطفون على فقيرهم، على محتاجهم، يتألمون لظروف بعضهم البعض، ليست ضمائرهم ميتة، ليست مشاعرهم متبلِّدة، فيرون الحالات الإنسانية المأساوية فيما بينهم، فلا يبالون تجاه بعضهم البعض، يشبع ويتخم بما شبع، ويرى الآخر جائعاً، يتضور جوعاً، يبحث من أين يأكل، حتى من القمامة، يرى جاره يعاني، لا يتوفر لديه القوت الضروري، وهو هناك يأكل يأكل، وقد يصاب بأمراض نتيجةً لكثرة ما أكل، وينتج عن ذلك أضرار صحية، فهو مبطان، وحوله جائعون، يشاهد في المشاهد العامة حالات البؤس، الحرمان، الفقر، العناء، لكثيرٍ من الناس، فلا يكترث، وكأنه يحمل صخرةً، حجراً صُلباً، ولا يحمل قلباً ومشاعر إنسانية.

الحالة الإيمانية هي تختلف، هي حالة تراحم، هي حالة -كما قلنا- اجتمع فيها الضمير الحي، اجتمعت فيها المشاعر الإنسانية، اجتمع فيها الدافع الإيماني، فتتوفر كل الدوافع للتراحم، للمواساة، للتألم لحال البائسين، لحال الجائعين، لحال المعانين، فيتجه الإنسان بمواساتهم، بكل تقدير، بكل محبة، بكل حرص، بكل رغبة، **بل الحالة الإيمانية قد ترقى بالإنسان إلى درجة أن يؤثر على نفسه في بعض الأحيان، في أحيان حساسة حتى،** ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾[1].

هذا الأثر التربوي له أهميته، كظاهرة إنسانية وإيمانية لها أثرها العظيم في التراحم بين المجتمع؛ وبالتالي في التآخي بين المجتمع، في المحبة بين أبناء المجتمع، في دفع الكثير من المفاسد والأضرار.

١- الإنسان: من الآية ٨

النتائج السلبية الخطيرة للبخل بالإنفاق

إذا أصبح الفقير، البائس، المعدم، يرى الآخرين من حوله ممن هم متمكنون، ولديهم الثروة والإمكانات المادية، لا يبالون بحاله البائس، لا يكترثون لمعاناته الشديدة، لا يلتفتون إلى جوعه وجوع أسرته، لا يبالون بوضعه الصعب **جدًّا**، حتى على مستوى الزكاة، حتى على مستوى فعل الخير والبر، فقد يمتلئ قلبه بالمشاعر السلبية تجاههم، يرى فيهم حالة البخل، الشدة، الشُح، اللا إنسانية، فيكرههم في أقل الأحوال؛ **أمَّا** البعض فقد يحقد عليهم، **قد يتجه البعض إلى ارتكاب جرائم سيئة:** جرائم السطو، جرائم النهب، جرائم السرقة، ولكن في أقل الأحوال لدى البعض الآخر أن يكرههم، يرى فيهم أناساً متوحشين، ليس فيهم أي خير، ليس فيهم إنسانية، ليس لديهم ضمير، وهكذا في أقل الأحوال؛ **فتنتشر** بين المجتمع هذه الحالة من الفرقة والتباين.

ومن أسوأ الأمور أيضاً عندما تحصل مثل هذه الظواهر السلبية لدى المجتمع، ثم تأتي منظَّمات أجنبية لِتُقَدِّم نفسها بصورةٍ مختلفة، فكأنكم يا أيها المسلمون لم يعد لديكم ضمير، وليس فيكم إنسانية، وليس فيكم خير، وليس فيكم إحسان، وتأتي المنظَّمة الأجنبية من بلدان اليهود والنصارى والكافرين والمشركين، فيقدِّمون أنفسهم بصورة إحسان، وصورة فعل خير، وصورةٍ إنسانية، وأنتم بعيدون عن ذلك، فيكسبون هم تعاطف ذلك الفقير، الذي يرى المجتمع من حوله لا يلتفت إليه، ولا إلى بؤسه، ولا إلى معاناته، فتكون صورةً خطيرة، ولو أنَّ المنظَّمات هي تأتي- أصلاً- بدوافع سياسية، وبأهداف شيطانية، ومآرب شيطانية، **ولذلك لا يليق بالمجتمع المسلم أن يكون مجتمعاً بخيلاً، وأن يكون مجتمعاً تنعدم فيه الرحمة، والإنسانية، والمواساة، لا يجوز ولا يليق.**

والبديل عن الإنفاق، عن العطاء، عن فعل الخير، هو: البخل والشح، البخل حالة سيئة **جدًّا**، من أقبح ما يمكن أن يتصف به الإنسان، حتى أنه يدخل ضمن عنوان الفحشاء؛ **لقبحه** وبشاعته وسوئه، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وعيده للذين يبخلون: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[١]؛ **لأن** الذي يبخل- الكثير منهم- لا يكتفي بأنه يبخل؛ **إنما** يُثَبِّط الآخرين، يُثَبِّطُهُم عن إخراج زكاتهم، يُثَبِّطُهُم عن الإنفاق في سبيل الله، يأمرهم بالبخل عن الإنفاق في سبيل الله، عن الإحسان إلى عباد الله، ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[١]، حتى يتهرب من إخراج زكاته، ومن الإنفاق فيه، فهو يكتم بهذا الهدف، فهم ضمن الوعيد الإلهي: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[١]، هذا من الكفر للنعمة، من الكفر للنعمة، ومن الرفض للالتزامات الإيمانية، فالله أعدَّ لهم العذاب المهين؛ **لأنهم** يستحقون الإهانة، ويستحقون العذاب.

١٢

إضافةً إلى ما يخسره الناس من البركات والخيرات، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢]، بعد أن تنعدم البركات، وتنعدم الخيرات، وفي واقع الحال البخل بالزكاة مثلاً هو خيانةٌ للأمانة؛ **لأن** الله قد جعل الحق للفقراء، ولتلك المصارف في مالك، ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٣]، فأنت تأكل حقهم، وتخون أمانتك، فالمسألة خطيرة **جدًّا**.

وأخيراً.. مجالات الإنفاق

فيما يتعلق بمجالات الإنفاق، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾[٤]، **(مِنْ خَيْرٍ)**: يشمل أي خيرٍ مما أعطاك الله، وأنعم به عليك، ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

١- النساء: من الآية ٣٧
٢- الأعراف: من الآية ٩٦
٣- المعارج: ٢٤-٢٥
٤- البقرة: من الآية ٢١٥

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

يقول أيضاً: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1]، هو يعلم، وسيجازيكم عليه الخير مما وعد به، لا يخفى عليه ما أنفقتم فينساكم، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

يقول عن الإنفاق في سبيل الله: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

١٢

يقول عن الزكاة (الصدقة الزكاة) ومصارفها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء، ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

١- البقرة: الآية ٢٧٣

٢- البقرة: الآية ١٩٥

٣- التوبة: الآية ٦٠

الاستقامة

مفهومها . أساسها . مكاسبها

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا

مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[١].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

الاستقامة عنوانٌ أساسيٌّ من أهم العناوين، والجميع مأمورٌ بها في القرآن الكريم، **يتوجه الأمر للجميع بأن يستقيموا:** الأنبياء، والمؤمنون، والمجتمع البشري بكله، **ويترتب عليها ما وعد الله به عباده المؤمنين في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة**، ولذلك أتى في القرآن الكريم الأمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لخاتم أنبيائه وسيِّد رسله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بالاستقامة، في قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[٣]. ١٣

أيضاً ورد في القرآن الكريم فيما أخبر الله به من أمره لنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولأخيه نبي الله هارون «عليهما السلام»، بعدما دَعَوا الله على فرعون وقوم فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

ثم أيضاً يأتي الأمر للمجتمع البشري، للناس جميعاً بأن يستقيموا، في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخاطباً لنبيه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، فيما يعلِّمه أن يبلِّغه وأن يخاطب به الجميع: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ

١- فصلت: ٣٠-٣٢
٢- الأحقاف: ١٣-١٤
٣- هود: ١١٢-١١٣
٤- يونس: الآية ٨٩

﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

الأساس الذي تقوم عليه الاستقامة

الاستقامة لابدَّ أن تقوم على الأساس العظيم والأساس المهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، **وفي قوله تعالى مخاطباً لنبيه:** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾، **هذا أساسها الذي تقوم عليه.**

في الآيات المباركة التي بدأنا الحديث بها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ **وهم يعون بما تدل عليه، وما تفيده مقولتهم هذه.**

﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، (**رَبُّنَا اللَّهُ**) الذي نعبده، الذي نتولاه، الذي نعبِّد أنفسنا له، فنضبط مسيرة حياتنا ضمن وعلى أساس توجيهاته وتعليماته، وضمن ما يأتينا من خلال هديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**رَبُّنَا اللَّهُ**) الذي نعبده، فنمتثل أوامره، ونطيعه فيما يأمرنا به، وننتهي عما نهانا عنه.

(**رَبُّنَا اللَّهُ**) الذي نثق به، نعتمد عليه، نتوكل عليه، نخشاه ولا نخشى غيره، نخاف من عقابه، نرغب فيما وعدنا به.

(**رَبُّنَا اللَّهُ**) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي نسير في حياتنا على أساس هديه، ووفق أمره، هذه المقولة لها هذا المعنى، لها هذا المدلول، لا تعني فقط مجرد الإقرار بأننا عبيدٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم لا نسير في حياتنا بناءً على ذلك، لا نلتزم في مسيرة حياتنا، في أعمالنا، في مواقفنا، في تصرفاتنا، في ولاءاتنا، في عدائنا، بناءً على ذلك.

١- فصلت: الآية ٦

أصناف البشر تجاه الاستقامة وفق مدلول (ربنا اللّه)

إذا جئنا لتصنيف الواقع البشري تجاه هذه المسألة، فسنجد الناس على أصناف:

صنفٌ منهم ممن يقولون: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، وهم كثير، ولكنهم يتجهون في واقع حياتهم بعيداً عن ذلك، لا يستقيمون وفق ما يعنيه قولهم **﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾**، لا يستقيمون على هذا الأساس، **﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾** فنطيعه، فنتولاه، فنكون من حزبه، من أوليائه، من جنوده، **﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾** فنتقبل هديه، نستجيب له فيما يأمرنا به، فيما يدعونا إليه، فهم لا يستقيمون فيما يعنيه قولهم **﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾**، لا يستقيمون وفق ذلك، لا يسيرون في حياتهم على أساس ذلك.

يقولون: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، ثم يتجهون في واقع حياتهم، في أعمالهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم، في ولاءاتهم، في عداواتهم، بعيداً عن هدي الله، بعيداً عن أمر الله، بعيداً عن تعليمات الله، ولا يهمهم مسألة حلالٍ من حرام، ولا حقٍ من باطل، والذي يحكمهم ويؤثِّر عليهم في مسيرة حياتهم، في اهتماماتهم، في أعمالهم، في مواقفهم، في تصرفاتهم، في ولاءاتهم... وغير ذلك، الذي يحكمهم ويؤثِّر عليهم هو هوى أنفسهم، أهواؤهم، **أو** أيضاً أهواء غيرهم، يتجهون مع الآخرين فيما يهواه الآخرون، على غير بيِّنةٍ من أمرهم، ولا هدىً من ربهم، **والكثير من الناس هم هكذا:** يتحركون بعيداً عمَّا يعنيه قولهم **﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فالكثير يقولون: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾**، لكنهم لا يستقيمون وفق ما يعنيه ذلك، وهذه مسألة واضحة في شأن الكثير، وفي واقع الكثير من الناس.

هناك من الناس أيضاً من يقولون: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، وينطلقون عملياً على أساس هذه المقولة، على أساس قولهم هذا، وقد تكون انطلاقتهم يشوبها الكثير، ليست استقامةً خالصةً متكاملةً وفق هدي الله، وفق أمر الله، وفق تعليمات الله، وفق هدي الله وكتابه، تشوب انطلاقتهم

١٣

الكثير من الشوائب المؤثرة سلباً، وقد تكبر هذه الشوائب في مرحلة من المراحل، عندما يواجهون اختباراً معيناً، فينحرفون، فهم يستقيمون لبعض الوقت، إلى بعض المراحل، وقد يتجاوزون مراحل معينة، ولكن **لمَّا** كانت استقامتهم فيها البعض من الاعوجاج، فيها البعض من المؤثرات السلبية، ولم تتكامل بمعالجة تلك الشوائب وتنقيتها، كان لها تأثيرها عليهم في مرحلةٍ من المراحل، يأتي فيها الاختبار من الله ﷻ الذي يفرز الناس، ويكون له أهميته الكبيرة، في أن يتبين من هو الذي ينطلق الانطلاقة المتكاملة، ويستجيب لله ﷻ الاستجابة التامة، التي يتنقى بها، يتطهر بها من تلك الشوائب، والترسبات الخطيرة السلبية، التي تؤثر على نفسية الإنسان، فلا يستقيم إلى نهاية المطاف، إلى نهاية المشوار، وهذه حالة واقعية، وكثيرةٌ أيضاً.

كثيرٌ من الناس، ممن ينطلقون، ويتفاعلون، ويستجيبون، إلى مرحلةٍ معينة، ثم يتغيرون وينحرفون، ويخرجون عن خط الاستقامة، فيتغيرون بشكلٍ تام، ويتجهون اتجاهاً آخر، حصلت هذه على مرِّ التاريخ، ولها نماذجها الكثيرة على مرِّ التاريخ، وتحصل في كل زمن، وتحصل في كل مرحلة، في كل مسيرةٍ للحق، يحصل أنَّ البعض لا يستقيمون، وأنَّ البعض ينحرفون في نهاية المطاف، ويخرجون عن خط الاستقامة، سنتحدث- إن شاء الله- عن هذا على نحوٍ من التفصيل.

هؤلاء وحدهم هم الفائزون

والبعض يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، يعون ما تفيده هذه العبارة المهمة، ما تفيده مقولتهم هذه، فهم يقولونها عن وعي، وبإيمانٍ راسخ، ثم ينطلقون على أساسها في مسيرة حياتهم، فيستقيمون على الصراط المستقيم، يستجيبون لله ﷻ، يتجهون بوعي، بصدق، باهتمام، باستجابةٍ متكاملة وفق هدي الله ﷻ، فيأخذون بأسباب التوفيق من الله ﷻ، ويستمرون مهما واجهوه في

طريقهم من المخاوف، والتحديات، والأخطار، **فهي لا تثنيهم، ففي قولهم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، في قولهم هذا ما يُثَبِّتَهُم:**

- ما يُثَبِّتَهُم عند كل المخاوف، أمام كل الأخطار، أمام كل التحديات.

- وأيضاً عند الرغبات، عند الأهواء، في مواجهة الأهواء، في مواجهة الشهوات، سواءً على المستوى المعنوي، أو على المستوى المادي، ما يواجهه الإنسان من طموحات، من رغبات، من أهواء، تتعلق بالجانب المعنوي، أو تتعلق بالجانب المادي.

- حتى في مراحل التمكين عندما يُمَكِّنهم الله، يُمَكِّن لهم في أرضه، في مراحل النصر والتأييد لا تتغير نفسياتهم، ولا تتغير اهتماماتهم، ولا تتغير توجهاتهم، هم على ما هم عليه من قبل ذلك في إقبالهم إلى الله سُبحانَهُ وَتَعالَى، في ثبات توجهاتهم الصحيحة والسليمة، واهتماماتهم الصحيحة والسليمة، لا يتغيرون. ١٣

- ولا يتغيرون أيضاً تجاه المشاكل والتعقيدات التي قد يواجهونها وهم في الطريق، وهم يواصلون العمل، كم يواجه الإنسان من التعقيدات، من المشاكل، من العوائق، لكن ذلك لا يؤثر عليهم.

انطلاقتهم الصادقة الواعية على أساس قولهم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، التي استشعروا منها بشكلٍ تام عبوديتهم المطلقة لله سُبحانَهُ وَتَعالَى؛ **وبالتالي** إذعانهم التام لأمر الله، استجابتهم الكاملة لتوجيهات الله، ولتعليمات الله سُبحانَهُ وَتَعالَى، ولذلك فهم يواصلون، لا يتغيرون، لا يخرجون عن خط الاستقامة، ولا يتغيرون عن نهج الاستقامة مهما كانت المؤثرات، مهما تنوعت المؤثرات السلبية، التي تصرف الكثير من غيرهم.

المخاوف، والتحديات، والأخطار، والصعوبات، تصرف البعض؛ الإغراءات، والأطماع، والأهواء، **تصرف البعض الآخر**، البعض من الناس قد يتجاوزون

مرحلة الصعوبات والمخاوف والتحديات والأخطار، ولكنهم يسقطون في امتحان الأهواء، في امتحان التمكين، في امتحان الرغبات، عندما تصبح المسألة هناك ذات أهمية بالنسبة لذوي الهوى (هوى النفس)، فيما يتهيَّأ لهم من المناصب، من المقامات، من الإمكانات المادية... من غير ذلك، البعض يسقط، لا يتحمل تجاه ذلك، يصبح المنصب بالنسبة له أهم من كل شيء، يصبح هو المسألة الرئيسية الأساسية التي سيبني عليها حتى مسألة أن يواصل وأن يستمر، أو أن يتوقف.

فالذين يواصلون على أساس ما تعنيه العقيدة المهمة والمبدأ العظيم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، ينطلقون فلا يتغيرون مهما كانت المؤثرات، هم الذين يصلون- في نهاية المطاف- لتحقيق ما وعد الله به، والفوز بما وعد الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
١٣
في الدنيا وفي الآخرة، **وفي الآخرة:** الفوز العظيم، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

الاستقامة وطريقها العظيمة الجذابة

طريق الاستقامة وفق هدي الله وفق تعليمات الله، وفق توجيهات الله، هي طريقٌ عظيمةٌ، وجذَّابةٌ، وهي الخيار الصحيح، الذي يتحرك الإنسان في مسيرة حياته على أساسه، فيها كل ما ينشدّ إليه الإنسان بفطرته: الحياة الطيِّبة، الحياة الكريمة، الحياة بعزةٍ وشرف، الحياة التي تحظى من خلالها بكرامتك الإنسانية الحقيقية، الحياة التي تستثمر فيها كل جهدك، وكل طاقاتك، وكل قدراتك فيما فيه الخير الحقيقي لك، وتؤمِّن به مستقبلك الأبدي عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخرة.

وفيها أيضاً ما يساعد الإنسان على أن يواصل، على أن يثبت، على أن يستقيم، على ألَّا ينحرف... فيها الكثير والكثير مما يساعد على ذلك:

أول ما في هذه الطريق، هو: الصلة الوثيقة بالله ﷻ، فأنت عندما تؤمن وتعي بمدلول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، **فتقول:** (**رَبُّنَا اللَّهُ**) مؤمناً بذلك، مستوعباً لما يعنيه ذلك، ومرسِّخاً لما يعنيه ذلك في وجدانك، في نفسك، كعقيدةٍ، ومبدأ، وشعورٍ إيماني راسخٍ، وتنطلق على هذا الأساس، وفق هديه ﷻ، وفق توجيهاته، وفق تعليماته.

فقولك (رَبُّنَا اللَّهُ)، الذي يجعلك متَّجهاً إلى الله تعالى، تعتمد عليه، تخشاه وترجوه، وترغب فيما عنده، تثق به كل الثقة، وتتحرك على أساس وعيك وإيمانك وشعورك بعبوديتك المطلقة له ﷻ، فهذه الصلة بالله ﷻ (الصلة الإيمانية) لها أثرها الكبير عليك في مواجهة كل المؤثرات السلبية، في مواجهة المخاوف، والرغبات، والإشكالات، والتعقيدات، فلا يصرفك شيءٌ منها عن الاستمرار في مواصلة السير على هذا الطريق، على الصراط المستقيم، الموصل إلى الغاية العظيمة. ١٣

مبادئها عظيمة، ومكاسبها كبيرة، مكاسبها الفوز العظيم، ومنهجها التربوي يزكي النفوس، فيزكي نفسك من الشوائب، التي تؤثر على البعض؛ **لأن** البعض يحتفظ ببعضٍ من الشوائب السلبية التي تؤثر على النفس، يحتفظ بشيءٍ من الغرور، أو الكبر، أو الطمع، أو الإيثار لهوى النفس... أو أيٍّ من العوامل السلبية التي تبقى حالةً من الاعوجاج في نفسه، يكبر هذا الاعوجاج في مرحلةٍ من المراحل، فينحرف به عن الصراط المستقيم، ويؤثِّر عليه.

من أهم ما يساعد في الثبات على طريق الاستقامة

الطريق (**طريق الاستقامة**) **التي فيها ما يساعد الإنسان على الثبات**، وعلى الاستمرارية، **من أهم** ما يساعده على ذلك، **هو: إدراكه ووعيه وإيمانه بأن الله أنعم عليه بعظيم النعمة عندما وفَّقه لذلك**، عندما وفَّقه أن يسير

على الصراط المستقيم، أن تكون مسيرة حياته وفق تعليمات الله، ووفق هدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنها النعمة العظيمة، التي قدَّمها القرآن الكريم على أنها أعظم نعمةٍ أنعم الله بها على الإنسان، حتى صارت هي العنوان العظيم لنعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في حديثه عمَّا أنعم به على صفوة عباده من الأنبياء والمرسلين، والصالحين من عباد الله، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1]، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[2].

أن تكون في مسيرة حياتك في طريق الحق، في موقف الحق، متحرراً من العبودية لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تعبِّد نفسك إلَّا لله، تسير وفق هديه، وفق تعليماته، وفق توجيهاته جَلَّ شَأنُهُ، هي نعمةٌ عظيمةٌ جداً.

١٣

أن تقف دائماً موقف الحق، يوم يقف الآخرون موقف الباطل، المواقف التي تخزيهم، المواقف السيئة التي فيها الخزي لهم في الدنيا والآخرة، وتبعاتها عليهم كبيرةٌ في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة إلى حدٍ رهيب جهنم والعياذ بالله، **فأن تتوفق لأن تقف موقف الحق هي نعمةٌ عظيمةٌ جدًّا،** كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يذكر عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي استشعر أهمية هذه النعمة: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[3]، نعمةٌ عظيمة.

وعي الإنسان بأنه عندما يسير في طريق الاستقامة، وينطلق في مسيرة حياته على أساس عبوديته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيتقبَّل هدي الله، ويتحرك على أساس ذلك في أعماله، في مواقفه، في مسيرة حياته، أنها نعمةٌ عظيمة، نعمةٌ عظيمةٌ، عليه أن يشكر الله عليها، وأن ينظر إليها على الدوام على أنها نعمة، أن يستشعر هذا على طول الطريق، فلا ينظر إليها وكأنها حملٌ ينوء

١- الفاتحة: من الآية ٧

٢- النساء: من الآية ٦٩

٣- القصص: من الآية ١٧

به، يثقله، يحاول التخلص منه، فينحرف عنها بكل بساطة، وبكل سهولة.

الاستقامة ومكاسبها المهمة

ثمرات هذا الطريق فيما وعد الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عباده المؤمنين، المتقين، الذين استقاموا، ما وعدهم الله به من النصر، ما وعدهم الله به من العزة، ما وعدهم الله به من التمكين، ما وعدهم الله به من الخير الواسع في الدنيا وفي الآخرة،** ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[١]، **حتى في هذا الجانب:** في جانب السعة في الرزق، في الفرج، فيما يعانيه الناس من الجدب، ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾.

الاستقامة التي هي متكاملة، في أعمال الإنسان، في تصرفاته، في مواقفه، هي الاستقامة المطلوبة، التي لها هذه الثمرة العظيمة، يصل الإنسان من خلالها إلى ما وعد الله به، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾، تتنزل عليهم الملائكة في أهم موقف، في أهم موطن يحتاج الإنسان فيه إلى من يطمئنه، إلى ما يُبَشِّره في مقام يوم القيامة، الذي هو من أهم المواطن، من أهم المواقف، من أهم المواقف، فتأتيه الملائكة في ذلك المقام، الذي تبلغ الحالة بالنسبة لبعض البشر من الفزع، والهلع، والخوف، إلى مستوى رهيب **جدًّا،** ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾[٢]، تطلع قلوبهم تصل إلى حناجرهم من شدة الفزع والخوف.

أمّا الذين استقاموا، ففي تلك الحالة تتنزل عليهم الملائكة وتطمئنهم وتُبَشِّرهم، وتكون إلى جانبهم، وتتحدث إليهم بما يطمئنهم، وما فيه البشارة لهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾، لا تخافوا من أهوال هذا اليوم، اطمئنوا، فأنتم سينجيكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أهوال هذا اليوم.

١- الجن: الآية ١٦
٢- غافر: من الآية ١٨

﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١]، البشارة العظيمة، **يقولون:** أنتم الآن على مقربةٍ من تحقق هذا الوعد الإلهي، الجنة التي وعدكم الله بها في الدنيا، الآن ستصلون إليها، ها هو يوم القيامة، والذي ستنتقلون منه إليها.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، في الحياة الدنيا كنا إلى جانبكم، كنا نعينكم بمقدار ما يأمر الله به، بمقدار ما يُوَجِّه الله به، كنا إلى جانبكم في المواقف الصعبة، في التحديات الكبيرة، نثبتكم عند أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حينما يأمرنا بأن نثبتكم، بما نستطيع أن نمنحكم إياه من الشعور المعنوي، والطمأنينة... وغير ذلك، ضمن المساحة التي يهيئ الله فيها من جانبهم ما يعين به الإنسان، ما يسدد به الإنسان، ما يلهم به الإنسان، ما يوفِّق به الإنسان، وهي دائرة واسعة قد نجهل الكثير منها.

١٣

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، وفي الآخرة ها هم يتواجدون إلى جانبهم، من ضمن ذلك هذه البشارة، هذه الطمأنة، هذا الحضور، هذه المرافقة لهم في مواطن يوم القيامة، والطمأنة المستمرة لهم، حتى يصلوا إلى جنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[٢]، فيقدمون لهم هذه العناوين التي فيها البشارة الكبيرة لهم، أنهم سيصلون إلى الجنة، الجنة بنعيمها العظيم، بنعيمها الواسع **جدًّا**، ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾، كل ما يشتهيه الإنسان، ويرغب به مما يمثل حاجةً له ورغبةً له، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾، ما تريدونه يأتيكم، ما تطلبونه يوفَّر لكم، كل شيء، أرقى نعيم، أرقى

١- فصلت: الآية ٣٠

٢- فصلت: ٣١-٣٢

نعيم، وأرقى حياة، وأطيب حياة، فلا ينقص عليكم شيءٌ مما ترغبون به.

تأتي البشارات أيضاً في وعد الله الحق، عندما قال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى يقدِّم ما يطمئنهم، ما يطمئنهم، ما يبشِّرهم بالفوز العظيم، فلا خوفٌ عليهم، ليس هناك ما تخافه عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا من أخطارها، وحتى في الدنيا هم في مواقف الفوز، في المواقف التي هي لمصلحتهم دائماً، لخيرهم في الدنيا، ولعواقبهم العظيمة، عواقبهم الطيبة في الآخرة، عاقبتهم الحسنة في الآخرة، فهم الفائزون في كل الأحوال.

طريق الاستقامة لها عواملها التي تساعد على مواصلة الطريق فيها، لكن سنترك الحديث عن ذلك، والحديث أيضاً عن الجانب الآخر: عن أسباب عدم الاستقامة، والانحراف عن خط الاستقامة، للمحاضرة القادمة. ١٣

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

١- الأحقاف: ١٣-١٤

الإنسان بين عوامل الانحراف وعوامل الاستقامة

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ الملِكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

الاستقامة في مسيرة هذه الحياة على أساس العبودية لله ﷻ (رَبُّنَا اللَّهُ)، ووفق هديه وأمره، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[1]، هي ما ينبغي السعي لتحقيقه والحرص عليه، وهي خيار المؤمنين الفائزين، المعبِّر عن الانتماء الإيماني الواعي والصادق، وهي نعمةٌ عظيمةٌ، إذا وفِّق

١- هود: من الآية ١١٢

الإنسان لذلك، فهو توفيقٌ كبير، ونعمةٌ عظيمةٌ أنعم الله بها عليه؛ **لأنها** يترتب عليها الخير، والعزة، والشرف في الدنيا، والفوز العظيم في الآخرة.

كما أشرنا بالأمس: هي الطريق التي يحقق للإنسان كرامته الإنسانية، فيعيش متحرراً، كريماً، عزيزاً، ليس عبداً للشيطان، ليس عبداً للطاغوت، ليس عبداً لأولياء الشيطان، ليس عبداً لهوى النفس، الذي يُعَبِّدُ الإنسان للشيطان، ينطلق الإنسان في طريق الاستقامة وهو عبدٌ لله سبحانه وتعالى، ووفق هدي الله الرحيم، العظيم، الكريم، يحظى بصلةٍ إيمانيةٍ مع الله سبحانه وتعالى، يحبه الله، ويحيطه برعايته الواسعة، وتوفيقاته الكبيرة.

والله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وذو الفضل الواسع العظيم، يريد لكل عباده الخير، يبتدئهم بالنعمة، وَيَمُنُّ عليهم بالإرشاد إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، إلى ما فيه نجاتهم، وفلاحهم، وصلاحهم، واستقامة حياتهم في الدنيا والآخرة، يعد الذين يستجيبون له بالحياة الطيِّبة، والفوز العظيم، وبرضوانه، وجنته، والسَّلامة من عذابه. ١٤

وهو سبحانه وتعالى كما يبتدئ عباده بالخير، والرحمة، والنعمة، والفضل، ويقدِّم لهم ما فيه الإرشاد لهم إلى نجاتهم، عندما يستجيبون له، هو يزيدهم هدايةً، يزيدهم نوراً، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[1]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[2].

وهو سبحانه وتعالى يزكي أنفسهم عندما يستجيبون له، فيمنُّ عليهم برعايته الواسعة، التي جزءٌ كبيرٌ منها يتعلق بزيادة الصلاح، والتقوى، والنور، والهداية، والسمو، والارتقاء الإيماني والإنساني والأخلاقي.

١- الأنفال: من الآية ٢٩
٢- محمد: من الآية ١٧

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يختبر عباده في هذه الحياة، لكنه يريد لهم الفوز، يريد لهم السعادة، يريد لهم أن تتحقق لهم النتائج العظيمة؛ **لأنه** غنيٌ عنهم، وغنيٌ عن أعمالهم، وعن عبادتهم، **فهو** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يجعل اختباره وسيلةً من أجل إبعادهم وإقصائهم عن النتائج العظيمة لاستقامتهم، أو أنه يسعى لعرقلتهم؛ **حتى** لا يواصلوا المسير الذي يوصلهم إلى رضوانه، إلى جنته.

الاختبار يأتي في هذه الحياة كجزءٍ أساسيٍ من تكليف الإنسان، ومسؤولياته، وظروف حياته، والإنسان المستقيم يحظى بمعونةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويستفيد من ارتقائه الإيماني والأخلاقي في مواجهة الاختبارات، فتكون النتيجة بالنسبة له نتيجةً إيجابية، يزداد نوراً، يزداد توفيقاً، يحظى برعايةٍ أكبر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٤ **أمَّا إذا كان مُعْوَجاً**، ويتعاظم الخبث في نفسه، وهو يحتفظ به، لا ينطلق انطلاقة الاستقامة الصحيحة، السليمة، المبنية على الاستجابة، المبنية على الإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على مراجعة النفس، على تصحيح الخطأ، بل يستمر في حالةٍ من الاعوجاج، والاحتفاظ بما يسبب له خبث النفس، بما له تأثيرٌ سيئٌ عليه؛ **فهو عند الاختبار يسقط**، عند الاختبار يعوج، ويزيغ عن خط الاستقامة، وينحرف، وهذا هو ما يحصل للبعض من الناس، **كما قلنا بالأمس:** هو حالةٌ واقعيةٍ.

البعض حتى في صدر الإسلام، كانوا بعد إسلامهم على يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، فيما بعد يرتدون عن الإسلام، البعض يرتدون إلى الكفر، والبعض أيضاً لا يرتدون إلى الكفر، لكنهم يرتدون إلى النفاق، والبعض ينحرفون على المستوى السلوكي، والأخلاقي، والعملي، وهذه حالة معروفةٌ تحدَّث عنها القرآن الكريم كثيراً، وهو يفرز المجتمع المسلم آنذاك، ويُبَيِّن الحالات المختلفة، وَيُبَيِّن الاختبار

الذي يكشف الحالة القائمة، الحالة الواقعية، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[١].

الوقاية من حالة الاعوجاج

فإذا كان الإنسان معرَّضاً لحالة الاعوجاج، للانحراف عن خط الاستقامة، فهو بحاجةٍ إلى أن يكون:

- متنبهاً لهذه المسألة.
- حريصاً على الأخذ بأسباب التوفيق.
- حريصاً على الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليثبِّته.
- والأخذ بالأسباب، التي تساعده على الثبات، على الاستمرارية، على أن يصل ما أمر الله به أن يوصل، على أن يستقيم، يستقيم على المنطلق الإيماني العظيم، **القائم على قول: (رَبُّنَا اللَّهُ).**

١٤

فهذه المسألة إذا كانت محط اهتمام لدى الإنسان، فهي مسألةٌ مهمةٌ جدًّا، هذا **من أول المتطلبات اللازمة التي تساعد على الاستقامة:** إدراك الإنسان لأهمية المسألة، ومحاذرته للانحراف، للزيغ، للاعوجاج عن خط الاستقامة.

طريق الاستقامة- كما قلنا- طريقٌ عظيم، فيه خير الدنيا والآخرة، فيه الشرف والكرامة، ولذلك يقول الله عنه في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾[٢]، عندما يقدِّم المواصفات الإيمانية الراقية، التي **يجب أن** نتحلى بها، **أن** نلتزم بها، **أن** نسير في مسيرة حياتنا على أساسها، يقول في نهاية المطاف: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣]، فضلٌ عظيم، شرفٌ كبير، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

١- آل عمران: من الآية ١٧٩
٢- المائدة: من الآية٥٤
٣- المائدة: من الآية ٥٤

عَلَيْهِم ﴾[١]، فهي نعمةٌ كبيرة، وهي شرفٌ كبير، ويحتاج الإنسان إلى أن يستشعر هذه المسألة؛ **ليدرك** قيمة أن يكون في طريق الحق، في موقف الحق، أن يكون منطلقاً وفق أمر الله، وفق هدي الله ﷻ، ومستقيماً على أساس ذلك.

مثلما يمنح الله ﷻ **الهداية**، والرعاية، والتوفيق، والسداد، ففي طريق الحق ما يساعد الإنسان على الاستقامة، من حيث الأثر التربوي، والعطاء التربوي، الذي يزيد الإنسان زكاءً، وطهراً، وصلاحاً، ورغبةً في طريق الحق، ومحبةً، وعشقاً لموقف الحق، ولصالح الأعمال، ولحميد الصفات، وهذه مسألةٌ مهمةٌ **جدًّا**، تساعد الإنسان على مواصلة السير، ومواجهة التحديات، والتحمل أيضاً والثبات تجاه المؤثرات، التي عادةً ما تكون مؤثراتٍ سلبية.

الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[٢]، الله ﷻ يريد لكم الفوز، ولا يريد أن يضيع إيمانكم، أن يضيع جهادكم، أن يضيع عملكم الصالح، بل هو ﷻ من يقدِّم لكم ما يحافظ على عملكم، على إيمانكم، عليكم في حالة الاستقامة والاستمرارية، وهو القائل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾؛ **إنما** هذا يتطلب منا أن ننطلق الانطلاقة السليمة، وأن نرجع إلى الله ﷻ على الدوام.

❖ **في حالة الانحراف، وحالة الزيغ، وحالة الاعوجاج، لها أشكالٌ متعددة:**

تبدأ- في الأعم الأغلب- بشكل اعوجاجٍ عملي، اعوجاج في العمل، **إمَّا** على المستوى السلوكي، **أو** على مستوى الموقف، تصرفات الإنسان التي يخالف بها أوامر الله، **توجيهات الله** ﷻ:

١- الفاتحة: من الآية ٧
٢- البقرة: من الآية ١٤٣

- **إمَّا في إطار المعاصي المباشرة:**

يعصي الله من المعاصي التي نهى عنها، من المعاصي والذنوب والجرائم، ويستمر على ذلك، لا يتوب إلى الله، لا ينيب إلى الله، لا يرجع إلى الله، يتحول ذلك إلى سلوكٍ يستمر عليه، تمثل هذه الحالة أثراً سيئاً على الإنسان، على نفسيته، على مشاعره، وتبعده عن التوفيق الإلهي، ويكون لها الآثار السيئة، التي تصل به- في نهاية المطاف- إلى الاعوجاج بشكل كامل، أو إلى الانحراف بشكلٍ كامل، قد يواجه حالة اختبارٍ كبير.

- **أو ما يتعلق بأداء الإنسان لمسؤولياته، إذا لم يؤدِّها وفق هدي الله، وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

وكان يشوب أداءه العملي الكثير من التصرفات المزاجية، والتي تخالف توجيهات الله، وتعليمات الله، فيدخل في العمل نفسه التصرفات السيئة، الإساءات، ما قد يكون ظلماً، ما قد يكون خطأً، ما قد يكون تفريطاً، تفريطاً في أداء المسؤولية... أشياء كثيرة يمكن أن تمثل تأثيراً سيئاً على عمله، وعلى قبول عمله، مبعثها مزاجه الشخصي، هوى نفسه، عدم اهتمامه وعدم حرصه على أن يؤدِّي عمله بشكلٍ صحيح، وبشكلٍ سليم. ١٤

- **أيضاً من حالات الاعوجاج: الاعوجاج العملي الذي يتطور فيما بعد إلى فكري:**

الإنسان- مثلاً- قد ينحرف في إدائه العملي، قد يخطئ في أدائه العملي، ثم يتعمد الاستمرار على ذلك، وقد تأتي منه التصرفات السيئة في واقعه العملي، المخالفة لأمر الله، لهدي الله، التي لا تتطابق مع هدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأمره، ثم يأتي فيما بعد ذلك إلى التبرير، إلى تبرير انحرافاته، إلى تبرير مخالفاته، وإلى التنظير لها فيما بعد؛ **ليجعل** لها إطارها ومستندها الفكري، ولكنه على أساس التحريف، على أساس ضلالٍ يقدِّمه، ليس على أساس

حقٍ يدعم موقفه؛ **إنما** يستند في موقفه الباطل إلى باطل، في تصرفه الخاطئ يستند إلى تزييف للحقائق.

وهذا يحصل من الكثير من الناس، بالذات من يكونون مثقفين وينحرفون، ثم يريدون أن يبرروا انحرافاتهم، يأتي ليلفق لها تلفيقاً ثقافياً، وتنظيراً ثقافياً، فيراكم من سلبياته، يراكم من حالة الانحراف التي يجعلها حالةً عمليةً، وحالةً فكريةً يُنَظِّرُ لها، يبرر لها، وقد يصل إلى درجة الافتراء على الله ﷻ، وهذه حالةٌ خطيرةٌ **جدًّا.**

- **من حالات أيضاً الاعوجاج والانحراف: الانحراف العملي الذي يتطور إلى مواقف سلبية:**

الإنسان قد يخالف، قد يعاند، قد تصدر منه تصرفات سيئة في الواقع العملي، فيما يتعلق إمَّا -كما قلنا- بإدائه وطريقة أدائه لمسؤولياته، لا يؤديها وفق هدي الله، في أسلوبه، في سلوكه، في القيم التي وجَّه الله إليها في القرآن الكريم، التي يكون العمل بها صالحاً، ويحقق ثمرته المرجوة، وثمرته المطلوبة، أو غير ذلك، يترافق مع ذلك أعمال سيئة من الأعمال السيئة الواضحة المنحرفة.

١٤

ثم بعد ذلك، بعد أن يكون قد انحرف، أصرَّ على ذلك، سُلِبَ التوفيق، يتحول من حالة الاعوجاج عن خط الاستقامة، عن الطريق الصحيح، عن العمل الصحيح، عن الموقف الصحيح، إلى اتخاذ المواقف السلبية، فيتحرك في الساحة يصد عن سبيل الله ﷻ، يتبنى المواقف السلبية من الحق بكله، من طريق الحق بكله، يتحول دوره إلى دور صاد عن سبيل الله ﷻ، دور يخدم أعداء الحق، يخدم أعداء الإيمان، وأعداء التقوى، أعداء المنهج الحق، يسير فيما يسايرهم فيه، فيما يؤيِّد البعض من مواقفهم، أو كل مواقفهم.

وهذه حالة تحصل للكثير من الناس، ينطلق، ولكنه في انطلاقته هناك الكثير من الشوائب، والسلبيات، والتصرفات السيئة، ثم في الأخير قد ينحرف، وبعد انحرافه واعوجاجه يتبنى المواقف السلبية، المواقف الصادة، المواقف المثبِّطة، المواقف المسيئة، المواقف المخذِّلة، فهو لذلك يترك اتجاهه في طريق الحق أصلاً، ثم يتجه الاتجاه السلبي، الاتجاه السيئ، الاتجاه المناوئ، **إما** في طريق النفاق مباشرةً، **أو** في طريق الذين في قلوبهم مرض، كما يسميهم القرآن الكريم، وهذا يحصل للكثير من الناس.

هوى النفس ومخاطره الكثيرة

البعض تبقى الحالة لديه حالة انحراف، لكنها حالة خطيرة، تسلبه التوفيق، يبتعد بها عن الاتجاه العملي الصحيح، يعبِّد نفسه لهوى النفس، وفي الأخير يخسر، يخسر اتجاهه العملي الصحيح.

١٤

هذه بعضٌ من أشكال الاعوجاج والانحراف والزيغ، التي تحصل بعد أن يكون الإنسان قد انطلق أساساً، وتحرك أساساً في طريق الحق.

❖ **أمّا فيما يتعلق بعوامل الانحراف، وعوامل الاعوجاج والزيغ، ففي أولها: هوى النفس:**

هوى النفس عنوان يشمل الكثير من التفاصيل، وهو عنوانٌ مهمٌ جدًّا، القرآن ركَّز على هذا الموضوع، تحدث عن هوى النفس كثيراً، عن مخاطره، عن آثاره السيئة، والله ﷻ قال لنبيه داوود عليه السلام؛ **ليكون** ذلك ذكرى لكل إنسانٍ مؤمن: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]، الإنسان إذا اتَّبع هوى نفسه، مال به عن سبيل الله، عن طريق الحق، عن منهج الحق، وزاغ به عن ذلك، مسألةٌ خطيرةٌ **جدًّا**.

١- ص: من الآية ٢٦

- **من التفاصيل التي تندرج في إطار هوى النفس، هي: الأطماع المعنوية:**

هـذا يـأتي عنـد التمكـين، عنـد التمكـين، عنـد النـصر تتحـرك الأطـماع المعنويـة لـدى البعـض، فيصبـح طامعـاً في أن يحصـل عـلى المناصـب الكبـيرة، وأن يكـون لـه سـمعته الكبـيرة، وأن يكـون لـه نفـوذه الكبـير، وتأثـيره الكبـير، ومقامـه الكبـير في أوسـاط النـاس، فيكـون لـه صفـة معينـة، ومنصـب معـين، فيكـون لـه أيضـاً موقـع مهـم **جـدًّا**، ونفـوذ، وتأثـير، وتصبـح هـذه المسـألة بالنسـبة لـه مسـألةً أساسـية، إلى درجـة أنـه لـو لم يحصـل عليهـا؛ **فسـيترك** طريـق الحـق بكلـه، تدخـل هـي فتكـون هـي هدفـه الرئيـسي.

قـد يكـون انطلـق في البدايـة بنيـةٍ خالصـةٍ مـن أجـل اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يبتغـي مرضـاة اللـه، عاشـقاً لموقـف الحـق، لطريـق الحـق، ولكـن يحصـل الانحـراف في داخـل نفسـه، عـلى مسـتوى الهـدف، عـلى مسـتوى مبتغـاه، وعـلى مسـتوى وجهتـه التـي يتحـرك مـن أجلهـا، **فبـدلاً مـن أن يبقـى الهـدف هـو:** مرضـاة اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمنزلـة العاليـة عنـد اللـه جَلَّ شَأْنُهُ، والمقـام الكبـير عنـد اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يتحـول الموقـع، والمنصـب، والسـمعة، والهالـة، هـي المسـألة المهمـة، وحتـى اللقـب، وحتـى الصفـة، تتحـول هـي المسـألة المهمـة، التـي يبنـي عليهـا توجهـه، موقفـه، رضـاه، إذا لم يحصـل عليهـا، سـيتحول إلى إنسـانٍ سـاخط، حاقـد، متذمـر، معقـد، يتخـذ موقفـه مـن الحـق وأهـل الحـق، يقعـد، يقعـد، ويتخـاذل، ويتنصَّـل عـن المسـؤولية؛ **لأن** الموضـوع المهـم الـذي أصبـح بالنسـبة لـه هـو الأسـاس في أن يواصـل مسـيره، في أن يتحـرك، في أن ينطلـق، هـو ذلـك المبتغـى، هـو ذلـك الموقـع، هـو ذلـك المنصـب، هـي تلـك السـمعة والهالـة، هـو ذلـك اللقـب حتـى.

البعـض عـلى مسـتوى الرتبـة، إذا كان لا يحصـل عـلى رتبـة معينـة، أو موقـع معـين، فهـو سـيتراجع عـن طريـق الحـق، وسـيتغير، ويغـيِّر موقفـه بشـكلٍ تـام، ويتنصَّـل عـن مسـؤولياته، ثـم لا يرغـب في طريـق الحـق أصـلاً، اختـزل كل آمالـه،

١٤

كل اهتماماته في ذلك، وانفصل في آماله عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعمَّا عند الله، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1].

• **أيضاً في حالات التمكين تبرز الأطماع المادية:**

البعض قد تبرز لديه الأطماع بكلها: المعنوية، والمادية، يريد المنصب، يريد السمعة، يريد اللقب، يريد الموقع، يريد النفوذ، يريد المال، فإذا اجتمعت، اجتمعت الآفات معها، الآفات النفسية، وابتعد كثيراً عن روحيته الإيمانية، عن إخلاصه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عن توجهه الصادق، وبات المحرِّك له، المؤثِّر حتى على أدائه، على أعماله، على اهتماماته، هو تلك الأطماع، وتلك الأهواء، وتلك الرغبات.

وهذه حالةٌ خطيرةٌ جدًّا، وتحصل للكثير من الناس، ينطلق في بداية الأمر انطلاقةً نظيفة، صافية، حتى البعض ينطلق في ظروف صعبة **جدًّا**، ظروف الغالب فيها المخاوف أكثر من الأطماع، لا وجود فيها -أصلاً- للأطماع، في بعض المراحل ليس هناك ما تطمع فيه، هناك ما يخاف الكثير منه، هناك المخاوف، هناك الأخطار، هناك التحديات، وقد يتجاوز البعض هذه الحالة، وتلك المراحل، يتجاوزها بنجاح، ولكنه عندما يصل إلى مرحلة التمكين، فتأتي السمعة، تأتي المناصب، تأتي المواقع، يأتي النفوذ، تأتي الألقاب، يسقط أمام هذا الامتحان، ولا يتحمل، ولا يتماسك، تتغير نفسيته، وأهدافه، وتوجهاته، واهتماماته، لتتحول بكلها نحو ذلك؛ **فيصبح** صنمه الكبير هو المنصب، هو السمعة، هو الموقع، هو النفوذ، هو اللقب، هو الصفة تلك، الصفة التي يوصف بها في موقعه ومنصبه، **هذه حالة خطيرة جدًّا، على الإنسان أن يتنبَّه منها.**

١- القصص: من الآية ٦٠

الأطـماع المادية خطـيرةٌ عـلى الإنسـان، إذا أصبـح الإنسـان يحمـل التوجـه المـادي، منشـداً إلى الإمكانـات الماديـة، يريـد الكثـير مـن الأمـوال، يريـد الحيـاة المرفهـة بـأي ثمـن، بـأي ثمـن، فهـو سـيندفع مـن وراء ذلـك ليجعـل كل اهتمامـه، كل آمالـه، كل انطلاقتـه مبنيـةً عـلى الحصـول عـلى ذلـك، فـإذا حصـل عـلى ذلـك؛ **كان** راضيـاً، ومتفاعـلاً، وإيجابيـاً، ومنطلقـاً، وإذا لم يحصـل عـلى ذلـك؛ **تغـيَّرت** نفسـيته، إلى إنسـانٍ متذمـر، وحاقـد، وسـاخط، وغاضـب، ومنفعـل، ومسـتاء **جـدًّا**، ثـم يتبنَّـى المواقـف السـلبية، ثـم يبحـث عـن كل العناويـن التـي يجعـل منهـا ذريعـةً للإسـاءة، ذريعـةً لإطـلاق المواقـف السـلبية، للصـد عـن سـبيل اللـه ﷻ، للتخريـب، للتثبيـط، لخلخلـة الصـف مـن الداخـل، والموضـوع الرئيـسي هـو في واقـع الحـال، مهـما كـثرة العناويـن التـي يطلقهـا، والكلـمات، والأشـياء التـي يجعـل منهـا ذريعـةً لإسـاءاته، ومواقفـه السـاخطة، يكـون الموضـوع في أساسـه هـو الدافـع المـادي، هـو الطمـع، هـو الهـوى.

١٤

كـما يدفـع البعـض أيضـاً للخيانـة، للخيانـة في المـال، في الحـق العـام، في المـال الـذي ليـس خاصـاً بـه، يتعلـق بمسـؤولياته، **أو إلى الظلـم** في أن يحصـل عـلى أمـوال محرَّمـة عـن طريـقٍ فيهـا ظلـمٌ لعبـاد اللـه، فيهـا أخـذٌ للحـرام، لحقـوق النـاس، فتمثـل حالـة اعوجـاجٍ خطـيرٍ **جـدًّا** عـن خـط الاسـتقامة، يسـبب للإنسـان سـخط اللـه، وغضـب اللـه، وعـذاب اللـه، ويحبـط الإنسـان كل مـا قـد سـبق منـه مـن الأعـمال الصالحـة، ثـم لا يوفـق فيـما بقـي، والـذي سـيخسره هـو الكثـير؛ **لأن** الإنسـان لـو حـاز الدنيـا بحذافيرهـا، لـو ملـك الأرض بـكل مـا فيهـا، أو كان لـه مـا يعـادل الأرض ذهبـاً لافتـدى بـه يـوم القيامـة مـن سـوء العـذاب، مـن عـذاب اللـه الشـديد، لـو أن لهـم مـا في الأرض ومثلـه معـه لافتـدوا بـه.

الـذي سـتحصل عليـه وأنـت سـتعوج عـن طريـق الحـق، وأنـت سـتخالف قيمـك، ومبادئـك، واتجاهـك الصحيـح، شيءٌ تافـه، شيءٌ لا يسـاوي شـيئاً أبـداً

في مقابل ما خسرته، خسرت الجنة، خسرت السعادة الأبدية خسرت سمو نفسك، كرامة نفسك، قيم إيمانك، شرفك في موقف الحق؛ **لأن** الطمع دناءة، الطمع انحطاط، هو يحط من مرتبة الإنسان، من كرامته، خطيرٌ على النفس، وهو خطيرٌ **جدًّا** على شرف الإنسان، وعلى كرامته.

فالحالة حالة الأطماع المادية هي من ضمن هوى النفس، والإنسان عندما ينطلق فيها ينطلق أحياناً بنظرة الاستحقاق، يعتبر نفسه مستحقاً لأن تُلَبِّى كل طلباته المادية، وأن تتوفر له كل رغباته المادية؛ **لأنه** قد وقف موقف الحق، فيريد ثمنه من الناس، أو من حقوق الناس، أو من الحق العام، فتفتتح شهية الطمع والجشع إلى أقصى حد، ويحمل معها هذه النظرة (نظرة الاستحقاق)، أنه أصبح يحق له أن يحصل على كذا وكذا وكذا، وأصبح يتمنن، يتمنن بموقفه، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[1]، **يصبح الإنسان كثير التمنن**: [أنا وقفت في موقف كذا، وأنا فعلت كذا، فلماذا لا تعطوني كذا؟!]، يصبح أمامه هناك قائمة طويلة من المطالب الشخصية، والرغبات الشخصية، التي يرى لزاماً على الآخرين أن يوفِّروها له، وأن يؤدوها إليه وفق ما يرغب به، وبأسرع وقت، وألَّا يتأخروا عن ذلك، حالة خطيرة **جدًّا** حالة الطمع.

- **من العوامل المؤثرة جدًّا بشكلٍ سلبيٍ فظيع على توجه الإنسان وعلى استقامته، هي: حالة الغرور، والعجب، والتمحور حول الذات:**

البعض مثلاً ينطلق، وقد يكون حتى في مراحل السبق، ينطلق من مراحل مبكرة، هذا بتوفيق الله عليه، ونعمةٌ كبيرةٌ من الله عليه، ويُقَدِّم الأعمال، ويتحرك، سيحظى من خلال ذلك بتوفيقٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبشرف التوجه في طريق الحق، الإنسان يحصل على ذلك عادةً.

١- الحجرات: من الآية ١٧

في مراحل معينة تأتيه حالة الغرور؛ نتيجة الغفلة عن الله، لم يعد يحسب ما يوفَّق له أنه مِنَّةٌ من الله، يعتبره توفيقاً من الله، ونعمةً من الله، أصبح يعتبر ذلك عائداً إلى عبقريته الشخصية، إلى أنه- في نظر نفسه- إنسانٌ مهمٌ **جدًّا**، موهوبٌ وعبقريٌ، وأنَّ كل نجاح يحققه يعود إلى ذاته، إلى عبقريته الشخصية، وينسى الله، وينسى الفضل لله، وينسى المنَّة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **فتعظم** نفسه عنده، تعظم شيئاً فشيئاً فشيئاً، حتى يرى نفسه عظيماً **جدًّا**، ويرى نفسه إنساناً عبقرياً، بعيداً عن التقصير، بعيداً عن القصور، ويرى لنفسه منزلةً عاليةً **جدًّا**، وشأناً عظيماً، **يفترض من خلاله من الناس أن يتعاملوا معه وفق ذلك:** أن يُعَظِّموه دائماً، أن يُقَدِّسوه دائماً، أن يخضعوا له في كل ما يشاء ويريد ويبتغي، أن يلبوا له كل طلب، أن يتعاملوا معه بخضوع وخشوع، يتناسب مع المقام الذي افترضه لنفسه.

١٤

ويصحب ذلك- عادةً- سوء تعامل من جانبه مع الناس، يفقد التواضع، لم يعد يتعامل مع الناس بتواضع، تكثر جرأته في الإساءة إلى الناس؛ **لأنه** يرى نفسه شيئاً عظيماً، ويرى الناس لا شيء من حوله، فهو جريءٌ بالإساءة إليهم، وفي نفس الوقت يفترض منهم غاية الاحترام له، منتهى الاحترام له، ويفترض من جانبه أن ليس عليه أن يعاملهم أصلاً بأي احترام، ولا بأي تقدير.

فتنعكس حالة الغرور في معاملته مع الناس، في أسلوبه في التعامل، وفي أدائه للمسؤولية، لم يعد يؤدي المسؤولية بأخلاقها، بقيمها، بتواضع، باهتمام، بحرص، بإخلاص، بصدق، بجد، ينطلق من منطلقٍ شخصيٍ في كل الأمور، **بمعنى:** المحور عنده هو ذاته، المعيار عنده هو نفسه وشخصه، يتعامل مع الناس بناءً على ذلك، كيف هم تجاهه، حتى في أدائه للمسؤولية، هو يؤدِّي المسؤولية مثلاً الأعمال التي قد يتصور أنها ذات شهرة يعمل على

أساسها، الأعمال التي قد لا تكون ذات شهرة مهما كانت مهمة لا يرغب فيها، الناس الذين يتملقون له، ويبالغون في الثناء عليه؛ **يحبهم جدًّا**، يرتاح لهم **جدًّا**، يعتبرهم الناس الجيدين، ويكره الآخرين حتى بمجرد أن ينصحوه، إذا نُصح من جانبهم بنصيحة، أو نبهوه على جوانب قصور، أو خطأ، ولو كان بشكلٍ أخويٍ، وبشكلٍ مؤدب، وبشكلٍ محترم، فالنصيحة تستفزه غاية الاستفزاز، يتعقد من ذلك **جدًّا**.

ثم التمحور حول الذات يجعل الإنسان يشخصن كل شيء، يشخصن كل ما يأتي من الناس إليه، يعتبر الموضوع موضوعاً شخصياً، موقفاً شخصياً، عقدةً شخصية، وينظر إلى الأمور في الواقع العملي من هذا المنظور، وهذه حالةٌ خطيرة؛ **لأنها** تبعد الإنسان عن الله، تجعله يتنكر لنعم الله عليه، وفي نهاية المطاف لها آثارها السيئة، التي تجعل الإنسان يخسر العمل الصالح، يخسر حتى ما يمكن أن يعطيه الله من مودةٍ في قلوب المؤمنين، من منزلةٍ في قلوب عباد الله، ولا يصل إلى آماله؛ **إنما** يُعَذِّب نفسه بالعقد النفسية التي تتراكم، ويتعبه كل شيء، كل شيء يمثل إشكاليةً معه، كلمة نصح، تقوم القيامة بسببها، ملاحظة، يقوم ولا يقعد تجاهها، إشكاليات في الواقع العملي، يشخصن كل شيء ويفسر كل شيء بتفسير شخصي، ويبقى دائماً منشغلاً بذاته، بشخصه، يخوض المعارك الكثيرة على المستوى الكلامي وعلى المستوى العملي على هذا الأساس، وهذه حالة خطيرة **جدًّا**، والتربية الإيمانية هي تجعل الإنسان بعيداً عن ذلك، وسنأتي إلى التنبيه عن هذه المسألة. ١٤

- **من عوامل الانحراف التي هي تابعةٌ لهوى النفس، متفرعةٌ عن هوى النفس: الطغيان:**

الطغيان وتأتي في مرحلة التمكين، البعض مثلاً في المراحل الصعبة، في الظروف والتحديات الكبيرة، كان يتحرك في سبيل الله وفي طريق الحق، لكن

عندما تـأتي مرحلـة التمكـين يطغـى، يطغـى، يتجـاوز الحـد، يظلـم، يتكـبر عـلى عبـاد اللـه، لا يبقـى ملتزمـاً وفـق هـدي اللـه، وفـق أمـر اللـه، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾[1]، قـد يظلـم إذا غضـب، إذا انفعـل، إذا سـاءه شيء، يتعامـل مـع مـا يسـوؤه، أو مـع مـا يغضبـه، بطريقـة فيهـا تجـاوز للحـق، تجـاوز للعـدل، وهـذه حالـةٌ خطـيرةٌ **جـدًّا** عـلى الإنسـان، وهـي- كـما قلنـا- تـأتي في حالـة التمكـين، البعـض يطغـى إذا تمكَّـن، ولهـذا عندمـا قـال اللـه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾؛ **لأن** الطغيـان حالـةٌ خطـيرة، حالـةٌ خطـيرة.

عندمـا يصبـح الإنسـان متمكنـاً، وبمجـرد أن يغضـب مـن شيء، أو يسـوؤه شيء، أو ينفعـل مـن شيء، تـأتي ردة الفعـل منـه وهـي زائـدةٌ، يتجـاوز بهـا الحـق، يتجـاوز بهـا العـدل، هـي ليسـت وفـق الحـق، ولا وفـق العـدل؛ **وإنمـا** هـي وفـق

١٤

مـا يلبـي رغبتـه، مـا يـرضي نفسـه، مـا يُـبَرِّد بـه غضبـه، مـا ينسـجم مـع مسـتوى انفعالـه، يقيـس الأمـور بمسـتوى غضبـه، بمسـتوى انفعالـه.

ومـن أخطـر مـن يتعرضـون لهـذه المسـألة مـن هـم في موقـع المسـؤولية، عندمـا تكـون مسـؤولاً في أي موقـع مـن مواقـع المسـؤولية، مسـؤول أمنـي، مسـؤول لـك نفـوذ، لـك تأثـير، أو لـك وجاهـة، أو لديـك إمكانيـة، في أي مسـتوى مـن المسـتويات، مـن مسـتوى تأثـير عـلى مسـتوى مجموعـة، إلى مسـتوى مسـؤول أمنـي، أو مسـؤول عسـكري، أو مسـؤول في أي موقـع مـن مواقـع المسـؤولية، بـأي صفـة مـن صفـات المسـؤولية، **عندمـا يكـون الإنسـان في موقـع المسـؤولية، في موقـع نفـوذ، في موقـع تمكُّـن، عليـه أن يحـذر مـن أن يتعامـل مـع الأمـور مـن منطلـق غضبـه، مـن مسـتوى انفعالـه، بمسـتوى مشـاعره السـاخطة، الغاضبـة، المنفعلـة، المسـتاءة، إذا قـاس الأمـور بمسـتوى اسـتيائه، بمسـتوى غضبـه، بمسـتوى**

١- هود: من الآية ١١٢

انفعاله؛ يطغى، يظلم، يسيء، يكون سلوكه سلوك المتكبرين، وقد يصل إلى أن يظلم ظلماً خطيراً جدًّا، سواءً الظلم بالكلام، أو الظلم بالمواقف، أو الظلم بالإجراءات، سواءً في محيطك العملي، أو خارج محيطك العملي، وهذه حالة تُخرِج الإنسان عن خط الاستقامة، وتسبب له سخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والحالة خطيرة جدًّا عند الغضب، عند الانفعال، البعض إذا غضب، إذا انفعل وهو في موقع مسؤولية، بسرعة تصبح عباراته عبارات المتكبرين، سلوكه سلوك المتكبرين، أسلوبه أسلوب المتكبرين؛ **لأنه** ينظر إلى الأمور من موقع صفته وموقعه، والمكانة الوهمية التي ينظر إلى نفسه من خلالها، ولا يتعامل مع الأمور وفق العدل، وفق الحق، كما هي، ويحرص على ذلك، ويتحرى ذلك، هذه مسألة خطيرة **جدًّا**.

١٤ ﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[1]، لا تميلوا إليهم ولو الميل اليسير؛ **لأن** ذلك أيضاً يطغيكم، البعض يتعلم من الذين ظلموا، يتعلم منهم أسلوب إدارة الدولة، أسلوب التعامل مع الناس، بدلاً من أن يعود إلى منهج الله الحق، ليلتزم به، **يقول لك:** [أحنا دولة، هكذا **يجب** أن نتعامل، أن نقول، أن نفعل]، فيطغى، هذه حالة خطيرة **جدًّا**.

- **مما يتفرع عن هوى النفس، من عوامل الانحراف والاعوجاج عن خط الاستقامة والزيغ عنه: الفساد الأخلاقي، والفساد المالي:**

الفساد الأخلاقي هو: رذيلة، وهو- في نفس الوقت- جريمة، ومعصية، وهو من أخطر الأشياء آثاراً سيئةً على نفسية الإنسان، تخبث به النفس، الفساد الأخلاقي تخبث به النفس بكل أشكاله، **الفساد الأخلاقي بكل أشكاله تخبث به النفس، تنحط به النفس؛ وبالتالي تتغير نفسية الإنسان، فتتحول إلى نفسية خبيثة، لم تعد تنسجم مع القيم الإيمانية، مع الاتجاه**

١- هود: ١١٢-١١٣

الحق، **مع العمل الصالح كما كانت سابقاً، وتصبح ميالةً إلى الأشياء السيئة؛ فيخبث** الإنسان، ويخبث كلامه، يخبث لسانه، تخبث تعبيراته، يخبث ويسوء سلوكه، وتتغير اهتماماته، ويفرِّط في مسؤولياته، فهي مسألة خطيرة **جدًّا** على الإنسان **ويجب** الحذر منها.

الفساد المالي- كذلك- هو: خيانة، وهو معصية، وهو رذيلة، وهو إساءة، وله تأثيراته السيئة، وهو ظلم، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، هذه مسألة خطيرة **جدًّا** على الإنسان، **يجب** الحذر منها، وهي تعود أيضاً إلى هوى النفس.

- **من العوامل المؤثرة على البعض أيضاً: المشاكل والخلافات:**

في إطار انطلاقة الإنسان في موقف الحق، وفي طريق الاستقامة على أساس أمر الله وهدي الله، قد يواجه الإنسان المصاعب، المشاكل، التحديات، الخلافات أحياناً، في إطار أداء المسؤولية، في الأداء الجماعي، الناس ينطلقون في الأداء الجماعي ليؤدوا مسؤولياتهم الجماعية، أحياناً يحصل تباين في وجهات النظر، أو اختلاف في وجهات النظر، أو إشكالات في الواقع العملي، مثل هذه الحالة **يجب** معالجتها بروحٍ عملية، مع التزام التقوى؛ **لأنها** تحصل في كل واقع عمل، وفي كل ميدان عمل، قد يحصل أحياناً **إما** تباين في وجهات النظر، **أو** اختلاف في الآراء، **أو** إشكالات في الأداء العملي، **أو** جوانب قصور أحياناً في الأداء العملي، **لا يجوز أن تتحول إلى حالة نزاع، ثم عقد شخصية، ثم مواقف شخصية، الحالة هذه حالة خطيرة جدًّا.**

١٤

البعض من الناس مثلاً قد يشخصن أي إشكال عملي، أو نقاش عملي، وكأنه موقفٌ منه شخصياً، مجرد مثلاً عدم تقبل لرأيه، يعتبر المسألة موقفاً منه، وقد يكون الموضوع عائداً إلى أن رأيه ليس صواباً، أو على الأقل لم يفهم، أو لم

١- الأنفال: الآية ٢٧

يقتنع به على أنه الصواب، **يعني:** تبقى المسألة موقفاً من رأيه ذلك مثلاً.

أو إشكالات في الواقع العملي، يحصل في الواقع العملي أن يحصل إشكالات معينة، أو عراقيل معينة، أو تأخر أمور معينة، أو انعدام أمور معينة، إذا تحولت المسألة إلى عقد شخصية لدى الإنسان، تتراكم لدى البعض، فتتحول- في نهاية المطاف- إلى عائقٍ نفسيٍ عن الاستمرار في العمل؛ **فيتنصل** الإنسان عن مسؤولياته، ويتغير تماماً، البعض قد يتحول إلى حالة سلبية، إلى حالة سلبية، يصد عن سبيل الله، يثبط، يُخَذِّل، يُخلخل الصف من الداخل، يحاول أن يعمم إشكاليته على نطاقٍ واسع، في نشر حالة العقد، حالة السخط، حالة التذمر، ثم يُكَبِّرها، ثم يُعَظِّمها، ثم يحولها هي الإسلام، وهي الحق، وهي الجهاد، وهي كل شيء، على حساب كل شيء، على حساب المسؤوليات الأساسية، المواقف المهمة، التحديات الكبيرة، الظروف القائمة، الأعمال العظيمة، كل شيءٍ يُنسَى، يستغرق كل ذهنه، كل تفكيره، كل اهتمامه، كل كلامه في إطار مشكلته تلك، يبقى دائماً يتحدث عنها، يتذمر بشأنها، يبني عليها المواقف، والتوصيفات، يطلق من خلالها الاتهامات، يبقى ناقماً، لا شغل له إلا إشكاليته تلك، التي استغرق فيها بتفكيره، واستغرق فيها بكلامه، باهتمامه، بأسلوبه، الذي وظَّف فيه كل جهده من أجلها، هذه حالة خطيرة **جدًّا**، ينبغي أن يحذر الإنسان منها؛ **لأنه أي شيءٍ يمكن أن يؤثر عليك في أن تواصل مسيرتك على أساس عبوديتك لله، طاعتك لله، انطلاقتك في موقفك الحق، فهو خطير، ليس هناك شيءٌ يستحق أن يتحول إلى عائقٍ يعيقك عن أن تصل ما أمر الله به أن يوصل.**

هذه هي بعضٌ من العوائق، من الإشكالات، من العوامل التي تسبب للإنسان الاعوجاج، الانحراف، قد يواجه اختباراً معيناً فيخرج بشكلٍ تام عن طريق الحق.

١٤

العوامل التي تساعد على الاستقامة

❖ **أمّا العوامل التي تساعد على الاستقامة:**

• **ففي مقدمتها: الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

هذه مسألة مهمة جدًّا، على الإنسان أن يكون من أهم ما يطلبه من الله: أن يوفِّقه، أن يثبِّته.

من أهم الأدعية في القرآن الكريم: دعاء الراسخين في العلم، لاحظوا، وصفهم الله بالراسخين في العلم، الذين لديهم الوعي، البصيرة، المعرفة الراسخة، المعرفة العميقة، المعرفة بالحق، المعرفة بالهدى إلى درجة عالية وراسخة ومتمكِّنة، ليسوا هامشيين في معلوماتهم وبصيرتهم، على درجة راسخة، متمكِّنة، ثابتة، من الوعي والبصيرة، مع ذلك هم لا يغترون بأنفسهم، ولا يتَّكلون في ذلك على أنفسهم، لا يزال لديهم حالة الخوف من الزيغ، ولذلك علَّمنا الله دعاءهم في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[١]، **هذا من أهم الأدعية**، وإذا دعوت به، فادعُ الله به من واقع الشعور بالحاجة، من واقع الادراك لأهمية هذه المسألة، من واقع الحذر من هذا الخطر، خطر الزيغ؛ **لأنه** يحصل للكثير من الناس، يحصل لهم أن يزيغوا، فحتى لا تزيغ كما زاغوا التجئ إلى الله.

من ضمن الأدعية أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[٢]، ربِّ لا تحملنا حتى في الاختبارات العملية، حتى في المواقف التي نواجهها، ما لا طاقة لنا به، فيكون لذلك تأثير علينا في التزامنا، في عملنا، في اهتمامنا.

١٤

١- آل عمران: الآية ٨

٢- البقرة: من الآية ٢٨٦

دعاء بحسن الخاتمة أيضاً والتوفيق وحسن الخاتمة، وألَّا يكلك الله إلى نفسك: ((اللهم لا تكلني إلى نفسي، ولا إلى غيرك طرفة عينٍ أبداً))، من الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو الله ألَّا يكله إلى نفسه، أنت هنا تطلب من الله أن يمنحك هو الرعاية الدائمة، أن يحفظ لك إيمانك، ثباتك على موقف الحق؛ حتى لا تتغير بأي بشيءٍ من المؤثرات التي تغيِّر الآخرين.

- **من أهم الأمور التي يجب أن تكون محط اهتمام الإنسان:**

ترسيخ حالة العبودية لله تعالى: تُرَسِّخ دائماً في نفسك أنك عبدٌ لله، أن ترسخ دائماً في نفسك ما يعنيه قولك: **(رَبُّنَا اللَّهُ)**؛ **لأن** الإنسان إذا لم يُرَسِّخ هذه الحالة بشكلٍ مستمر، ينسى أنه عبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيتحول إلى طاغية، إلى طاغية، هذه حالة خطيرة **جدًّا.**

والتسليم لأمر الله: هذا مقتضى العبودية لله، أن تكون مُسَلِّماً لأمره، حتى في الأشياء التي لا تطابق هوى نفسك، لا تنسجم مع رغباتك، لا تكون رغباتك وأهواء نفسك هي معيارك في التعامل مع الأمور.

وأن تسعى دائماً لابتغاء مرضاة الله: يكون هدفك الرئيسي، ليس المنصب، ليس المقام، ليست السمعة، ليس المال، ليست الأهواء، هي ما تبتغيه، وتقدم ما تعمله في سبيل الله من أجله؛ **لأنه** لم يعد في سبيل الله، أصبح في سبيل النفس، من أجل هوى النفس، فابتغ مرضاة الله على الدوام.

وأن تعتبر المنة لله عليك في كل نجاح: أن تنظر إلى نفسك أنه لولا توفيق الله لك، لولا مِنَّة الله عليك، لما تمكنت من أي نجاح، في أي عملٍ تنجح في أدائه، أو في أي موقفٍ تتوفق لأن تقفه من مواقف الحق، تذكر هذه نعمةٌ من الله عليك.

١٤

الله ﷻ **وصف فيما وصف به عباده المؤمنين، المتقين، المجاهدين، المستقيمين، بقوله تعالى:** ﴿الْحَامِدُونَ﴾، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾[١]، هم يحمدون الله على الدوام، ويعتقدون أن الفضل لله، والمنة لله، والحمد لله، هو الذي يثنى عليه، عند كل نجاح، تجاه كل نجاح، تجاه كل ما منَّ به عليهم، كل ما منَّ به عليهم يعتبرون الفضل فيه له، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**.

- **من أهم ما تحتاج إليه من عوامل الاستقامة والثبات: الصلة الوثيقة بهدى الله ﷻ، مع الأخذ بأسباب الهداية:**

هذه مسألة مهمة جدًّا؛ لأن البعض أيضاً يتأثرون بالدعايات، بالشبهات، بالتشكيكات، بالحملات الدعائية، بالحملات التضليلية، مع قصورٍ في وعيهم، مع عدم استيعابهم لما يفنِّد تلك الشبهات؛ **فبالتالي** يتأثرون من ذلك، ويكون سبباً لاعوجاجهم.

١٤

وأيضاً في هدى الله ﷻ ما يزودنا بالوعي، والبصيرة، والمعرفة، والفهم الصحيح من جانب؛ فلا نتأثر بأي دعايات، ولا بأي حملات تضليلية، ولا بأي شبهات، **وفيه ما له الأثر النفسي التربوي، وفيه ما فيه البصيرة في العمل**، فله أهميته كعاملٍ رئيسي من العوامل الأساسية في الثبات على الحق، حتى في العشق للحق، في القناعة بالحق، في الاطمئنان إلى الحق الذي أنت عليه؛ **وبالتالي** في قوة الموقف وقوة الثبات، **ومع الأخذ بأسباب الهداية الله يزيد من هدايته،** ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[٢].

- **أيضاً في مسألة الروح المعطاءة:**

عندما تحمل روحيةً معطاءة، فأنت تعطي، أنت تفكر بما تقدم، وما تعمل، وما تعطي، وما تنفق، وتتخلص من الروح الجشعة الطامعة، **هذا**

١- التوبة: من الآية ١١٢

٢- محمد: من الآية ١٧

أيضاً مما يساعد على الاستقامة، ولهذا قال الله في مسألة الإنفاق: ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1]؛ **لأن** له أثره العظيم في مسألة الثبات، والتثبيت للنفس على الحق.

- **مما ينبغي أيضاً العناية به من العوامل المساعدة على الاستقامة: الحفاظ على الإخلاص لله:**

الإنسان قد ينطلق في مراحل معينة بإخلاص لله، همه رضوان الله، وهمه أن يتقبل الله منه عمله، إلى مراحل معينة، ثم يتأثر إخلاصه، كما أشرنا سابقاً في الآفات والعوامل السلبية، التي تنحرف بالإنسان، يتجه إلى اهتمامات أخرى، رغبات، أو تمحور حول الذات، أو أياً من ذلك.

ولذلك يحتاج الإخلاص لله إلى حماية، إلى محافظة، إلى استمرارية، **أن يبقى دائماً في كل المراحل همك هو مرضاة الله تعالى**، أن يرضى عنك، أن يتقبل منك عملك، ما تريده، تريده منه، تريد الخير، تريده منه، تريد العزة، تريدها منه هو سبحانه وتعالى، هو الذي يعطي العزة، بيده الخير كله، فلا تتوجه آمالك ورغباتك إلى الناس من خلال ما تعمل، هذا له تأثيره السيئ **جدًّا**.

الحفاظ على الإخلاص لله، والذوبان في طاعته، والحذر من تغير الوجهة، تبقى وجهتك نحو الله، **(رَبُّنَا اللَّهُ)**، اتجاهي إليه، إذا تغيَّرت الوجهة، أصبحت منصباً، مطمعاً، مكانةً، رغبات معينة، مواقع معينة... بأي عنوان، فهذه حالةٌ خطيرة قد تنحرف بك.

- **من أهم ما يفيد هو: السعي للارتقاء الإيماني، وتزكية النفس، ومحاسبتها، وتقييم النفس والعمل:**

هذه مسألة مهمة جدًّا، **أن يسعى الإنسان بشكلٍ مستمر للارتقاء لأن يزداد إيماناً، أن يزداد وعياً، أن يزداد زكاءً**، لا يجمد عند مستوى معين،

١- البقرة: من الآية ٢٦٥

الجمود عند مستوى معين ترى فيه أنك لم تعد بحاجة إلى المزيد من الوعي، ولا إلى المزيد من الهدى، أصبحت في نظرك واعياً بما فيه الكفاية، وإذا أراد الآخرون أن يُذَكِّروك، فهذا بالنسبة لك أمرٌ لا حاجة له، وإنما هو مزيدٌ من الإزعاج، فتعتبر هذا إزعاجاً لك؛ **لأنك** لست بحاجةً إلى ذلك، لا تتفاعل، لا تبادر، لا تحرص أنت على أن تسمع المزيد من هدى الله، من الذكرى، أن تستفيد أكثر، أن تتجه إلى واقعك العملي والسلوكي لتصلحه أكثر.

فالإنسان إذا لم يتجه نحو الارتقاء، وجَمَد عند مستوى معين، تبدأ حالة الجمود هذه بالتأثير السلبي عليه، ثم يزداد التأثير السيئ عليه شيئاً فشيئاً حتى يتغير؛ **لأنه** ينحدر، يتجه نحو الأسفل، بدلاً من الصعود، نحو الهبوط، في مستوى وعيه، في مستوى إيمانه، في مستوى التزامه، في مستوى تفاعله... في غير ذلك، وهي حالة خطيرة **جدًّا**.

١٤

أيضاً العناية بمحاسبة النفس، هذه مسألة مهمة أن الإنسان ينظر إلى واقع نفسه، يقيِّم عمله، يحاول أن يكتشف جوانب القصور لديه، ويحاول أن يقيِّم ما يعمل، بروحٍ نصوحةٍ، روحيةٍ متجهةٍ بكل رغبة إلى أن يكتشف كل جوانب القصور لديه ليعالجها، هذه مسألة مهمة، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[1]، هذا هو مستقبلك، **عملك يترتب عليه مصيرك، يترتب عليه علاقتك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلتكن حريصاً على ذلك أنت.**

- **من أهم ما ينبغي في العوامل المساعدة على الاستقامة، من أهم ما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار، هو: الحذر من خطوات الشيطان:**

أن يكون الإنسان حذراً من الشيطان، ومن خطوات الشيطان؛ **لأن** التكتيك والأسلوب الذي يعتمد عليه الشيطان هو الخطوات، الذي يستدرجك نحوها شيئاً فشيئاً، حتى يوقعك في العظائم، في الكبائر، في المزالق الخطرة

١- الحشر: من الآية ١٨

جدًّا، فالإنسان إذا عرف أن ذلك من أساليب الشيطان، فلا يسهِّل لنفسه، لا يستهتر ويتهاون شيئاً فشيئاً، فهذه مسألة خطيرة جدًّا.

والشيطان (إبليس) نفسه هو أول مثالٍ للانحراف عن خط الاستقامة، أول من انحرف عن خط الاستقامة، كان في صفوف الملائكة، وكان يعبد الله ﷻ، ولكنه كان يحمل غِشاً في نفسه، يحتفظ بغشٍ في نفسه، كانت تتعاظم عنده نفسه مع كل ما يعمل، كلما عمل أكثر؛ **عظمت** نفسه في نفسه، ولم يعظم الله في نفسه، لم ير التوفيق لله في ذلك، تعاظمه في نفسه جعله متكبراً، وحين أتاه الاختبار؛ **سقط** في الاختبار سقوطاً رهيباً **جدًّا**، وخطيراً **جدًّا**، فالشيطان يستخدم أسلوب الاستدراج للإنسان من خلال خطوات.

- **أيضاً من المسائل المهمة: أن يفهم الإنسان مسألة الاختبار والفتنة:**

أنك في هذه الحياة، وفي ميدان العمل، في ميدان اختبار، تختبر في مدى انتمائك، مصداقيتك، ثباتك، فالمسألة مسألة مهمة، أنت ستختبر مثلاً تجاه كل الأمور، كيف أنت في حال الرضا، كيف أنت في حال السخط، كيف أنت تجاه الرغبات، كيف أنت تجاه الأهواء، تأتي اختبارات، الإنسان إذا كان ملتجئاً إلى الله، ومتنبهاً، ومستعيناً بالله، يجتاز تلك الاختبارات بنجاح، وبتوفيق عظيم من الله ﷻ.

- **من أهم الأمور التي يحتاج إليها الإنسان ومن أساسياتها: الصبر:**

الصبر شيءٌ أساسيٌ جدًّا للاستقامة، لمواصلة المشوار، لمواصلة الطريق، للالتزام المستمر، يحتاج الإنسان إلى الصبر في كل الحالات، الصبر في حالات الغضب، الصبر في حالات الرضا، في حالات... أمام الشهوات والرغبات والإغراءات، والصبر أيضاً أمام المخاوف والتحديات والأخطار وضغوطها، في كل الأحوال يحتاج الإنسان إلى الصبر، ولهذا يأتي في القرآن الحث المتكرر

على الصبر: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]، **الصبر شيءٌ أساسٌي لابدَّ منه، ويستعين الإنسان بالله في ذلك**، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٤]، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾[٥].

- **من أهم الأمور التي يجب أن يستشعرها الإنسان بشكلٍ مستمر، هي: قصوره وتقصيره:**

أن يستشعر على الدوام أنه مهما عمل، مهما قدَّم، لا يزال مقصِّراً بجانب حق الله عليه، وبجانب الواقع نفسه، مستوى أداء المسؤولية، لا يزال الإنسان قاصراً مهما بلغ، مهما أدَّى، مهما عمل، وأنَّ الفضل لله عليه في ذلك؛ **وبالتالي** إذا وفِّق، يعتبر الفضل لله سبحانه وتعالى فيما وفَّقه إليه، ويعتبر نفسه مقصِّراً، يرجو من الله أن يغفر له تجاه تقصيره.

١٤

هنا درسٌ عظيمٌ جدًّا، درسٌ كبير فيما وجَّه الله به نبيه، وسيِّد رسله محمداً صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، رسول الله محمد أمره الله بالاستغفار كثيراً، وتكرر ذلك في القرآن الكريم، ومن ضمن ذلك قوله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٦]، **في ذروة الإنجاز، في قمة الإنجاز:** النصر، والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجا، **قال له:** سبِّح بحمد ربك واستغفره، سبح بحمده، لا تسبح بحمد نفسك.

١- الأنفال: من الآية ٤٦
٢- آل عمران: من الآية ١٤٦
٣- الزمر: من الآية ١٠
٤- النحل: من الآية ١٢٧
٥- الأعراف: من الآية ١٢٦
٦- النصر: ١-٣

الإنسان عند أن ينجز عملاً معيناً، أو يحقق نتائج معينة، أكثر الناس في مثل تلك الحالة يسبحون بحمد أنفسهم، على مستوى الاستغراق في التفكير، يجلس يفكر عن نفسه، أنه إنسان ناجح، أنه إنسان عظيم، أنه إنسان مهم، أنه... معجب بنفسه، هواجسه، تفكيره حول ذلك، مشاعره حول ذلك، ويفكر كيف الآخرون؟ هل سيثنون عليه الثناءات الكبيرة؟ هل سيطبلون له، ويمجِّدونه، ويعظِّمونه على ذلك، أم أنهم مقصِّرون في ذلك، أو غير مهتمين بذلك، فهذا يعود إلى حسدهم، أو حقدهم... أو غير ذلك؟!

الإنسان عند كل إنجاز، وعند كل نجاح، وعند كل موقفٍ عظيمٍ يقفه؛ ليحذر من الاستغراق في التسبيح بحمد بنفسه، بل يتجه إلى الله، يعتبر الفضل لله عليه، المنَّة لله عليه، أنَّ صاحب التوفيق الحقيقي هو الله، هو الذي وفَّقه، لولا توفيقه، لكان لا شيء، لما نجح بشيء، لما أنجز شيئاً؛ **وبالتالي** يتوجه نحو الله، يستغرق على مستوى التفكير في ذلك، وعلى مستوى الذكر، يسبح الله ويحمده، ويطلب من الله المغفرة على ما لا يزال لديه من جوانب والقصور والتقصير.

هذه المشاعر الإيمانية الراقية العظيمة، تحمي الإنسان من الغرور، تحميه من العجب، تحميه من الكبر، تحميه من التمحور حول الذات، وهي من أهم الأمور، من أهم الأمور التي يحتاج إليها الإنسان، ومسألة مهمة يغفل عنها الكثير من الناس، هذا فيما يتعلق بالإنسان على المستوى الشخصي.

على المستوى الجماعي: أمة معينة تنطلق على أساس الاستقامة في العبودية لله، ووفق هديه وأمره، كما أمر، لابدَّ أن يسود فيما بينها التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، هذه مسألة مهمة **جدًّا**، مما يساعد على الاستقامة، وأن يتعوَّد الناس فيما بينهم على التواصي بالحق، وعلى عدم الغضب منه.

للأسف الشديد، للأسف الشديد، الكثير من الناس يُغضِبُه أن يُوصَى بالحق، أن ينصح بالحق، حتى مع التزام الآداب، حتى مع التزام الكلام الطبيعي، حتى بدون استفزاز، بمجرد أن ينصح، أو يُوصَى بالحق، وبالذات من هم في مواقع مسؤولية، من أصبحوا تطلق عليهم ألقاب وأسماء في مواقع مسؤولية معينة، يصبحون هم الأكثر غضباً، انفعالاً، استياءً، عقداً ممن يوصيهم بالحق، أو ينصحهم بالحق، مهما كان أدبه، مهما كان احترامه، مهما كانت عباراته عبارات فيها التذكير بالله ﷻ، ليست جارحة، لكنها ناصحة، فالكثير يغضبون من ذلك.

يجب يجب ويجب- لو نقولها مائة مرة لكان قليلاً- أن يتخلَّص الإنسان من مثل هذه العقدة: عقدة الغضب، الانفعال، الاستياء ممن يوصيه بالحق، ممن ينصحه بالحق، ممن ينبهه على جوانب معينة من القصور، ومن هم في مواقع المسؤولية، مهما بلغت مراتبهم، مسمياتهم، مواقعهم، فهم أكثر حاجةً إلى أن يُوصَوا بالحق، وأن يقبلوا بالتواصي بالحق، وأن يبتعدوا عن الأنفة والكبر تجاه ذلك، هذه حالة سيئة **جدًّا**، استياء الإنسان وغضبه الشديد عندما يُوصَى بالحق، نفسية سيئة **جدًّا**، لا يجوز أن تبقى لدى الإنسان نهائياً.

التناصح كذلك مسألة مهمة جدًّا، التناصح وفق آدابه، بالتذكير الأخوي، بتجنب الكلام الجارح، والكلام المسيء، والأسلوب الاستفزازي؛ لأن الأسلوب الاستفزازي يُفهَم منه التوبيخ، الإهانة، أكثر مما يُفهَم منه النصيحة، أكثر مما يُفهَم منه التواصي بالحق.

- **أيضاً من أهم الأمور: التعاون على البر والتقوى:**

على المستوى الجماعي مما يفيد ويساعد الناس على التزام الاستقامة في طريق الحق، وفق هدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ووفق أمره، **هو:** أن يتعاونوا، يتعاونوا على البر، على ما فيه بر وهو بر، وعلى ما هو تقوى، هذا يساعدهم، **التعاون فيه بركة، وثمرته عظيمة.**

نكتفي بهذا المقدار...

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

أَعُـوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلَّا اللـهُ الملـكُ الحـقُّ المُبـين، وأشـهَدُ أنَّ سـيدَنا مُحَمَّـداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتـمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، وبارِكْ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضـاك عـن أصحابـه الأخيار المنتجبين، وعن سـائر عبادك الصالحـين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهـم اهدنـا، وتقبَّـل منـا، إنـك أنـت السـميع العليـم، وتـب علينـا، إنـك أنـت التـواب الرحيـم.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، صدق اللـه العلي العظيم.

١- المائدة: من الآية ٢

تضمَّن قوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، مخاطباً للذين آمنوا، مخاطباً لنا نحن المسلمين كافة، مبدأً إسلامياً عظيماً ومهماً، تحتاج إليه الأمة لدينها، ولصلاح دنياها.

الإسلام هو دينٌ جامع، يبني الأمة، ويجمعها على أعظم وأقدس وأسمى المبادئ، والقيم، والأخلاق، والأهداف، ويرسم للأمة مسؤولياتها الجماعية، التي تتعاون فيها جميعاً، ويَنظِم لها حركتها في مسيرة حياتها، بما ينسجم مع انتمائها الإيماني، ويحفظ لها كرامتها الإنسانية، ويثمر- في نهاية المطاف- الثمرة الطيِّبة، الثمرة العظيمة التي هي البر والتقوى، وبذلك صلاح حياة الأمة.

عندما نأتي إلى عنوان التعاون بشكلٍ عام، فهو يعني: تجميع الجهد على نحوٍ جماعي لإنجاز هدفٍ معين، أو للقيام بعملٍ معين، أو لتنفيذ مسؤوليةٍ معينة.

١٥

ومن المعلوم لدى البشر قاطبةً: أنَّ الجهد الجماعي هو من حيث مستوى الإنجاز، ومستوى التكامل، ومستوى تخفيف الكلفة عن الشخص (عن الفرد)، ومستوى القدرة والإمكانيات، هو أعظم بكثير، وهو ضروريٌّ أساساً لإنجاز أكثر المهمات والمسؤوليات والأعمال الكبرى، التي لابدَّ فيها من الجهد الجماعي.

الجهد الفردي يبقى بحدود إمكانيات وقدرات الفرد نفسه، على مستوى الشخص الواحد، وتتفاوت هذه القدرات، سواءً على المستوى المعرفي والمادي، وعلى مستوى التفكير، على مستوى الفعل، على مستوى الإمكانيات والوسائل، تختلف من شخصٍ إلى آخر، ويبقى في كل حال مستوى الجهد الفردي محدوداً، باستطاعة الإنسان أن ينجز فيه أعمالاً إلى مستوى معين، أو أن يقوم أيضاً بمهام وأعمال إلى مستوى معين.

ولكـن هنـاك في الواقـع البشـري؛ لأن الحيـاة (حيـاة المجتمـع البـشري) هـي حيـاةٌ مترابطـة، وهنـاك فيهـا مصالـح عامـة، مصالـح مشـتركة، وهنـاك أيضـاً مسـؤوليات عامـة، مسـؤوليات مشـتركة، وأهـداف كبـيرة، لا يمكـن أن تنجـز بجهدٍ فـردي، يسـتحيل في بعضهـا أن تنجـز بجهـدٍ فـردي، ولابـدَّ فيهـا مـن التعـاون، وهـذه مسـألة واقعيـة وقائمـة في حيـاة المجتمعـات البشريـة.

المجتمعـات البشريـة منظَّمـة ومؤطـرة بشـكل دول، كيانـات، مجتمعـات تحـت عناويـن معينـة، أو بشـكل قبـلي... أو غـير ذلـك، ويجمعهـا عـلى مسـتوى كل كيـانٍ معـين، أو إطـارٍ معـين، تجمعهـا أهـداف مشـتركة، حيـاةٌ مشـتركة، مصالـح مشـتركة، جهـود جماعيـة، اهتمامـات جماعيـة، تنسِّـق حتـى الجهـد الفـردي، فيكـون في إطـار سياسـة جماعيـة، توجـه جماعـي، وهكـذا هـي الحالـة القائمـة في الواقـع البـشري، وتختلـف في مسـتوى تفعيـل هـذا الأمـر، ومسـتوى الاسـتفادة منـه مـن مجتمـعٍ إلى آخـر.

فالمجتمعـات الأكـثر نجاحـاً، والأكـثر قـوةً، والأكـثر إنجـازاً، هـي المجتمعـات التـي تمكَّـنـت مـن رفـع مسـتوى التعـاون، وتوجيـه حالـة التعـاون داخلهـا عـلى مسـتوى أفضـل، وعـلى مسـتوى أقـوى، وعـلى مسـتوى أكـبر، ووفـق رؤيـةٍ صحيحـة، كلـما كانـت هنـاك رؤيـة صحيحـة في جانـب معـين، وُظِّفـت فيهـا الجهـود الجماعيـة، ونسِّـقت فيهـا الأنشـطة العامـة، لتخـدم هدفـاً مشـتركاً، في نهايـة المطـاف تتحقـق نتائـج كبـيرة، وهـذه مسـألة معروفـة في الواقـع البـشري، وقائمـة- كـما قلنـا- في عصرنـا وفي كل زمـنٍ مـضى.

لإهمال أمة الإسلام لمبدأ التعاون صارت أضعف الأمم

الحالة السلبية هي في واقع مجتمعنا المسلم، الأقل تعاوناً في كل شيء، على مستوى ما يفيده لدنياه، وما ينسجم مع دينه، وما يحقق له أيضاً المصالح الكبيرة في كل المجالات، **حالة البعثرة للأمة، والتجزئة للأمة، والتفريق للأمة، وترسيخ التوجه الفردي والأنانية، والسعي لإبعاد الأمة عن روابطها الجماعية، وعن مشاعرها وتوجهاتها ومواقفها الجماعية، ومسؤولياتها الجماعية، وهمها الجماعي، ساعد إلى حدٍ كبير أن تتعزز النظرة الفردية والتوجه الفردي، لدى الكثير من أبناء الأمة**، وهذا ما أضعف المسلمين في عصرٍ كان بالإمكان أن يكونوا من أقوى الأمم، إن لم يكونوا أقوى الأمم؛ **لأن** لديهم من الإمكانات، والقدرات، والثروات، والعدد الكبير، ولديهم أيضاً نور الله وهديه، الذي هو خير ما يمكن أن تجتمع عليه أمة، وأحكم، وأرقى، وأسمى، وأهدى، ما يمكن أن تجتمع عليه أمة، فتحقق لنفسها الخير في الدنيا والآخرة، ويكون لها دورها البناء، والمثمر، والإيجابي، والصالح، في قيادة المجتمعات البشرية الأخرى، وفي التأثير فيها.

المجتمعات الغربية، على سبيل المثال: في أوروبا، وفي أمريكا، والمجتمعات في بعض المناطق الأخرى، في بعض القارات الأخرى، **مثل:** بعض المجتمعات الآسيوية، كالصين مثلاً، **ترسخ عندها مفهوم:** التعاون، والهم الواحد، والتوجه الواحد، والموقف الواحد، والمصالح المشتركة، مع أنهم في الغرب هم توجههم رأس مالي، مبنيٌ في أصل المسألة على الفرد، ومصلحة الفرد، وينطلق من مصلحة الفرد.

مع ذلك ولديهم هذه العقيدة، وهذا المبدأ: المبدأ الرأسمالي، الذي يركز بشكلٍ كبير على الفرد، وينطلق من الفرد في مصالحه، ولا يرعى المصالح العامة، إلَّا كتبع لمصالح الفرد، لكنهم أدركوا أنه حتى بحساب المصلحة الشخصية، والمصلحة الفردية، وما يعود من فوائد على الفرد الواحد، أنه

مـن خـلال التوجـه الجماعـي، الاهتـمام الجماعـي، التعـاون الجماعـي، سـيتحقق للفـرد مـن المكاسـب، مـن المصالـح، مـن المنافـع، مـا لا يمكـن أن يحققـه في توجـهٍ منعـزل ومنفصـل عـن التوجـه الجماعـي، وأدركـوا ترابـط المصالـح للمجتمعـات، المصالـح بـكل أشـكالها، **يعنـي:** الاقتصاديـة، السياسـية، الأمنيـة، الاجتماعيـة، أنهـا مترابطـة في الواقـع البـشري، ولذلـك مـن الواضـح أنـه يمكـن تنسـيق مسـألة التعـاون، وتنظيـم الجهـد الجماعـي بمـا لا يلغـي الخصوصيـة الفرديـة، وبمـا لا يلغـي أيضـاً الاعتبـارات عندنـا مثـلاً في التوجـه الإسـلامي الأسريـة، ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

هـم أدركـوا ذلـك، واسـتفادوا كثـيراً مـن ذلـك، قامـت كياناتهـم العملاقـة، وتجمعـت قدراتهـم وطاقاتهـم؛ **فأنتجـت** عـلى نحـوٍ كبـير، ولديهـم دائمـاً الكثـير مـن الـشركات والمؤسسـات في كل المجـالات، حتـى عـلى المسـتوى البحثـي، مؤسسـات تتظافـر فيهـا الجهـود، جهـود المفكريـن، جهـود المنظِّريـن، النشـاط الاقتصـادي، كذلـك مؤسسـات، شركات، الأنشـطة في مختلـف شـؤون الحيـاة، كثـيرٌ منهـا تعتمـد عـلى مؤسسـات، عـلى شركات، عـلى هكـذا تجمعـات تُجَمَّـع فيهـا الإمكانـات والقـدرات والمواهـب، وتتكامـل فيهـا القـدرات، فيكـون لذلـك النتيجـة الأكـبر والأفضـل.

عـلى العكـس منـا في واقعنـا في المجتمـع الإسـلامي، بعـثرة، وتوجـه فـردي إلى أبعـد الحـدود، فقدنـا الهـم الواحـد، القضيـة الواحـدة كهـمٍ يتجـه عليـه الجميـع، يرتبـط بـه الجميـع، المسـؤولية التـي نـدرك أنهـا تقـع عـلى عاتقنـا جميعـاً، فنتحـرك فيهـا كـما ينبغـي.

الآن في المجتمـع الغـربي حتـى عـلى مسـتوى المشـاريع العملاقـة، تتعـاون فيهـا الـدول، لاحـظ مثـلاً: الأنشـطة المتعلقـة بالفضـاء، والمحطـة الدوليـة، كـم

١٥

دول تعاونت فيها؛ **لأجل** موضوع الفضاء، والأقمار الصناعية، ورصد الواقع، والأنشطة، والمتغيرات الجغرافية في الأرض، والبيئية... وما شاكل، أشياء كثيرة يتعاونون عليها، بالرغم من إمكانات كل دولةٍ منهم، أصبحت لديها إمكانات ضخمة، لكنها ترغب في كثيرٍ من الأمور المكلفة أن تتعاون مع دول أخرى مثلاً، **ولهذا أهميته الكبيرة:** في أن تخفف الكلفة، لا تكون مرهقة على دولة معينة؛ **فتؤثر** على بقية مصالحها واهتماماتها.

هذا هو المؤسف حقاً!

فعلى كل حال نجحت بقية الدول، بقية المجتمعات، بقية الكيانات في العالم، نجحت بالاستفادة من مبدأ التعاون فيما بينها، في مصالح دنياها، وحتى في مؤامراتها على أمتنا، وحتى في تعاونها على الإثم والعدوان، نجحت في ذلك إلى حدٍ كبير، وبما لا يقارن، مع ما عليه أمتنا من عدم التعاون على البر والتقوى، على الخير لها في دينها ودنياها، وهذا مؤسف، مؤسف! وراءه أشياء كثيرة **جدًّا** أضرَّت بالأمة، وأوصلتها إلى ما وصلت إليه، من التفكك، والتبعثر، والضياع، والتشتت، والفوارق، والحواجز، والعوائق، التي عززت حالة الفصل لأبناء الأمة عن بعضهم البعض، ولجهودهم، وما إلى ذلك، فالكافرون استفادوا- كما قلنا- في كل شيء.

أمَّا في واقعنا كأمةٍ مسلمة، نحن الذين يخاطبنا الله، ويقول لنا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[١]، نحن الذين هيَّأ الله لنا أعظم المبادئ، وقدَّم لنا أعظم المبادئ، التي هي خير ما تجتمع عليه أمة، خير ما يجتمع عليه البشر، المبادئ العظيمة، الأهداف المقدَّسة، القيم والأخلاق الكريمة والعظيمة.

١- المائدة: من الآية ٢

أيضاً قدَّم لنا ما يساعدنا تربوياً على تحقيق حالة التآخي، والتعاون، والانسجام، والتفاهم، والتقارب؛ **ويحقق** لنا بالتالي التعاون على أرقى مستوى، الأمة التي قال لها الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١]، الأمة التي لديها هذه المسؤولية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، مسؤوليات جماعية، لم ينفع فينا هذا، مبادئ جامعة، لم ينفع فينا ذلك... وهكذا، توجيهات كثيرة تبين لنا ثمرة هذا الجهد الجماعي، هذا التعاون، وما ينتج عنه، وما يفيدنا به، ويعود به علينا من الخير في الدنيا والآخرة.

لكنَّ لعمل المفرقين بكل الوسائل، بكل العناوين: على المستوى الفكري، على المستوى الثقافي، على المستوى السياسي... على كافة المستويات، عمل كبير **جدًّا**، وترك أثره البالغ في واقع الأمة، حتى أصبح مجتمعنا الإسلامي يختلف عن بقية المجتمعات في ذلك، لم يستفد من مسألة التعاون في أي شيء، أمة ضخمة، المسلمون أكثر من مليار مسلم، قدراتهم، إمكاناتهم، ثرواتهم هائلة، ليسوا أمةً لم يجعل الله لها في أرضها ثروات ولا خيرات، وتركها بدون شيء، أمة تركها الله صفراً، فلم يعطها شيئاً، ولم يمدها بشيء، شملها عطاء الله، ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٣]، شملها عطاء الله، بل أعطاها الله الخير الكثير، لديها الإمكانات الكثيرة، لديها الثروة البشرية والمادية، ولديها- ما لو عادت إليها- الرؤية الصحيحة، نور الله وهديه العظيم والمبارك، الذي كان يمكن أن يرتقي بالأمة إلى أرقى المستويات.

١- آل عمران: من الآية ١٠٣
٢- آل عمران: الآية ١٠٤
٣- الإسراء: الآية ٢٠

لتضييع هذا المبدأ خسرت الأمة على كل المستويات

نجد مدى خسارة الأمة الإسلامية لتضييعها هذا المبدأ، وإزاحتها هذا المبدأ من واقعها:

على المستوى العسكري: بدت الأمة الإسلامية ضعيفة عسكرياً أمام أعدائها، حتى في معالجة القضية الفلسطينية، كلنا يعلم أنه لو تظافرت جهود المسلمين، وإمكاناتهم، بنيةٍ صادقة، وتوجهٍ جاد، واعتمادٍ على الله ﷻ: **لما** كانت فلسطين مغتصبة، **لما** كان الأعداء يدنِّسون المسجد الأقصى المبارك، الذي هو من مقدَّسات المسلمين، **لما** كان الشعب الفلسطيني، الذي هو جزءٌ من المسلمين، جزءٌ من الأمة، جزءٌ من العرب، يعاني الاضطهاد، والظلم، والقهر، ويعاني مما يمارس بحقه من الإجراءات الظالمة، والتعسفات من جانب أعدائه وأعداء الأمة كل يوم، معاناة يومية، **اضطهاد يومي بكل أشكاله:** من القتل، والجرح، والسجن، والتدمير، والانتهاك للأعراض، واقتلاع أشجار الزيتون والمزارع.... إلى غير ذلك، واغتصاب الأرض، ونهب الممتلكات، والتعدي بالضرب... كل أشكال الاضطهاد موجودة وتمارس بحق شعب فلسطين منذ عقودٍ من الزمن.

والأمة تقف وكأنها عاجزة، كأنها أمة لا تقدر على أن تنهي هذا الظلم، تنقذ ذلك الشعب، تستعيد جزءاً منها، جزءاً من مقدساتها، جزءاً من أرضها ووطنها، وتنقذ جزءاً منها، من كيانها، من شعبها، من أبنائها، ما الذي حصل في مقابل تعاون كبير مع العدو الإسرائيلي، التعاون الغربي برز مع العدو الإسرائيلي أكثر بكثير على كافة المستويات من تعاون المسلمين فيما بينهم، هذا كمثال واحد، أمام بقية التحديات والأخطار، كلنا يعلم لو تظافرت جهود المسلمين، وتعاونوا لدفع الخطر عنهم جميعاً؛ **لكانوا** اليوم قوةً كبرى في الساحة العالمية، **لما** كان حالهم على ما هو عليه.

على المستوى الاقتصادي: ليس لدى المسلمين عملة موحَّدة، الأوروبيون عملوا لهم عملةً موحَّدة (اليورو)، فأصبحت عملة ذات وزن كبير، وقيمة كبيرة، وأهمية عالمية، المجتمع الغربي إلى حدٍ كبير اعتمد على الدولار، فأتى العرب وأتت الدول العربية المنتجة للنفط لتعتمد على الدولار؛ **فجعلته** عملةً عالمية، حوَّلوا اللغة الإنجليزية إلى لغة عالمية، حوَّلوا سياساتهم وتوجهاتهم إلى توجهات عالمية، بفعل ما عليه المسلمون من التفرق، من توجه بعض الأنظمة معهم، مع أعداء الأمة في كل شيء، دخلت فيما هم عليه، تتعاون معهم، بدلاً من أن تتعاون مع أمتها.

لا يوجد للمسلمين سوق مشتركة، ليس لهم سوقٌ مشتركة، الوضع الاقتصادي فيما بينهم في العلاقات الاقتصادية، والتبادل التجاري، تحت سقف ما تريده أمريكا، ويستجيب تماماً لأي توجهات أمريكية، أو عقوبات أمريكية، أو حصار أمريكي على شعبٍ من شعوب الأمة الإسلامية. ١٥

فخسر المسلمون الكثير، ما يمكن أن يحصلوا عليه لو تعاونوا، لو تفاهموا على المستوى الاقتصادي، على المستوى العسكري، على المستوى السياسي، أمة ليس لها نفوذ سياسي بحجمها، بحجم إمكاناتها، بحجم قدراتها، على كل المستويات، على المستوى الخيري، لما انتشر البؤس في أي بلدٍ من بلدان هذه الأمة، لو بقي التعاون فيما بينهم على المستوى الخيري... وهكذا في كل مجالٍ من المجالات، **كانت خسارة المسلمين كبيرةً؛ لأنهم أضاعوا هذا المبدأ:** ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

بدلاً عن ذلك، اتجهت أنظمةٌ منهم، دولٌ منهم، كياناتٌ منهم، لتتعاون مع أعدائهم، ولتسخِّر طاقاتها، إمكاناتها، ثرواتها، مع مواقفها وتوجهاتها لخدمة أعداء الأمة، وهذا أمرٌ واضح فيما عليه بعض الأنظمة، في ذوبانهم

التام مع أمريكا، وخدمة أمريكا، وخدمة الغرب، وفي الأخير مع العدو الإسرائيلي، دخلوا في علاقات معلنة، وما يسمونه بالتطبيع في علاقات ألغوا فيها الكثير من القيود التي يتخذونها ضد بقية شعوبهم الإسلامية، وبلدانهم العربية، وفتحوا مجالاً لتجنيس الإسرائيليين، وإلغاء الجمارك في التعامل معهم، وفتح الأبواب للدخول والخروج والحركة إلى بلدانهم بدون أي قيود، وبكل التسهيلات، وكل التسهيلات للأنشطة التجارية... وغير ذلك، واتجهوا للنشاط الاستثماري لدعمهم... وهكذا، ففعلوا معهم ما لا يفعلونه أبداً مع شعوب أمتهم، مع بلدان العالم الإسلامي، هذه حالة واضحة من الانحراف الكبير.

وبات الحديث اليوم مثلاً عن مسألة تعاون المسلمين جميعاً، أو تعليق شيءٍ من الأمور عليه، تعليقٌ بما هو أشبه بالمستحيل، **يعني:** لم يعد من المؤمل فيما عليه المسلمون اليوم من إشكالات، من عوائق، من فرقة، من شتات، من توسيعٍ للفجوة، من بعثرة وتجزئة، من عوائق وحواجز، بفعل الأنظمة والحكومات، التي تؤدِّي هذا الدور بشكلٍ كبير، ومن معها من المضلين والمفسدين، الذين يشتغلون في هذا الاتجاه السلبي لضرب الأمة من الداخل، **لم يعد ينبغي أن يعلِّق الإنسان أي عملٍ عظيم، أو مهم، أو موقفٍ مهم، ويرهنه إلى مسألة اجتماع المسلمين جميعاً، أو توحِّدهم جميعاً، أو اتفاقهم جميعاً؛ لأن هذا صار أشبه شيءٍ بالمستحيل.** ١٥

ما الذي يعوَّل عليه لإحياء مبدأ التعاون؟

الذي يعوَّل عليه، ويمكنه أن يثمر، هو: ما يقوم به الأحرار، الواعون من أبناء الأمة، والمسألة تتطلب- في بداية الأمر- **نشر هذا الوعي بين أوساط الأمة:** ترسيخ الانتماء الإسلامي للمسلمين، وأنَّ هذا جامعٌ لهم كأمةٍ واحدة، لديها مسؤولياتها الجماعية، مصيرها الواحد، همها الواحد، ثم ما يجري من التعاون، والتنسيق، والتفاهم، على أبرز القضايا، على أبرز

العناوين، **وأي مستوى يمكن أن يتحقق من التعاون في ذلك، في ظل الظروف الراهنة، فهو مستوى مهم، فهو مطلوب، فهو مطلوبٌ على كل حال.**

على مستوى الأخيار الذين يحسون بمسؤوليتهم من أبناء الأمة، الصالحين من أبناء الأمة، على مستوى الواعين من أبناء الأمة، الذين يحملون همّ الأمة، واقع الأمة، معاناة الأمة، مصير هذه الأمة، مستقبل هذه الأمة، ولديهم ثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإدراك وإيمان بعظمة المبادئ الإسلامية والقرآنية، فما تحقق بينهم من التعاون في كل المجالات، في إطار القضايا الكبرى للأمة، والمسؤوليات الجماعية للأمة، فهو مطلوب، وهو مناسب، وهو قائمٌ الآن بعد أن أصبحت حالة الفرز، الفرز والتمييز من الله بين أبناء الأمة، بين المنافقين وبين الصالحين من أبناء الأمة، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[1]، في ظل ما يجري مؤخراً في موضوع التطبيع مع العدو الإسرائيلي وغير ذلك.

١٥

على كلٍّ؛ على مستوى الواعين من أبناء الأمة، يمكن أن تعزز حالة التعاون، على مستوى الأخيار، على مستوى الدول، على مستوى الجهات الفاعلة من أبناء الأمة، التي لديها هذا التوجه الواعي، المبدئي، الأخلاقي، الإنساني، الذي هو توجهٌ راشد، توجهٌ صحيح، توجهٌ سليم، هو التوجه الطبيعي الذي ينبغي أن يتوجه به أبناء الأمة.

ثم على المستوى الداخلي: على مستوى كل شعب، **فمثلاً:** في واقعنا في شعبنا اليمني، نحن مجتمعٌ مسلم، هويتنا إيمانية، **(الإيمان يمان، والحكمة يمانية)**، مجتمعنا- بحمد الله- لا يزال محافظاً على مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، إلى حدٍّ جيد، يتفاعل مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعي عظمة توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعلى مستوى

١- آل عمران: من الآية ١٧٩

متفاوتٍ فيما بين الناس، ليسوا سواءً في إدراكهم لهذه الأمور، في تفاعلهم معها.

ونحن اليوم ضمن توجهنا المبدئي، والأخلاقي، والقيمي، القائم **على** الاستقلال، **على** عدم التبعية لأعداء الأمة، عدم التبعية للكافرين، ومن معهم من المنافقين، توجهنا القائم على الاستقلال، **على** إدراك أننا أمة لها مبادئها، لها قيمها، لها أخلاقها، لها مشروعها الحضاري، الذي ينبغي أن تتحرك على أساسه، **يجب** أن ندرك جيداً، ونحن رأينا وعشنا ثمرة التعاون في مواجهة التحديات، التحدي الكبير الذي هو العدوان، عدوان تحالف الإثم والعدوان.

التحالف الأمريكي السعودي في العدوان على بلدنا، تحالف دولي إقليمي، التحق به المنافقون والخونة من أبناء شعبنا، وقام بحملته وعدوانه الكبير على بلدنا، **بأهداف واضحة:** يريد أن يحتل كل بلدنا، وأن يسيطر عليه بشكلٍ تام، وأن يسيطر على كل شعبنا، واستخدم في عدوانه على بلدنا كل وسائل التدمير، وحرص على أن يكسر إرادة هذا الشعب، **من خلال** ارتكابه لأبشع الجرائم بحق هذا الشعب، **ومن خلال** الحصار الخانق والشديد ضد هذا الشعب.

مع ذلك ما الذي أسهم- بعد الاعتماد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ما الذي أسهم في صمود وتماسك شعبنا إلى اليوم؟ سبع سنوات وصل فيها تحالف العدوان إلى اليأس، وصل فيها إلى العجز، إلى الإخفاق، إلى الفشل المعترف به، الفشل الذي تحدثت عنه مختلف الدول، والكيانات حتى الراعية لهذا العدوان، وأصبح شيئاً معروفاً، أنهم قد فشلوا في عدوانهم، في تحقيق أهدافهم، ثمرة التعاون بين أبناء هذا الشعب، عندما تعاونوا في النهوض بمسؤوليتهم الجماعية في الجهاد في سبيل الله والتصدي لهذا العدوان،

على المستوى العسكري: ثمرة هذا التعاون عندما كان هناك تحركٌ واسع من أحرار وأبطال شعبنا، من مختلف المحافظات، من مختلف القبائل، وانطلقوا إلى الميدان، ونهضوا بمسؤوليتهم، كان لهذا التعاون ثمرته العظيمة.

عندما تعاونوا على مستوى الأنشطة الخيرية، كان لهذا التعاون ثمرته الكبيرة.

عندما كان هناك تعاون في حلِّ المشاكل الاجتماعية، كان هناك ثمرة طيِّبة... في كل المجالات التي حصل فيها تعاون، كان هناك ثمرة إيجابية، وثمرة طيِّبة.

الإسلام هو يدفع نحو التعاون إلى حد أن يرسم مسؤولياتٍ جماعية، قائمة على التعاون، الجهاد في سبيل الله مسؤولية تعتمد على التعاون، وهي مسؤولية جماعية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جماعية، تعتمد على التعاون، فعل الخير فيه مسؤوليات أساسية جماعية، تعتمد على التعاون، فالتعاون هو مثمر، ثمرته عظيمة.

فكيف إذا كان التعاون على مستوى أكبر، على مستوى أوسع، وشمل كل المجالات، بالإضافة إلى ما هو ضمن **مسؤولياتنا الجماعية:** كالجهاد في سبيل الله، الذي يعتمد على التعاون، والذي كلما تحقق مبدأ التعاون داخله على نحوٍ أفضل؛ **كانت** الثمرة أكبر، وهذا شيءٌ مهم، يجب أن نعيه، أن نستوعبه، **البركة هي في الجهد الجماعي، في التعاون، كلما كان التعاون على مستوى أعمق، أكبر، أوسع؛ كلما كانت ثمرته أعظم.**

ولذلك علينا في شعبنا العزيز- مع ما ننصح به في واقع أمتنا بشكلٍ عام- أن نلحظ أهمية هذا المبدأ: التعاون على البر والتقوى، فإذا جئنا إلى مستوى النهوض بمسؤولياتنا الجماعية، فلندرك أنها قائمة على التعاون، ولنسعَ في تحقيق ذلك.

كيف ننهض بوضعنا الاقتصادي؟

إذا جئنا إلى مختلف المجالات: إلى المجال الاقتصادي، المجال الاقتصادي أصبح ميداناً من ميادين الصراع، من ميادين المواجهة، وأصبح التحرك فيه بنيةٍ صادقةٍ، بنيةٍ واعية، بتوجهٍ صالحٍ، وواعٍ، وإيمانيٍ، يصبح التحرك فيه من الجهاد في سبيل الله؛ **لأن** الأعداء يشنون حربهم الشاملة على شعبنا وعلى أمتنا بشكلٍ عام، والجانب الاقتصادي من الميادين والمجالات الأساسية التي يشنون حربهم فيها، عن طريق الحصار، **وأكثر ما يفيدهم في الحصار، هو:** اعتماد الناس على الاستيراد من الخارج، فيواجهون المشكلة ابتداءً في مسألة العملة في الحصول على الدولار، مما يضرب العملة المحلية، مما يضعف قيمتها، مما يتسبب برفع الأسعار، وأيضاً في إيصال المواد التي تأتي من الخارج، إضافة إلى ما يترتب على اضطراب الوضع الدولي والإقليمي ومشاكله من ارتفاع إضافي في الأسعار، فتكبر المعاناة.

١٥

ما الذي يمكن أن نقوِّي به وضعنا الاقتصادي في بلدنا؟ ما الذي يمكن أن ننهض به اقتصادياً في بلدنا؟ **اعتمادنا على الله، ثقتنا بالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتعاوننا؛ لأن** الجهد الفردي ضعيف.

على مستوى رؤوس الأموال: أكثر أبناء شعبنا من الفقراء، وكثيرٌ من أبناء شعبنا من ذوي الدخل المحدود، ما يمتلكه من أموال قد لا يفي بالاحتياجات الضرورية لأسرته، فكيف يتحرك به في نشاط تجاري، أو استثماري، يعالج به مشكلته الاقتصادية.

ما الذي يمكن أن يساعد على معالجة هذه المشكلة؟ هو تجميع رؤوس أموال، عن طريق التعاون، النشاط التعاوني في المجال الاقتصادي من أهم ما يمكن أن يفيد على مستوى النهضة الاقتصادية، وعلى مستوى مواجهة

المشكلة المعيشية، التي هي همّ، همّ وغم لدى الكثير من الأسر، لدى الكثير من الذين يعولون أسرهم، يفكر كيف يجلب احتياجات أسرته، كيف يعمل عملاً يُدِرُّ له الدخل الذي يغطي به الاحتياجات الضرورية لأسرته.

في العالم ماذا يفعل الناس؟ ينشئون مؤسسات تجارية استثمارية اقتصادية، شركات قائمة على المساهمات، يمكن جمع رأس مال مثلاً من مليون مواطن، أو من خمسمائة ألف مواطن، من خمسين ألف مواطن، من... على أي مستوى كان، فيصبح رأس مال ضخم، لنشاط استثماري فاعل، **يساعد على**: معالجة الوضع الاقتصادي من جهة، على تقوية الإنتاج الداخلي، على معالجة مشكلة البطالة، وتشغيل اليد العاملة.

في بعض عمليات النصب في بلدنا، في بعض عمليات النصب والاحتيال، تمكّن بعضهم من جمع مليارات، **في واحدةٍ من حالات النصب قيل لنا:** أنَّ المجموع بلغ أكثر من أربعين مليار ريال، جمعت تحت عنوان نشاط استثماري وتجاري، ولكن بطريقة فيها نصب واحتيال ومخادعة، جمعت من ذوي الدخل المحدود، هذا ساهم، وهذا ساهم، البعض من خمسة آلاف ريال، وهكذا جمعت مبالغ ضخمة **جدًّا**.

لكن عندما نأتي إلى النشاط الاستثماري الذي يقوم على إنشاء شركات، ومؤسسات، وأنشطة استثمارية، **يجب** أن يكون على أساسٍ صحيح، وأن يكون أيضاً برعاية رسمية، أو مبادرات من جهات معروفة، مأمونة، موثوقة من أبناء الشعب؛ **حتى** لا يكون الإنسان ضحيةً لذوي النصب والاحتيال، لا يستجيب لأي شخص، قد يكون شخصاً مغموراً مجهولاً، أو غير معروف، نصاباً ومحتالاً، ينادي بنشاط استثماري ونشاط تعاوني تساهمي.

النشاط التعاوني التساهمي يمكن أن يعالج لنا مشكلة الفقر في بلدنا إلى حدٍ كبير، وأن ينهض بوضعنا الاقتصادي، وأن يقوي عملية الإنتاج في الداخل، وتجتمع رؤوس أموال كثيرة حتى بالنسبة لذوي الدخل المحدود، هذه طريقة ميسَّرة لهم، وهم يفعلون في الخارج كذلك.

هناك أيضاً في بعض المجالات إمكانية أن تتعاون الدولة من جانبها، والتجار من جانبهم، وبقية المساهمين من المواطنين، تبقى مساحة ضخمة لمساهمة المواطنين في مجالات استثمارية ذات دخل كبير في واقع الشعب، وتنشيط الحركة التجارية من خلالها، هذا ما ينبغي أن يشتغل عليه الجانب الرسمي.

وخارج الجانب الرسمي، ليبادر، هناك الكثير من الناس الذين فيهم خير، لديهم همة عالية، لديهم اهتمام كبير، لديهم وعي بأهمية هذه الأمور، وبأننا **لابدَّ** لنا من العمل، **لابدَّ** لنا من التحرك، **أنَّ الذي يضرُّ بالناس هو تكاسلهم.**

١٥

شعوبنا مهما كانت لديها من الخيرات تصبح دائماً من الفقر، وكأنها لا تمتلك أي خيرات، لاحظ الوضع عندنا في اليمن، لاحظ الوضع مثلاً في السودان، من أحسن البلدان فيما يتعلق بالثروة الزراعية، وإمكانية الإنتاج الزراعي، وبالإمكان أن يتصدر كل الشعوب العربية في الإنتاج الزراعي، يعاني من أشد المعاناة، ليس هناك نظام صالح يرعى مصالح ذلك الشعب ضمن اهتمامات وأنشطة صحيحة.

عندنا أتى العدوان ليمثل عامل ضغط كبير جدًّا، ولكن أصبح الميدان الاقتصادي من ميادين الصراع، **لابدَّ** فيه من التحرك، مع الاعتماد على الله، مع اللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليمن بالغيث، مع الاستقامة وفق توجيهاته وأمره، وهذا ما يمكن أن يهيئ للناس الحصول على البركات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرعاية من الله.

كذلك على مستوى التوجهات والسياسات، مثلاً: من أهم ما نحتاج إليه فيما يتعلق بالإنتاج الداخلي، **هو:** السعي لتقليل الكلفة، وتحسين الجودة، المزارع بحاجة أن يعي ذلك، الشركات والمؤسسات الإنتاجية التي يمكن أن تنشأ، **لتحرص على ذلك:** كيف تسعى لأن تكون الكلفة أقل، والجودة تكون على مستوى جيد؛ **لتنافس** المنتج الخارجي.

ثم أيضاً السياسات التي يُلزَم بها التجار في أن يتجهوا إلى العناية بالمنتج الداخلي وتسويقه، وألَّا يضربوه بالمنتج الخارجي.

فتصبح حالة التعاون، المدعومة بالسياسات، والتوجهات، والإجراءات، على المستوى الرسمي، وعلى المستوى الشعبي، تصبح مثمرة، مجدية، لها بركتها، تعالج الكثير من المشاكل على المستوى الاقتصادي، تعالج حالة البؤس والحرمان، تحد من مستوى البطالة، وتعالج حتى ظاهرة التسول، مع الاهتمام بالزكاة، مع الاهتمام بالصدقات، مع الاهتمام بالإنفاق، كل ذلك يحتاج إلى عمل، يحتاج إلى إنتاج، يحتاج إلى تحرك اقتصادي استثماري.

١٥

فالجانب الاقتصادي إذا فُعِّلَ فيه مبدأ التعاون وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سيكون لذلك ثمرة عظيمة، ونتيجة كبيرة جدًّا.

أهمية تفعيل مبدأ التعاون في الجانب الخدمي والاجتماعي

على مستوى الجانب الخدمي، وعلى مستوى المشاريع الخدمية، من أهم ما نحتاج إليه هو التعاون، والتعاون سيحل مشكلة كبيرة **جدًّا** في هذا الجانب، كم من القرى التي هي بحاجة إلى الطرق، ليس هناك طرق إليها؟ في بعض المناطق كيف حُلَّت هذه المشكلة؟ بالمبادرات الاجتماعية، المبادرات الاجتماعية التي يتعاون فيها الأهالي، فيشتغلون معاً، يتعاونون معاً، يتحركون معاً، على مستوى التمويل يتعاونون ويساهمون بقدر

ما يستطيعون، ثم يأتي من يعينهم رسمياً، أو خيرياً، ثم تنجح مشاريع مهمة **جدًّا**، ويحقق الناس معالجات مهمة **جدًّا**، لمشاكل حقيقية على المستوى الخدمي، يمكن تنشيط هذا الجانب، وتقوية التعاون فيه، ليكون مثلاً في بعض المناطق على مستوى أوسع من القرية، على مستوى القبيلة، على مستوى المديرية، في بعض الأمور على مستوى المحافظة، في بعض الأمور كذلك على مستوى أوسع، **مثلاً:** من تعاون التجار الخيرين والصالحين مع الجهات الرسمية، تعاون يخفف الكلفة، ويرفع مستوى الإنتاج، ويحقق النتائج الكبيرة، والنتائج العظيمة، والنتائج المهمة.

المبادرات الاجتماعية هي طريقة ناجحة، يجب أن تتعزز، وأن تتقوَّى، وأن تتوسع، وأن تُنَظَّم بشكلٍ أفضل، وأن تدعم بشكلٍ أقوى، وأن يلتفت الجميع على ضوء مبدأ التعاون؛ **لأهميته** الكبيرة، ونتيجته المهمة.

على مستوى الجانب الاجتماعي في المشاكل الاجتماعية، التعاون لابدَّ منه، التعاون مثمر في حل المشاكل الاجتماعية، التعاون أيضاً على تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الحد من الظواهر السلبية، والسلوكيات التي قد تكون أحياناً بهدف إفساد المجتمع، عندما يكون هناك وعي مجتمعي لنبذها، لمحاربتها، لمنعها، للحد منها، بتعاون من أبناء المجتمع، بتفاهم من أبناء المجتمع، هذا تحصين للمجتمع من الاختراق المعادي.

مجتمعنا المسلم في هذا العصر مستهدف، في أخلاقه، في قيمه، في عفته، في طهارته، في صلاحه، مستهدف بشكلٍ كبير، والاستهداف عبر مختلف الوسائل، بما فيها الإنترنت، بما فيها مواقع التواصل، بما فيها وسائل كثيرة **جدًّا**، **فإذا كان المجتمع نفسه مجتمعاً يتعاون على البر والتقوى، فهو سيحد بتعاونه وتفاهمه من الفساد، ومن الظواهر السلبية، وَسَيُحَصِّن نفسه بهذه الطريقة.**

أيضاً بالحفاظ على القيم الأصيلة في المجتمع، والعادات الحسنة في المجتمع، ولدى مجتمعنا- بحمد الله- موروث عظيم من القيم الأصيلة، التي هي قيم قبلية إسلامية فطرية، إذا حافظ عليها المجتمع، تصونه، تحصنه، تحميه من الاختراق، تحافظ على هويته، على قوته، على تماسكه، على انتمائه الإيماني.

أيضاً فيما يتعلق أيضاً بتيسير الزواج، هو من التعاون على البر والتقوى، يحتاج إلى تعاون، التزام بسقف معين لا يتم تجاوزه في هذا الجانب، وإعانة الفقراء المتزوجين.

التعاون على المستوى القبلي هو عادة راسخة في مجتمعنا اليمني، وهناك قواعد لكل قبيلة تلزمها بالتعاون والغرم الواحد، ويحل مشاكل كثيرة، وله إيجابيات مهمة، وكثيرٌ منه يجب الحفاظ عليه؛ **لانسجامه** مع التعليمات الإسلامية، وتعديل ما لا ينسجم مع شرع الله، ومنهج الله، وتعاليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ١٥

التعاون يعبِّر عن قيم عظيمة، مثل: الرحمة، مثل: إرادة الخير للآخرين، **مثل:** خلاص الإنسان من الأنانية، والتعاون يعبِّر عن وعي؛ **لأنه** فعلاً الإنسان الذي يعي أهمية التعاون، يدرك جيداً أنه بكل الاعتبارات هو ربح للمجتمع، حتى الذي يفكر تفكيراً شخصياً، حتى الأناني، الذي لا يهمه إلا نفسه، ليدرك أن التعاون سيفيده لنفسه، سيفيده لمصلحته، **والتعاون أصلاً لا يلغي خصوصية الفرد**، ولا يلغي ملكية الفرد لأملاكه الشخصية، التعاون ليس مثل الاشتراكية الشيوعية التي كانت زمان قائمة فتلغي ملكية الفرد، **التعاون هو لمصلحة الفرد، ولمصلحة المجتمع، التعاون منه ما هو إسهام مباشر، وما هو تنسيق للجهود، لتصب في مصبٍ واحد**، فالتعاون له ثمرته، وأهميته، وقيمته في كل شيء، في كل شيء، التعاون على البر والتقوى.

الخطورة الكبيرة للتعاون على الإثم والعدوان

أيضاً قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]، بقدر ما للتعاون على البر والتقوى **من** أهمية، **من** قيمة إنسانية وأخلاقية، **من** أثرٍ إيجابيٍ عظيم، **من** ثمرةٍ طيّبة، **من** نتائج عظيمة ومباركة، بقدر ما له من تأثيرٍ إيجابي لصالح المجتمع في دينه ودنياه، هناك في المقابل خطورة كبيرة، وسلبية كبيرة، ونتائج سيئة **جدًّا** للتعاون على الإثم والعدوان.

الإثم: مختلف أنواع المعاصي والذنوب.

والعدوان: العدوان على العباد بغير حق.

حالة التعاون على الإثم، لنشر جريمة معينة، أو منكر معين، أو فساد معين، بأي أسلوب، **بأي طريقة:** مادياً، أو إعلامياً، أو بالممارسة والنشاط المباشر... بأي شكل، يضاعف من الجرم، يضاعف من الإثم، يضاعف من الوزر، وفي نفس الوقت يمثل خطورةً أكبر، قد تكون هناك مثلاً أحياناً ممارسات فردية، محاربتها والحد منها أيسر، لكن ما الذي يعمم الفساد؟ ما الذي يعمم المنكر؟ ما الذي ينشره أكثر؟ هو التعاون عليه، الترويج له، الإسهام فيه بنشاط جماعي، وجهد جماعي، وتنسيق جماعي، فلذلك يعتبر فظيعاً وشنيعاً وخطيراً **جدًّا**.

العدوان كذلك نرى دولاً بأكملها تتعاون على العدوان في واقع أمتنا، في واقع شعبنا، دول وكيانات تعاونت في العدوان على شعبنا، فكان الجرم عظيماً، والظلم كبيراً؛ **فكان** لذلك آثار كبيرة بالغة الضرر، وفظيعة في مستوى الإجرام، كذلك نرى دولاً كثيرة من الكافرين والمنافقين وكيانات كثيرة تتعاون في ظلم الشعب الفلسطيني، والكثير من الأنظمة العربية

١٥

١- المائدة: من الآية ٢

هـي تساهم في الظلـم للشـعب الفلسـطيني بشـكلٍ أو بآخـر، **أمّا** الذيـن دخلـوا في التطبيـع، فقـد أصبحـوا يتعاونـون بشـكلٍ مبـاشر في العـدوان على الشـعب الفلسـطيني، وبـالإضرار بالشـعب الفلسـطيني.

التعـاون في الإثـم والعـدوان عـلى أي مسـتوى: مسـتوى دول، كيانـات، مجتمعـات، وإلى أي مسـتوى يصـل: عـلى مسـتوى قبيلـة معينـة، مجتمـع معـين، مُحَـرَّمٌ شرعـاً، ولا يجـوز أبـداً، لا بدافـع عصبيـة، ولا بدافـع أطـماع وأهـواء، ولا بدافـع روابـط... بـأي شـكلٍ مـن الأشـكال، التعـاون عـلى الإثـم وزره كبـير، وضرره كبـير، والتعـاون عـلى العـدوان وزره كبـير، وضرره كبـير.

عـلى النـاس أن يتعاونـوا عـلى تقـوى اللـه، للالتـزام بتوجيهـات اللـه، لتنفيـذ تعليـمات اللـه ﷻ، في أي أمـة، في أي مسـتوى، في أي كيـان، في أي مجـال، في أي عمـل، يكـون هـذا المبـدأ هـو المبـدأ الأسـاسي الـذي يضبـط جهـدك مـع الآخريـن، تعاونـك مـع الآخريـن، علاقتـك مـع الآخريـن، أن تكـون في إطـار الـبر والتقـوى، وألّا تتعـاون معهـم أيـاً كانـوا، أصحابـك، حزبـك، جماعتـك، قبيلتـك، أمتـك، بـأي مسـتوى كان، أصدقـاؤك، **أن يضبـط تعاونـك معهـم هـذا الضابـط:** عـلى الـبر والتقـوى، وألّا تتعـاون معهـم عـلى الإثـم والعـدوان، وأيـاً كان الـذي تتعـاون معه، بـأي اسـم، بـأي صفـة، لا تتعـاون مـع أحـد عـلى الإثـم والعـدوان، اتسـعت حالـة التعـاون، أو قـصرت، هـي خطـيرة عندمـا تكـون عـلى الإثـم والعـدوان، وعندمـا تكـون في الـبر وعـلى الـبر والتقـوى هـي مهمـة، ومثمـرة، ومباركـة، وإيجابيـة، وأجرهـا عظيـم، وفضلهـا كبـير، ونتائجهـا عظيمـة، ويـد اللـه مـع الجماعـة.

ولأن الجـرم كبـير في التعـاون عـلى الإثـم والعـدوان، ختمـت الآيـة المباركـة بقـول اللـه تعـالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، اللـه شـديد العقـاب، إذا كان التعـاون عـلى الإثـم والعـدوان يجعـل مـن يتعاونـون عليـه أشـداء في

١- المائدة: من الآية ٢

جبروتهم، في بطشهم، ويجعل التعاون على الإثم فاعلاً أكثر، منتشراً أكثر، فشدة العقاب من الله ﷻ هي الجزاء، هي الجزاء، ولذلك **يجب** علينا أن نتنبه لخطورة التعاون على الإثم والعدوان في كل شيء، في كل المجالات.

حتى في مواقع التواصل الاجتماعي، ما أكثر ما يحصل التعاون فيها على الإثم وعلى العدوان، يأتي من يغرد ليهاجم شخصاً معيناً، قد يفتري عليه، قد يفرط في موقفه منه، فتأتي تباعاً لذلك الكثير من التغريدات المؤيِّدة، أو كذلك في إثم معين، فيأتي من يؤيد، ويشترك، ويساهم.

أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي من أكثر ما يحصل فيه التعاون على الإثم والعدوان، ويتحمل الكثير من خلال ذلك الأوزار والذنوب، التي تبطل أعمالهم، وتحبط أعمالهم الصالحة، قد يحبط الإنسان حتى صلاته، وصيامه، وأعماله الصالحة، وأصبحت أيضاً من الميادين التي لابدَّ فيها من التعاون على البر والتقوى، وتنسيق هذا التعاون؛ **حتى** يكون الحضور فيه حضوراً أقوى، وحضوراً فاعلاً، وإيجابياً، ومؤثراً، ونافعاً. ١٥

الحديث عن تطبيقات ما يتعلق بالتعاون على البر والتقوى واسعٌ **جدًّا،** واسعٌ **جدًّا** بسعة حياتنا ومجالات أعمالنا، والحديث عن سلبيات ومخاطر وتطبيقات التعاون على الإثم والعدوان واسعٌ **جدًّا،** يدخل في كل مجال، يصل إلى كل تفصيل، هذه إشارات، هذه تنبيهات، هذا هو لفت نظر إلى أهمية الموضوع.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

****

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

لا يزال الحديث على ضوء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

1- المائدة: من الآية ٢

تحدثنا بالأمس كيف أنَّ الإسلام دينٌ جامع، يبني الأمة، ويجمعها، ويَنظِم حركتها، ويؤسس حالة التعاون بين أبنائها، حالة التعاون التي لابدَّ منها في واقع المجتمع البشري؛ **لتستقيم** بها شؤون حياة البشر، فالإسلام كما حتى في الجانب الروحي والشعائر الدينية، نظَّم حالة الأداء الجماعي لها، كصلاة الجماعة، كفريضة الحج وشعائر الحج والعمرة... وغير ذلك من الشعائر التي يجمع الأمة عليها في زمنٍ واحد، كصيام شهر رمضان، وأداءٍ واحد، وأداءٍ تعاوني، يساعد الجميع في أداء مسؤوليتهم، وبذلك تتظافر الجهود، تتكامل المواهب والقدرات، فيتبارك الجهد والعطاء والأثر، وتكون النتيجة نتيجةً مهمةً، وعظيمةً، وكبيرة.

كذلك في المسؤوليات، المسؤوليات الدينية، والالتزامات الدينية الجماعية، كالجهاد في سبيل الله، كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كالإنفاق في سبيل الله، مسؤوليات تعتمد بشكلٍ كبير **على** التعاون، **على** الأداء الجماعي، **على** التحرك من الجميع كأمةٍ واحدة، وهذا له أهميته الكبيرة في أثره العظيم على مستوى النفوس، على مستوى الواقع العام للمجتمع، عندما يصبح واقعاً يسوده التعاون، والألفة، والاجتماع على الخير، على البر، على التقوى، على ما فيه المصلحة الحقيقية للمجتمع، على ما يسهم في تزكية النفوس، وتقويم الأعمال، وتصحيح السلوك لدى المجتمع، فيكون لذلك الأثر المبارك في نفس الإنسان على المستوى الشخصي، نفس المجتمع على المستوى المجتمعي، ثم كذلك في واقع الحياة، **ثم أكثر من ذلك:** في المستقبل الأبدي العظيم في الآخرة.

في القرآن الكريم يأتي الحديث عن البر، عندما قال الله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وأمَّا الحديث عن التقوى، فهو كذلك في مساحة واسعة من

القـرآن الكريـم، **في البـر الـذي يعني:** أن يجمع الإنسـان الخير، وأن يتسـع فيه، وأن يتجـاوز ذاتـه في عطائـه، في اهتماماتـه العمليـة، في أعمالـه، وأن يتجـه عـلى نحـوٍ متكامـل، لا ينحـصر في اهتماماتـه واتجاهاتـه عـلى جوانـب معينـة، منبعهـا مـزاج النفـس، أهـواء النفـس، رغبـات النفـس، بـل يتجه على نحوٍ واسـع وفـق توجيهات اللـه ﷻ، سـاعياً نحـو التكامـل، نحـو أن يجمـع الخـير، وأن يجمـع الفعل الحسـن، وأن يجمـع كل مـا فيـه الإحسـان والنفـع والخـير، فـأن يتكامـل في ذلـك، وأن يتجه فيـه عـلى النحـو الـذي أراده اللـه ﷻ، فيـما وجَّـه بـه، وأمـر بـه، وأرشـد إليـه.

المزاجيون وتحديد الأولويات

يقـول اللـه ﷻ في آيـةٍ مهمـةٍ في القـرآن الكريـم تتحـدث لنـا عـن الـبر، وتقدم لنـا التعريـف المهـم وفـق عناويـن جامعـة، تـدل عـلى مـا وراءهـا: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[1]، قبـل أن يقـدِّم العناويـن المعبِّرة عـن الـبر، ابتـدأ لمعالجـة مشـكلة تطـرأ لـدى الكثـير مـن النـاس، **وهـي:** أنهـم يسـعون إلى أن يحـددوا هـم لأنفسـهم- وفـق رغباتهـم، ووفـق مزاجهـم الشـخصي- اهتماماتهـم فيـما يتعلـق بجانـب الـبر، والخـير، والإحسـان، والعمـل الصالـح، وأن يحـددوا لأنفسـهم الأولويـة في ذلـك، في نطـاقٍ محـدد، في اهتمامات بسـيطة، عـلى حسـب المـزاج الشـخصي، وعـلى حسـب هـوى النفـس، وهـذه سـلبية خطـيرة لـدى الإنسـان، فقـد يتجـه الإنسـان في اهتمامـه بهـذه الأمـور عـلى نحـوٍ شـكلي، يقتـصر عـلى بعـض الأمـور، ويـترك الأهـم، ويـترك مـا لابـدَّ منـه في أن تكـون مـن الأبـرار، وفي أن تكـون ممـن يعملـون الـبر، ممـن يقدِّمـون الـبر، ممـن لديهـم اهتمامـات بالـبر عـلى المسـتوى الشـخصي، ثـم أيضـاً عـلى مسـتوى التعـاون عـلى ذلـك، وهـذا قـد يجعـل البعـض لا يتفاعلـون مـع كثـيرٍ مـن الـبر، مـن أهـم مـوارد الـبر، مـن أهـم مجـالات الـبر، التـي قـد تكـون كثـيرٌ منهـا في

١٦

١- البقرة: من الآية ١٧٧

حـدود الواجـب، والـلازم، والـذي لابـدَّ منـه في أن تتحقـق لـك هـذه المواصفات المهمـة والعظيمـة؛ **لـكي** تكـون مـن أوليـاء اللـه، مـن الأبـرار، مـن ذوي الـبر، فقـد لا يتفاعلـون مـع الكثـير مـن الأمـور، وقـد يتجهـون- كـما قلنـا- وفـق اهتمامـات بسـيطة فصّلوهـا هـم تفصيـلاً وفـق مزاجهـم الشـخصي، وليـس عـلى أسـاس إرشـاد اللـه، هـدي اللـه، تعليـمات اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مـا يدلنـا عليـه، مـا يرغِّبنـا فيـه.

فاللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعالـج لدينـا هـذه المشـكلة، والتـي هـي حالـة قائمـة لـدى الكثـير مـن النـاس، تراهـم يظهـرون بمظهـر المتديـن، الصالـح، العابـد، ولكـن عندمـا تـأتي إلى اهتماماتـه، تجدهـا منحـصرةً مثـلاً في الجانـب العبـادي، عـلى مـا يقولـون في التعبـير العامـي [مـن بيتـك إلى مسـجدك، ومـا لـك حاجـة]، تقتـصر اهتماماتـه عـلى مثـلاً الحضـور للصـلاة في المسـجد، والمسـبحة في يـده، ويعـود إلى منزلـه، ذهابـاً وإيابـاً للفرائـض، ثـم هـو ذلـك الـذي يتنصـل عـن كل الالتزامـات، وعـن العطـاء في مقـام العطـاء الـذي أمـر اللـه بـه، عـن الاهتـمام بالمسـؤوليات الإيمانيـة والدينيـة، لا يتفاعـل مهـما كان حجـم المسـتجدات والأحـداث، مهـما كانـت الظـروف والمتغـيرات، مهـما كانـت الوقائـع، والمحـن، والظـروف، التـي تسـتوجب مـن كل إنسـان، بـل وتُحَـرِّك ضمـير كل إنسـانٍ لا يـزال ضمـيره حيـاً، فيتفاعـل، ويتأثـر، ويبـادر؛ **لأنـه** يجـد نفسـه حتـى عـلى مسـتوى مشـاعره مندفعـاً لفعـل الخـير، للتفاعـل، لتقديـم مـا ينبغـي أن يقـدِّم، للإسـهام بمـا ينبغـي أن يسـهم فيـه. ١٦

فهـذه الحالـة التـي يركِّـز الإنسـان فيهـا عـلى جوانـب شـكلية في ديـن اللـه، في اهتماماتـه العمليـة، يقتـصر عليهـا، يتجـه اهتمامـه نحوهـا، هـي الحالـة التـي يوجِّـه اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالحـذر منهـا، وأنهـا ليسـت عنوانـاً للـبر كـما هـو، في حقيقتـه، في مفهومـه الواسـع، مفهومـه الكامـل، مفهومـه الصحيـح، بـل هـي حالـة اجتـزاء فُصِّلَـت وفـق هـوى النفـس.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[١]، فيتجه كل اهتمامكم نحو القبلة، نحو الصلاة، بتلك الشكلية، بتلك الطريقة التي تجعل من الموضوع قد أخذ كل الاهتمام، تجعل منه الموضوع الرئيسي، الذي ينحصر نحوه الاهتمام، لا في هذا ولا في غيره، لا في هذا ولا في غيره، هذا نموذج يقدمه القرآن، عادةً ما يقدم نموذجاً معيناً، وهو- في نفس الوقت- يفيدنا تجاه غيره من بقية الأمور والمسائل، التي هي على نفس النسق، على نفس الطريقة، على نفس الاتجاه، الذي ليس اتجاهاً صحيحاً يرضي الله سبحانه وتعالى.

فالأسلوب المتحايل، أحياناً يكون بطريقة التحايل، البعض يتصور أنه قد أحكم الخطة حتى ما بينه وبين الله، سيرضي الله ذلك الشيء المعين، الذي قد اقتصر على الاهتمام به، وسيجعله على حساب بقية الأشياء، فيبرر عدم اهتمامه ببقية الأشياء، باهتمامه بذلك الشيء، مع أنَّ الدين لا يتعارض فيما بينه، يمكنك أن تعتني بصلاتك، وأن تقيمها، وأن تهتم بها، وأن تهتم بالمسجد، ولكن لا يعني ذلك أن تتنصَّل عن بقية التزاماتك واهتماماتك العملية الأخرى، أو أن تجعل شيئاً على حساب شيءٍ آخر، وبديلاً عن شيءٍ آخر، وكأن الدين يتناقض فيما بينه، وكأن الالتزامات الإيمانية متناقضة فيما بينها، تؤدي هذا، فتجعل أداءه مبرراً لترك ذلك، هذا غير مقبول في دين الله سبحانه وتعالى.

١٦

فالأسلوب المتحايل والقاصر في تحديد البر، في تحديد أولوياته، مثلاً: البعض قد يركِّز على أن يعتمر في شهر رمضان في كل موسم، ويجمع ماله كله لذلك، ويترك- في نفس الوقت- التزامات ذات أهمية كبيرة **جدًّا**، كثيرٌ منها تدخل ضمن الالتزامات الأساسية الإيمانية، **فالإنسان يركز في مستوى الأولويات على الالتزامات الإيمانية الأهم**، وما لحقه بعد ذلك فجيد، فطيب، فخيرٌ وبر، وما لم يصل إليه من بقية الأمور... بعضهم يركِّز على

١- البقرة: من الآية ١٧٧

مستحبات، على مندوبات، على مسنونات، ويترك ما هو أهم، وأقدم، وألزم، وأعظم، وأكبر، تحدث عنه القرآن كثيراً، أمر الله به كثيراً، فيتجاهله؛ **لأنه** يرى في الذي قد اتجه باهتمامه إليه بديلاً عن ذلك بكله، وبديلاً مريحاً، أعجبه، ناسبه، وفق رغبته الشخصية، هذه خطيرة على الإنسان.

الإيمان.. العنوان الأول والأساس للبر

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾، **بعد أن يقول:** ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾، فالعنوان الأول للبر هو الإيمان، هو الإيمان؛ **لأنه** المبدأ والأساس الذي يمثل المنطلق والدافع، الذي تنطلق في واقع الحياة فيما تعمل، وفيما تقدِّم، وفيما تفعل، وفيما تؤتي، على أساسه، انطلاقةً إيمانية، الدافع فيها دافعٌ إيمانيٌّ؛ **لأن** البعض مثلاً قد يندفع بدوافع أخرى، فَيُقَدِّم ما يقدم تحت عنوان البر والإحسان والخير، لكن يقدمه مثلاً بدافع الرياء، أو بدافعٍ ماديٍّ، بدافع السمعة، أو بدافع المكاسب المادية، أو بدافع ليغطي على أشياء سلبية أخرى، أو ليحقق مطالب أو أهدافاً سياسية، أو مكاسب شخصية أخرى.

حتى البعض مثلاً ممن يتاجرون في المحرمات، يأتي أحياناً ليقدم شيئاً من الأموال، ويظهر نفسه أمام محيطه المجتمعي وكأنه كريم، كأنه معطاء؛ **ليكتسب** عاطفتهم، وليكتسب مودتهم ومحبتهم، وليوفر له- وقت الحاجة- التعاطف الاجتماعي، عندما يواجه مشكلةً معينة، نتيجةً لاتجاهه في الإتجار بالمحرمات وما شاكل، يواجه مشكلةً من هنا، ومشكلةً من هناك، فإذا به يحظى بالتعاطف المجتمعي؛ **لأنه** كان- في ظاهر الحال- محسناً إليهم، كريماً، يقدِّم لهم البر، يحسن إليهم، فيحظى بالتعاطف، هو أراد ذلك منذ البداية، وهم يتجهون- فعلاً- بتعاطف معه.

والبعض في إطار المكاسب السياسية، والبعض في إطار الأهداف التي هي أهداف شيطانية، كمثل عمل المنظمات، لديها أهداف شيطانية من وراء ما تقدم، لا تقدم على أساس فعل خيرٍ، وبرٍ، وقربةٍ إلى الله، بدافعٍ خيِّر، بدافعٍ إيماني.

ولذلك فالقرآن الكريم في مسألة البر يرسم لنا في العنوان الأول، ما يكون هو المنطلق لفعل البر، لعمل البر، فيمثل الدافع النظيف، الدافع السليم، البر لابدَّ أن يكون له- في بادئ الأمر وفي واقع الحال- داخل النفس منطلقاً سليماً، منطلقاً صالحاً، منطلقاً يمثل براً، إذا كان ما وراء ما يقدمه الإنسان دوافع سيئة، دوافع غير مشروعة، لا ترضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دوافع سلبية، دوافع معينة غير إيمانية، ولا بارة، ولا صالحة، فلنيته، لمقصده، لدوافعه، تأثيرٌ سيئ تجاه ما يقدِّم، **فالبر يجب أن يكون بدايةً في نفسك، في مشاعرك، في دوافعك، في اتجاهك وأنت ترسم لنفسك أهدافاً معينة، ما الذي تريده من وراء ما تقدم، من وراء ما تعمل، من وراء ما تساهم به؟**

١٦ **الإنسان إذا كان يساهم، ويقدِّم**، ويتعاون في البر، ولكن ليس من منطلقٍ إيماني، سيرتب على ذلك استحقاقات، مطالب، أهداف، ثم تمثل هي- بحد ذاتها- مشكلةً في أسلوبه فيما بعد؛ **لأنه** يرى فيها وسيلةً لأهداف شخصية، لمصالح شخصية، يريد في مقابلها المقابل من الناس، المقابل من الناس، وقد يكون المقابل الذي يريده من الناس سيئاً، أو سلبياً، تأثيراته سيئة، أو استغلالياً، على حساب ما هو حق، ما هو خير، لمصلحة شخصية فحسب؛ **فلذلك** فالإنسان في اتجاهاته العملية، **يجب** أن يكون منطلقه منطلقاً إيمانياً، أن يكون مبدؤه وتكون دوافعه إيمانية، ينطلق من منطلقٍ إيماني، بدوافع إيمانية.

الإيمان بنفسه يجب أن يكون دائرةً مكتملة، الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما له من أثرٍ في نفسك، في رجائك نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ترجو الله، ما تبتغيه من وراء ما

تعمل، وما تريده، وما ترجوه، وما تأمله، ترجوه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تأمله من الله، **وجهتك فيما تعمل:** الله، ورضوانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

خوفك من التقصير، خوفك من المعاصي فيما عليها من عقوبة، **هو** جانبٌ أساسيٌ من إيمانك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **فأنت** تخشى الله إن فرَّطت، إن عصيت، إن قصَّرت، إن ارتكبت الحرام، فيمثل هذا دافعاً في فعل ما يقيك من عذاب الله، وفي تجنب ما يسبب لك سخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فله أثره ابتداءً في أن تبادر لفعل البر، وأن يكون ما تفعله من البر، وما تقدِّمه من البر، بنيةٍ صالحة، بدافعٍ نظيف، بدافعٍ سليم، بدافعٍ عظيم، بدافعٍ خيِّر، الخير في نفسك، البر في نفسك، فكان عطاؤك وفعلك امتداداً له، ونتاجاً له، وثمرةً عنه.

الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يرسِّخ فينا المحبة لله، فننطلق فيما نعمل، وفيما نقدِّم، وفيما نعطي، فيما نسهم فيه، وفيما نفعله على المستوى الشخصي، وعلى المستوى التعاوني، نفعله، ونقدِّمه، ونؤتيه، نعطيه برغبة، برغبة المحب، والعظيم حبه لله، الشديد حبه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٦

عندما يكون الإنسان عظيم المحبة لله، قوي المحبة لله، **شديد** المحبة لله؛ **سيتوفر** لديه الدافع الكبير، الذي يجعله يقدِّم ما يقدِّم برغبة، وليس عن طريق القسر للنفس، وبصعوبة، وبتضجر، وكأنه يزهق روحه ويخرجها من بدنه.

الإيمان باليوم الآخر من أهم الدوافع نحو البر

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[1]، **اليوم الآخر فيما يتعلق بإيمانك بالحساب، والجزاء، ووعد الله ووعيده ﷻ، له أهميةٌ كبيرةٌ جدًّا كدافعٍ مهم، دافعٍ قوي.**

ما الذي يعالج حالة البرودة، والتكاسل، والتثاقل لدى البعض، وعدم التفاعل لدى البعض في فعل البر، في تقديم البر، في الإسهام في البر، في التعاون على البر والتقوى، عندما يأتي الحث لهم، عندما يُعرَض عليهم شيءٌ من البر والتقوى، فلا يتفاعلون، تجدهم يتكاسلون، يتهرَّبون؟! هو ضعف الإيمان، ضعف الإيمان بالله، وضعف الإيمان باليوم الآخر، ضعف الإيمان بوعد الله ووعيده، ضعف الإيمان بالجزاء، **وإلَّا** فالجزاء فيما نقدِّم، هو بالشكل الذي يرغِّبنا **جدًّا؛ لأنك** تقدِّم ما تقدِّم ولا تعتبره مغرماً، ولا خسارةً، ولا نقصاً، أنت تدرك أنك تقدِّم لنفسك لتحظى بما هو أفضل، بما هو أعظم، بما هو أكثر، بما هو أدوم، بما هو أبقى، بما هو أحسن، فلا يمثِّل بالنسبة لك لا نقصاً ولا خسارة.

فما الذي يجعل الإنسان لو كان فعلاً يؤمن بذلك، يثق بوعد الله له في أنه سيخلف له ما أنفق، لو كان يؤمن بقول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[2]، لو كان يؤمن بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3]، لو كان يؤمن بالآيات الأخرى الكثيرة والكثيرة **جدًّا،** التي تضمَّنت وعداً قاطعاً مؤكَّداً من الله ﷻ، الذي لا يخلف وعده، ولا أوفى منه بعهده، **لو كان يؤمن أليس سيبادر؟ سيستجيب؟** لأن الذي جعله يتكاسل، **هو:** اعتبار ما يقدِّمه نقصاً

١- البقرة: من الآية ١٧٧

٢- الحديد: من الآية ١١

٣- سبأ: من الآية ٣٩

عليه وخسارةً، هذا هو ما في ذات نفسه، في أعماق نفسه، فيؤثِّر عليه، ويثبِّطه، ويؤخِّره عن العطاء وعن البر.

فالإيمان بالجزاء، وأنك أيضاً ستعاقب عندما تفرِّط بالتزاماتك الإيمانية فيما عليك أن تقدِّم، ستعاقب، وستخسر الخسارة الحقيقية، أليس ذلك سيمثل دافعاً، ودافعاً نظيفاً في نفس الوقت، نظيفاً، دافعاً إيمانياً صالحاً؟

الإيمان بالملائكة وأثره في الدفع نحو عمل الخير

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾[1]، الإيمان بالملائكة وفق ما ذكره الله عنهم في كتابه الكريم، وفق أدوارهم ومسؤولياتهم ومهامهم التي ذكرها الله في القرآن الكريم، وهي واسعة، **فيما له صلة بشؤون الإنسان:** بحفظ الإنسان، برصد أعمال الإنسان، بالوقوف مع المؤمنين في تثبيت المؤمنين، في رفع معنويات المؤمنين، فيما له علاقة بالجوانب الأخرى، وفق ما ذكره الله في القرآن الكريم في ولايتهم ما بينهم وبين المؤمنين: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2]، في رفقتهم مع عباد الله المؤمنين، وأثرهم الطيِّب المعنوي المساند للإنسان المؤمن، وهو يتجه وفق توجيهات الله، وتعليمات الله، وينهض بمسؤولياته والتزاماته الإيمانية ابتغاء مرضاة الله، له أهمية، **له أهمية في مجالات ذات أهمية كبيرة: تساعد** الإنسان على الثبات، **تساعد** الإنسان على الاطمئنان، **تساعد** الإنسان على الشعور بأنه ليس وحده في ميدان العمل.

١- البقرة: من الآية ١٧٧

٢- فصلت: من الآية ٣١

الإيمان بكل كتب الله دافع مهم لعمل البر

﴿وَالْكِتَابِ﴾[١]، الإيمان بكل كتب الله، الإيمان بامتداد هدى الله، الإيمان بأنَّ الله لم يهمل عباده، وأنَّ مسيرة الهداية الإلهية امتدت منذ آدم عليه السلام، وتستمر في الواقع البشري وفق سنَّة الله في هداية عباده بكتبه وأنبيائه.

الإيمان بكل كتب الله، وليس ببعضٍ منها، كما يفعله اليهود، مع أنهم حتى البعض الذي يزعمون أنهم آمنوا به، هم حرَّفوه، وكفروا بالكثير منه، وأضاعوا الكثير منه، وانقلبوا على ما بقي منه، كما هو حال النصارى أيضاً في الانقلاب على التعليمات الإلهية، وفيما تورَّطوا فيه من التحريف والضياع.

إيمان الإنسان بكتب الله بكلها، والقرآن العظيم، الذي هو خلاصتها، والمهيمن عليها، والمصدِّق لها، وإيمانك به **يجب** أن يكون أيضاً إيماناً بها بكلها، ثم هو ما يعبِّر عنها، وهو خلاصتها، وأنت عندما ترجع إلى القرآن الكريم، أنت تصل إلى الهداية الإلهية التي أتت بها كتب الله، وختم الله بها القرآن الكريم الأوسع، والأشمل، والمصدِّق، والمهيمن، كما ذكره عنه في القرآن الكريم.

١٦

عندما تعود إلى القرآن، أليس سيدفع بك إلى العمل، إلى البر؟ يعطيك **أولاً** ما يفيدك في تصحيح نواياك ودوافعك، **ثم** يرشدك على مستوى الأداء العملي على النحو الصحيح، يهديك للعمل، يرغِّبك فيه، ينبِّهك على أهميته لك، على فوائده لك، نتائجه لك... إلى غير ذلك، ما ينتج وما يترتب على تفريطك، على عدم اهتمامك، على تقصيرك، على تهرُّبك مما فيه الخير لك، وهكذا يمثل سنداً عظيماً، ونوراً مرشداً، يقدِّم لك البصيرة الكافية، والدافع العظيم في نفس الوقت.

١- البقرة: من الآية ١٧٧

الإيمان بالأنبياء ومعطياته العظمى

﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾[١]، الإيمان بأنبياء الله بكلهم، بكل أنبياء الله، الإيمان الإجمالي، والإيمان بمن ذكر الله لنا أسماءهم في القرآن الكريم، والإيمان الإجمالي بكل أنبياء الله ورسله، وهو إيمانٌ بوحدة المسيرة الإيمانية والدينية، أنها ممتدة، تصلك بأنبياء الله كلهم، تصلك بالله تعالى عن طريق كل أنبيائه، طريقٌ واحدٌ ممتد، وأنَّ هداية الله استمرت في واقع البشرية، أتت في مختلف الأزمان والعصور، وأنَّ الله لم يقصِّر في عباده فيما يتعلق بذلك، فامتدت هدايته لهم.

إيمانك بالأنبياء، تأثرك بما ذكره الله عنهم، إيمانك بخاتم الأنبياء وسيِّد الرسل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، له أهميته الكبيرة في الدافع، وأيضاً فيما يقدِّم لك من إرشاد، وتعليمات، وتوجيهات، وبصيرة كافية عن البر، ومجالاته، وأهميته، ونتائجه، وما تستفيده من ذلك في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة، على المستوى الشخصي، وعلى المستوى الجماعي: الأمة، المجتمع الذي يستجيب على أساس ذلك.

فيمثل هذا الجانب: الإيمان، المبدأ الذي يمثل المنطلق، والدافع، ويرسم الأهداف، ويهيِّئ البيئة والظروف الصالحة للعمل، ولأداء العمل على نحوٍ سليم، على نحوٍ صحيح، فيتكامل البر من مبدئه ودوافعه، إلى مجاله، إلى طريقة أدائه، تكاملاً رائعاً، تكاملاً متلائماً، يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتتجسد فيه القيم والأخلاق والمبادئ العظيمة، الفطرية الدينية، والإيمانية، والإنسانية.

١٦

١- البقرة: من الآية ١٧٧

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾

ثم يقول تعالى بعد ذلك، بعد أن يحدد العنوان الأول، الذي يقوم عليه البر: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾[1]، ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾، جانب العطاء هو على مستوى العمل من أبرز العناوين التي توصف بالبر، ويعبَّر عنها بالبر، العطاء بالمال، المال الذي يبخل به الكثير، المال الذي يدخل الكثير في الحرام من أجل الحصول عليه بأي وسيلة، بأي طريقة، حتى لو كانت طريقةً محرَّمة، أو من مصدرٍ محرَّم، فيتحملون الآثام.

الروحية الإيمانية تجعل الإنسان بعيداً عن ذلك، بعيداً عن حالة الجشع والطمع، الذي يجعل الإنسان يتورَّط في المحرمات، الروحية الإيمانية يتربى فيها الإنسان على العطاء، على البذل، على أن يقدِّم، وأن يبادر.

عبارة: ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾، تفيد أنه يؤتي المال، يبادر بايتائه، بتقديمه، لا يحتاج مثلاً إلى مراجعات ومساعي لإقناعه، وجهود مكثفة لإقناعه بأن يخرج، فإذا أخرج بعد ذلك أخرج شيئاً يسيراً، كما هي عادة البعض من الناس، يريد أن يأتي من يزوره، أن يأتي من يتحدث إليه، أن يحاول فيه، أن يبتكر مختلف الأساليب المؤثرة المقنعة؛ **حتى** يصل به إلى أن يتفاعل شيئاً ما.

البعض من الناس ضمائرهم ميتة، مشاعرهم متبلِّدة، إحساسهم الإنساني قد ضعف كثيراً، إن لم يكن قد انعدم، **وإلَّا** ففي واقع الحال ما يجعل الإنسان المؤمن، الذي ضميره حي، وإحساسه حي، **يتفاعل تلقائياً بفطرته الإنسانية مع كثيرٍ من الأمور المؤلمة الإنسانية: عندما** يرى الإنسان المحتاج، الفقير، المعاني، الذي لا يجد طعامه.

١٦

١- البقرة: من الآية١٧٧

عندما يجد المريض الفقير المعاني الذي لا يجد ما يتداوى به، وهو يعاني من الآلام والأوجاع.

عندما يرى أسرةً من أهل الإسلام معانيةً، لا تمتلك قوتها الضروري، بائسةً... كثيرٌ من هذه الأمور كافية.

عندما يرى التحديات والأخطار التي تستوجب التصدي للأعداء، ودفع شرهم الكبير عن مجتمعه ونفسه وأمته، ودفع باطلهم، ومنكرهم، وفسادهم، وظلمهم، وإجرامهم، بكل ما يمثله ذلك من خطورة رهيبة على الناس في دينهم ودنياهم، فلا يتفاعل مع ذلك.

قد يتفاعل مع أشياء أخرى هناك: إمَّا مما تدخل في نطاق المنكر، والفساد، والشر، **أو** العبث، ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾[1]، في الأشياء العبثية، لكن لا يتفاعل مع الأشياء الخيِّرة.

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، **يعني:** حتى في الظروف الصعبة، وحتى مما يحب، وليس فقط ممن إذا أحرج في مجال العطاء، أصبح محرجاً، يجامل ويحاول في سياق مجاملته أن يخرج الشيء الرديء، الذي لم يعد راغباً به، أو لا يرى أنه أصبح بحاجةٍ إليه، لم يعد محتاجاً إليه، فيعتبر هذا شيئاً طارفاً، لا بأس سيخرجه مجاملةً.

الإنسان المؤمن بدافعه الإيماني القوي، برغبته في العطاء، بإدراكه لأهمية ذلك له في الدنيا والآخرة، هو يقدِّم الشيء مما يحب، ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، وفي نفس الوقت حتى في الظروف الصعبة، وليس فقط من أولئك الذين سيحسنون، ويعطون، ويقدِّمون، إن كانوا فقط في حالة اليسر والسعة، بل وقد يكون لديهم سقف معين لحالة اليسر والسعة، إذا توفرت

١- البلد: الآية٦

٢- آل عمران: من الآية ٩٢

أموال يرى أنها قد أصبحت كثيرةً لا بأس، ومن العجيب أنَّ الكثير ممن يشحون بالإنفاق، هم من الميسورين، فيكونون هم من يكفرون نعم الله عليهم.

الإنسان المؤمن حتى في الظروف الصعبة لا يفقد روحيته الخيِّرة، دافعه الإيماني بالعطاء والبر، يتعاون على البر، ويقدِّم حتى في الظروف الصعبة، من حاله، بقدر حاله، وهذه مسألة مهمة **جدًّا؛ لأن** الذين يعانون من الظروف الصعبة هم فئة واسعة من أبناء المجتمع، عندما يتفعَّل مبدأ التعاون؛ **يجتمع** من هذا، ومن هذا، ومن هذا، ومن هذا... في نهاية المطاف يتبارك، ويبارك الله فيه، وتتوفر مثلاً مبالغ جيدة، يمكن أن يكون لها أثر، أثرٌ مهم في أعمال خيِّرة، في أعمال البر، سواءً فيما كان منها في الإنفاق في سبيل الله، أو الإنفاق للفقراء، أو لمصالح عامة، أو لخدمة الفقراء والمساكين... كل أعمال البر، التعاون هو يحل مشكلة ضيق ذات اليد والفقر، والشيء المحدود، التعاون يحله.

١٦ **فلذلك كانت المسألة هذه مسألة مهمة؛ لدرجة** أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم عندما كان البعض في عصر النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يسخرون من المؤمنين الفقراء المنفقين، الذين يقدِّمون القليل، القليل بحسب ظروفهم، البعض كان يذهب وقد قدم ملء كفيه (المُد)، ملء كفيه من القمح، أو من التمر، يساهم به؛ **لأنه** فقير، هو بالنسبة لما يمتلكه شيءٌ كثير؛ **لأنه** لا يمتلك إلا الشيء القليل، **فكانوا يسخرون منهم**: [ماذا سيفيد الإسلام]، وقد أتى (بمُدٍ)، بملء كفيه من الذرة، أو من القمح، أو من التمر، أو نحو ذلك، **فيسخرون منهم، فنزل قول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ

﴿مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، فكان سخط الله عليهم كبيراً؛ **لأنهم** يحاولون أن يجرحوا كرامة أولئك المنفقين، وأن يحرجوهم عندما يلمزونهم، عندما يطعنون فيهم، عندما يتكلمون عليهم، عندما يسخرون منهم، [ماذا ستفيد إسلامك أنت ستقدم هذا الشيء القليل].

حالة التعاون هي تجعل القليل يكثر، قليلٌ من هنا، وقليلٌ من هنا، وقليلٌ من هنا... فيجتمع الكثير في نهاية المطاف، فيكون له أهميته الكبيرة، أهميته الكبيرة في واقع الحال، سواءً ما كان يقدم في إطار الإنفاق في سبيل الله، أو للفقراء... أو في أي مجالٍ من مجالات البر.

دائرة البر والإحسان ومجالاته

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾، في هذه الدائرة من مجالات البر:

﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾: ابتداءً من محيطك القريب، أن تحسن إليه، لا تترك قريبك الفقير، البائس، المعاني، من دون بر، من دون إحسان، من دون صلة، وصلة الرحم كذلك تأتي في إطار هذا العنوان أيضاً.

﴿وَالْيَتَامَى﴾: وهم من الفئة التي ينبغي أن يلتفت إليها الناس، أن يهتموا بها، أن يحسنوا إليها، من أهم مجالات البر: الإحسان إلى اليتامى، اليتامى كثر، بالذات في مراحل الحروب والأحداث الكبيرة.

﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾: كذلك المساكين ذوي الفقر والحاجة الشديدة، المسكين حاجته حاجة شديدة، ظروفه ظروف صعبة جدًّا.

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المنقطع عن منطقته، والمحتاج إلى المساعدة.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: كذلك من الفقراء الذين يسألون لظروفهم الصعبة.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: كذلك في مجال عتق الرقبة.

١- التوبة: الآية ٧٩

كل هـذه المجـالات في العطاء، مجالات ذات أهميـة، والبر فيها من البر المقبول، المأمـور بـه في كتـاب اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **لأن** البعـض مـن النـاس مثـلاً ينحـصر اهتمامـه في جانـب معـين، وقـد يكـون لمـرة واحـدة، في السـنة حسـنة، إذا أنفـق مـرة، يريدها أن تكـون مـرة العمـر، لا يريـد أن يكـون مسـتمراً بحسـب ظروفـه، اللـه يقـول: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، تفيـد الاسـتمرارية، فالإنسـان عندمـا يحمـل الـروح الخـيِّرة، بـره يتسـع، إحسـانه يتسـع، عطـاؤه واسـهاماته هنـا وهنـا وهنـا واسـعة.

بقية عناوين البر وأثرها في الدفع للعطاء

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾، مـن الـبر إقامـة الصـلاة، الصـلاة القيمـة، التـي لهـا أثرهـا الكبـير، الـذي يشـدك نحـو اللـه، تذكـر اللـه بصلاتـك، وتتذكـره في صلاتـك، وأذكار الصـلاة، مـن تكبـيرٍ، وتسـبيحٍ، وتهليـلٍ، وتحميـدٍ، وقـراءةٍ للقـرآن، وطلـبٍ للهدايـة في سـورة الفاتحـة، كلهـا تُرسِّـخ معانيهـا ومضمونهـا المهم في نفسـك، فـيزداد بذلك إيمانـك، تـزداد شـعوراً بالقـرب مـن اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يـزداد أثر ذلـك في طهارة نفسـك، في رغبتـك في فعـل الخـير، في رغبتـك في الإحسـان، في أن تحمل الـروح الخيِّرة المعطاءة، وأن تتعالـج مـن حالـة الشُـح، والجشـع، والبخـل، والأنانيـة، والطمـع الشـديد. ١٦

﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، وأيضـاً مـع ذلـك يـؤتي زكاتـه، ليـس مـن ذلـك النـوع الـذي مثـلاً قـد لا يـؤتي إلَّا زكاتـه، والبعـض حتـى لا يخرجهـا كاملـةً، الكثـير مـن النـاس لا يخـرج زكاتـه كاملـة، يـورِّط نفسـه ويهلـك نفسـه في أن يبخـل بـشيءٍ منهـا، أو بنسـبةٍ منهـا، أو بجـزءٍ منهـا، وهـي حالـة خطـيرة، إضافـةً إلى اهتماماتـك الواسـعة والتزاماتـك الأخـرى، المتعلقـة بالمـال؛ **لأن المـال ترتبـط بـه مسـؤوليات**، هـو عطـاءٌ مـن اللـه تقـترن بـه مسـؤولية، كل عطـاءات اللـه لـك في هـذه الدنيـا تقـترن بهـا مسـؤوليات، مـا أعطـاك اللـه، عليـك فيـه مسـؤولية، هـو في إطـار مسـؤولية أنـت مكلـفٌ بهـا.

فالله ﷻ **عندما يقول:** ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾، **بعد أن سبق قوله:** ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾، **فهي في هذا السياق:** في سياق الالتزامات المتعددة المتنوعة، المتعلقة بمالك، فعليك المبادرة بإيتاء الزكاة، بإخراجها، لا تحتاج إلى ملاحقة وضغط، وإحراج، وإلحاح، وإزعاج، ومشاكل، والبعض حتى قد يحتاج إلى السجن، أو يحتاج إلى ضغوط كبيرة، ولوم، وتوبيخ، وعتاب... وغير ذلك، **أن** يبادر بإخراجها حسب توجيهات الله فيها.

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾، أهل الوفاء في التزاماتهم المؤكدة، في مواقفهم، في علاقاتهم، في أعمالهم، في حربهم، في سلمهم، هم أهل الوفاء تجاه التزاماتهم، ليسوا بأهل غدر ولا خيانة.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾، الصبر من أهم المواصفات لأهل البر والتقوى، ومن أهم ما لابدَّ منه في البر، وفي فعل البر، وفي العطاء البر، أن يكون الإنسان من الصابرين، الصبر في كل الأحوال، في الحالات الثلاثة، وما يتصل بها.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾: في حالات البؤس، والظروف الصعبة، وظروف الفقر، وظروف الحاجة، وظروف المعاناة المعيشية، يصبرون في تلك الحال، فلا تؤثر عليهم لأن يسعوا للحصول على المال بأي طريقةٍ محرَّمة؛ **من أجل** السعة في معيشتهم، كما أنها لا تؤثر عليهم في التقصير في التزاماتهم الإيمانية وعطائهم بقدر حالهم، بقدر ظروفهم، بحسب أحوالهم.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: الصابرين في حالات الضر، في حالات المرض، في حالات الحزن، في حالات الغم النفسي، والهم، تجاه الأضرار النفسية والبدنية، في حالات الجراحة في سبيل الله، في حالات الإعاقة في سبيل الله،

هـي حـالات تحتـاج إلى الصبر، وإلَّا قـد يؤثـر عـدم الصبر عـلى الإنسـان فيهـا في إيمانـه، في نفسـيته، فيـترك أثـراً عليـه، البعـض قـد يصـل بـه إلى حـد الإسـاءة إلى اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عندمـا انعـدم صـبره تجـاه مـا يعانيـه.

فالإنسـان المؤمـن يصـبر في حـالات الـضراء، عـلى المسـتوى النفسـي، عـلى المسـتوى البـدني، ولا يؤثـر عليـه ذلـك أيضـاً في التزاماتـه بحسـب ظروفـه؛ **لأن اللـه رحيـم،** يُقَـدِّرُ أحـوال الإنسـان وظروفـه، ويعلـم بهـا.

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: في مواطـن الجهـاد في سـبيل اللـه، في مواطـن القتـال في سـبيل اللـه، في مواطـن المواجهـة والتصـدي لأعـداء اللـه، هـو ذلـك الـذي يصـبر عـلى المتاعـب، عـلى الآلام، عـلى المخاطـر، واسـتمراره نتـاج صـبره، اسـتمراره، ومواصلتـه نتـاجٌ لصـبره في ذلـك.

فنجـد هـذه الحالـة مـن التكامـل الـذي يعـبر عـن الـبر، ويُعَـبَّر عنـه بالـبر، مـن خـلال هـذا التكامـل في هـذه المواصفـات الإيمانيـة، فيختمهـا اللـه بقولـه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، هـؤلاء مـن يحملـون هـذه المواصفـات، مـن يسـيرون نحـو هـذا التكامـل، **هـم الذيـن صدقـوا، صدقـوا** في إيمانهـم، **صدقـوا** في فهمهـم لدينهـم، **صدقـوا** في انتمائهـم للـبر، وللإيمـان، وللتقـوى، **صدقـوا** في التزاماتهـم وأدائهـا كـما ينبغـي، كـما أمرهـم اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالصـدق عنوانهـم.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، **(أُولَئِكَ) أصحـاب هذه المواصفات المتكاملة، الذين يسـيرون نحـو هـذا التكامـل، هـم المتقـون الذيـن يحققـون التقـوى في واقعهـم.**

فنجـد كيـف هـي أهميـة هـذه المواصفـات التـي تقـدِّم لنـا وضوحـاً عـن الـبر، ومجـالات الـبر، الـذي نتعـاون فيـه، والتعـاون فيـه لـه ثمـرة واسـعة **جـدًّا،** والتقـوى عنـوانٌ واسـعٌ **جـدًّا،** تشـمل كل أمـور الخـير، التـي يقـوى بهـا

١٦

المجتمـع في سـياق مواجهـة أعـداء اللـه، في النهـوض بمسـؤولياته الكـبرى، يدخـل فيهـا- كـما أشرنـا بالأمـس- دائـرة واسـعة مـن التعـاون فيـما فيـه الخـير للأمـة، فيـما تقـوى بـه الأمـة، فيـما يصلـح بـه واقـع الأمـة، **فالتعـاون عـلى الـبر والتقـوى هـو ضرورة، هـو جـزءٌ مـن التزاماتنـا الإيمانيـة، هـو حـلٌ وهـو حكمـةٌ أيضـاً تعالـج الكثـير مـن الإشـكاليات التـي يعـاني منهـا مجتمعنـا في واقعـه الضعيـف، الناتـج عـن التفـرق، عـن البعـثرة، عـن شـتات الجهـود.**

نكتفي بهذا المقدار...

ونسـأل اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنـا وإيَّاكـم لمـا يرضيـه عنـا، وأن يرحـم شـهداءنا الأبـرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عـن أسرانـا، وأن ينصرنـا بنـصره، إنـه سـميع الدعـاء، أن يوفِّقنـا وإيَّاكـم للتعـاون عـلى الـبر والتقـوى، وأن يتقبـل منـا ومنكـم الصيـام، والقيـام، وصالـح الأعـمال.

وَالسَّـلَامُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

يوم الفرقان

بوابة الانطلاق لمسيرة الجهاد في سبيل الله

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

كان من الأحداث التاريخية البارزة والمهمة في تاريخ المسلمين:

- **غزوة بدرٍ الكبرى، والتي** وقعت في شهر رمضان المبارك، **آنذاك** في السنة الثانية للهجرة النبوية، **وأتت** في السابع عشر من شهر رمضان المبارك.
- **وكان** فيه أيضاً فيما بعد ذلك، **في السنة الثامنة للهجرة:** فتح مكة.

وغزوة بدرٍ الكبرى وفتح مكة من أهم الأحداث التي وقعت في التاريخ الإسلامي، وكان لها تأثيرها الكبير جدًّا، فمثَّلت نقلةً كبيرةً في واقع الأمة الإسلامية، وهيَّأ الله من خلالها المتغيرات الكبيرة، والتحولات العظيمة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم سمَّى يوم غزوة بدر بيوم الفرقان، وهذه التسمية- بحد ذاتها- تقدِّم لها فكرةً متكاملةً عن أهمية ما حدث، وعن تأثيره الكبير **جدًّا**، حيث مثَّل بالفعل نقلةً كبيرةً **جدًّا**، فكان يوماً فارقاً في تاريخ الأمة الإسلامية، وفي التاريخ البشري بشكلٍ عام.

رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بعثه الله بالرسالة في مكة، وبقي فيها لفترة طويلة، ومدةٍ زمنية طويلة، البعض يقول عنها أنها: لعشر سنوات، **والبعض يقول:** لثلاث عشرة سنة، بقي فيها يبلِّغ رسالات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتلو آيات الله، ويدعو عباد الله إلى الله، هو رسول الله الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، تحرَّك يدعو إلى الله بإذنٍ من الله، وأمرٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فكان الموقف لأغلب قريش- الذين هم قوم النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في مكة- موقفاً معادياً، واتجه الكثير من أكابرهم، وقاداتهم، وزعمائهم، للصد عن الإسلام، والتثبيط عنه، والمحاربة له بكل أشكال المحاربة، بدءاً بالحرب الدعائية، والتكذيب، والصد، والتضييق على المسلمين، الذين يسلمون ممن هم من المستضعفين في مكة، وبذلوا كل جهدهم ألَّا يقوم للإسلام كيانه القوي في داخل مكة، وألَّا يسمحوا بذلك، وكان الاتجاه العام لأغلب الأهالي هو معهم، مع أبو جهل، مع أبو سفيان، مع أبو لهب، مع أولئك الزعماء المشركين، الكافرين، الذين صدوا عن سبيل الله، وحاربوا الإسلام.

في نهاية المطاف، بعد تلك الفترة الطويلة، بعد اكتمال الحجة، بعد اكتمال مرحلةٍ أراد الله أن تكون مكة فيها هي المنطلق، هي الأرضية

المهيأة لانتشار صدى صوت الإسلام، وصوت الرسالة، وانطلاقته الأولى، هيَّأ الله لرسوله صلى الله عليه وعلى آله، ولمن معه من المسلمين في مكة، الذين لم يتمكنوا من بناء كيانٍ مستقرٍ، وإقامة الدين الإسلامي في مكة، بحيث تكون هي موطنه الأول، لم يتهيَّأ ذلك، فهيَّأ الله بديلاً عن مكة، قوماً غير قريش، هم الأنصار في يثرب (الأوس، والخزرج)، ومنطقةً أخرى لتكون هي حاضنةً للدين الإسلامي، وللمنتمين لهذا الدين الإسلامي، ولتكون هي الموطن الذي تؤسس فيه الأمة الجديدة، والكيان الجديد، والدولة الجديدة للإسلام والمسلمين.

بعد انتقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وهجرته إلى المدينة، ومستقره في المدينة، بدأ في تأسيس الدولة الإسلامية، وكيان الأمة الإسلامية الجديد، في ظل ظروفٍ صعبة، أصبح هناك الأمل الذي يحدو المسلمين لأن تتهيأ الظروف على نحوٍ مختلفٍ عمَّا كان عليه الحال في مكة، لكن التحديات كانت لا تزال قائمة.

قريش تواصل نشاطها وتستغل نفوذها لمحاربة الإسلام

قريش واصلوا نشاطهم العدائي ضد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وواصلوا نشاطهم في مراسلاتهم، وفي طريقتهم في التخاطب مع القبائل، في التأثير عليها في مختلف المناطق؛ **لكي** يشكِّلوا تحالفاً يتعاون فيه العرب واليهود في الحرب ضد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وفي العمل على منع قيام الكيان الإسلامي، والأمة الإسلامية، والدولة الإسلامية في المدينة، فوسَّعوا من تحالفاتهم، وكان لهم تأثيرهم في الساحة العربية؛ **استناداً** إلى موقعهم المتمثل بمكة، وسيطرتهم على شعائر الحج، وعلى المقدسات في الحج، **وفي المقدِّمة:** الكعبة وبيت الله الحرام.

كانت الكعبة وبيت الله الحرام لا تزال مقدَّساً عظيماً لدى العرب حتى في الزمن الجاهلي، حتى في مراحل الشرك، كانوا يقدِّسون الكعبة، ويعظِّمونها، وكانوا يحجون إلى بيت الله الحرام، وكانوا يؤدون شعائر الحج في مكة،

ويفيضون أيضاً، **يعني:** في كل شعائر الحج، ليس فقط الطواف بالبيت الحرام، يتجهون إلى عرفات، ويفيضون إلى المزدلفة ومنى، وهكذا يؤدون شعائر الحج.

فكانت قريشٌ تُقَدِّم نفسها أنها التي تُعَبِّر عن الدين، وعن المركز الديني، ولها ثقلها بهذا الاعتبار في الوسط العربي، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر تهيأت لها نتيجةً لذلك- نتيجةً للبيت الحرام، وحرمته، وقدسيته لدى العرب، وحجهم إليه- تهيأت لقريش ظروفٌ ملائمة، تساعدهم على الوفرة الاقتصادية، وعلى تحسن الوضع الاقتصادي، وعلى امتلاك الإمكانات المادية، إضافةً إلى ما جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أساساً للبيت، ولحرمة البيت، ولتهيئة الظروف في محيطه (البيت الحرام) من تيسر الرزق، وتوفر الثمرات، فامتلكوا الإمكانات المادية من جانب، وكان وضعهم ميسوراً، متميزاً على الكثير من القبائل العربية، والمناطق العربية الأخرى، وحظوا بالنفوذ السياسي والاجتماعي، والتأثير، والقابلية في الساحة العربية؛ **باعتبارهم** في المركز الديني المقدس، الذي هو بيت الله الحرام، ويديرون شعائر الحج، ويسيطرون على مكة، ويقدمون أنفسهم بصفة أنهم المتولون على البيت الحرام، وعلى شعائر الحج، **يعني:** يقدِّم أبو جهل نفسه ومن معه بأنهم الذين يخدمون البيت الحرام، ويديرون شعائر الحج، وأنهم الذين يمثلون الامتداد الديني لإبراهيم خليل الله.

فاستغلوا كل هذا النفوذ، وكل هذا التأثير، وكل هذه الإمكانيات، في حربهم ضد رسول الله، في عدائهم للإسلام والمسلمين، وتزعموا المواجهة للنبي، والمواجهة للإسلام، وأداروا هذه المواجهة بتحالفات ومساندة مع قبائل مختلفة، وتنسيقات مستمرة مع اليهود.

في بقاء النبي ﷺ، وحركته في بداية الأمر في المدينة المنورة، أدرك خطورة ما يحصل، وطبيعة المؤامرات التي تحدث، والنشاط الذي تقوم به قريش، حتى في اتفاقاتهم مع القبائل العربية الأخرى:

- أن يحاصروا المسلمين اقتصادياً.
- وأن يمنعوهم من أسواقهم.
- وأن يمنعوهم من الحركة في مناطقهم، لأي حركة تجارية، أو نشاط تجاري.

وبدأوا التحضير عملياً لحملةٍ عسكريةٍ كبيرةٍ، يريدون بها أن تكون قاضيةً على النبي والمسلمين، ومنهيةً للإسلام، قبل أن يتمكَّن أكثر، وقبل أن يتقوّى في المنطقة الجديدة، والحاضنة الجديدة، التي هي المدينة بشكلٍ أكبر، وأرسلوا قافلةً تجاريةً ضخمة، أرادوا أن يعتمدوا عليها في تمويل هذه العملية العسكرية، والحملة العسكرية، التي يحضِّرون لها، للهجوم على النبي ﷺ.

الإذن الإلهي للنبي بالتحرك للتصدي لعدوان قريش

١٧ **في ظل استمرارية تحركهم العدائي**، حتى ما بعد هجرة النبي إلى المدينة، وإصرارهم على مواصلة الحرب على الإسلام والمسلمين، وضد رسول الله ﷺ، أتى الأمر من الله سبحانه وتعالى والإذن للنبي ﷺ بالتحرك للتصدي لنشاطهم العدائي، وعملهم العدواني، الذي يستهدفون به الإسلام والمسلمين ورسول الله ﷺ، فنزل قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ

﴿اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[١]، فأتى الإذن من الله للنبي صلوات الله عليه وعلى آله وللمسلمين بالتحرك لمواجهة ذلك الاستهداف، ذلك التحرك العدائي من جانب الأعداء؛ **لأن الحكمة والموقف الصحيح، لم تكن هي أن يستسلموا، أو أن يخنعوا، أو أن يجمدوا، ويتركوا المجال للعدو ليتحرك إلى اللحظة الأخيرة، التي يقضي فيها عليهم، ثم بعد ذلك يفكرون في أن يتحركوا، كان لابدَّ من المبادرة للتحرك.**

فاتجه النبي صلوات الله عليه وعلى آله وتحرك وانطلق من المدينة المنورة، وتحرك معه البعض من المسلمين، لم يتحرك الجميع، المرحلة تلك كانت لا تزال فيها حالة القلق لدى البعض، وحالة المخاوف المؤثرة على البعض، دافعةً لهم إلى التخاذل، إلى الجمود، إلى التردد في أن يتحركوا مع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله.

وهنا يتبين لنا أيضاً الفارق الكبير في الوضع ما قبل غزوة بدرٍ الكبرى، وما بعدها:

الحالة التي قبلها كان المسلمون: البعض منهم واثقٌ، مؤمنٌ، متيقنٌ بانتصار الإسلام، ومقتنعٌ بالتحرك في سبيل الله سبحانه وتعالى، وأن يثبت في نصرة رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، مهما كانت التحديات، مهما كانت الأخطار، فهم على يقينٍ، وعلى بصيرةٍ من أمرهم.

وهناك البعض ممن هم يترددون، فيلحظون طبيعة التحديات والمخاطر:

أنَّ هذا الدين بدأ يتحرك في بيئةٍ عالميةٍ وإقليميةٍ ومحليةٍ كلها معادية، الامبراطوريات الكبرى آنذاك على الأرض، والدول الكبرى كانت واضحةً في أنها لن تقبل بهذا الإسلام، وأنها ستحاربه، وستحارب رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم» والمسلمين، ولن تقبل بهم كأمةٍ جديدة ظهرت في الساحة العالمية.

١٧

١- الحج: ٣٩-٤٠

وأيضاً على المستوى الإقليمي، وعلى المستوى المحلي، في الوسط العربي نفسه، على مستوى أقوامهم في محيطهم المباشر، مثلما حصل في مكة، وبين أوساط قريش، بيئة معادية، ومحيط معادٍ بأشد العداء.

يقابله أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ تحرك وهو لا يمتلك في تحركه الإمكانات المادية الضخمة والمغرية، ولم يعتمد على ذلك، تحرك من واقعٍ طبيعي على المستوى المادي، والإمكانات المادية، ليس له كنوز، وليس له ثروات هائلة، وليس لديه أموال كثيرة، لا ليمول بها نشاط المسلمين، ولا ليغري بها الآخرين، لِيُقْبِلوا إلى الإسلام طمعاً فيما عنده؛ **لأن الله أراد لهذا الإسلام:** أن يأتي، وأن ينتصر، وأن يكون الإقبال إليه في بداية الأمر إقبالاً مبنياً على الإيمان، على القناعة، وليس على الإغراء المادي، وليس على الأطماع والأهواء.

ومن جانبٍ آخر ليس له جيوش ضخمة، وقدرات وإمكانات عسكرية، تقابل ذلك الوسط المعادي، والبيئة المعادية، والمحيط الدولي المعادي.

١٧ **فكان البعض من المسلمين، والكثير من العرب أيضاً**، ينظر إلى قيام الدين، إلى قيام الإسلام، إلى انتصار الرسول، إلى استمرارية الإسلام، وكأنها أمرٌ مستبعدٌ **جدًّا**، بل يعتبره البعض مستحيلاً، البعض كان يعتبر أنه من المستحيل أن يستمر الإسلام، وأن ينتصر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وأن تتوسع دائرة الإسلام لتشمل مناطق كثيرة، وتشمل الكثير من الناس، والدخول في الإسلام كان على مستوى محدود، كان الإقبال إقبالاً محدوداً، **يعني: سنوات اتجه فيها القليل من الناس إلى الإسلام، قلةٌ قليلة:**

- **على مستوى القبائل:** كانت أكثر القبائل آنذاك غير قابلة بالإسلام.
- **على مستوى الكيانات الكبرى، والكيانات الأخرى:** كان موقفها واضحاً في رفضها للإسلام، وعدائها له.

ففي تلك الظروف كان البعض يتوقع أن لو واجه النبي والمسلمون مواجهةً عسكرية- هي لم تحصل بعد مواجهة عسكرية مهمة، أو كبيرة، قبل وقعة بدر- فستكون القاضية على الإسلام والمسلمين، لو واجهوا تهديداً عسكرياً، واستهدافاً عسكرياً، فذلك سوف يقضي عليهم.

ولذلك عندما خرج النبي «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»، وتحرَّك من المدينة بأمرٍ من الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[1]، بأمرٍ من الله، وفي موقف الحق، وفي القضية العادلة، لم يتحرك معه البعض من المسلمين، وتحرَّك البعض منهم فحسب، **وكان هناك احتمالان:**

العير أو النفير.. لحظات توجس لدى البعض

إما أن يظفروا بالقافلة التي تتبع قريشاً، وهي قافلة تمويلية، للتحضير للحرب التي يحضِّرون لها ضد رسول الله ﷺ، وكان أمل البعض ممن خرجوا مع الرسول ﷺ- إن لم يكن أمل الجميع ممن خرجوا معه- أن يسيطروا على تلك القافلة؛ **لأنهم** يرون فيها ضربةً جيدة لقريش، وفي نفس الوقت مغنماً للمسلمين، الذين اضطهدوا، وأخرجوا من مكة، وصودرت ممتلكاتهم وإمكاناتهم، وفي نفس الوقت تمويلاً لحركة المسلمين للاستعداد أكثر، فكان الأمل لدى أكثرهم هو الظفر بالقافلة.

وكان الاحتمال لأن تكون المواجهة العسكرية هي التي تحصل بدلاً عن الظفر بالقافلة كان احتمالاً وارداً منذ البداية، احتمال المواجهة العسكرية كان وارداً منذ البداية، ولذلك كان البعض ممن خرجوا مع النبي ﷺ من المسلمين متخوِّفين، وكارهين للخروج، ومتوجِّسين مما سيحدث، إن حصل حرب، ووقعت معركة، وقلقين للغاية؛ ولذلك قال الله في القرآن الكريم:

١- الأنفال: من الآية ٥

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[1].

فبعضهم حاول أن يقنع رسول الله ﷺ بالتراجع، وألَّا يذهب في هذه الغزوة، وفي هذا الموقف، وأن يكف عن ذلك، وأنَّ ذلك مغامرة خطيرة، قد تكون نتائجها كارثية، قد تسبب في استئصال النبي ومن معه من المسلمين، وكانوا يجادلون، جادلوا رسول الله ﷺ، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾.

كانت مخاوفهم هي الدافع الرئيسي في جدالهم، في محاولاتهم لإثناء النبي عن التحرك، ولم يكن هناك التباس في أنَّ الحق بكل الاعتبارات هو في التحرك، هو في الخروج، هو في الامتثال لأمر الله تبارك وتعالى، وهو أحكم الحاكمين، وهو العليم الحكيم، وهو المدبر الحكيم ﷻ، وهو خير الناصرين، لكن **هكذا تفعل المخاوف بالبعض**: تؤثر عليهم تجاه الموقف الحق، وتجاه التحرك الحق، وتجاه النهوض بالمسؤولية اللازمة، تجاه ما لابدَّ منه باعتبار الحق، وباعتبار الحكمة، وباعتبار المصلحة الحقيقية، **حالة المخاوف هي تشكِّل ضغطاً خطيراً على البعض، يفقده صوابية التفكير، صوابية الموقف، يفقده توجهه واندفاعه أن يكون على أساسٍ صحيح.**

فتحرك النبي ﷺ، وكان تدبير الله ﷻ أن يظفر المسلمون بالجيش الذي خرج من مكة، في معركةٍ تاريخيةٍ فاصلةٍ استثنائيةٍ مصيرية، بدلاً من الظفر بالقافلة؛ **ولذلك** يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ

١٧

١- الأنفال: ٥-٦

بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1].

جذور المشكلة التي كان الصراع من أجلها

كانت إرادة الله في إحقاق الحق، ألَّا يبقى الحق مجرد عنوانٍ ودعوةٍ تتردد في الأسماع، بل أن يتحول إلى واقعٍ قائمٍ، إلى حالةٍ سائدة، أن يتجذَّر في الواقع منهجاً، تقوم على أساسه أمة الإسلام، فأراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه المعركة الفاصلة إحقاق الحق، وهذا يعبِّر عن جذور المشكلة، والقضية التي كان الصراع من أجلها.

كانت مساعي الكافرين والمشركين، ومنهم قريش ومن وقف معهم، ومن تحالف معهم، ومن نسَّق معهم، ومن شجعهم وحرَّضهم، كما هو حال اليهود، كانوا يسعون إلى ألَّا يكون هناك وجود للدين الإسلامي في هذه الحياة، لماذا؟ **هل لأن** الدين الإسلامي كان مجرد طقوس معينة، وشعائر دينية معينة، ليس لها أي تأثيرٍ في واقع الحياة، **أم لأنه** منهجية الله، التي ستبنى على أساسها مسيرة الحياة؟ وهذا هو ما أزعجهم.

كان الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بحركته في تبليغ رسالة الله، وإقامة دين الله، يحدث تغييراً في الواقع، ويبني مسيرة الحياة على أساس الاستقلال عن التبعية للطاغوت، والتحرر عن العبودية لما سوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإخضاع الناس وتعبيدهم لله ربِّ العالمين فحسب، وهذا ما يقلق الطغاة، والمجرمين، والمتكبرين، الذين يريدون أن تبقى لهم سيطرتهم التامة على الناس، وأن يستعبدوهم، وأن تكون كل شؤون الناس بما يعزز نفوذهم، تدار، تدبَّر، يفرض فيها ما يعزز نفوذهم، ويمكِّنهم من السيطرة أكثر وأكثر، في حالةٍ هي حالة استعبادٍ للناس، يفرضون فيها على الناس ما يشاؤون هم، وفق أهواء أنفسهم، وما

١- الأنفال: ٧-٨

يريدون هم، وفق مصالحهم ورغباتهم، في حالةٍ من الاستعباد والاستغلال.

أمَّا ما يقوم عليه واقع الأمة على أساسٍ من الدين الإسلامي، فهو التخلص من ذلك، **تُبنَى مسيرة الحياة على أساس تعليمات الله ﷻ، وتوجيهاته، والعبودية له، والخضوع له، والتحرر من كل عبوديةٍ لغيره ﷻ.**

فلذلك بعد أن بذلوا جهداً كبيراً فيما مضى للسعي لإقناع النبي في مهادنتهم ومداهنتهم، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[1]، وأن تكون مسيرة الإسلام على نحوٍ يتكيَّف، كما تكيَّف اليهود مع الواقع، وكما تكيَّف النصارى مع الواقع، فتركوا من شرائعهم، ومن عقائدهم، ما يتعارض مع ذلك الواقع، وأصبحوا على تماهٍ واندماجٍ كليٍ مع كل قوى الطاغوت المستكبرة في الأرض، المستغلة للعباد، المستعبدة للناس، فكانوا يرغبون أن يتحول واقع النبي في مساومات واتفاقيات يضحي بها بكثيرٍ من عقائد الإسلام، ومبادئ الإسلام، وتعليمات الله في الإسلام، وفق ما فعله البعض الآخر- كما قلنا- ممن كانوا ينتسبون للرسالة الإلهية، في رسالة نبي الله موسى، أو نبي الله عيسى «عليهما السلام»، فلم يقبل النبي ﷺ، وما كان ليقبل، هو رسول الله الذي اصطفاه الله، وأناط به هذا الدور العظيم، والمسؤولية العظيمة، والمهمة الكبرى لإنقاذ البشرية، **لَمَّا كان الإسلام كما قدَّمه الرسول، وبلَّغه، وتحرَّك به، رسالةً إنقاذية، تنقذ البشر، تخلِّصهم، تصلح واقعهم، تطهر الأرض من الفساد، تتصدى للشر، تقف في وجه الظلم، كان هذا مزعجاً للطغاة والمجرمين؛ فتوجهوا بكل جهدهم، بكل إمكاناتهم، لمحاربة الرسالة الإلهية.**

١- القلم: الآية ٩

لهذا انتصر المسلمون رغم قلة العدد والعدة!

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، عندما وصل النبي صلوات الله عليه وعلى آله ومعه المسلمون في ظل إمكانات بسيطة، في قلةٍ من العدد، **ونقصٍ من العدة:**

عدد جيش المشركين كان مثل عدد المسلمين لثلاث مرات، أو أكثر، والإمكانات لم يكن هناك أي مقارنة، فالمسلمون كان لديهم- كما في بعض الأخبار- فرسٌ واحد، وكان لديهم- في بعض السِّيَر والأخبار- ستة أدرع، بالنسبة للدروع.

أمَّا الحال بالنسبة للمشركين فكان مختلفاً: عددٌ كبيرٌ من الفرسان، والإمكانات، والعدة، والتجهيزات، وعدد كبير من المقاتلين المتمرسين، وخرجوا بطراً، وكبراً، ورئاء الناس، كان الشيطان حفَّزهم، وزيَّن لهم، ووسوس لهم، أنهم سيخوضون معركةً حاسمة، يقضون بها على رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، وعلى المسلمين، وينتهي أمر الإسلام بشكلٍ نهائي، فلذلك كانت وقعة بدر مصيرية بكل ما تعنيه الكلمة، كان ما سيحدث فيها سيؤثر حتماً، ويكون له نتائجه المهمة، لو تمكَّن المشركون، لكانت كارثةً كبيرة، وعندما فشلوا كان انتصاراً عظيماً ومهماً، بقي له أثره الممتد إلى قيام الساعة.

عندما وصل المسلمون في تلك الظروف الصعبة، وأدركوا طبيعة الظروف على المستوى العسكري في واقعهم، في نقص عددهم، في نقص عدتهم، وما يقابله في واقع عدوهم، من العدد، والعدة، والإمكانات... وغير ذلك، توجَّهوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واستغاثوا الله، كما قال الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أغاثهم.

١- الأنفال: الآية ٨

٢- الأنفال: ٩-١٠

توجههم إلى الله في تلك اللحظة الحرجة، والصعبة، والحساسة، والخطيرة، هو بتوجيهٍ من النبي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وإدارةٍ لكل المجريات، لكل المواقف من جانبه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، **وهكذا هي التربية الإيمانية، التي تعلِّم الإنسان أن ينطلق متوكلاً على الله، معتمداً على الله، راجياً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مهما كانت إمكانات الأعداء، مهما كانت عدتهم، ومهما كان عددهم.**

فرسول الله صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **ربَّى المسلمين**، وتحرَّك بهم، وأدار تلك التفاصيل والأحداث **على هذا النحو:** في التوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الاستغاثة التي استجاب الله لهم فيها؛ **فأمدهم**- وبشَّرهم بذلك- **بملائكته**، وكان للملائكة الدور المهم **جدًّا** في التأثير المعنوي، **من أهم متطلبات المعركة والموقف هو التأثير المعنوي الإيجابي** بالنسبة للمؤمنين، الإيجابي والمهم **جدًّا**، فهم استبشروا، بعد أن بُشِّروا بذلك، وارتفعت معنوياتهم كثيراً، إضافة إلى أنَّ حضور الملائكة في ظل مجريات المعركة والأحداث، كان له أثره وفق الطريقة التي يهيئها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في التأثير النفسي والمعنوي الإيجابي والكبير.

١٧

أيضاً كان مما أمدهم الله به في سياق الحالة المعنوية، معالجة الحالة المعنوية التي تؤهلهم لأداءٍ أفضل، **ولاستبسالٍ أكثر:** ما ذكره الله في القرآن: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[1]، **أمدهم الله بالشعور بالأَمَنَة والنعاس**، فأتاهم ليلاً، ما قبل صباح المعركة، هذا الشعور من الاطمئنان والسكينة، إلى درجة أن يأتيهم النعاس، النوم الخفيف؛ **لأنه** ليس المطلوب أن يغطوا في نومهم، وأن يستغرقوا فيه، في ظل ذلك الخطر والتهديد، ولكن أن يأتيهم النعاس، مع الأَمَنَة، مع الشعور بالاطمئنان، فكان له أهميته

١- الأنفال: الآية ١١

على المستوى النفسي والعصبي والمعنوي، ثم على مستوى الأداء في الميدان.

كذلك نزول الماء (المطر)، أغاثهم الله سبحانه وتعالى ليتطهروا به، وليطمئنوا بتوفر الماء؛ **لأن** من الهواجس التي أقلقتهم مع سيطرة المشركين على آبار المياه في بدر، أن يعانوا من العطش، أن يحاصروا بالظمأ، وأن يقتلهم الأعداء بالظمأ، فتوفر الماء بشكلٍ كبير، واطمأنوا بذلك.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، وقام الملائكة بدورهم هذا على أكمل وجه، وكان له أثره الكبير جدًّا في معنويات المؤمنين، وفي إقدامهم، وفي استبسالهم.

المعركة الفاصلة وآثارها التاريخية الكبرى

وعندما تصاف الطرفان للمواجهة، بدأت المواجهة بخروج ثلاثة مقاتلين من صف المشركين، ونادوا بالتحدي للمسلمين، فأمر النبي صلوات الله عليه وعلى آله ثلاثةً من المسلمين، **هم:** عمه حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب «رضوان الله عليهم جميعاً» ، فخرج الثلاثة، وبدأت المعركة بين هؤلاء الثلاثة من صف المسلمين، والثلاثة المقاتلين الذين خرجوا من صف المشركين، وهم من أبطالهم، **ومن قاداتهم:** عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد، فكان النصر في تلك المبارزة لصالح المقاتلين المسلمين، وكانت فاتحةً مهمةً للمعركة، لها تأثيرها في بقية المعركة.

قُتِلَ الثلاثة المقاتلون الذين خرجوا من صف المشركين، واستشهد من المقاتلين المسلمين الثلاثة أحدهم، هو: عبيدة بن الحارث، ثم التحم الطرفان، واحتدمت المعركة على أشدها، واستمر القتال لبعضٍ من الوقت، جزءٍ من النهار يقدر بساعتين، وكان قتالاً على أشده، فأتى فيه التأييد الإلهي

١- الأنفال: من الآية ١٢

من الله، والمعونة الكبيرة للمؤمنين، وقُتِلَ من الأعداء العدد المهم، قُتِلَ منهم سبعون قتيلاً، من فرسانهم، وقادتهم، وأبطالهم، والشخصيات البارزة والمهمة فيهم، كان لذلك تأثيره الكبير عليهم، عندما رمى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بالحصى إليهم، **وقال:** ((**شاهت الوجوه**))، انهزموا على الفور، ونزل قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾[1]، وأُسِرَ سبعون، وانهزم الباقون، وفروا باتجاه مكة، وعاد المسلمون بنصرٍ عظيمٍ تاريخيٍ مفصليٍ وكبير، وتغيَّر الواقع تماماً.

بعد مواجهة هذا التحدي بانتصارٍ كبير، زالت حالة التردد عند البعض، وحلَّ محلها اليقين، أصبح عند الكثير من الناس- بالذات المسلمين- الأمل في أنهم سينتصرون، وتعزز الرجاء في نصر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومعونته، وتأييده، وأصبح الاطمئنان على مستقبل هذا الدين وهذه الأمة هو الذي يملأ قلوب الكثير منهم، وكان للانتصار أيضاً صداه الكبير وتأثيره الكبير على أعداء هذا الدين من الكافرين والمنافقين، الذين أصيبوا بخيبة أملٍ كبيرة **جدًّا**، وأصبحت نظرتهم التي كانوا يستضعفون بها المسلمين، ويحتقرونهم، ويؤمِّلون في التغلب عليهم بكل بساطة، نظرةً مهزوزة، وأصبح عندهم احتمال كبير أنَّ مستقبل هذه الأمة ومستقبل هذا الدين هو الانتصار، وهو الثبات، وأنه يستحيل القضاء عليهم.

فتغيرت الأوضاع ما قبل ذلك اليوم وما بعده، وبدأت مرحلةٌ جديدةٌ في تاريخ الإسلام والمسلمين، قائمةٌ على الأمل، على الثقة، على الاطمئنان، على المعنويات المرتفعة، حتى أنَّ البعض ممن لم يخرجوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في وقعة بدر تحسَّروا، وأسفوا، وكانوا يتمنون أنهم خرجوا، عندما أتت الغنائم، وأتى

١٧

١- الأنفال: من الآية ١٧

النصر، وشرف الانتصار الكبير، وما حدث كان له صداه الكبير، وتأثيره العظيم.

استمرت ما بعد ذلك مسيرة الجهاد، كانت وقعة بدر هي فاتحةٌ مهمةٌ وعظيمةٌ لمسيرة الجهاد في سبيل الله، الذي كان له أهميته، وكان لابدَّ منه:

- **في تثبيت دعائم الإسلام.**
- **في استمرارية الإسلام.**
- **في الدفاع عن المسلمين.**
- **في الحفاظ على المسلمين، في الحفاظ على أمتهم، على كيانهم، على أوطانهم، على أعراضهم.**
- **في دفع الشر عنهم.**
- **في دفع الخطر عنهم.**
- **في التصدي للشر والطغيان والفساد.**

لو كان بالإمكان تحقيق مثل هذه الأهداف، والتجاوز لكل هذه الصعاب، والتصدي لكل هذه المخاطر بدون جهادٍ في سبيل الله، بدون تضحية، لكان النبي أولى من غيره أن يكون له ذلك، وأن يتم له ذلك، وأن يتحقق له ذلك، وألَّا يعاني ما يحدث في الجهاد، وما يحصل من تضحيات، ومن معاناة، ومن مواجهة للأخطار... إلى غير ذلك.

امتدت الآثار المباركة لانتصار يوم بدر إلى فتح مكة، ودخول النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ إلى مكة فاتحاً في السنة الثامنة من الهجرة، **بعض الأخبار تقول:** أن يوم الفتح نفسه، ويوم وصل النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ إلى الكعبة المشرفة، كان أيضاً في السابع عشر من شهر رمضان، **البعض يقولون:** في السابع عشر، **البعض يقولون: في الثامن عشر، البعض يقولون:** في التاسع عشر، تتردد الأخبار والأقوال بين الثلاثة الأيام، فيكون أيضاً متقارباً في التاريخ

والمناسبة مع غزوة بدرٍ الكبرى، وكان أيضاً له أثره الكبير **جدًّا** في الانتصار.

دروس وعبر من غزوة بدر

الحديث عن هذا قد يطول كثيراً، لكننا نكتفي بهذا المقدار؛ لنؤكد على الحقائق المهمة، التي نستفيدها كدروس وعبر، ومنها:

- **حتمية الصراع:**

لابدَّ من الصراع، لابدَّ من التصدي للأعداء، **لابدَّ** من التحرك في سبيل الله، **الجهاد** في سبيل الله هو فريضة من الفرائض الإسلامية، **والالتزامات الدينية والإيمانية، التي هي أيضاً ضرورةٌ واقعية، الصراع جزءٌ قائمٌ في واقع البشر، جزءٌ من حياتهم، جزءٌ من واقعهم، والمسلمون لو لم يتحركوا، تحرك أعداؤهم، واستهدفوهم، واضطهدوهم، وأذلوهم، وقهروهم، لهم أعداء، هم أمة لها أعداؤها.**

- **لابدَّ أيضاً من الأخذ بأسباب النصر:**

في ظل التحديات التي تواجهها الأمة في هذا العصر، وما أكثرها! التحدي من كل الأعداء، المخاطر التي تحيط بالأمة، **نحن كمسلمين، في كل أقطار الأرض، أمةٌ مستهدفة، لها أعداؤها الذين يسعون باستمرار للسيطرة عليها بشكلٍ تام، لإذلالها، لقهرها، لاستعبادها، لمنع استقلالها على أساسٍ من انتمائها الإيماني والديني الإسلامي، وهذا أمرٌ واضح.**

ما يسعى له الأمريكيون، وما يقوم به الإسرائيليون، هو حربٌ حقيقيةٌ على أمتنا، بأشكال كثيرة، بوسائل كثيرة، تطورت أساليب الحرب في هذا الزمن، دخلت فيها: الحرب السياسية، الحرب الاقتصادية، الحرب الإعلامية، الحرب النفسية، الحرب الدعائية، **تفاصيل كثيرة في إطار الحرب:** الإعلامية، والتضليلية، والفكرية، والثقافية، وسعيهم الواضح للسيطرة على هذه الأمة،

السيطرة على ثروتها البشرية، وثروتها المادية، والاستغلال لها، والاستعباد لها، والإذلال لها، **لا يمكن أن يُخَلِّص الأمة من ذلك، إلَّا أن تتحرك لتبني نفسها لتكون أمةً مجاهدةً.**

بالجهاد يمكن أن تحرر فلسطين، أن تستعيد الأمة مقدساتها، أن تواجه كل التحديات من جانب كل الأعداء، بكل أشكالهم، وبكل فئاتهم.

الجهاد هو الذي يمكن أن يمثل عامل نهضةٍ للأمة، فتستعيد قوتها، وتبني نفسها في كل المجالات، ومنها: المجال الاقتصادي، والمجال العسكري، حتى تحقق لنفسها الاستقلال، وتنهض بمسؤولياتها، وتتحرك في إطار دورها الذي أراده الله لها على المستوى العالمي، لتكون الأمة التي تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتطهر ساحتها الداخلية من المنكر، والفساد، والطغيان.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء. ١٧

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّـداً عبدُهُ ورَسُـوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، وبارِكْ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن غزوة بدرٍ الكبرى، وعن يوم الفرقان، تحدثنا بالأمس كيف تزعَّمت قريشٌ الحرب ضد رسول الله «صلى الله عليه وعلى آله وسلم»، وضد الإسلام والمسلمين، امتداداً لنشاطها العدائي الذي استمر في كل المدة الزمنية التي أمضاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في مكة، منذ البعثة وحتى الهجرة.

مـا بعـد ذلـك اتجهـت قريـشٌ لأن تتزعـم الحـرب أيضـاً عـلى المسـتوى العسـكري ضـد رسـول اللـه والإسـلام والمسـلمين، مسـتغلةً نفوذهـا، وتحالفاتهـا، وتأثيرهـا الكبـير في مختلـف القبائـل العربيـة، مـن خـلال موقعهـا في مكـة، وفي إدارة شـؤون الحـج، وفي السـيطرة عـلى الكعبـة، والرمزيـة التـي حظيـت بهـا في الوسـط العـربي آنـذاك نتيجـةً لذلـك، فهـم كانـوا يقدِّمـون أنفسـهم أنهـم في موقـع الرمزيـة الدينيـة، فَيُظهِـرون الاهتـمام بالحجـاج، وبالكعبـة، وبإدارة شـؤون الحـج، ويتباهـون بذلـك، ويفتخـرون بذلـك، وقـال اللـه عنهـم في القـرآن الكريـم: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[١]، قـال عنهـم عندمـا كانـوا يسـتغلون سـيطرتهم عـلى مكـة، وعـلى الكعبـة الحـرام، ويقدِّمـون أنفسـهم بأنهـم مـن لهـم الولايـة عـلى مكـة، ولهـم الولايـة عـلى الكعبـة، ولهـم الولايـة عـلى إدارة شـؤون الحـج، قـال عنهـم: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾[٢]، فهـم كانـوا يسـتغلون سـيطرتهم تلـك، ويقدِّمونهـا وكأنهـا وَلَايـة، وكأنهـا وسـيلة لتعزيـز نفوذهـم واسـتغلالهم، فـكل سياسـاتهم وأسـاليبهم وطريقتهـم في إدارة شـؤون الحـج، في أمـور الكعبـة، في أمـور مكـة، كلهـا محكومـةٌ بالاسـتغلال، وتحـت سـقف الاسـتغلال، الاسـتغلال السـياسي، الاسـتغلال للنفـوذ في الوسـط العـربي آنـذاك، فاتجهـوا مـن خـلال ذلـك كلـه في حربهـم ضـد رسـول اللـه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وضـد الإسـلام والمسـلمين.

١- التوبة: الآية ١٧
٢- الأنفال: من الآية ٣٤

التحرك النبوي لمواجهة قريش رغم كل التحديات

كان تحرُّك النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وتحريكه معه للمستجيبين له من المسلمين، تحركاً نشطاً وفاعلاً، بقدر ما للمسألة من أهميتها الدينية، وبقدر أهميتها في الواقع، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجَّه الكثير في القرآن الكريم من التوجيهات التي تحث النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ للتحرك الفاعل، وبنشاطٍ كبير، فأتى في القرآن الكريم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[1]، خرج النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بأمرٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بتوجيهاتٍ من الله جَلَّ شَأنُهُ، ولم يكن ذلك مجرد موقف شخصي، أو رأي شخصي، أو تقديرات للأمور بحسب النظرة الشخصية، المسألة هذه مسألةٌ إيمانية، فيها أوامر الله، فيها توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك انطلق- وهو بإيمانه العظيم- بكل جدية، **بالرغم مما واجهه من التحديات المتنوعة:**

فمن جهة كان الأعداء بإمكاناتهم العسكرية، والمادية، وعددهم، وعدتهم، وتأثيرهم في الساحة على المستوى العام.

ومن جهةٍ أخرى كانت حالة التخذيل والتثبيط، التي يقوم بها المنافقون والذين في قلوبهم مرض، في داخل المجتمع المسلم، في داخل الساحة الإسلامية، **وهم** يثبِّطون الناس عن أن يستجيبوا للرسول، وعن أن يتحرّكوا معه في الجهاد، **وهم** يزرعون في قلوبهم اليأس، **وهم** يرجفون عليهم، ويعملون على إخافتهم، ويعملون على تشكيكهم في صحة الموقف، وحكى الله عنهم **حتى فيما يتعلق بغزوة بدر، قال** جَلَّ شَأنُهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

١- الأنفال: من الآية ٥

٢- الأنفال: الآية ٤٩

وفي المقابل أيضاً إضافةً إلى ذلك، إضافةً إلى ما لدى الأعداء من إمكانيات، وإلى حالة التثبيط والتخذيل، موقف البعض من المؤمنين، من الذين حتى استجابوا، ولكن استجابوا مع حالةٍ من القلق، والاضطراب، والتردد، والجدال، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[1]، فالذين انطلقوا، لكن وهم كارهون، وهم غير مقتنعين بالتحرك، ليس لأنه ليس حقاً، هو حقٌ واضح، ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾[2]، لكنها المخاوف التي طغت على تفكيرهم، وعلى قراراتهم، وعلى رؤيتهم للموضوع؛ **فأثَّرت** فيهم تأثيراً سلبياً كبيراً.

النشاط الجهادي كان من أبرز اهتمامات النبي الأكرم

تحرّك رسول الله، واستمر، كانت غزوة بدر هي فاتحة الاشتباك الشامل، ما قبلها كان هناك عدة سرايا، ومنذ الشهر السابع في السنة الأولى للهجرة النبوية بدأت حركة السرايا المجاهدة، السرايا العسكرية التي كان يبعثها النبي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، **أول سريةٍ تحركت في الشهر السابع من السنة الأولى للهجرة النبوية:** سرية حمزة بن عبد المطلب، واستمرت السرايا، واستمرت الغزوات، واستمر العمل الجاد في التصدي للأعداء، ومواجهة كل تلك الأخطار، بتحركٍ نشطٍ **جدًّا** من جانب النبي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، فلم يَخْلُ عامٌ من أعوام الهجرة النبوية من التحرك في السرايا العسكرية، والأنشطة العسكرية، والاهتمامات التي يتصدى بها لكل المخاطر التي كانت تحيط به في المجتمع العربي، ومن خارج المجتمع العربي أيضاً، فيما يتعلق بالروم وغيرهم.

ذلك التحرك النشط كان ترجمةً لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واستجابةً عمليةً لها، الله الذي يقول لنبيه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ

١- الأنفال: من الآية ٥
٢- الأنفال: من الآية ٦

﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾[١]، كانت تأتي له تلك التوجيهات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٢]، فيستمر في نشاطه، استعداداته، تجهيزاته، ثم في بعث السرايا المجاهدة، ثم في الغزوات الكبرى الرئيسية، كنشاطٍ بارزٍ كان هو من أبرز اهتمامات النبي، ومن أبرز أنشطته العملية، وفي جدول أعماله، في أعماله، في اهتماماته، كان هو من أهم أعماله التي أعطاها الجهد، أعطاها الوقت، أعطاها الاهتمام، تابعها ليلاً ونهاراً، نشط في متابعتها بشكلٍ مكثف.

ولذلك خلال الفترة الوجيزة من السنة الأولى للهجرة، إلى السنة الثامنة، كانت النقلات والمتغيرات كبيرة، وكانت المواقف في التصدي لمختلف الأعداء:

- الحروب التي كانت مباشرةً مع العرب.
- الحروب التي كانت في التصدي للمشركين من العرب، ومن تحالف معهم من اليهود.
- المواجهات والمعارك والحروب التي كانت في إطار التصدي لليهود وشرهم ومكرهم.
- ثم الحرب الكبرى مع الروم، في غزوة مؤتة، وكذلك التحرك الكبير للتصدي لهم في غزوة تبوك.

هكذا كان نشاطه الجهادي، أعماله وهو يجاهد في سبيل الله، وهو يَعُدُّ العدة، وهو يُحَرِّض، كانت عملاً بارزاً **جدًّا** في اهتماماته وفي أعماله، جزءاً أساسياً بارزاً واضحاً كبيراً في أعماله واهتماماته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فهو سيِّد المجاهدين، **وما من أحدٍ كان بمستوى اهتمامه، وتحركه، ونشاطه، وجديته، وإسهامه، وتأثيره في ذلك أبداً، كما هو هو** صلوات الله عليه وعلى آله**، فهو الأبرز اهتماماً، متابعةً، حثاً، ترغيباً، سعياً، تحضيراً... إلى غير ذلك.**

١- النساء: الآية ٨٤

٢- الأنفال: من الآية ٦٥

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كان يقول الله له ذلك، والمساحة الواسعة في القرآن الكريم التي تتحدث عن الجهاد، كأبرز فريضةٍ تحدث القرآن عنها بذلك المستوى، فلم يتحدث عن أي فريضةٍ من فرائض الدين في القرآن كما تحدث عن الجهاد، بقدر ما نرى تلك المساحة الواسعة للجهاد في آيات القرآن، في موقعه بين فرائض الله، بقدر ما كانت هذه المساحة موجودةً، حاضرةً في نشاط النبي، في أعماله، في اهتماماته، فبقدر ما حضرت في القرآن، حضرت في واقعه العملي؛ **لأنه** كان يتحرك على أساس القرآن الكريم، كان يهتدي بالقرآن الكريم، كان يتَّبع ما في القرآن الكريم، كان يتحرك وفق ما أمره الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذا يبين لنا كمسلمين، من خلال حركة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وجهوده العظيمة، والتي أثمرت، وتحققت بها المتغيرات الكبيرة، وصولاً إلى فتح مكة، وما تلاه من متغيرات كبيرة **جدًّا**، ومن خلال القرآن الكريم، والمساحة الكبيرة من التوجيهات، والحديث الواسع المتنوع الشامل **عن** الجهاد في سبيل الله، **وعن** أعداء الأمة، **وعن** كيفية التصدي لهم، **وعن** ميادين المواجهة معهم، **وعن** عدائيتهم وأنشطتهم السلبية لاستهداف الأمة، **ذلك الحديث الواسع بكله، مع ما كان عليه رسول الله، هو كافٍ للأمة لإدراك أهمية فريضة الجهاد في سبيل الله، أولاً:** من خلال الاقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، هو القدوة، هو الأسوة، الله قال لنا في آيات الجهاد نفسها في سورة الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، فكيف إذا افترض الإنسان حالةً من التدين، يلغي فيها هذا الموضوع من أساسه من كل اهتماماته، فلا حديث عنه، ولا استعداد له، ولا تحريض بشأنه، ولا حديث عنه كفريضة من فرائض الله، ولا حديث عن أهميته، ولا بأي شيءٍ يتصل به، كم هي الفجوة بين الإنسان وبين

١- الأحزاب: الآية ٢١

رسول الله في مقام الإتباع والاقتداء والاهتداء؟ وكم هي الفجوة الكبيرة بين الإنسان وبين القرآن عندما يتجه ذلك الاتجاه المنحرف، المتخاذل؟

الجهاد ضرورة حتمية لاستقامة الحياة

القرآن الكريم في حديثه الواسع عن الجهاد في سبيل الله تحدث من جوانب كثيرة، وحديثاً شاملاً، **وفي مقدِّمة ما تحدث به القرآن الكريم عن الجهاد:** أنه ضرورةٌ واقعيةٌ، يلبي حاجةً، ويسد حاجةً يحتاجها الناس، ويحتاجها المؤمنون، لابدَّ منه لهم في واقعهم، الله جَلَّ شَأنُهُ قال في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[1].

واقعنا كبشر لا نتوقع فيه أنه سيكون مستقراً، وهادئاً، وسليماً من الظلم، والفساد، والباطل، وواقعاً يسوده الاستقرار، فأتى الجهاد ليخرِّبه، من لديه هذه النظرة فهو إنسانٌ غبيٌّ بكل ما تعنيه الكلمة، من يتصور أنَّ واقع الحياة سيكون في الأساس مستقراً، هادئاً، سليماً من الظلم، من الاضطهاد، من القهر، من الإذلال، ويسوده الهدوء، فإنما عندما يأتي الجهاد هو الذي يخرِّب هذا الوضع على الإنسان، ويضيف له مشاكل، ويدخله في مشاكل كان في غنىً عنها، ليست المسألة كذلك أبداً.

ظروف حياة البشر، ظروف حياتهم، وجزءٌ أساسيٌّ من واقع حياتهم، **هو:** حالة الصراع، فيها صراعٌ كبير في حياتهم، **هناك من البشر من هم أشرار، من هم طغاة، من هم مجرمون، من هم متسلطون، إذا لم توجد حالة الردع، للحد من طغيانهم، من شرهم، من فسادهم، من منكرهم، من باطلهم؛ فكل شرهم، إجرامهم، طغيانهم، فسادهم، ظلمهم، منكرهم، يتجه إلى واقع الحياة، إلى البشر، إلى المجتمعات نفسها، وبدون رادعٍ يردعهم؛**

١- البقرة: من الآية ٢٥١

سيتمكنون أكثر من أن يمارسوا الظلم، والإجرام، والشر، بحق الناس أنفسهم، فتفسد حياة الناس في كل شيء، ولا تستقيم الحياة على الأرض، تصبح حياة الناس مهدرة، لا قيمة لها، وكرامتهم مسحوقة، لا اعتبار لها، وحرماتهم مستباحة، فلا حرمة لها، ويصبح كل شيءٍ في الحياة فاسداً، لا يستقيم شيءٌ، لا يبقى عدلٌ، لا يبقى خيرٌ، لا يبقى حقٌ، لا يبقى شيءٌ من الصلاح، **لابدَّ** من الجهاد؛ ليكون هو وسيلةً للحد من إجرامهم، من طغيانهم، من فسادهم، **لابدَّ** أن يكون هناك مسؤولية، يتحرك بها البعض من البشر، من لديهم التوجه المستقيم، الخيِّر، من يتجهون بضمائرهم الإنسانية، بإيمانهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بقيمهم، بقضاياهم العادلة، للتصدي للظلم والشر والفساد.

وهذه أول مسألة يجب أن نعيها جيداً: أنَّ واقع الحياة فيه صراع، وفيه أشرار، وفيه طغاة، وفيه مجرمون، وأنَّ الجهاد ليس هو الذي أضاف مشكلةً وصراعاً في واقع المجتمع البشري، بل على العكس، هو يأتي لأن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو نَظْمٌ لشؤون الحياة، وليس إضافةً لأعباء إلى واقع الحياة تمثل مشكلةً فيها؛ **إنما** هو نَظْمٌ لنفس شؤون الحياة، ففي شؤون حياتنا، في واقع حياتنا تحديات، وأخطار، وشر هناك، وفساد هناك، ومنكر هناك، يُنظِّم لنا القرآن الكريم كيف سنتعامل مع هذا الواقع، وكيف سنتحرك بشكلٍ صحيحٍ وإيجابي للتصدي لتلك المخاطر القائمة في واقع حياتنا، وهذه مسألة مهمة **جدًّا؛ لأن** المسلمين في كثيرٍ من مراحلهم التاريخية، ونتيجةً للسياسات السيئة لحكام الجور، وسلاطين الجور، ولعلماء السوء، كانوا قد أُزِيحُوا نهائياً عن مسألة الجهاد في سبيل الله، وعطِّلت هذه الفريضة، وغابت عن وعي الناس، وعن اهتماماتهم، وأصبحت النظرة إليها سلبية.

الكوارث الكبرى في تاريخ الأمة نتيجة تعطيل فريضة الجهاد

وفي هذا درسٌ كبيرٌ جدًّا لأمتنا اليوم: أنَّ المراحل التاريخية التي عَطَّلت فيها فريضة الجهاد في سبيل الله، ونسيتها، وتركتها، وأعرضت عنها، ونظرت إليها نظرةً سيئة، كانت هي أخطر المراحل، وأكبرها نكبات على هذه الأمة، ضعفت الأمة عندما عَطَّلت فريضة الجهاد، ضعفت، وتراجعت قوتها، وفقدت هيبتها، وفقدت حضورها الفاعل في الساحة العالمية، وتجرأ عليها أعداؤها، وطمع فيها أعداؤها، عندما أصبحوا يشاهدونها أمةً ضعيفةً، غابت عنها روح الجهاد، واهتمامات الجهاد، وما يتبع ذلك من إعداد القوة، من الجهوزية لمواجهة التحديات، ومواجهة الأعداء، ومواجهة الأخطار.

فأيُّ قارئٍ يقرأ تاريخ هذه الأمة، ويرى مثلاً عن المراحل التي عانت فيها الأمة من نكبات كبرى، هُوجِمَت فيها من أعدائها من الأمم الأخرى، سواءً من المغول، ومن الصليبيين، وكذلك من الأوروبيين في مراحل لاحقة، سواءً تحت العنوان الاستعماري، أو تحت العنوان الصليبي، وما عانته الأمة من خسائر فادحة، كم قُتِلَ من أبناء الأمة؟ الملايين قُتِلوا من أبناء الأمة بشكلٍ عبثيٍ، في حالة انهيارٍ واستسلامٍ تام، وليس في إطار مواقف صامدة وثابتة، وفي إطار مواقف تثمر نصراً وعزةً للأمة.

في تلك الحالات من حالات التنصل عن الجهاد في سبيل الله، من المراحل التي كانت هذه الفريضة قد ضاعت تماماً من واقع الأمة، ومن اهتمام الأمة، ومن وعي الأمة، ومن ثقافة الأمة، ومن اهتمامات الأمة، أتت تلك النكبات الكبرى، التي قُتِلَ فيها الملايين من أبناء الأمة، واحتُلَّت فيها الأوطان، وانتُهِكَت فيها الأعراض، كان الصليبيون يحملون آلاف النساء

١٨

المسلمات بعد سبيهن، ويرحلون بهن إلى أوروبا، يأخذونهن سبايا، وكانوا يقتلون المسلمين قتلاً ذريعاً، وغيرهم كذلك، انتهكت الأعراض، واحتلت الأوطان، نهبت الممتلكات، والثروات، والمقدرات، امتلأت حياة المسلمين ظلماً وجوراً، ودخلوا في معاناة كبيرة **جدًّا، في الأخير كانوا يقتنعون أنه:** [**لابدَّ** من التحرك، **لابدَّ** من القتال، **لابدَّ** من الثورة، **لابدَّ**...]، لكن متى؟ **بعد** خسائر فادحة **جدًّا**، **بعد** أن يتمكَّن العدو، **بعد** أن تشملهم الذلة، والهوان، والقهر، والضيم، **بعد** أن يتكبَّدوا خسائر فادحة **جدًّا جدًّا** وهم في حالة الاستسلام.

الكوارث الكبيرة التي مرَّت بها أمتنا الإسلامية على مرِّ التاريخ؛ نتيجةً لتعطيل فريضة الجهاد، وإخراجها من حيِّز اهتمامات الأمة، ومن وعيها بالكامل، وصولاً إلى هذا العصر، الذي دخلت فيه الأمة في مواجهة تحديات كبيرة وواضحة، وأصبحت الأمة أمام التزامات، التزامات بكل الاعتبار: التزامات إنسانية، وأخلاقية، وإيمانية، وقومية، ودينية، تجاهها، مثلما هو الحال فيما يتعلق بفلسطين.

على كلٍّ فالأمة قد جرَّبت تعطيل هذه الفريضة، وجرَّبت النتائج، وجرَّبت أيام كانت تهتم بهذه الفريضة، وكيف كانت الثمرة أيضاً والنتائج، فهذه المسألة مسألة واقعية. ١٨

سعي الأعداء لامتلاك القوة وإلغاؤهم لعنوان السلام

ولذلك نلحظ مثلاً في واقع الغرب، في واقع الغرب هناك اهتمامٌ كبيرٌ **جدًّا** فيما يتعلق بهذه المسألة، وفي بقية أمم الأرض، ما يتعلق بأن يكونوا أمةً قويةً، لديها اهتمامات عسكرية، تمتلك كل عناصر القوة، تتمكن من حماية نفسها، وليس فقط عند هذا المستوى، **اتجهوا في طموحات بعيدة:** كيف يمتلكون القوة للسيطرة على الآخرين، للحد من أي تهديدٍ محتملٍ، ولو

بنسبةٍ ضئيلةٍ يهددهم، فتقدَّموا كثيراً، بعيداً عن مسألة الجهاد، لم يحتاجوا حتى إلى عنوان الجهاد، وفريضة الجهاد، وأن تكون مسألةً من التزاماتهم الإيمانية والدينية، عندهم اهتمام تلقائي، بدافع الفطرة البشرية، **وأكثر من ذلك:** دخلت بالنسبة لهم الأطماع، والأهواء، والرغبات، والنزوة الاستعمارية؛ **فاندفعوا** بكل اهتمام، وعلى نحوٍ واسعٍ وكبير لكي يمتلكوا القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية، والقوة الإعلامية، والنفوذ السياسي، والتأثير الواسع، وأن يتجهوا بكل ذلك لتحقيق مصالحهم، وأطماعهم، وأهدافهم، وعلى حساب أمتنا، لسحق أمتنا التي يطمعون فيها، التي أصبحت أمةً يطمع فيها أعداؤها.

نجد المثال لذلك فيما يتعلق مثلاً بالأحداث الأخيرة في أوكرانيا، عندما تكون المعركة معركةً لصالح أمريكا، وأمريكا طرفٌ فيها، يكون مستوى الاستنفار لتلك المعركة على أكبر مستوى، الحرب النفسية الشرسة، الحملات الدعائية الهائلة، التحريض الكبير، النفير العام، التوظيف لكل القدرات، والطاقات، والإمكانات، في المواجهة، وكل تلك الأشياء التي يعظون بها المسلمين ليتركوا فلسطين، وليتنازلوا عن أوطانهم، وعن مقدساتهم، وعن حقوقهم، وعن استقلالهم، تحت عنوان السلام، والوَدَاعَة... وتلك العناوين، وأن يكون الإنسان حضارياً، لا يمتلك سلاحاً، ولا يمتلك قوةً، وكل الوسائل والسياسات التدجينية التي يتجهون بها إلى داخل أمتنا، تغيب تماماً عندما تكون المعركة من أجل أمريكا، ومصلحة أمريكا.

ففي أوروبا، وفي أوكرانيا، لم يأت كل هذا الطرح، الذي يعبِّر عن حالات التدجين، ويعظ بالسلام، والهدوء، والاستقرار، وضبط النفس، وترك السلاح... وكل تلك العناوين، التي لا يعظون بها إلَّا المسلمين، كل هذه العناوين ضاعت تماماً، الحرب العسكرية على أشدها، والتحشيد العسكري، والتحريض

١٨

للكل أن يقاتلوا، حتى العجائز! حتى العجائز! يحرِّضون العجائز في أوكرانيا أن يقاتلن ضد روسيا لمصلحة أمريكا؛ **لأن** المعركة معركة لمصلحة أمريكا، وغابت المسائل الأخرى التي يكلموننا بها كمسلمين، فلا مشكلة في تجنيد الأطفال، ولا مشكلة في تجنيد النساء، ولا مشكلة في أي شيء، بل أصبح هناك كل شيء مطلوباً في تفعيله في الصراع.

المقاطعة فُعِّلَت في كل شيء، حتى في الرياضة، فعَّلوا المقاطعة مثلاً ضد روسيا حتى في الرياضة، مقاطعة في كل الأمور، الأمور الاقتصادية، مقاطعة سياسية، مقاطعة حتى في الأمور الرياضية، حتى في الحركة الاقتصادية في كل تفاصيلها.

فعَّلوا الهجمة الإعلامية الدعائية والتحريضية، تحريضية بشكل واسع، وبشكل مستمر، وليلاً ونهاراً، وبشكل مكثف **جدًّا،** دعوا الناس للتطوع للقتال، وحرَّضوهم على ذلك من كل أوروبا، ومن أي بلدٍ آخر، لا مشكلة عندهم في ذلك، وتوجههم للمعركة وللحرب الشرسة في كل وسائلها وأساليبها إلى أشد مستوى.

كل تلك الأشياء التي يعظون بها المسلمين ليستسلموا، وليسلِّموا الأوطان والمقدَّسات، ويتنازلوا عن حقوقهم المشروعة... وما إلى ذلك، غابت تماماً هناك، لماذا؟ هذه مسألة عادية في الواقع، لكن علينا أن نأخذ العبرة نحن كمسلمين، كمسلمين.

عنوان السلام.. متى يرفعونه؟ ولصالح من؟

حتى في واقعنا كمسلمين، لاحظوا الذين انضموا إلى صف أمريكا، من الموالين لها ولإسرائيل، كما هو حال النظام الإماراتي، ونظام آل خليفة في البحرين، والنظام السعودي، وتحت عنوان السلام طبَّعوا مع إسرائيل، أظهروا ما كانوا يخفونه من علاقتهم وروابطهم، وتعاونهم مع العدو الصهيوني الإسرائيلي، كل هذا تحت عنوان السلام، أنهم يريدون السلام، لا

يريدون الحروب، لا يريدون المشاكل، يريدون الاستقرار والسلام في المنطقة، وفي واقع الحال كيف هم تجاه الآخرين، خارج ما هو محسوب لصالح أمريكا وإسرائيل، **هل هم هكذا:** قومٌ يريدون السلام، يحرصون على السلام؟! **إلى درجة أنه لا مشكلة في أن يضحى بكل شيءٍ من أجل السلام:** بالكرامة، والدين، والالتزامات الأخلاقية، والمقدسات، والأوطان... وكل شيء، **هذا فقط إذا كان لإسرائيل ومن أجل أمريكا فقط.**

أمَّا تجاه الآخرين، فيظهرون متوحشين، ليس عندهم أي اهتمامٍ بأمر السلام، يظهرون عدوانيين إلى أشد مستوى من العدوانية، يظهرون مجرمين، متسلطين، لا يريدون سلاماً، لا يريدون استقراراً، ولا يهمهم ذلك أبداً، يدعمون الحروب، وينشئون الحرب، ويشاركون في الحروب، ويتزعمون حروباً، يدفعون في كل ما من شأنه أن يثير الفتن، يموِّلون الفتن في أوساط الأمة، يحاولون أن يحرِّكوا الشر إلى أقصى حد، ويقدِّمون المال من أجل ذلك، والإعلام لدعم ذلك، والنفوذ السياسي لإسناد ذلك، يتحركون في كل الاتجاهات من أجل ذلك كله.

١٨ **هكذا هم في اليمن**، هكذا هم ظهروا عدوانيين تجاه كل من يعادي إسرائيل ويتصدى لخطر إسرائيل، من أبناء الإسلام والمسلمين، من المنطقة العربية، من شعوب أمتنا، ظهروا سيئين، وظهر إعلامهم سيئاً وعدائياً حتى تجاه المجاهدين في فلسطين، ووصَّفوهم بالإرهاب، وقاطعوهم، وحاصروهم، يحاربونهم بأشكال من المحاربة الإعلامية، والاقتصادية... وغيرها.

فظهروا عدوانيين جدًّا، وتوجههم العدائي نحو الحرب، نحو تمويل الفتن، نحو القتل، نحو ارتكاب أبشع الجرائم، كما عملوا في بلدنا، في مقابل أنهم يُظهِرون السلام السلام السلام السلام، لكن هذا كله فقط لإسرائيل، لأمريكا؛

أمَّا تجاه شعوب أمتهم، فالحاضر في سلوكهم، في إعلامهم، في مؤامراتهم، في مواقفهم، **فيما يدفعونه من أموال:** هو الشر، هو الجريمة، هو العدوان، هو الطغيان، وليسوا بأي شكلٍ من الأشكال في وارد السلام، ولا قيمة عندهم ولا أهمية لمسألة السلام؛ **إنما** جعلوا منه عنواناً للعمالة، ولأن يقفوا في صف أعداء الأمة، ولأن يتآمروا على هذه الأمة، وعلى أبناء هذه الأمة.

عظمة ثقافة الجهاد.. والنموذج المتميز

في ظل هذه التحديات المعاصرة، والتي نرى فيها الاستهداف لنا كشعوب، الاستهداف لنا كأمة، الاستهداف لمقدساتنا، في كل يوم هناك اقتحام للمسجد الأقصى، واعتداء على المصلين، ألَّا يبين هذا على عدوانية العدو الإسرائيلي، وعدائه حتى للدين الإسلام، ولمقدسات الدين الإسلامي، ولشعائر الدين الإسلامي؟! اعتداء على المصلين في مقدسٍ من مقدسات المسلمين، وهو المسجد الأقصى، بشكلٍ يومي، ماذا يعنيه ذلك؟

أننا أمة في واقع الحال في حال صراع، في حالة مواجهة، وهناك أعداء يستهدفوننا في كل شيء: يستهدفوننا في ديننا، في مقدساتنا، في استقلالنا، في كرامتنا... في كل أمورنا، يخوضون الحرب ضدنا بشكل مؤامرات متنوعة، لها أشكالها في كل مجال، **هذا يعني: أنَّ علينا أن نتحرك بروحيةٍ إيمانيةٍ، وأن نعي أنَّ الله جعل الجهاد في سبيله وسيلةً لحماية الناس، ولرعايتهم، هو جزءٌ من دينهم، الذي هو رعايةٌ لهم، نظمٌ لشؤون حياتهم، وسيلةٌ لدفع الشر عنهم، هكذا هو.**

وهذه الثقافة الواعية، هي ثقافة الشهيد الصمَّاد «رحمة الله تغشاه»، ونحن اليوم في ذكراه، في ذكرى شهادته، هو حمل هذا الوعي، هذه الروح الإيمانية والجهادية: **يعي** أنَّ الدين هو لمصلحة الناس، لرعاية الناس، لدفع

الشر عن الناس، **يعي** أنَّ خدمة شعبه، والدفاع عن شعبه، ودفع الشر عن شعبه، والتصدي للمعتدين الذين يعتدون على شعبه، والاهتمام بأمور شعبه، هو جزءٌ من التزاماته الإيمانية والدينية، يتقرَّب بذلك إلى الله ﷻ؛ فحمل روح التضحية، وحمل الشعور بالمسؤولية، واتجه من موقعه في المسؤولية ليضحي، لا ليجهز لنفسه أرصدةً مالية، **أو** مكاسب شخصية، **أو** مغانم- كذلك- يستفيدها من موقعه في المسؤولية، جعل من كل جهده، ومن موقعه نفسه منطلقاً للتضحية، والعطاء، والفداء، وبذل جهده بكل إخلاص لخدمة هذا الشعب، للدفاع عن كرامة هذا الشعب، لمواجهة أعداء هذا الشعب المعتدين عليه بغير حق، وكان ثابتاً، صامداً على ذلك، ووفياً لهذه المبادئ، لهذه القيم، فلقي الله شهيداً، سعيداً، نقياً، نزيهاً، لم يلوث نفسه في موقعه في المسؤولية، لا بمظالم، ولا بأطماع، ولا بفسادٍ مالي، ولا بمغانم ومكاسب على حساب هذا الشعب، ومن حق هذا الشعب، **فكان نموذجاً متميزاً في ذلك كله.**

عندما يحمل الإنسان هذه الثقافة الواعية، وهذه الروح الإيمانية؛ سينطلق بكل جد، وهو يرى في خدمة شعبه، في الدفاع عن أمته، عن مقدساته، عن كرامة شعبه، في مواجهة الأشرار، في التصدي للطغاة، لأعداء الأمة، يرى في ذلك قربةً إلى الله ﷻ، وجزءاً من التزامه الإيماني والديني، وينطلق وهو يعي أهمية هذه المسألة في واقع الحياة، أنها هي الطريقة الصحيحة، هي الطريقة السليمة، هي الطريقة التي توصلنا إلى نتيجة. ١٨

في فلسطين كم بقي العرب يفاوضون، يحاورون، يقدِّمون التنازلات، لم يصلوا إلى نتيجة، في غزة ما الذي حقق نتيجةً هناك؟ هو: الجهاد، في لبنان ما الذي حقق نتيجةً عظيمة ومميزة؟ هو الجهاد في سبيل الله ﷻ على نحوٍ واعٍ، والأعداء هم يعون هذه الحقيقة؛ **ولذلك** هم

يبذلـون كل جهـد لاحتـواء مسـألة الجهـاد، **إمَّـا** بتشـويهها، وإزاحتهـا مـن اهتمامـات الكثـير مـن أبنـاء الأمـة، **وإمَّـا** بتفعيلهـا واسـتغلالها لمصلحتهـم: **فيحرِّكـون** التكفيريـين، هـم دائمـاً (التكفيريـين) مـن يتحركـون تحـت عنـوان الجهـاد لخدمـة أمريـكا وإسرائيـل، وفي أي اتجـاهٍ تريـده أمريـكا، في المعركـة التـي تريدهـا، يحرِّكـون هـذا العنـوان، لتوظيفـه لخدمـة أمريـكا وإسرائيـل، فيأتـون مثـلاً بالعناويـن الفتنويـة بـين أوسـاط الأمـة، ليبنـوا عليهـا مسـألة التكفـير، ثـم عنـوان الجهـاد، والقصـة في نهايـة المطـاف قتـالٌ مـن أجـل أمريـكا وإسرائيـل، تحـت صـف السـعودي، أو الإمـاراتي، هـو الغطـاء والممـول؛ **أمَّـا** مَـن وراءه، فهـو الأمريـكي، والبريطـاني، والإسرائيـلي، هـذه حقائـق واضحـة.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسـأل اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنـا وإيَّاكـم لمـا يرضيـه عنـا، وأن يرحـم شـهداءنا الأبـرار، وأن يشـفي جرحانـا، وأن يفـرِّج عن أسرانـا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سـميع الدعاء.

وَالسَّـلَامُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

١٨

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن غزوة بدرٍ الكبرى، ثم بالتالي الحديث عن جهاد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ونهوضه بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن المساحة التي أخذها الجهاد في القرآن الكريم فيما تحدث الله به عنه، وفي حركة رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، تحدثنا عن الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كضرورةٍ

لها علاقةٌ بنظم حياتنا، وبشؤون حياتنا، فليست- كما قلنا- عبئًا إضافياً يُنتِج لنا المشاكل التي كنا في غنىً عنها، بل هي وسيلةٌ جعلها الله ﷻ لنا لنتصدى من خلالها للمشاكل القائمة في واقع الحياة، والمخاطر والتهديدات التي نواجهها نحن في ظروف حياتنا، وفي واقع حياتنا.

إضافةً إلى ذلك: فالجهاد في سبيل الله ﷻ هو من الفرائض الأساسية في الإسلام، وليس مجرد عملٍ قُدِّم ضمن الأعمال التي تأتي في سياق ما يوصَّف بأنه من المندوبات، أو المستحبات، أو الأعمال التطوعية، التي إن رغب الإنسان فيها، فلا بأس، وإن لم يرغب، فليس هناك مشكلة، ليست من ضمن الالتزامات الأساسية الإيمانية، الجهاد في سبيل الله ليس حاله حال المندوبات والمستحبات، والأمور التي تعود إلى رغبة الإنسان، إن رغب أن يفعلها، فزيادةٌ في الأجر والفضل، وإن لم يرغب، فلا حرج عليه.

الجهاد في سبيل الله هو فريضةٌ من أهم فرائض الدين، ومن ضمن الالتزامات الإيمانية الأساسية، التي على الإنسان المؤمن، إلَّا من عذرهم الله ﷻ في الآيات القرآنية، ونصَّ عليهم، ونصَّ على عذرهم، وإلَّا فعلى غيرهم أن يتحركوا، أن يستجيبوا لله ﷻ.

والقرآن الكريم أكَّد على هذا كثيراً؛ لأن الحديث عن الجهاد هو أكثر من الحديث عن أي فريضةٍ أخرى من فرائض الله في القرآن الكريم، فالله تحدث عن الجهاد بأكثر مما تحدث عن الصلاة، وعن الصيام، وعن الحج، وعن الزكاة... وعن مجموع تلك الفرائض، الحديث عنه واسعٌ **جدًّا** في القرآن الكريم.

يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[١]، فجعله من صفاتهم اللازمة، من شأنهم أن يكونوا هكذا؛ **لأن** هذا جزءٌ من التزاماتهم ومسؤولياتهم الإيمانية، ذات العلاقة بإيمانهم، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٢].

يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣]، فيأتي الحديث عمَّن؟ عن المؤمنين، باعتبارهم باعوا أنفسهم وأموالهم من الله ﷻ.

مستوى العلاقة الإيمانية بالله ﷻ تصل إلى هذا المستوى: الذي ينطلق فيه الإنسان بائعاً نفسه من الله، والله هو المالك للنفس؛ **إنما** جعل الله هذا الباب، وفتحه لخاصة أوليائه، **كما قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام عن الجهاد: ((بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه))**، فالله هو المالك للنفس البشرية، الله هو المالك لكل نفس، لكل ما في السماوات والأرض، المالك لنفس البرّ، ونفس الفاجر، والمؤمن والكافر، لأنفس البشر جميعاً، لكل المخلوقات بكلها، هو الملك، مع ذلك أتاح لعباده المؤمنين أن يبيعوا أنفسهم منه ضمن صفقةٍ، هي صفقة الجهاد في سبيل الله، كما قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[٤]،

١- النساء: من الآية ٧٦
٢- النساء: الآية ٧٦
٣- التوبة: الآية ١١١
٤- البقرة: من الآية ٢٠٧

فتستثمر تضحيتك في سبيل الله سبحانه وتعالى، لتكون بالنسبة لك صفقةً بينك وبين الله، تحصل من خلالها على الأجر العظيم، على الفضل الكبير، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[١]، فيكافئك على ذلك بهذا العطاء العظيم، العطاء الواسع، الحياة الهنيئة، السعادة الأبدية.

وواقع الكثير من البشر أنهم يبيعون أنفسهم، ومواقفهم، فيقاتلون، ويَقتُلون ويُقتَلون، مقابل رغبات مادية، وأهواء ومطامع، ومقابل إغراءات حصلوا عليها من هنا أو هناك، من جهاتٍ أخرى، هي تقف ضد الحق، جهات عندما يقاتل الإنسان في سبيلها، حتى لو كان في مقابل كل الدنيا، فهو خاسر؛ **لأنه** أسخط الله، وخدم الباطل، ووقف في صف الظالمين، والطغاة المجرمين، المعتدين، واكتسب الوزر الثقيل في الظلم معهم، في مشاركتهم في ظلمهم، وطغيانهم، وعدوانهم، وإجرامهم، والتمكين لباطلهم؛ **فيتحمل** الأوزار الثقيلة، التي تكون سبباً لهلاكه وخسرانه الدائم والعياذ بالله.

أمَّا مع الله سبحانه وتعالى، فأنت تقدم ما هو لله أصلاً، في مقابل أن تحصل على ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله به، وتؤمِّن مستقبلك السعيد للأبد، ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[٢]، هذا هو من شأن المؤمنين، هكذا هي علاقتهم بالله، هذا مستوى علاقتهم بالله سبحانه وتعالى.

١٩

لكي يتحقق الإيمان لابد من الجهاد في سبيل الله

يقول الله جلَّ شأنه في رده على الأعراب: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[٣]، وكانوا يريدون إيماناً بدون جهاد، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

١- التوبة: من الآية ١١١
٢- التوبة: من الآية ١١١
٣- الحجرات: من الآية ١٤

﴿وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1]، فهذا السياق، **وبنفس هذه الصيغة أيضاً: (إِنَّمَا)** ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، تبين أنَّ مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، وادِّعائه للإيمان، تتوقف على كمال إيمانه، من ضمن ذلك بقيامه بهذه الفريضة العظيمة، واهتمامه بها، كجزءٍ من التزاماته الإيمانية والدينية، فتكون المسألة أنَّ الإنسان الذي قد يعتبر نفسه مؤمناً كامل الإيمان، ومن المؤمنين، وأنه قد حاز ما وعد الله به المؤمنين، وحاز الصفات التي وصف الله بها المؤمنين، وهو ممن لا يريد الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتخلف عن الجهاد في سبيل الله بغير أي عذر، وهو كارهٌ للجهاد في سبيل الله، متنصلٌ عن هذه المسألة، يعتبرها خارج اهتماماته نهائياً، وليس له بها أي علاقة، لا من قريبٍ ولا من بعيد، منصرفٌ عن ذلك بشكلٍ تام، ومضربٌ عن ذلك بشكلٍ تام، فليس بمؤمنٍ أبداً، فليس بمؤمنٍ أبداً، ورد في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: **((من مات ولم يغزُ، ولم يُحَدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبةٍ من النفاق))**.

١٩ **الإنسان لا يمكن أن يتحقق له الإيمان الصادق**، إلَّا ويشعر بأهمية الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويعتبرها كفريضةٍ من التزاماته الإيمانية والدينية، ويسعى في ذلك بحسب المستطاع، فإذا كان الإنسان في ظروف قد تهيأت لإحياء هذه الفريضة، في وسط شعبٍ مجاهد، أو في وسط أمةٍ مجاهدة، فالمسؤولية أكبر، والوزر في التخلف والتنصُّل عن المسؤولية، والتهرب، الوزر كبير، والذنب عظيم، تكون جريمةً كبيرةً **جدًّا**، عندما يتنصل الإنسان عن هذه المسؤولية، بعد أن هيأ الله له الظروف للقيام بها، **من أعظم النعم،**

١- الحجرات: الآية ١٥

من أكبر النعم فيما يتعلق بهذه الفريضة: أن تكون وسط شعبٍ مجاهد، أو وسط أمةٍ مجاهدة، قد أحيت هذه الفريضة، قد تعاونت على إحيائها وإقامتها، وأصبحت تتحرك فيها، أنت أمام فرصةٍ حقيقيةٍ لكمال إيمانك.

تكون بعض الوضعيات صعبةً جدًّا في بيئةٍ، أو في شعبٍ، أو في بلدٍ، لم يبدأ فيه أي تحركٍ في هذا الاتجاه الذي يكتمل فيه إيمانك، فتبقى المسؤولية على الجميع في تقصيرهم، في تخاذلهم، وتكون المسألة بالنسبة لهم مسألة صعبة، حتى يبدؤوا، تكون البداية- عادةً- صعبة.

فإذا تهيأت الظروف، وابتدأت الانطلاقة، وتجاوز الناس الحواجز، التي عادةً ما تكون في البداية حواجز كبيرة، وأصبح الظرف والواقع كله في ظل أجواء الجهاد في سبيل الله، والتحرك في سبيل الله بالمال والنفس، وفي كل مجال من المجالات، في إطار عملٍ مترابطٍ متكامل، فهذه هي نعمةٌ عظيمةٌ **جدًّا،** نعمةٌ لكمال الإيمان، وفي نفس الوقت مسؤوليةٌ يكبر فيها ويعظم فيها الإثم عند التخاذل، وعند التقصير، وعند التفريط، وعند التهاون، وعند التنصل عن المسؤولية؛ **لأن** ظروف المسلمين في واقعها العام هي ظروف تستدعي من كل الأمة أن تتحرك.

وكما قلنا بالأمس: التاريخ يثبت أنَّ كل النكبات الكبرى على الأمة أتتها في ظل تخاذلها عن إحياء هذه الفريضة، وأنَّ أهم المراحل لعزة الأمة، وقوة الأمة، ومنعة الأمة، وحضورها الفاعل في المجتمع البشري، **هو:** عندما أحيت هذه الفريضة، في المقدمة في عصر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

الظروف الراهنة للأمة، ليست ظروفاً بسيطة وعادية، ويبنى على ضوئها التوصيف والتشخيص: بأنه لا حاجة للجهاد في سبيل الله، على العكس من

ذلك، حجم التحديات والمخاطر، وما تعيشه الأمة في واقعها، يستدعي منها التحرك بروحٍ إيمانيةٍ جهادية.

من كمال الإيمان الثقة بوعد اللّه بالنصر

الإيمان فيه ما يعزز كل ما تحتاج إليه للقيام بهذه الفريضة، ولهذا كان هناك تلازم ما بين: الجهاد في سبيل الله ﷻ، والإيمان؛ **لأن الجهاد في سبيل الله يقوم أساساً على مبدأ الثقة بالله ﷻ؛ لكي** تتحرك في سبيل الله ﷻ، لكي تستجيب هذه الاستجابة الكاملة، تحتاج إلى أن تكون واثقاً بالله، متوكلاً على الله ﷻ، ما الذي يكبِّل الأكثر من الناس عن التحرك في سبيل الله، عن الاستجابة الكاملة لله؟

انعدام ثقتهم بما وعد الله به من النصر، والتمكين، والتأييد، والمعونة.

حجم المخاوف والقلق لدى الكثير من أبناء الأمة، وصولاً إلى اليأس، البعض منهم يعيش حالة اليأس **من إمكانية** الانتصار، **من إمكانية** تغيير واقع الأمة، **من إمكانية** النهوض بهذه الأمة إلى مستوى مواجهة التحديات والأخطار، بالرغم من وجود الشواهد التي تمثل حجةً على الأمة؛ **لأنها** شواهد من واقع الحياة، **مثل:**

- **انتصار حزب الله في لبنان على العدو الإسرائيلي، أكثر من انتصار، على المستوى العام:** انتصار عام ٢٠٠٠، وانتصار عام ٢٠٠٦، انتصارات شاملة، انتصارات كبيرة **جدًّا**، مضافاً إلى ذلك الانتصارات المتفرقة، في الغزوات، في العمليات، في الهجوم، في إطار عمليات معينة، مثَّل هذا حجةً على الأمة.
- **انتصار المجاهدين** في غزة، انتصارات متعددة تمثِّل أيضاً حجةً على الأمة.
- **وهكذا تأتي الانتصارات** أيضاً في الجبهات الأخرى، التي يقف فيها البعض من أبناء أمتنا موقف الحق، الموقف الذي يرضي الله

سبحانه وتعالى، فيواجهون الأعداء، ويواجهون التحديات، ويواجهون المخاطر.

- **انتصار شعبنا اليمني** على مدى سبعة أعوامٍ مضت وانقضت، تحرَّك فيها أعداؤه تحت رعاية الكافرين، وبتنفيذٍ مباشرٍ من المنافقين، لأكبر عدوانٍ في هذه المرحلة على وجه الأرض، **وكانت النتيجة هي:** الصمود، والتصدي لهذا العدوان، وتحقيق الكثير والكثير من الانتصارات، وإفشال أهداف العدو ومخططاته الرئيسية، التي كان يريد أن يصل فيها إلى نتيجةٍ حاسمة وكاملة.

وهكذا هنا وهناك، وفي العراق، وفي سوريا... وفي مواطن كثيرة.

الشواهد العملية هي تقدِّم دلالةً واضحة من الواقع، تطمئن الناس إلى أن يثقوا بوعد الله سبحانه وتعالى لهم، عندما يجاهدون في سبيله، عندما يستجيبون له الاستجابة الكاملة، أنه سيؤيِّدهم بنصره، سيكون معهم، عندما يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]، هو يقدِّم وعداً عظيمًا، يطمئن كل إنسانٍ مؤمن؛ **لأن** الإنسان لا يمكن أن يتحقق له إيمانه، إذا لم يكن واثقاً بوعد الله، إذا لم يثق بوعد الله، يقرأ وعد الله في القرآن وعداً واضحاً صريحاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3]، أليس هذا وعداً من الله سبحانه وتعالى صريحاً واضحاً بالنصر؟

يقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4]، وهو وعدٌ مؤكَّدٌ، بصيغةٍ كافيةٍ في التأكيد.

يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، وهذا التزامٌ يقدِّمه الله سبحانه وتعالى، وضمانةٌ إلهية كافية لأي إنسان يثق بالله سبحانه وتعالى.

١- البقرة: من الآية ١٥٣
٢- التوبة: من الآية ١٢٣
٣- محمد: الآية ٧
٤- الحج: من الآية ٤٠
٥- الروم: من الآية ٤٧

١٩

فكيف يمكن أن نقول عمَّن لم يثق بالله، بأنه مؤمنٌ بالله؟! مؤمنٌ بالله لا يثق بالله! كيف يمكن أن يكون الإنسان هكذا؟! وهذا في حقيقة الأمر ما يجعل الكثير من أبناء أمتنا الإسلامية يتنصَّلون عن هذه المسؤولية، عن التحرك في إطار الاستجابة الكاملة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإحياء هذه الفريضة العظيمة، **نقصٌ في ثقتهم بالله «تبارك وتعالى»**.

فلهذا نلحظ كيف قرن الله مسألة الجهاد بالإيمان؛ لأنه يعبِّر عن ثقتك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي حال التنصُّل، قد يكون أهم سببٍ للتنصل عن هذه المسؤولية، وعن إقامة هذه الفريضة، **هو:** عدم ثقتك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا أتى في قوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[1]، **(لَمْ يَرْتَابُوا)؛ لأنهم** وثقوا، وصدَّقوا، وتيقَّنوا، فلم يرتابوا أبداً تجاه وعد الله ووعيده، ولا تجاه ما هم عليه من الحق، وهم يتحركون في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهم أهل يقين، أهل ثقة، لديهم كل الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتصديق القاطع بوعده ووعيده.

من أعظم الدوافع نحو الجهاد للمصدقين بوعد الله

جانبٌ آخر أيضاً يعود إلى الإيمان، والجانب الإيماني، إضافةً إلى مسألة الثقة، والتوكل على الله، هو الرغبة فيما عند الله، والمحبة لله، والرجاء فيما وعد الله، ما وعد الله به المجاهدين في سبيله، هو المرغِّب **جدًّا، الشيء الطبيعي للإنسان إذا وثق، إذا صدَّق: أن يرغب؛** لأنه يرغب فيما هو أقل من ذلك بكثير، وعدهم الله بالجنة، ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، ويؤكِّد إلى درجة أن يقول: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، فهو يعدهم بالجنة، ويقدِّم هذا الوعد بصيغة التزامية عجيبة، وقدَّمها في كتبه السماوية المتعددة: ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، وعن طريق موسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم، فيؤكِّد المسألة بكل عبارات التأكيد،

١- الحجرات: من الآية ١٥

ويقدِّمها كضمانة مؤكَّدة، **أفلا** يرغب الإنسان بالجنة؟! من وثق وصدَّق وتيقن وتأكد، **أَلَا** يقبل من الله هذه الضمانة؟! **أَلَا** يثق فيها؟! **أَلَا** يمكنه الاطمئنان إليها، والاعتماد عليها؟! ولهذا المسألة تلامس وجدان الإنسان، ضميره، عمق مشاعره ووجدانه.

عندما يتأمل الإنسان في موقفه من ذلك، ما الذي يثبِّطه؟ ما الذي يؤثر عليه سلباً؟ ما الذي ينفِّره من فريضةٍ هذا مكسبها؟ إضافةً إلى مكاسبها العاجلة في الدنيا نفسها: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[1]، وسيأتي الحديث عن ذلك.

أضف إلى ذلك: الأجر العظيم، العزة، الكرامة، الخير، والرعاية الواسعة من الله، الهداية... أشياء كثيرة **جدًّا** وعد بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يفترض أن تكون دافعاً كبيراً، ومرغِّباً عظيماً.

كما أنَّه يدل على اعتزاز الإنسان بانتمائه الإيماني والديني، عندما يتحرك في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذين ستتحرك لمواجهتهم من هم؟ هم المجرمون، المعتدون، الأشرار، الطغاة، الظالمون، المفسدون في الأرض، الذين يمثِّلون شراً على المجتمع البشري، والذين هم دائماً ما يكونون في موقع الاعتداء والظلم والتجبر، ويستهدفون الأمة في قيمها، ومبادئها، ومقدَّساتها، ودينها، إضافةً إلى تركيزهم على السيطرة على الأمة، ومقدراتها، وثرواتها، وخيراتها، وما يفعلونه هم يظلمون الأمة، يظلمون الناس، يسومونهم سوء العذاب، فهذه الحالة عندما يكون الإنسان في إطار انتمائه الإيماني، **وجزءٌ مما يركِّز عليه الأعداء، هو: طمس هذه الهوية الإيمانية، ومحاربة هذا الانتماء الإيماني الأصيل**، عندما يكون في تكامله وأصالته، فهو يمثل إزعاجاً لهم وهم يحاربونه، في هذه الحالة الإنسان المؤمن، واعتزازه بإيمانه، وقيمة الإيمان، وما يرتبط به في نفسه من سموٍ وكرامة، يجعله راغباً، يرى في هذه الأعمال التي أمرنا

١- الصف: من الآية ١٣

الله بها أعمالاً عظيمة، أعمالاً مقدَّسة، أعمالاً مهمة، يشرف بها الإنسان، وفي نفس الوقت تفيد المجتمع، وهي ضروريةٌ لدفع الشر عن المجتمع.

أهمية الجهاد، وأثره، وضرورته لكمال الدين وإقامته: لا يمكن إقامة الدين في واقع الأمة، لكي تحقق لنفسها الاستقلال عن التبعية لأعدائها، وتنظم مسيرة حياتها على أساس انتمائها الإيماني والديني، **إلَّا بالجهاد**؛ **لأن** الأعداء- أصلاً- يعملون على الحيلولة دون ذلك.

لهذا كان الجهاد معياراً لصدق الانتماء الإيماني

ما يسعى له أعداء الأمة من الكافرين، ومن معهم من المنافقين: أن تبقى الأمة خاضعةً لأعدائها، لسياساتهم، لتدابيرهم، لإملاءاتهم، لما يريدون أن يفرضوه هم على الأمة، وهو شرٌ على الأمة، وضرٌ على الأمة، وفسادٌ على الأمة، ولكنه يحقق مصالح أعدائها، فيسعى أعداؤها أن يفرضوه على الأمة؛ **ليكون** أساساً للسياسات، والمواقف، **والأمور التي تُنظَم بها شؤون الأمة في كل مجالات الحياة:** السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية... وغيرها، هم يعملون على هذا الأساس.

١٩ **عندما تتوجه الأمة توجهاً صادقاً للاستقلال الحقيقي**، الذي تفصل به تبعيتها لأعدائها، تفصل هذه التبعية عن أعدائها، وتترك هذه التبعية لأعدائها، وتتَّبع ما أنزل الله، وتتَّبع هدى الله، وتتَّبع الحق الذي من ربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتقتدي بنبيها، وتتمسك بقرآنها، وتَنظِم مسيرة حياتها ومواقفها على أساس ذلك، فهذا هو جوهر المشكلة الرئيسية مع الكافرين في كل زمن، الكافرين في هذا العصر، على رأسهم الأمريكيون، والإسرائيليون، ومن معهم، أو في الأزمنة الماضية، **فلابدَّ** أيضاً من الجهاد في سبيل الله؛ **لأن** الأمة تُحَارَب في أن تتوجه كهذا التوجه الاستقلالي المتحرر.

ويصبح الجهاد في سبيل الله ﷻ مع ذلك، مع الانتماء الإيماني، معياراً يبيِّن مدى مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني؛ **لأن الكل من المنتمين للإسلام يأتون ليقولوا عن أنفسهم:** بأنهم من المؤمنين، ومن الذين آمنوا، وأنهم في خط الإيمان، وفي طريق الإيمان، فيأتي قول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[1]، **يعني:** لابدَّ من أن تُختَبروا في مصداقيتكم، في انتمائكم الإيماني، عن طريق (الجهاد، والولاء)، في جهادكم وولائكم، ما يمكن أن يمثل معياراً حقيقياً يكشف المصداقية، مع اهتمام الإنسان ببقية فرائض الدين، والتزاماته الإيمانية الأخرى، **لكن يأتي أيضاً هذا الالتزام:** الجهاد، والولاء.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾؛ **لأن** الذي يوالي أعداء الله، **يوالي خارج هذا الإطار:** خارج إطار الله، ورسوله، والمؤمنين، فيوالي الكافرين، يوالي المنافقين، يعتبر من صف المنافقين بولائه لهم، **فالخروج عن هذا الإطار الإيماني في الولاء، وعدم القيام بهذه المسؤولية في الجهاد في سبيل الله، في المجالات الجهادية، يجعل الإنسان مفضوحاً ومكشوفاً، وأنه غير صادق في انتمائه الإيماني.**

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]، تمثل الأحداث نفسها، التي هي ضمن واقع الحياة، ومن واقع الحياة، تمثل اختباراً لك في الموقف، **والموقف جزءٌ أساسيٌ من الدين**، موقفك، عندما تريد أن تجعل موقفك بعيداً عن انتمائك الإيماني، عن انتمائك الديني، عن علاقتك بالله ﷻ، **وتجعله وفقاً لمزاجك الشخصي: إمَّا** في إطار مخاوفك، **وإمَّا** في إطار رغباتك وأهوائك، فهي

١- التوبة: من الآية ١٦
٢- محمد: الآية ٣١

حالةٌ تكشفك، أنك بعيد عن الانتماء الصادق، عن مصداقية الانتماء.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾، المجاهدين الذين يستمرون، العبارة نفسها تفيد الاستمرارية في الجهاد، ليست على أساس أن تتجه إلى مرحلة معينة، ثم تكتفي، **وتقول:** [أنا قد قمت بواجبي، وأدَّيت ما عليّ، ولم يعد عليّ أي اهتمام، ولا أي التزام، ولا أي شيء نهائياً]، وتتنصل بدون عذرٍ من الأعذار التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾**: الذين يستمرون في صبرهم تجاه مختلف التحديات.**

فيمثل معياراً مهماً، يجعله الله سبحانه وتعالى مفيداً حتى للإنسان تجاه نفسه، وحتى للمجتمع تجاه بعضه البعض؛ **لأن** البعض من الناس قد ينظرون إلى البعض الآخر، إلى أنهم من المؤمنين المتدينين، الذين يمثِّلون الإيمان على أرقى المستويات، وأنهم في موقع القدوة الإيمانية، **يعني:** يرى فيهم القدوة الذين يقتدي بهم في طريقتهم الإيمانية، وقد يكونون ممن هم معرضون كلياً عن مسألة الجهاد في سبيل الله، وعن الموقف الحق، مضربون تماماً عن ذلك، ففي معيار الله، في ميزان الله الحق، ليسوا من المؤمنين، ولا ممن يُقتَدى بهم إيمانياً، فيمكن للإنسان أن يحذر من ذلك، ألَّا يقتدي بهم، أن يتركهم فيما هم عليه، فيما ارتضوه لأنفسهم، وأن يسعى لكمال إيمانه؛ **لأنه** بحاجةٍ إلى ذلك.

١٩

عندما يأتي يوم القيامة سيكون الحجة عليه هو القرآن، آيات الله، كلمات الله، ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[١]، لن ينفعه فلان، ولا فلان، ولا فلان، الذي رأى فيه أنه العابد، الزاهد، المؤمن، المتدين، الذي ليس له أي موقفٍ ضد أعداء الله، وليس على استعداد أن يكون له حتى كلمة واحدة ضد أعداء الله، ويبذل كل جهده في أن يحتاط ويتنبه من أن تخرج منه

١- المؤمنون: من الآية ١٠٥

ولو ربع كلمة، ولو أي شيءٍ يعبِّر عن موقف، موقف حق ضد أعداء الله، واتجاهه مُضْرِبٌ عن ذلك كلياً، فهذه المسألة مسألة خطيرة على الإنسان.

البعض قد يُفَصِّل له القدوة الذي يقتدي به وفق مزاجه الشخصي، [قدوة رطيب]، يتصور أنه لا يسبب له المشاكل، ولا يدفع به إلى ما هو صعب، **الناس ينظرون إلى مسألة الجهاد في سبيل الله وكأنها مسألة صعبة، وكأنها مسألة معقَّدة، لكن المعيار الحق هو معيار الله، الذي جعله هو معياراً يجلّي واقع عباده:**

من هو المستجيب كامل الاستجابة لربه، من هو المطيع حقاً، **من هو** الواثق بربه حقاً، **من هو** الذي ارتقت علاقته الإيمانية إلى المستوى الأعلى، في استعداده حتى أن يضحي بنفسه في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن هو المستجيب في حدود معينة، في إطار معين، بعيداً عن مخاوف معينة وأخطار وصعوبات وتحديات، وفي هامشٍ محدود.

ضرورة الجهاد لرعاية وحماية العباد

من أهم ما يتعلق بالجهاد في سبيل الله تعالى: أنه الوسيلة المجدية، النافعة، الصحيحة، الممكنة، الواقعية، لدفع شر الأعداء، لدفع شر المجرمين، والمفسدين، والطغاة المتسلِّطين، من الكافرين، والمنافقين، والفاسقين، الجهاد في سبيل الله لابدَّ منه في ذلك، والله جعله أساساً لرعاية العباد وحمايتهم؛ **لأن** الله غني، نحن عندما نقول عن أهمية الجهاد، لا يعني ذلك أنَّ الله بحاجة إلينا، ولا بحاجة إلى جهادنا، الجهاد ليس عملية دفاع عن الله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو القاهر فوق عباده، هو المهيمن، هو العزيز الجبار، هو ملك السماوات والأرض، هو العزيز الذي لا يغالب، القوي العزيز، الجهاد جعله الله وسيلةً لنا نحن، الذين نجاهدهم من هم؟ الأشرار، الذين يتوجه شرهم علينا، المجرمون،

١٩

الذين يرتكبون الجرائم بحقنا وفي واقعنا، الطغاة، المتسلطون، المفسدون، الذين يتوجه كل فسادهم، كل ظلمهم، كل طغيانهم، كل إجرامهم علينا نحن، فهو وسيلةٌ لنا نحن، نرتقي من خلالها إلى مستوى المنعة، القوة، العزة.

مشكلة الأمة أنها عندما عطّلت فريضة الجهاد في سبيل الله كثيراً؛ ضعفت، فصعبت الأمور عليها، لكن عند كسر الحاجز، عند النهوض بهذه المسؤولية، هي بنفسها تنهض بالأمة إذا نهضت بها، تقوى بها الأمة، **والواقع أثبت ذلك:**

المجاهدون في فلسطين ألم يقووا بالجهاد؟ حزب الله ألم يقوَ بالجهاد؟ الجمهورية الإسلامية ألم تقوَ بالجهاد، إلى مستوى متقدم وصلت من العزة والمنعة؟ المجاهدون في العراق ألم يقووا بالجهاد؟ عندنا في اليمن ألم نقوَ بالجهاد؟ في التاريخ بكله، في مسيرة الإسلام الأولى، في حركة رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وهو الأسوة والقدوة، ألم يقوَ المسلمون بالجهاد؟ كانوا في حالة استضعاف، في حالة قهر، في حالة اضطهاد، قال الله لهم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1]، كانوا في وضعية قهر، واضطهاد، وإذلال، فمنحهم الله بالجهاد النصر، والقوة، واستمر المسار التصاعدي في قوتهم، إلى أن وصل المسلمون آنذاك إلى الأمة الأقوى في الساحة العالمية، الأمة التي تهاوت وتساقطت أمامها جيوش دول كبرى، وامبراطوريات ضخمة آنذاك قائمة على وجه الأرض، كان ذلك بالجهاد.

١٩

مستوى التحديات، والحالة العدائية الشديدة جدًّا، التي واجهها النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في محيطه العربي، والعرب كانوا آنذاك شرسين **جدًّا** في القتال، وأشداء **جدًّا** في القتال في العصر الجاهلي، وكانوا يقاتلون على أبسط الأمور أشرس القتال وأشده، فتحرّكوا وارتبط معهم أيضاً الخبث اليهودي، تحالفوا مع اليهود ضد رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وضد المسلمين، وكان المسلمون قلة في العدد،

١- آل عمران: من الآية ١٢٣

وكانت إمكاناتهم متواضعة، ويعيشون الظروف الصعبة، ويتحركون بالممكن، والمستطاع، والحاصل، فيتحركون ويأخذون بأسباب النصر، لكن كان أداء رسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله ونشاطه المكثف، الذي استمر- كما قلنا بالأمس- استمر من الشهر السابع في السنة الأولى للهجرة، الذي هو بعث السرايا المقاتلة، والاستكشافية، والعسكرية، استمر بعد ذلك أيضاً معه الغزوات الكبرى بشكلٍ مكثف، لم يتوقف ولا لعامٍ واحد، بل في العام الواحد في معظم الأشهر، في شهر كذا سريةٌ إلى مكان كذا، وفي شهر كذا سريةٌ إلى مكان كذا، وحرّك الضربات الاستباقية، التي أبطل بها وأفشل فيها الكثير من المؤامرات، وبنشاط مكثف على مستوى التعبئة للمسلمين، والتحريض المستمر لهم، لم يكن يسكت عن موضوع الجهاد، ويعتبره من الأمور التي يُسكَت عنها، فلا يُتكَلم بها، لا في خطبة، ولا في جمعة، ولا في جماعة، ولا في أي مناسبة، الله قال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[1]، ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فكان يستمر في تحريضهم، في تشجيعهم، في إثارتهم للانطلاقة في سبيل الله سبحانه وتعالى، وعلى المستوى العملي في تحريكهم في السرايا، والتحرك في الغزوات الكبرى أيضاً، وبشكلٍ مكثف، حتى الرمق الأخير، عندما كان في مرضه الذي توفي فيه صلواتُ الله عليه وعلى آله، وهو يعدّ قوةً عسكرية لتتحرك في مواجهة الروم، حتى في تلك اللحظات، فكان من آخر ما ختم به حياته صلواتُ الله عليه وعلى آله، وهو يحضِّر، ويعدّ، ويجهِّز، ويؤكِّد، ويدفع في تحريك تلك الغزوة، غزوة أسامة، وللأسف لم تتحرك تلك الغزوة، وتوفي قبل أن تتحرك.

على كلٍّ يُعتبر هذا الموضوع مهماً لهذا الأمر: لدفع شر الأعداء، للحصول على النصر في سبيل الله سبحانه وتعالى، الأعداء يتحرّكون بعدائيةٍ شديدةٍ، وباهتمامٍ كبير،

١- الأنفال: من الآية ٦٥

٢- النساء: من الآية ٨٤

وهذا مؤسف، أن يكون أعداء المسلمين أكثر اهتماماً من المسلمين، وأكثر جديةً وهم في موقع العدوان على المسلمين، فيتحركون بجديةٍ كبيرة، واهتمامٍ كبير، وينشطون في مختلف المؤامرات التي يستهدفون بها الأمة، وفي كل المجالات.

الله يقول ﷻ فيما يتعلق بهذا الجانب: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾[1]، **فمثَّل التحرك في سبيل الله، والاستجابة لله ﷻ، عاملاً مهماً في أن تحظى الأمة بنصر الله وتأييده، فينصرها على أعدائها.**

الأمة بحاجة في مواجهة التحديات والأخطار إلى معونة الله، إلى أن يكون الله معها، بحاجةٍ إلى الله، فإذا أردنا أن يكون الله معنا، وأن ينصرنا على أعدائنا، وأن يؤيِّدنا على أعدائنا، لابدَّ أن نستجيب له الاستجابة الكاملة، الاستجابة الصادقة، فنتحرك في سبيله بدافعٍ إيماني، والتزامٍ إيماني في أدائنا العملي، وأن نسعى لأن تكون استجابتنا استجابةً كاملة، فيكون الله معنا، فينصرنا على أعدائنا، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وجوب التحرك الجهادي القوي لدفع طغيان أعداء الأمة

١٩ **والأعداء هم شديدو العداء لأمتنا**، وهم متوحشون، مجرمون، عندما يتمكنوا من السيطرة؛ **يبطشون** بالأمة، يظلمونها، يقهرونها، ينتهكون الحرمات، لا يعطون أي اعتبار لأي شيء، **وهذا ما ثبت في كل مراحل التاريخ وإلى اليوم:** وحشية الأعداء، إجرامهم، طغيانهم، استهتارهم بالكرامة الإنسانية، انتهاكهم للحرمات، يقتلون بأبشع جرائم القتل، وبإباداتٍ جماعية، حصل هذا في تاريخنا المعاصر فيما تفعله إسرائيل، وفيما فعلته أمريكا في العراق، وفي غير العراق، وفي أفغانستان، وفيما يفعله المنافقون

١- النساء: الآية ٨٤

الذين يقاتلون في صف أمريكا وإسرائيل، مثلما يفعلونه عندنا في اليمن، القتل بطريقة إجرامية ووحشية، العدوانية الواضحة، الاستهتار بكل شيء، الانتهاك للحرمات، الاغتصاب للنساء والأطفال، الجرائم البشعة والمتنوعة.

ظلمهم، وشرهم، وإجرامهم يحتاج إلى ردع، هذا الردع يأتي عن طريق التحرك الجهادي القوي، الذي ترتقي فيه الأمة، وتصل في نهاية المطاف إلى النصر الحاسم، وإلى الردع الكامل، فيردعون أعداءها.

قال الله عنهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[1]، **فهم في حقدهم وإجرامهم إلى درجة ألَّا يرقبوا فيك أي اعتبار:** لا عهوداً، ولا التزامات... ولا أي شيءٍ يمكن أن يكونوا قد طمأنوك به، أو تكون أنت قد فكرت أنهم سيراعون ذلك الاعتبار، سيتركونك، لن يتجرؤوا على أن يفعلوا بعض الأمور لاعتبارات معينة، كل الاعتبارات تنتهي، عندما تكون المسألة ما يفعلونه بالمؤمنين، بالمجتمع المسلم، لا يبقى هناك قيود ولا حدود، كل شيءٍ يستباح، تاريخنا المعاصر أثبت ذلك، التاريخ في الماضي أثبت ذلك، القتل الذريع للناس، استباحتهم في حياتهم، في حرمتهم، في كرامتهم... في كل شيء، وتحصل المآسي الكبرى في ظل ذلك.

استنطقوا التاريخ الماضي، واستنطقوا التاريخ المعاصر، ماذا حدث من المآسي الكبرى، من الكوارث الكبرى، من الفظائع الكبرى، جرائم رهيبة **جدًّا** في القتل الجماعي، جرائم شنيعة في انتهاك الأعراض والحرمات، جرائم كبيرة **جدًّا** واضطهاد للناس في كل شيء، حالة رهيبة **جدًّا**، ولكن الذاكرة العربية هي ذاكرة ضعيفة، ذاكرةٌ تنسى، تنسى، تمر أحداث، ينساها الناس، ومع ذلك غُيِّبت الكثير من الحقائق عن المناهج الدراسية، غُيِّبت عن التعليم والنشاط التعليمي، غُيِّبت عن الإعلام، لا تتم إعادة التذكير بها؛ **لكي** يتذكر الناس من جديد.

١- التوبة: الآية ١٠

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[١]، أحياناً قد يطلقون العبارات التي توحي بما يطمئن الناس، تقدِّم ما هو استرضاءٌ للناس، ولكن وراء ذلك: ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢].

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣]، **(تَـرَى)** تـرى سـلوكاً ظاهـراً، سياسـةً واضحة، ممارسات حقيقية في أرض الواقع، يُسَارِعُونَ مسارعة عند أي فرصة، طالما هناك ظروف مهيأة، ليس هناك رادع يردعهم، ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، لا يحتاجون إلى استثارة، لا يحتاجون إلى مشاكل كبيرة أزعجتهم فحركتهم، **هم عدوانيون**، أهم شيء لديهم أن تتوفر الفرص الملائمة لذلك، فإذا أصبح هناك ردع، أصبحوا يعيدون الحسابات، وحينها يرتدعون.

كيف كان العدو الإسرائيلي يسارع في الهجوم على مختلف البلدان العربية، كان أحياناً يختلق الذريعة؛ **ليبني** عليها عملاً عدائياً معيناً، كيف أصبحت حالة الردع في لبنان، عندما أصبح هناك أمة مجاهدة، قوية، مؤمنة، ارتقت في عملها الجهادي والإيماني إلى مستوى الردع، أصبح يحسب ألف ألف حساب لأي عمل يريد أن يقدم عليه، غابت تلك الجرأة التي كان يسارع فيها مسارعة لاكتساح الميدان، تغيرت الأمور، في غزة كذلك أصبحت الظروف مختلفة، عندما أصبح هناك مجاهدون، وارتقوا في جهادهم، كلما استمرت الأمة، **الاستمرارية مسألة أساسية في أن تزداد قوةً ومنعةً، وفي أن تترجم التزامها الإيماني المستمر، الذي تحظى فيه بمعونة الله «تبارك وتعالى».**

١٩

١- التوبة: من الآية ٨
٢- التوبة: من الآية ٨
٣- المائدة: من الآية ٦٢

الجهاد أهم حافز ودافع لبناء الأمة وقوتها ونهضتها

الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يطول الكلام عنه كثيراً كثيراً في القرآن الكريم، ولا يتسع المقام للحديث عن كل جوانبه، لكن **من أهم ما يجب أن نعيه عنه: أنه أيضاً عاملٌ مهمٌ في بناء الأمة وقوتها، وعاملٌ لنهضتها،** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عندما قال في القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]، هذه الآية لوحدها لو عمل بها المسلمون، لما كانوا وصلوا في هذا الزمن إلى ما وصلوا إليه من الضعف، لكانوا هم أقوى الأمم، وأمنع الأمم، وأعز الأمم بكلها، ولكي ينهضوا من جديد، لكي يتحولوا إلى أمةٍ قوية من جديد، **لابدَّ لهم من العمل بهذه الآية،** أن يستشعروا الخطر، والتحدي المتمثل بعدوهم، **وأن يتجهوا لإعداد كل ما يستطيعون من القوة في كل المجالات:** على المستوى العسكري القوة العسكرية، على المستوى الاقتصادي... على كل المجالات، **تكون القوة وامتلاك القوة في إطار الإيمان هي عنوانٌ أساسيٌّ، وهدفٌ رئيسيٌّ لأنشطتهم وتحركاتهم.**

١٩

للأسف الشديد كان البديل عن ذلك هو: عنوان الضعف، والتلاشي، وترك كل عوامل القوة، وكل أسباب القوة، **من أهم ما في الجهاد في سبيل الله: أنه يمثل دافعاً، إلى درجة أن يكون دافعاً ضاغطاً بامتلاك القوة؛ لأنك** عندما تكون في ميدان المواجهة، وأنت تنازل العدو، وتواجه العدو، تدرك أهمية القوة، وقيمة القوة، وأهمية أن تمتلك المزيد والمزيد من القوة، فتسعى لذلك، عندك الحافز، عندك الدافع.

١- الأنفال: الآية ٦٠

لاحظوا، في بركة الجهاد في عصرنا هذا، في زمننا هذا، في واقع حزب الله، في واقع المجاهدين في فلسطين، في واقع الجمهورية الإسلامية في إيران، في واقع المجاهدين في العراق، في واقع المجاهدين في كل بقعةٍ من بقاع العالم الإسلامي، عندنا في اليمن، الواقع الذي يتجه فيه الناس لمواجهة التحديات، وهم يعتمدون على الله في موقف الحق، ويمتلكون القضية العادلة، ويتحركون في سبيل الله تعالى، وهم يواجهون التحديات، يشعرون بضغط الواقع، بطبيعة الظروف والتحديات، من الأوجاع والآلام في ميدان المواجهات والأحداث، يتجهون بجدية، بحافز كبير، باهتمامٍ كبير، **إلى** امتلاك القوة، **إلى** صناعة القوة، إلى تطوير وسائل القوة، **إلى** الأخذ بكل أسباب القوة، تصبح هذه مسألة مهمة بالنسبة لهم، الآخرون لا يشعرون بأهمية الأشياء، ولا الحاجة إليها؛ **لأنهم** ليسوا في وارد أن يهتموا بذلك أصلاً، وأن يتحركوا على أساس ذلك أصلاً.

تعطيل فريضة الجهاد من أهم عوامل ضعف الأمة، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في كل المجالات: ضعفها اقتصادياً، ضعفها عسكرياً... ضعفها في كل المجالات، حتى على المستوى الحضاري والنهضة الحضارية.

الآخرون اتجهوا وكأن الآية نزلت إليهم، كأن الآية هذه نزلت في أمريكا على الأمريكيين، أو على الأوروبيين، أو على الصينيين، أو على الروس... أو على أيٍّ من تلك الأمم الأخرى، كأنهم هم أصحاب هذا الشأن، كأنهم من خُوطِبوا، فاتجهوا بكل ما يستطيعون، ويستمرون على ذلك، ويصبح بالنسبة لهم الموضوع موضوعاً رئيسياً، وسعياً مستمراً في امتلاك المزيد والمزيد من القوة، والاتجاه نحو أن يكونوا أقوى وأقوى، وهذا نهض بهم، أفادهم في دنياهم.

المسلمون حين عطَّلوا هذا الجانب، خسروا في دينهم ودنياهم، تضرروا كثيراً، ضعفوا، قهرهم أعداؤهم، أذلهم أعداؤهم.

ولذلك من بركات الجهاد: أن الأمة تتجه، ولديها الحافز الكبير، وهو: التحدي، والخطر، والمواجهة، والحاجة، إلى المزيد والمزيد من القوة، إلى مستوى صناعة السلاح العسكري، والعتاد الحربي، وصناعة المتطلبات المتنوعة، وتوفيرها، وتطوير كل الوسائل الممكنة، فيمثل فعلاً عامل نهضة، عامل قوة، تتجه الأمة إلى أن تبني نفسها، تُقَوِّي واقعها، أن تُعِدَّ ما تستطيعه من القوة في كل المجالات، **والقوة هذه يجب أن تكون قبل كل شيء قوة الإيمان،** أن تكون قوة الإيمان، إذا توفرت قوة الإيمان، قوة الوعي، تجعل الناس يتجهون في الميدان بكل ثقة للإعداد.

وهنا لاحظوا، إلى درجة أنَّ الله أراد للمسلمين أن يمتلكوا القوة إلى درجة أن يمتلكوا الردع في مواجهة أعداء الله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، هذا ما يسمى في المصطلحات المعاصرة والتعبير المعاصر بـ(الردع)، **يعني:** أن تمتلكوا من القوة، ومظاهر القوة، وأن تعدُّوا من القوة، وفي مقدمتها القوة العسكرية، إضافةً إلى كل عناصر القوة التي تتطلبها المواجهة، ما يردع أعداءكم عنكم، ما يجعلهم يحسبون لكم ألف حساب، ما يجعلهم يتهيَّبون من مواجهتكم، ما يجعلهم ينظرون إليكم إلى أنكم أمة قوية، يصعب كسرها، يصعب السيطرة عليها، يصعب إذلالها، وأن مواجهتها ستسبب كلفة كبيرة على العدو، وتخسِّره كثيراً، وأنه قد يهزم في مثل تلك المواجهة ويخسر، ولا يصل إلى المطلوب.

هذه النتيجة يجب أن يسعى لها المؤمنون، أن يعوا أهميتها، أن يدركوا قيمتها وإيجابيتها، وأنها هي التي ترتقي بالأمة إلى مستوى التغلب على التحديات والصعوبات؛ **وبالتالي** التغلب على العدو.

شواهد من الواقع المعاصر

عندما نشاهد مثلاً: في واقعنا المعاصر، كمثال واضح، وظاهر، **وقائم:** الجمهورية الإسلامية في إيران، قوة هناك يعاديها الغرب أشد عداء، أمريكا وإسرائيل تعتبرها العدو الأول في المنطقة، في كل المراحل الماضية، منذ قيام الثورة الإسلامية وإلى اليوم، هناك تحريض أمريكي إسرائيلي شديد **جدًّا** ضدها، واستنفار ودفع بالآخرين لعدائها، لكن هناك تهيُّب أمريكي إسرائيلي، مع وجود العداء الشديد، والحقد الشديد **جدًّا**، تهيُّب كبير من الدخول في حربٍ مباشرة معها، لماذا؟ لأنهم ينظرون إليها كقوة، وقوة تنامت، ويقلقون من تناميها أكثر وأكثر.

أيضاً مثلاً: في لبنان، في غزة، كيف أصبح العدو الإسرائيلي يتهيَّب كل عام أكثر فأكثر من الدخول في مواجهة مع حزب الله، أو مع المجاهدين في فلسطين؛ **لأنه** يعتبرهم باتوا أقوى، كلما كانوا أقوى؛ كلما تهيَّب من مواجهتهم أكثر.

تحالف العدوان اعتبر نفسه حتى هو في الأخير أنه دخل في ورطةٍ كبيرة في المواجهة مع شعبنا، وفي العدوان على شعبنا، أنه تورَّط، وباتت مسألة التوصيف لما وقع فيه بأنه وقع في ورطة مسألة معروفة، **لماذا**؟ لأنه اصطدم بشعبٍ مسلمٍ، فيه أمةٌ مجاهدة، تتصدى له، وتتحرك في مسارٍ تصاعدي في المواجهة، وفي أن تكون أكثر قوةً في هذه المواجهة، ولمس- حتى هو العدو- أنَّ هؤلاء الذين يواجهونه في الميدان باتوا بعد كل مرحلة أقوى مما كانوا عليه سابقاً.

كلما كانت الأمة أقوى؛ كلما تهيّب العدو من مواجهتها، من العدوان عليها، لكن كلما كانت أضعف، كلما كان أكثر جرأة عليها، **ويأتي عنوان القوة إلى كل شيء:** الإعداد العسكري، الأخوّة، التعاون، قوة الوضع الداخلي في تماسكه، فيما هناك من تعاون، من تظافر للجهود، كل عوامل القوة التي أرشد الله إليها في القرآن الكريم **يجب** العمل عليها، كلها مهمة، كلها لابدَّ منها.

وهكذا نجد في كل الأشياء، في كل الجوانب، أهمية الجهاد في سبيل الله، وأنه خيرٌ للأمة، الله قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾، فيما يتعلق بالمزاج الشخصي، والنظرة المغلوطة تجاه الموضوع، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، لا تعتمدوا على مزاجكم الشخصي، انظروا إلى الأمور نظرةً واقعية، وانظروا إليها بعين البصيرة، واستنيروا بنور الله؛ **لتروا** أنَّ في هذا الخير لكم، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

الواقع اليوم يفرض علينا التحرك بروحية جهادية

الأمة في مثل هذه الظروف تجاه هذه التحديات، أعداؤنا يستهدفوننا في كل شيء، حربهم قائمة منذ زمانٍ طويل: حرب سياسية، حرب اقتصادية، حرب عسكرية، حرب أمنية، حرب ناعمة، للإفساد، وللتضليل، حرب بكل أشكالها، **لابدَّ أن نكون في واقعنا الإيماني مجاهدين في سبيل الله، نحمل الروحية الجهادية؛ لكي** نكون في إطار التصدي لكل أشكال حرب العدو، وللأخذ بكل أسباب القوة، وأسباب النصر الإلهي، **وإلَّا معنى ذلك:** أن يخسر الناس، إذا انتصر العدو عليك، سواءً في حربه الناعمة، أو الصلبة، في أي مجالٍ من المجالات؛ **هذا** نتاجٌ لتقصيرك، لإهمالك، لغفلتك، **عندما**

١- البقرة: الآية ٢١٦

تكون الأمة في حالة غفلة، في حالة تنصلٍ عن المسؤولية، في حالة برود، في حالة إهمال، في حالةٍ تتعامى فيها عن المخاطر الحقيقية عليها، فهي حالةٌ خطيرةٌ عليها في الدنيا والآخرة.

لو ارتضت أمةٌ، أو شعبٌ، أو ناسٌ، أو قومٌ، أو جماعةٌ، لنفسها أن تخضع لأعدائها في هذه الحياة، أن تستسلم، ألَّا تكون في موقع التحدي، في موقع التصدي، في موقع المواجهة، وأن تكون في حال التنصل عن المسؤولية، والتمكين للعدو، والتماشي مع ما يريده العدو، وترك المجال أمام العدو ليفعل ما يشاء ويريد، والخضوع ضمن ذلك لما يفرضه العدو، فهذه الحالة حالةٌ خطيرةٌ **جدًّا**، لن يرضاها لنفسه شخصٌ، أو قومٌ، أو ناسٌ، أو مجتمعٌ، **إلَّا** وقد أصبحوا خالين من الإيمان، الإيمان له أثر عظيم في سمو النفس، في كرامتها، في عزتها، في إبائها، في حبها للخير، في كرهها للظلم، في مقتها للفساد، وأيضاً فقدوا كرامتهم الإنسانية، لم يعد لديهم حتى القيم الفطرية الإنسانية العادية، في أن يكونوا أحراراً، في أن يكونوا أعزاء، في ألَّا يذلوا، ألَّا يضاموا، ألَّا يقهروا، ألَّا يهانوا.

ولكن حتى لو رضي البعض لأنفسهم كل ذلك، فالخطر هو ما وراء ذلك: جهنم والعياذ بالله، جهنم، **لو رضيت أمةٌ لنفسها بالهوان، وكان** ١٩ **خيارها الاستسلام، وخضعت للأعداء وذلت، وهانت لهم، وقبلت بما يريدونه منها، وفرضوا عليها ما أرادوا أن يفرضوه فيها، فخضعت لهم فيما هو معصيةٌ لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وذلٌ، وهوانٌ، وخسران، فوراء ذلك جهنم،** وراء ذلك جهنم، ذلٌ في الدنيا، اضطهاد، قهر، ضيم، هوان، خزي، دناءة، انحطاط، فساد، سقوط، ووراء ذلك جهنم والعياذ بالله، ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾، المسألة تضركم أنتم، المسألة خطيرةٌ عليكم أنتم.

١- التوبة: الآية ٣٩

ولذلك يجب أن يكون الإنسان المؤمن، الذي يعتبر نفسه في طريق الإيمان، في موقع التصدي، يحمل الروحية الجهادية تجاه مؤامرات الأعداء، ويحمل الوعي؛ **لأن جانباً أساسياً من المعركة مع العدو:** هو معركة الوعي، وأن نتسلح بالوعي، هو من أهم السلاح الذي **يجب** أن نتسلح به، وأن نحمله في مواجهة العدو؛ **لكي** ننازله في الميدان في كل مجال.

أعداؤنا يحقدون علينا على المستوى الديني والإيماني، ويعبِّرون عن حقدهم في كل زمان، بكل الوسائل، عن حقدهم على قرآننا، عن حقدهم على رسولنا، عن حقدهم على مقدساتنا، عن حقدهم حتى على شعائرنا الدينية، يتضح هذا في ممارساتهم.

كم يتحركون في الغرب- وآخرها ما كان في السويد- لإحراق المصحف الشريف، لماذا هذا؟ لماذا سعيهم لإحراق المصحف الشريف، أقدس المقدسات لدى الأمة الإسلامية، ولدى المسلمين؟ حقد، كره، عداء شديد لك أنت، ولدينك، ولمعتقدك، ولما تعتز به، واستفزازٌ كبيرٌ للمسلمين، واستهانة، وتحدٍ لكرامتهم، وإساءة إلى المسلمين كبيرة **جدًّا**.

كم يصدر من إساءات إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في المجتمع الغربي؟ كم يحصل من تعدٍ على المسلمين في شعائرهم الدينية، واستهداف لمقدساتهم؟ ما الذي يحصل في فلسطين كل يوم؟ لا يكاد يمر يوم إلَّا ويحصل استهداف وانتهاك لحرمة المسجد الأقصى، واعتداء على المصلين، حقد علينا على مستوى انتمائنا الديني.

١٩

لو وصلت الأمة إلى درجة ألَّا يمثل لها دينها، مقدساتها، رمزها العظيم: رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، **كتابها المقدس العظيم: القرآن الكريم المجيد، ألَّا يمثل لها أي قيمة، ويرى الأعداء ذلك، هذا يجعل منها أمةً رخيصةً تافهة، ولقمةً سائغةً لأعدائها، ولا تمثل أي شيء،** إذا لم يبق لدى الأمة اعتزازٌ بدينها، اعتزازٌ بمقدساتها، ولم تعد تغضب حتى لأهم ما **يجب** أن يعتز به الإنسان المؤمن، وأن يقدسه، وأن يعظمه، ثم لا يعد يبالي بذلك، فهو إنسانٌ لم يبق لديه أي شيءٍ يمثل أهمية، أصبح لا شيء في هذه الحياة، سهلاً أمام الأعداء، رخيصاً، تافهاً، لا قيمة عنده لشيء، ولا أهمية عنده لشيء.

على مستوى حياتنا، نحن أمة يطمع أعداؤها في السيطرة عليها كثروة بشرية، في السيطرة على مقدراتها، في السيطرة على أوطانها، في السيطرة على موقعها الجغرافي، في الاستغلال لها، في الاستعباد لها.

لا يحمينا تجاه كل هذه التحديات إلَّا أن نحمل الروحية الجهادية، أن نتحرك في سبيل الله، وفق الطريقة التي رسمها الله لنا؛ لنحظى بنصره، بمعونته، بتأييده.

١٩

ما يحصل من استفزازات، وانتهاكات، يجب أن يكون للأمة صوتٌ تجاهه، أن تحتج، أن تعترض، أن تبدي غضبها، أن تتكلم بالحد الأدنى، إذا وصلت الأمة إلى درجة ألَّا تتكلم حتى الكلمة، ألَّا تقول شيئاً تجاه ما يفعله أعداؤها، فهي حالةٌ خطيرةٌ على هذه الأمة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأنها** حالة شنيعة دنيئة من التنصل التام عن المسؤولية، والخنوع التام، وحالة خطيرة **جدًّا** تُطمِع أعداءها **جدًّا** فيها، ويرون فرصتهم السانحة للاستهداف لها، والسيطرة عليها في كل شيء، فتخسر دينها ودنياها.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

كان من أبرز الأحداث وأكبر المآسي في تاريخ الأمة، التي وقعت في شهر رمضان، وكانت في شهر رمضان لسنة أربعين من الهجرة النبوية، في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان آنذاك، أن استهدف أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وسيِّد الوصيين علي بن أبي طالبٍ عليه السلام، وهو خارجٌ في مسجده لأداء

صلاة الفجر في جامع الكوفة، وهو يتقدَّم لصلاة الفجر، فأصيب في عمليةٍ استهدافيةٍ غادرة، **استهدفه فيها أشقى الأشقياء:** ابن ملجم لعنه الله.

وفي الليلة الثالثة للضربة تلك، ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان آنذاك، التحق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرفيق الأعلى شهيداً فائزاً سعيداً، في اللحظة التي أصيب فيها بالسيف على رأسه الشريف، **قال كلمته الشهيرة التي سجلها التاريخ:** **((فزت وربِّ الكعبة)).**

ذلك الاستهداف كان من أكبر المآسي في تاريخ الأمة، التي امتدت تأثيراتها السيئة على الأمة جيلاً بعد جيل، وما حدث لم يكن مجرد واقعةٍ عاديةٍ، استهدفت شخصاً يحكم الدولة الإسلامية، فأتى بديلاً عنه شخصٌ آخر، الأمر يختلف كلياً، **الذي استهدف بتلك الضربة الغادرة هو:** أمير المؤمنين، سيِّد الوصيين، إمام المتقين، هو من قال عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مبيِّناً منزلته، مقامه العظيم عند الله، **دوره في الإسلام وحركة الإسلام، علاقته بالأمة:** **((أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنه لا نبي بعدي)).**

فالذي أصيب في ذلك الاستهداف الغادر، هو من له هذه المنزلة، من له هذه المرتبة، التي هي المرتبة الثانية بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، **في** مقامه الإيماني العظيم، وكماله الإيماني العظيم، **في** منزلته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **في** دوره العظيم في نصرة رسول الله صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ومؤازرته، **وفي** العمل على إقامة الإسلام، **وفي** الجهاد في سبيل الله، **وفي** التصدي لكل أعداء الإسلام الذين حاربوه في عصر الرسالة الأول، **في** كل ما يتعلق بمسيرة الإسلام، وأيضاً **في** طبيعة دوره في الأمة، فيما بعد وفاة رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وامتداد المسيرة الإسلامية وفق أصالتها.

٢٠

كيف؟ ولما استهدف الإمام علي عليه السلام؟

فها هو أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك المقام العظيم، والمنزلة العالية، يُستهدف بسيفٍ محسوبٍ على أنه من الأمة، منتسبٌ إلى الأمة، وإن لم يكن في واقع الحال يمكن أن يكون منها من يرتكب جرماً فظيعاً عظيماً مهولاً بذلك المستوى، ولكن كان هناك أيضاً تخطيطٌ لهذه العملية، ولم تكن مجرد تصرفٍ شخصيٍ، نابعٍ من قرارٍ شخصي، كان وراء ذلك تدبيرٌ وسعيٌ من حركة النفاق في هذه الأمة، التي تزعَّمها وحمل لواءها الطغيان الأموي في تلك المرحلة.

أمير المؤمنين عليه السلام بمقامه العظيم عند الله، ومنزلته العالية عند الله سبحانه وتعالى، يتبين لنا من خلال هذا الاعتبار أن ننظر إلى فظاعة ما حدث، إلى هول الجريمة، إلى شناعة تلك الجريمة، وهي تطال ولياً من أولياء الله، من صفوة أولياء الله سبحانه وتعالى.

في القرآن الكريم يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن فظاعة جريمة استهداف أي إنسانٍ مؤمنٍ، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، على مستوى مؤمنٍ واحدٍ، من أي المؤمنين، من سائر المؤمنين، لا يُشترط أن يكون قد بلغ أعلى مراتب الإيمان، هذا الغضب من الله سبحانه وتعالى إلى هذه الدرجة: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، من أكبر الوعيد الذي أتى في القرآن الكريم، وهو وعيدٌ على جريمةٍ محددة، هناك في القرآن الكريم يتكرر الوعيد على جرائم محددة، ولكن يبرز هذا الوعيد الشديد، الذي يبين غضب الله الشديد، والعذاب العظيم؛ **وبالتالي** يبين شناعة تلك الجريمة، فما بالك

٢٠

١- النساء: الآية ٩٣

عندما يكون المستهدف هو مولى المؤمنين، هو أكمل المؤمنين إيماناً، هو أعلاهم مرتبةً في إيمانه، وأسبق الأمة في إيمانها برسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وعلى مستوى عظيم، إيمانٌ متميزٌ بالكمال والسبق بما لا مثيل له في هذه الأمة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال أيضاً في حديثٍ قدسي مروي: ((من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة))، من يعادي ولياً من أولياء الله، فعلى ماذا يعاديه؟ إلَّا على ما يحمله من الإيمان، ما يتحرك به في إطار الحق، يعاديه من أجل موقفه الحق، من أجل ما يقوم به ويتحرك به مما يجسِّد إيمانه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وامتثاله لأمر الله جَلَّ شَأْنُهُ.

فالعداء مثلاً لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن مجرد عداءٍ لشخصه، أو لاسمه؛ **إنما** لما كان يحمله علي، لما كان يمثله علي، لدور عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الأمة، ودوره كله مرتبطٌ بحركة الرسالة الإلهية، يجاهد من أجل إقامتها، من أجل الدفاع عنها، من أجل إرساء دعائمها في أوساط الأمة، فهو الذي كان دائماً في واقعه، فيما يحمله، في ثقافته، في وعيه، في علمه، فيما يقدِّمه، فيما يعمله، في مواقفه، مقترناً بالقرآن الكريم، لا ينفك عنه، **هو الذي قال عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي))**، هذا التلازم الذي لم يفارق عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ للحظةٍ واحدة، هذا التلازم الذي كان حاضراً في كل حياة عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، في كل مواقف عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، في كل حركة عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان قرآناً ناطقاً، جسَّد تعاليم القرآن، وقف مواقف القرآن، ما يقدمه للأمة يقدمه من نور القرآن، تلازمٌ مستمرٌ منذ يومه الأول في الإسلام، وإلى أن التحق بالرفيق الأعلى شهيداً سعيداً فائزاً، **بعد أن قال كلمته الشهيرة: ((فُزتُ وَربِّ الكعبة))**.

٢٠

عـليٌّ عليه السلام **الـذي كان يُجَسِّـدُ الحـق في كل تعاليمـه،** في كل مواقفـه، في كل حكمـه، في كل حركتـه، وكان هـذا التلازم أيضاً لا ينفـك عنـه للحظةٍ واحـدة، **كان كما قال عنه رسول اللـه** صلى الله عليه وآله**: ((عـليٌّ مع الحق، والحـق مع عـلي))،** فـكان دائماً يقـف موقف الحـق، وكان دائماً يتحـرك بالحـق، يُقـدِّم الحـق، يربـط الأمة بالحـق، **الحـق هـو العنـوان الرئيسي لـكل حركتـه، لـكل مواقفـه، لـكل أعمالـه.**

في مقامـه العظيـم عنـد الله، وهـو الذي يقول الرسـول صلوات الله عليه وعلى آله **في حديث الغدير بشـأنه: ((اللهـم والِ مـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه))،** فمـن يعاديـه، فهو عـدوٌّ لله، عـدوٌّ للإسـلام، عـدوٌّ للرسـول صلى الله عليه وآله**؛ وبالتـالي** نعـرف مـا هـو مصـير مـن هـو كذلـك.

الإمـام عـليٌّ عليه السلام **بتلـك المنزلـة العظيمـة عنـد اللـه،** وفيـما يعنيـه لنـا كمسـلمين، مـن توجهـت إلينـا كلـمات الرسـول صلوات الله عليه وعلى آله، وهـو يعرِّفنـا عـن مقـام عـلي، عـن دور عـلي، عـمَّا يعنيـه لنـا عـلي، **أنَّ حبـه إيمـان،** فـإذا كنـا مؤمنـين، ومـن يريـد أن يكـون مؤمنـاً لابـدَّ لـه أن يكـون محبـاً لعـليٍّ عليه السلام، **وأنَّ بغضـه نفـاق،** فمـن يبغـض عليًّـا، ويكـره عليًّـا، وينزعـج مـن عـلي، ويسـتاء مـن عـليٍّ عليه السلام**؛ فهـو** منافـق، ولم يدفعـه إلى ذلـك إلَّا نفاقـه، لم يجعلـه عـلى ذلـك المسـتوى مـن البغـض للحـق، والإيمـان في صورتـه الناصعـة، والكـمال الإنسـاني في أرقـى صـوره وأشـكاله، إلَّا تلـك الحالـة غـير السـوية، التـي هـي حالـة نفـاق.

لا يتعـب الإنسـان حتـى يكـون محبـاً لعـلي، لا يحتـاج ذلـك إلى عنـاء، بمجـرد أن تتعـرف عليـه، فـترى كمالـه الإنسـاني الـذي عـبَّرت عنـه سـورة الإنسـان، وتـرى كمالـه الإيمـاني، وهـو أرقـى نمـوذجٍ في الأمـة، مـن أتبـاع رسـول اللـه، مـن المؤمنـين برسـول اللـه، الـذي تجسَّـدت فيـه كل المواصفـات الإيمانيـة عـلى أرقـى مسـتوى، كـما وردت في القـرآن الكريـم، بـكل جمالهـا، وجلالهـا، وروعتهـا، وجاذبيتهـا.

على مستوى الفطرة، الإنسان ينشد إلى أصحاب الكمال الإنساني، أصحاب الكمال الأخلاقي، أصحاب الكمال الإيماني، يحبهم، هي الفطرة البشرية، فإذا كان الإنسان على حالةٍ مغايرة، فهو شاذٌ عن الفطرة، **وهي حالة النفاق التي تجعل الإنسان يشذ عن فطرته، فلا يبقى إنساناً سوياً حتى في مشاعره.**

عليٌّ عليه السلام في دوره الكبير فيما يتعلق بالرسالة الإلهية، وهو: وزير رسول الله، ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى))، هو المؤازر، **((إلَّا أنه لا نبي بعدي))**، ليس بنبي، هو وصي، وصي رسول الله، هو إمام المتقين، وسيد الوصيين، وأمير المؤمنين، هو ولي المؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1]، في هذا الدور المهم الذي يمثل امتداد الرسالة الإلهية بكل أصالتها، ونقائها، وصفائها، ومن دون الشوائب، التي سعت حركة النفاق إلى أن تلوثها بها؛ **حتى** تشوّه الإسلام، وتحرِّف معالمه، ندرك من خلال ذلك كله فظاعة ما حدث، شناعة ذلك الاستهداف، آثاره السيئة، وما يمثله من جريمةٍ كبيرةٍ **جدًّا.**

من مقامات الإمام علي لنصرة الإسلام ومدلولها المتميز

هو في واقع الحال عندما حصل من ساحة الأمة، من الداخل، كان شاهداً واضحاً على طبيعة الانحراف، وعلى حقيقة المشكلة التي وقعت في تاريخ الأمة، وطبيعة الدور الذي كان يقوم به أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في تصديه لتلك المشاكل.

أمير المؤمنين عليه السلام يمثل ما كان له الدور العظيم في حركة الإسلام، منذ بداية حركة الإسلام، وهو أول المسلمين إسلاماً، وأعظمهم إيماناً، وأعظمهم إسهاماً في نصرة الإسلام، في مؤازرة النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله،

١- المائدة: من الآية ٥٥

في العمل على إحقاق الحق، في التصدي للأعداء، والتصدي لكل الأخطار التي كانت تحيط بالمسلمين وبالإسلام، في كل المرحلة التي يمكن أن نسميها بمرحلة التنزيل، مرحلة نزول القرآن الكريم، وحركة النبي صلوات الله عليه وعلى آله بالرسالة في تبليغها؛ **لإخراج** الأمة من حالة الشرك والكفر، إلى نور الإسلام.

في تلك المرحلة كان دور عليٍّ عليه السلام **دوراً متميزاً وبارزاً**، فكان هو الرجل الاستثنائي، في كل المحطات الاستثنائية، **وفي كل المراحل والتحديات الاستثنائية والخطيرة:**

كان هو في معركة بدر وغزوة بدرٍ الكبرى الأعظم إسهاماً، والأكبر أثراً في عطائه، في تضحيته، في استبساله، في تفانيه، فيما حققه الله على يديه من ضرباتٍ منكِّلةٍ بالأعداء، وبرز في غزوة بدرٍ دوره الكبير والمتميز، وإسهامه العظيم في المعركة، بما هيَّأه الله على يديه.

وفي أحد كان له الدور المحوري والمتميز جدًّا، وبالذات مع الانتكاسة التي حصلت للمسلمين، وما كان إثرها من تهديد لحياة النبي صلوات الله عليه وعلى آله، فثبت أمير المؤمنين عليه السلام مع القلة القليلة ممن ثبتوا، وكان في تفانيه، واستبساله، وأدائه العظيم، وما حظي فيه من معونة الله، وتوفيقه، وتأييده، ونصره، إلى الدرجة
٢٠ التي أثارت إعجاب جبرائيل عليه السلام، وهو حاضرٌ عند رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، **فقال كلمته التي نقلها المحدِّثون والمؤرِّخون: ((إنَّ هذه لهي المواساة))**، قال عن ذلك المستوى من التفاني، من الاستبسال، من التضحية، من الأداء العظيم الذي ينطلق من منطلقٍ إيمانيٍ عظيم، **قال عنه: ((إنَّ هذه لهي المواساة))**، **فقال النبي** صلوات الله عليه وعلى آله: **((إنه منِّي، وأنا منه))**، **فقال جبرائيل** عليه السلام: **((وأنا منكما))**، فيما يعبِّر عنه من علو المنزلة، وعظيم المقام الإيماني، وعند الله سبحانه وتعالى.

في مقام الخندق، في تلك المرحلة الحرجة جدًّا، كان موقف عليٍّ عليه السلام هو الموقف الاستثنائي والعظيم، والذي عبَّر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بتلك العبارة الشهيرة العظيمة، **التي لها مدلولها الكبير جدًّا:** ((**برز الإيمان كله، إلى الشرك كله**))، فكان عليٌّ عليه السلام في ذلك الموقف يجسِّد الإيمان، يعبِّر عن الإيمان، وكانت واقعةً حسَّاسةً **جدًّا،** لها تأثيراتها الممكنة في هذا الاتجاه، أو في ذلك الاتجاه، فانتصر الإيمان بانتصار عليٍّ عليه السلام.

كذلك في وقعة خيبر وغزوة خيبر، كان هو فاتح خيبر، بعد أن قال رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله **كلمته العظيمة:** ((**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، يفتح الله على يديه**))، وهو يتحدث لنا عن مشاعر عليٍّ الإيمانية، عن أعظم ما يحمله الإنسان المؤمن، **وهو:** محبته لله، ومحبته لرسوله صلوات الله عليه وعلى آله، وفي نفس الوقت يذكر مقام عليٍّ عند الله، وعند رسوله، ((**ويحبه الله ورسوله**))، ليبين لنا كيف هي المنطلقات التي ميَّزت عليًّا في استبساله وتفانيه في سبيل الله سبحانه وتعالى، أنها كانت قبل أن تكون فطريةً، هي كذلك كانت إيمانيةً، فاجتمعت الفطرة بالإيمان، وتنامت، وعظمت؛ **حتى** ميَّزت ذلك الرجل العظيم، في دوره العظيم، وإسهامه الكبير، في رفع راية الإسلام، وفي التصدي لأعداء الإسلام... وهكذا في كل المواطن، في كل المقامات.

في فتح مكة كان هو حامل راية رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله.

في كل المقامات، في كل المواقف كان أمير المؤمنين عليه السلام **الحاضر كرجلٍ أول في أنصار رسول الله، وأعوان رسول الله، والمجاهدين في سبيل الله، بإسهامه الأول، فكان دائماً الذي يتجسَّد في أدائه السبق والتميز على أرقى مستوى.**

الإمام علي النموذج الشاهد لعظمة الإسلام ومنهجه الحق!

إضافةً إلى ذلك، كان تكامله الإيماني، الذي جمع فيه بين الاستبسال في سبيل الله، والجهاد العظيم في سبيل الله، والشجاعة الخارقة في نصرة الإسلام، **مع كماله في بقية المواصفات الإيمانية:** رحمته بالمستضعفين، تواضعه للمؤمنين، فيما يتعلق بالجانب الإنساني في رحمته بالناس، فيما يتعلق بكماله العلمي، فيما يتعلق بحكمته، بتدبيره، **كان يجسِّد الشخصية المسلمة المتكاملة، من كل الجوانب والأبعاد، بكل المواصفات اللازمة؛ ولذلك** هو بقدر ما كان يحمله من استبسالٍ وتفانٍ في سبيل الله، وتحركٍ جادٍ، يحمل البصيرة، يحمل أعلى مستويات الوعي، **هو** الأُذُنُ الواعية، **هو** باب مدينة العلم، وكذلك **هو** باب دار الحكمة، **هو الذي كان** يحمل الحكمة، يحمل العلم، **كان** مستنيراً بنور الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **كان** على بصيرةٍ عظيمةٍ وعاليةٍ، **هو** القائل في شعره يوم برز لعمرو بن عبد ود، **قال عن نفسه: ((ذو نيةٍ وبصيرة))**.

ذو نيـــةٍ وبصـــــيرة ... والصدق منجي كلَّ فائز

هو يحمل البصيرة، يحمل الوعي في حركته، يحمل المعرفة، يحمل العلم، يحمل النور، رجلاً عظيماً مستنيراً بنور الله، وهو الأُذُنُ الواعية، التي استوعبت هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعظمة ذلك الهدى.

٢٠

ومع ذلك بكله، في كل ما يمثله من أهمية، ارتقت به إلى أن يكون الشاهد، الذي يمثِّل النموذج المتكامل الذي يشهد على عظمة الإسلام، عظمة الرسالة، الذي تجلَّى فيه أثر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في تربيته، في حكمته، وهو الذي ربَّاه منذ طفولته، أثر تربية رسول الله، أثر تعليمه، أثر تأثيره في صياغة الشخصية الإسلامية، أثر الإسلام، وأثر القرآن؛ **فقدَّم** الشهادة من كل واقعه بتكامله ذلك على عظمة الإسلام، عظمة الرسول، عظمة

الرسالة، فكان شاهداً لرسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، من حيث تقديمه النموذج الراقي، والعظيم، والمتميز، المتكامل عن الإسلام وأثره، وقيمه، وأخلاقه، عن أثره في بناء الشخصية الإسلامية.

أثره الكبير في الحفاظ على الإسلام والتصدي لحركة النفاق

لكن مع ذلك له دوره المهم فيما يتعلق بالأمة: في امتداد الإسلام بأصالته ما بعد وفاة النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، **وفي** التصدي للخطر الكبير الداخلي، الذي تمثله حركة النفاق في داخل الأمة.

كان للمنافقين حركتهم ونشاطهم، الذي كشفه القرآن، وتحدث عنه كثيراً في عصر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وكان رسول الله يتصدى لهم مدعوماً ومؤيَّداً بالقرآن الكريم، بتعاليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بما ينزِّله الله في القرآن الكريم مما يفضحهم، مما يكشفهم، مما يبيِّن طبيعة مؤامراتهم، وأتى الأمر من الله للنبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

فكان رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **يجاهد الكفار**، ويحاربهم على المستوى العسكري وعلى كل المستويات، **وكان** أيضاً يجاهد المنافقين، ويتصدى لهم في داخل الساحة الإسلامية، من خلال الحركة الكبيرة التي تُحَصِّن المجتمع من تأثيرهم، والتصدي لهم بأشكال كثيرة، **كان من بينها:** التهديد، والوعيد، والضغط، والنفي لبعضهم، وكذلك السعي لإبطال تأثيرهم، وتقليص نفوذهم، والوصول بهم إلى مستوى التلاشي في فاعليتهم وتأثيرهم في الساحة الإسلامية، **وكان** يبذل الجهد الكبير في ذلك، ويشفع ذلك بتحذيره الشديد، الذي يأتي وفق آياتٍ قرآنية ينزِّلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، **منها:** الوعيد بالقتل،

١- التوبة: من الآية ٧٣

٢٠

الوعيد بالنفي... وغير ذلك، ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[١]، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يتحرك بكل جدية، للتصدي لهم في داخل الساحة الإسلامية، وكانوا يظهرون- في ظاهر أمرهم- الإسلام، الشهادة بالشهادتين، التظاهر بالإسلام، بل منهم من بلغوا إلى حالةٍ خطيرةٍ **جدًّا** في أسلوبهم النفاقي، إلى درجة أن قال الله عنهم: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[٢].

كان من الطبيعي ومن المتوقع جدًّا أن يكون تأثير المنافقين ما بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في داخل الأمة أكثر خطورةً مما كان في عصر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وأن يكون خطرهم أيضاً يتجه إلى جوانب كثيرة، تتجه إلى الجوانب الفكرية، والأخلاقية، وإلى التأثير والنفوذ في حركة الأمة... من جوانب كثيرة، وهذه مسألة واقعية، فهم لم ينتهوا مثلاً بوفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، والنبي حذَّر منهم، وأكَّد على أنهم سيتواجدون في واقع هذه الأمة في كل جيل، وفي كل عصر، ونبَّه إلى خطورتهم.

أمَّا القرآن الكريم فحديثه عنهم حديثٌ واسعٌ جدًّا، وتحدَّث عنهم في بعض العبارات ليبيِّن أنهم أسوأ خطورةً، وأكثر خطورةً على الأمة، من أعدائها الآخرين؛ **لطبيعة** دورهم التخريبي في داخل الأمة، إلى أن قال في السورة التي هي باسمهم؛ **سورة (المنافقون)**، قال عنهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٣]، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾.

٢٠

١- الأحزاب: ٦٠-٦١
٢- التوبة: من الآية ١٠١
٣- المنافقون: من الآية ٤

تحدَّث في الوعيد لهم بأنَّ موقعهم في جهنم هو أشد موقع، وأنهم إلى أشد عذاب، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1]، نعوذ بالله، حالة رهيبة **جدًّا** في عذابهم، تبيِّن سوء فعلهم، وسلبية دورهم في تاريخ الأمة، وفي واقع الأمة.

ولذلك من بعد وفاة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله نشطوا في ساحة الأمة، في واقع الأمة، وتحرَّكوا أكثر فأكثر، والنبي صلى الله عليه وعلى آله عندما قال في الحديث المروي عند المسلمين جميعاً، **قال لعليٍّ** عليه السلام: **((لا يحبك إلَّا مؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق))**، بيَّن أنَّ علياً عليه السلام يمثِّل علامةً فارقة في ساحة الأمة، في واقعها الداخلي بين المؤمنين والمنافقين؛ **لما** يمثله من نموذجٍ أصيلٍ يعبِّر عن الإسلام بشكلٍ صحيحٍ وتام، **ولطبيعة** دوره في حركته لامتداد الرسالة، لامتداد الإسلام، لامتداد الحق، سليماً من الشوائب.

دور الإمام علي في مواجهة الطغيان الأموي

من أخطر الأدوار التي ينشط فيها المنافقون، هي: حالة التحريف لمفاهيم الإسلام، هم حركة زيفٍ في داخل الأمة، **النفاق يعتمد على الزيف، يعتمد على التحريف للمفاهيم، للوقائع، للحقائق**، هم حركة زيغ، تسعى إلى الزيغ بالأمة عن المسار الصحيح، عن الاتجاه الصحيح، **الذي يمثِّل امتداداً صحيحاً كاملاً سليماً للإسلام في كل شيء:** في عقيدته، وشرعه، وموقفه، ومشروعه الحضاري في الحياة.

فتعاظمت حركة النفاق في داخل الأمة، وسعت للسيطرة على مقاليد أمر الأمة، والانحراف بالأمة بشكلٍ كامل، كان من حمل لواء النفاق في داخل الأمة، وتحرَّك بحركة النفاق، ليصل إلى موقع القرار في الأمة، وليتمكَّن من

١- النساء: الآية ١٤٥

السيطرة على الأمة، **هم:** بنو أميَّة، سعى الطغيان الأموي للسيطرة على الأمة بشكلٍ تام، والانحراف بها من موقع السلطة، من موقع القرار، والتحكم بالأمة من موقع القرار، وموقع الإدارة، وهذه من أخطر الأمور على الأمة.

كان عليٌّ عليه السلام **يمثِّل الحصن الحصين، والسد المنيع، الذي تصدى للطغيان الأموي**، وخاض معركته في التصدي للطغيان الأموي في كل الاتجاهات، وعمل على أن يربي الأمة التربية الإيمانية المتكاملة، وأن يتحرَّك بالإسلام وهو يقدِّمه، وهو يتحرَّك فيه أيضاً من موقع الإدارة، من موقع القرار، في الاتجاه الصحيح، وفق تعاليم الإسلام، فيما يمثل اقتداءً صحيحاً برسول الله صلى الله عليه وعلى آله، ويمثل تجسيداً حقيقياً للقرآن الكريم، **فهو كان مع القرآن، والقرآن معه، مع الحق، والحق معه.**

وواجه صراعاً مريراً وهو يحمي الأمة من حركة النفاق، ومن تأثيرها، وواجه المعاناة الكبيرة؛ **نتيجةً** للاختلال الذي كان قد تغلغل في أوساط الأمة في جوانب كثيرة، أفرزت ظواهر سلبية، **كان من ضمنها:** ظاهرة الخوارج التكفيريين، والذين يتطابق حال التكفيريين مثلاً في عصرنا هذا يتطابق معهم تماماً، ظاهرةٌ مُتَديِّنةٌ عمياء، تحركها أدوات النفاق، وتستغلها أدوات النفاق بكل وسائلها وأساليبها، تلك الظاهرة العمياء، التي تتدين بغير بصيرة، الدين في واقعها هو انطلاقة، هو حركة، هو اندفاع، لكنه ليس على بصيرة، ليس على بيِّنة، ليس وفق الاتجاهات الصحيحة، ليس مستنيراً بنور الله سبحانه وتعالى؛ **إنما** هو عقدة، وضغينة وحقد، تدفع الإنسان لموقفٍ عدائيٍ معين على غير بصيرةٍ من أمره.

٢٠

فاستطاعت حركة النفاق الأموي أن تستفيد من ظاهرة الخوارج، وأن توظِّفها ضد أمير المؤمنين عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصولاً إلى تلك المؤامرة الرهيبة في اغتيال عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستهدافه، عن طريق أحد المنتمين لتلك الظاهرة التكفيرية، **وهو:** ابن مُلجم لعنه الله، أشقى الأشقياء، الذي وصفه بهذا الوصف هو رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، قال عن قاتل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه أشقى الأشقياء، وشبهه بعاقر ناقة ثمود؛ **لأنه** جلب الشقاء على الأمة، فكانت جنايته فظيعةً **جدًّا**، وهي جنايةٌ لحركة النفاق الأموي، هي وراء ذلك، هي من دبرت ذلك، هي من خططت لذلك، وكان من مخاطر ذلك إضافة إلى ما يمثله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من مقامٍ عظيم، وهو ولي الله، وهو إمام التقوى، وهو إمام وسيد المؤمنين، إضافةً إلى منزلته العظيمة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما يمثله من امتدادٍ أصيلٍ للإسلام، فقد استفادوا من استهدافه عَلَيْهِ السَّلَامُ ليتمكنوا أكثر.

وفعلاً كان من أكبر المخاطر والكوارث التي حدثت على الأمة بعد استشهاد أمير المؤمنين عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تمكن حركة النفاق الأموي من السيطرة التامة على الأمة الإسلامية، ومن ثم اتجهوا في مشروعهم النفاقي الخاص بهم، الذي وصَّفه رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بكلماته الجامعة، **والمعبِّرة والمهمة: ((فاتخذوا دين الله دَغَلاً، وعباده خَوَلَا، وماله دُوَلَا))**، حوّلوا الأمة الإسلامية بكل ما تملك، بكل إمكاناتها، بكل مقدراتها، إلى مشروعٍ استغلالي للسلطة، والثروة، والنفوذ، والمكاسب الشخصية، والأهواء، والرغبات، واتجهوا إلى كل ما يرون فيه من مفاهيم الإسلام، من شعائر الإسلام، من تعاليم الإسلام، عائقاً أمامهم، إلى استنساخ بدائل عنه، تخدمهم، تنسجم معهم، تعزز من نفوذهم، ويكون محسوباً على الإسلام، فقدَّموا صورةً أخرى، غير تلك الصورة التي كان يقدِّمها أمير المؤمنين، التي كانت تمثل حقيقة الإسلام،

٢٠

جوهر الإسلام، امتداده الأصيل، فقدَّموا صورةً مزيفة، فيها الكثير من الزيف، فيها الكثير من التحريف، وما بقي من شعائر الإسلام وظفوه، بعد أن جرَّدوه من دوره الحقيقي، من أثره الصحيح، فأزاحوا الإسلام كمشروعٍ للأمة، أزاحوا الإسلام كمشروعٍ للأمة، يربي الأمة، ينهض بالأمة، تتحرك الأمة من خلاله في دورٍ عظيمٍ متميز، واستغلوا إمكانات ومقدرات الأمة الإسلامية لصالح أطماعهم، وأهوائهم، ونزواتهم، ورغباتهم، وظلموا الأمة، استهدفوا أخيارها، انتهكوا حرماتها، استهدفوا مقدساتها، دمروا وأحرقوا كعبتها، أساءوا إلى الرسول صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، لعبوا دوراً تخريبياً شنيعاً امتدت آثاره ونتائجه فيما بعدهم، واستمرت إلى اليوم، وآثارها إلى اليوم تتمثل بكثيرٍ من المفاهيم الظلامية، والمرويات المكذوبة، والعقائد الفاسدة، إضافةً إلى تأثيرهم السيء عندما انحرفوا بالأمة عن المسار الصحيح، فبدلاً من أن يكون مسار الأمة مساراً تصاعدياً مع الزمن، تزداد به قوةً، ووعياً، وفهماً، وارتقاءً، كان مساراً هبوطياً نحو الأسفل، فإذا بنا في هذا الزمن نرى واقع أمتنا الإسلامية واقعاً هابطاً، مقارنةً ببقية الأمم، واقعاً تمكَّن اليهود الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة أن يكونوا طرفاً مناوئاً- وهم حثالة- لأمةٍ قوامها أكثر من مليار مسلم، ولديها الإمكانيات الهائلة، ولكنها أصبحت غثاءً كغثاء السيل.

٢٠ **لماذا، ما الذي أوصل الأمة إلى ما وصلت إليه؟** ليس وليد اللحظة، ليس نتاجاً لزمنٍ محدود، أو لمتغيراتٍ محدودة، هو امتدادٌ طويل، كان له تأثيراته في واقع الأمة، فأوصلها إلى ما وصلت إليه.

بقي للحق امتداده، بقي للحق صوته، بقي للحق نقاوته التي استمرت في واقع الأمة، وإن كان محارباً، وإن كانت التوجهات المنافقة تتصدى له من موقع السلطة، من موقع السيطرة، من موقع القرار، لكنه بقي حاضراً،

بقي لجهود أمير المؤمنين عليه السلام، وتضحياته، ومساعيه المباركة، أثرها الكبير، وحضور هذا الصوت، هذا الحق، هذا الهدى في الأمة، الذي امتد إلى عصرنا وزمننا نعمةٌ عظيمةٌ من الله سبحانه وتعالى علينا.

وبالتالي عندما نتطلع ونحن في هذا الزمن المتأخر، بعد كل ما قد مضى من الأحداث، والمتغيرات، والأحداث الرهيبة **جدًّا** في تاريخ أمتنا الإسلامية، والمتغيرات الكبيرة في تاريخ أمتنا الإسلامية، لكن بقي لنا المعالم واضحة، بقيت لنا كل معالم الأصالة التي تعبِّر عن أصالة الإسلام قائمة، بقي لنا القرآن الكريم، وبقي لنا ما يمثل امتداداً للقرآن الكريم، في معالم الحركة به في تاريخ أمتنا، وأرقى من كان يمثله، وأعلاه شأناً، وأعظمه مقاماً من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وإلى اليوم، **هو:** أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، فبقي أمير المؤمنين مدرسةً كاملة، عندما نتطلع إلى سيرته، عندما ندرس سيرته، نقرأ عنه، نرى كل ما يفيدنا، كل الذي يجسِّد بالفعل ما ورد في القرآن الكريم، نرى المعالم الواضحة التي نستفيد منها.

أهم درس نستفيده من سيرة الإمام علي

يبقى لنا أيضاً، إضافةً إلى ما يمكن أن نستفيده بشكلٍ كبير من أمير المؤمنين عليه السلام في دراسة سيرته، في قراءة تاريخه، وهو ما ينبغي أن نحرص عليه جميعاً، **يبقى لنا أن نلحظ من ضمن ذلك، ومن أهم ذلك: أن نستفيد منه فيما يتعلق بالانطلاقة الإيمانية الجادة، الصابرة، المستبصرة في مواجهة التحديات مهما كانت، هذا من أهم الدروس التي نتلقاها من أمير المؤمنين عليٍّ** عليه السلام.

وهو الذي عندما أخبره رسول الله ﷺ بما سيواجهه، وأخبره بشهادته، وقال له: ((فكيف صبرك إذاً؟ قال: يا رسول الله إنها ليست من مواطن الصبر، إنها من مواطن البشرى والشكر))، هكذا كانت نظرته إلى الشهادة، وبهذه النظرة، بهذه الروحية العظيمة، كان ينطلق متفانياً في سبيل الله ﷻ، ومستبشراً، فكان يواجه التحديات مهما كانت، مهما كان حجمها؛ **لأنه** يحمل هذه الروحية، التي ترى في الشهادة في سبيل الله تعالى أنها نعمة عظيمة، وتوفيقاً إلهياً كبيراً نشكر الله عليه، نرجوه من الله ﷻ، نطلبه من الله ﷻ.

عندما أخبره الرسول أيضاً عن استشهاده، وعمَّا سيحدث له، قال أيضاً كلمته الشهيرة والعظيمة والمهمة: ((أفي سلامةٍ من ديني يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: إذاً لا أبالي))، هكذا كان وعيه، هكذا كان إيمانه، **هكذا يعِّلمنا أنَّ سلامة الدين هي أهم من كل شيء، وأن الإنسان المؤمن حقاً سيحرص قبل كل شيء، وفي مقدمة كل شيء على سلامة دينه، سيكون هو المعيار، مهما كانت التضحيات، مهما كان ما يقدمه الإنسان، أو مهما كان ما يفوت على الإنسان، المهم هو سلامة الدين.**

وهكذا عندما نحب عليًّا المحبة الصادقة، نقتدي به، نتأثر به، نستفيد منه، يكون لمحبته تلك الأثر الكبير في أنفسنا، ونحن نتأثر بما كان عليه، بما جسَّده من أخلاق وقيم الإسلام والقرآن، ((أفي سلامةٍ من ديني؟)).

٢٠

ثم عندما أصيب أيضاً قال كلمته الشهيرة: ((فُزتُ وربِّ الكعبة))؛ لأنه يرى المنهجية التي سار عليها في حياته منهجيةً يفوز من يسير عليها.

فنحن في ظل التحديات التي نواجهها عندما نقتبس من روحية علي، من إيمان علي، من وعي علي، من بصيرة علي، من نور علي؛ سنكون أقدر وأعلى في مواجهة كل التحديات، ونصل إلى الفوز العظيم؛ لأنها منهجيةٌ يفوز من يسير عليها.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

٢٠

ليلة القدر
عظمتها وبركاتها وكيف نستغلها

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَـدُ أن لا إلـهَ إلّا اللـهُ الملـكُ الحـقُّ المُبـين، وأشـهَدُ أنَّ سـيدَنا مُحَمَّـداً عبـدُهُ ورَسُـوْلُه خاتـمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، وبارِكْ على مُحَمَّـدٍ وعلى آلِ مُحَمَّـد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضـاك عـن أصحابـه الأخيار المنتجبين، وعن سـائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهـم اهدنـا، وتقبّـل منـا، إنـك أنـت السـميع العليـم، وتـب علينـا، إنـك أنـت التـواب الرحيـم.

شـهر رمضـان بكله شـهرٌ مبـارك، وهو فرصـةٌ مهمةٌ وعظيمةٌ في اكتسـاب الأجر **والثـواب، وفي** الارتقـاء التربـوي، والروحـي، والأخلاقـي، والإيمـاني بشـكلٍ عـام، **وفي** التـزود بالتقـوى، **وفرصـةٌ** عظيمـةٌ للدعـاء، **ولذكر** اللـه ﷻ، **وفرصـةٌ** عظيمـةٌ ومهمـةٌ لتقويـة الروابـط مـع القـرآن الكريـم، وتعزيـز العلاقـة معـه؛ **لاكتسـاب** الهدايـة،

واكتساب الوعي، في مرحلةٍ نحن فيها في أمسِّ الحاجة إلى الوعي، وإلى الهداية.

وفي شهر رمضان تأتي العشر الأواخر، لها أهميةٌ أكثر، وبركاتها أكثر، وفيها تُلتَمس ليلة القدر، ورسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ كان مع تذكيره بفضل شهر رمضان، وأهمية شهر رمضان، وما جعل الله فيه من البركات، يلفت النظر وينبِّه على فضل ليلة القدر، وأهمية ليلة القدر، وأهمية اغتنام فرصة ليلة القدر.

والقرآن الكريم أيضاً تحدث عن ليلة القدر، عن عظمتها، وفضلها، وبركاتها، وحديثه عنها حديثٌ عظيمٌ ومهمٌ جدًّا، عمَّا يتعلق فيها بالإنسان فيما يُكتَب له، فيما يقدَّر له، أو عليه.

ولذلك ومع أنَّ البعض عادةً ما يكون قد أصابه الفتور، بعد مرور ثلثي شهر رمضان المبارك، وبقاء الثلث الأخير من الشهر، وهو العشر الأواخر، عادةً ما يكون البعض قد أصابهم الفتور، وأصبحوا ينشغلون من وقتٍ مبكر بالعيد، وما بعد العيد، وهذه حالة غفلة، وقصور في إدراك أهمية وعظمة الفرصة التي أتاحها الله خلال هذا الشهر المبارك، وتجاه العشر الأواخر منه.

عندما نتأمل في واقعنا، نجد أننا في أمسِّ الحاجة إلى الله تعالى، نحن الفقراء إلى الله، قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]، نحن الفقراء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نحتاج إلى كل شيء، ما يواجهنا وما نعانيه من المخاطر، من التحديات، من الصعوبات، من المشاكل، من الهموم، وما نحن فيه في إطار مسؤوليتنا في هذه الحياة، وما يترتب عليها في الدنيا، وما يترتب عليها في مستقبلنا الأبدي الدائم الكبير في الآخرة، كله يدعونا، ويدفع بنا، إلى أن ندرك قيمة هذه الفرصة، وأن نستغلها.

١- فاطر: الآية ١٥

الله ﷻ هو الرحيم، هو الكريم، هو العظيم، من مظاهر رحمته، من تجليات رحمته، أن يهيِّئ لنا الفرص الكثيرة، البعض منها على مستوى الزمن: كما هو حال شهر رمضان، كما هو حال العشر الأواخر منه، كما هو حال ليلة القدر فيه، فرص عظيمة **جدًّا**، يمكن أن تستفيد منها إذا اتجهت أنت، إذا كان لديك اهتمامٌ بذلك، فيمكن أن تحقق لك في واقع حياتك نقلات كبيرة، وقفزات عظيمة، ونجاحات مهمة **جدًّا**، وبالذات فيما يتعلق بالدار الآخرة، ومستقبلك الأبدي والدائم، وهو الأهم، والأكبر، والأعظم، مع ما يَمُنُّ الله به عليك في عاجل الدنيا، فيما يفرِّجه عنك، فيما يكتبه لك، فيما يحققه لك في نفسك، أو في مسيرة حياتك.

احتياجات الإنسان هي كثيرة، وكبيرة، ومتنوعة، وواسعة: منها ما يحتاجه في نفسه، **ومنها** ما يحتاجه فيما يتعلق بعلاقته بالله ﷻ، فأن يهيِّئ الله له الفرص العظيمة، التي يستفيد منها الاستفادة الواسعة من جوانب كثيرة، مثلما هو حال ليلة القدر.

ليلة القدر وبركاتها العظمى!

في حديث القرآن الكريم عن ليلة القدر، قال عنها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[1]، **فهي ليلة نزول القرآن، القرآن الكريم،** بعظمته، بفضله، بما له من أهميةٍ عظيمة، نزل في ليلة القدر، وهذا لأنه من الرحمة الإلهية، هو من أعظم تجليات رحمة الله ﷻ، هو نوره، له قدسيته العظيمة، له شأنه العظيم، وبركاته العظيمة، **هو كتابٌ مبارك،** فلقدسية القرآن الكريم، لبركته العظيمة، لأنه رحمة، لأنه نور، لأنه هدى، اختار الله أن ينزله في ليلةٍ مباركةٍ وعظيمةٍ؛ لعلو شأنه وقدسيته، ولعظمته وأهميته، **هذا أول ما في ليلة القدر أنها ليلة نزول القرآن الكريم.**

١- الدخان: الآية٣

ثم يقول عنها: ﴿مُبَارَكَةٍ﴾، ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[1]، بركاتها واسعة، وبركاتها تشمل أشياء كثيرة، فيما جعل الله فيها من مضاعفة الأجر والثواب، إلى حدٍ عجيبٍ **جدًّا**، مضاعفة الأجر فيها هي عشرات آلاف الأضعاف، عشرات آلاف الأضعاف، إذا كان شهر رمضان في بقية أيامه تضاعف فيه الأجور إلى سبعين ضعفاً، فالأجور تضاعف في ليلة القدر، تجاه ما يعمله الإنسان فيها، إن كان عمله مقبولاً، تتضاعف عشرات آلاف الأضعاف، فيما قد يساوي عمراً بأكمله، فتعتبر فرصةً عظيمةً **جدًّا، العمل فيها تجارةٌ رابحةٌ بين العبد وربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

على مستوى ما فيها من البركات الأخرى، فيما يكتبه الله للعباد في حياتهم، في شؤون حياتهم، فيما يَمُنُّ به عليهم، بركات واسعة ومتنوعة وشاملة.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، **من بركاتها: نزول القرآن الكريم فيها.**

ليلة تقدير وتدبير أمور البشر!!

﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، **من أهم ما في ليلة القدر: أنها ليلة تقديرٍ وتدبيرٍ لأمور البشر، لأمور الناس على مدى العام بكله، في مختلف شؤون حياتهم: في أرزاقهم، في آجالهم، في شؤونهم المختلفة، فيما يتعلق بتدبير أمورهم، في جوانبها التفصيلية**، فلذلك قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾، ضمن التدبير العام يأتي ما يتعلق بالتدبير التفصيلي لشؤون الإنسان على مستوى عامه القادم، وهذه مسألة تهم كلاً منا.

كُلُّ منا يهمه ما يُكتَب له، أو ما يُكتَب عليه، خلال عامه القادم، أليس كُلُّ منا يرجو الخير لنفسه، ويرجو أن يصرف الله عنه خلال عامه القادم الشر، ويرجو لنفسه في إطار الخير أن يوفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ييسر أموره؟ فليلةٌ لها علاقةٌ بك أنت، فيما يُكتَب لك في حياتك، في شؤونك، في أمورك، أو فيما

١- الدخان: من الآية٣

قد يكتب عليك، ألا تهمك؟! يمكن أن يصل الإنسان في حالة الغفلة، الغفلة عن الله، الغفلة عن كل شيء، إلى مستوى نسيان النفس، نسيان ما يهمه، ما له علاقةٌ به، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[1]، لكن من يذكر الله؛ **هو** يتذكر بالتالي، ويذكِّره الله بنفسه، بشؤونه، بأموره الهامة، التي **يجب** أن تكون هي محط اهتمام لديه، هذا على المستوى الشخصي.

لكن هناك أيضاً على المستوى الجماعي، المجتمع الذي لديه توجهٌ معين، والأمة التي لديها توجهٌ معينٌ قد يجمعها، إذا كان توجهاً صحيحاً، وفق توجيهات الله، وتعليمات الله، تبتغي به رضوان الله ﷻ، فهذه الليلة أيضاً تهم الجميع كأمة واحدة، وكمجتمعٍ لديه توجهٌ واحد.

فهي هامةٌ على المستوى الشخصي، فيما يهمك كشخصٍ، فيما يتعلق بظروفك، وشؤون حياتك الخاصة، وهمومك، ومشاكلك؛ **لأن** كلاً منا لديه ظروفه الخاصة، لديه مشاكله الشخصية، لديه همومه الشخصية، جانبٌ من حياته، **ثم على المستوى الجماعي**، فيما يربطك بمجتمعك وأمتك الواحدة، التي تتحرك ضمنها، وتنتمي إليها، هناك أيضاً ما يكتب على المستوى العام.

يهمنا أن يكتب الله لنا الخير، ما يكتب لنا، أو علينا، يتعلق بواقعنا، باهتماماتنا، بتوجهاتنا، بأعمالنا إلى حدٍ كبير، **من الجوانب المؤثرة، من الجوانب المتعلقة بما يكتب لنا، أو علينا، هي:** توجهاتنا، وأعمالنا، ومواقفنا، وتصرفاتنا، وسلوكياتنا.

ولذلك **يجب** أن نلتفت إلى هذا الجانب، فعندما نعود إلى الله ﷻ، **ونرجع** إلى الله ﷻ، بقدر ما نتوجه بالدعاء، بالتضرع، بالذكر، **نحرص** أيضاً على أن نتوجه بالعزم والإرادة على الاستقامة على نهجه، على التحرك وفق

١- الحشر: من الآية ١٩

توجيهاته، على النهوض بمسؤولياتنا التي أمرنا الله بها، **والاستمرار** فيها، أن يعلم الله منا صدق التوجه في إرادتنا، في عزمنا، في نياتنا، **أن نتحرك** وفق تعليماته، وفق أوامره، **أن نصحح** وضعيتنا وفق توجيهاته، **أن نتوب إليه من تقصيرنا، من ذنوبنا، من أخطائنا، من خطيئاتنا، وأن نرجع إليه.**

ولذلك إلى جانب اهتمامنا بالدعاء، وما نطلبه من الله، وما نرجوه من الله، **فلنحرص** على أن نتوجه إلى الله بالتوجه الذي يرضيه عنا؛ **لأن** تدبير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عندما يكون برضاً عنا، وهو راضٍ عنا، يكتب لنا الخير، يكتب لنا الرحمة، يكتب لنا مما يكتبه من واسع فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشيء الكثير في الدنيا وفي الآخرة، وفي الآخرة وهو الأهم، وهو الأبقى، الذي نحرص عليه أكثر، هذا جانبٌ مهمٌ مما ينبغي أن نحرص عليه، وأن نتنبه له؛ **لأن من خصوصيات ليلة القدر:** أنها ليلةٌ لتقدير أمور الناس، للتدبير الإلهي فيما يكتبه الله للناس وعليهم، وفق حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ورحمته، وتدبيره لشؤون عباده.

من وحي سورة القدر!

مما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن ليلة القدر: سورة بأكملها هي سورة القدر، قال فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]، **(إِنَّا) الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عظيم الشأن، يؤكِّد لنا بهذا التعبير: (إِنَّا)**، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾، يعبِّر لنا -مع إشعارنا بعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجلاله- أنه أنزل كتابه المبارك العظيم، المجيد، الكريم، في ليلة القدر، فهي ليلةٌ عظيمة الشأن، ليلة نزول البركات، نزول الرحمة، نزول الخير.

ثم يقول عنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾[2]، وهذا يعبِّر عن عظيم شأنها وفضلها، **(وَمَا أَدْرَاكَ):** مستوى عظمة هذه الليلة، وأهمية هذه الليلة،

١- القدر: الآية ١

٢- القدر: الآية ٢

وقدسية هذه الليلة، وبركات هذه الليلة، يفوق إدراكك، يفوق تقديرك، يفوق تصورك، يفوق تخيلك، أعلى من ذلك، لا **يدرك الإنسان مستوى عظمة تلك الليلة، مستوى فضل تلك الليلة، شأنها أكبر وأعظم وأعلى مما يدركه الإنسان، أو يستوعبه، أو يتخيله.**

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[١]، **لَيْلَةُ الْقَدْرِ** في بركاتها، وفي فضلها، وفي خيرها، تفوق ألف شهر، وفي مضاعفة الأجر على العمل فيها، تفوق ألف شهرٍ من الزمان، ما يعادل عمراً بأكمله، عمراً مديداً، فهي ليلةٌ عظيمةٌ **جدًّا**، وبركاتها كبيرةٌ **جدًّا.**

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[٢]، وفيها نزول ملائكة الله على نحوٍ واسعٍ وكبيرٍ إلى الأرض، في إطار التدبير الإلهي لشؤون البشر، وكأنَّ هناك أموراً كثيرة، يبتدئ العمل من جانب الملائكة في تهيئتها، وفق التدبير الإلهي الواسع، ووفق المهام التي تتعلق بهم، والتي يقومون فيها بأمر الله ﷻ، وينفِّذون فيها تعليمات الله ﷻ، في تهيئة المقادير والمكتوب للبشر... وغير ذلك مما لا نعلمه.

نزول الملائكة في تلك الليلة المتصل بشؤون الناس، وتدبير أمورهم، هو أيضاً يعبِّر ويدل على أهمية تلك الليلة، وفضلها، وقدسيتها.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٣]، من مميزات ليلة القدر، من بركاتها العجيبة، **أنها**: سَلَامٌ، لا ينزل فيها عذابٌ من الله ﷻ، ولا نقمةٌ من الله ﷻ، من أولها إلى آخرها، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، هذا من بركاتها العجيبة، ومن خصوصياتها العجيبة **جدًّا.**

١- القدر: الآية ٣

٢- القدر: الآية ٤

٣- القدر: الآية ٥

فهـذه الفضائـل، والمزايـا، والخصوصيـات، لليلـة القـدر، تشـجع وتـدل- في نفـس الوقـت- عـلى أهميتهـا الكبـيرة، فبركاتهـا وبـركات الأعـمال فيهـا يفـوق ألـف شـهرٍ بأكملـه.

أعظم فرصة نهتم فيها بالدعاء وأعمال الخير

يبقـى أن يغتنـم الإنسـان الفرصـة، أن يحـرص خـلال هـذه العـشر الأواخـر، في كل ليلـةٍ منهـا، وفي الليـالي أيضـاً المتوقعـة أكـثر فيهـا، أن يُقبِـل أكـثر، ألَّا يضيِّـع هـذه الفرصـة التـي لا مثيـل لهـا، عـلى المسـتوى الزمنـي لا مثيـل لهـا أبـداً، قـد يكـون هـذا الموسـم (رمضـان هـذا) هـو آخـر شـهرٍ للبعـض منـا، قـد لا يـدرك في العـام القـادم شـهر رمضـان القـادم، وقـد تكـون هـذه الليلـة المباركـة إذا اغتنمهـا، قـد تكـون هـي مـا يحـدد لـه فيهـا مسـتقبله السـعيد للأبـد، **ومـن الغـبن، ومـن الحرمـان أن يفـوِّت الإنسـان فرصـةً كهـذه.**

خـلال عـشر ليـال ألَا يمكـن للإنسـان أن يقبـل إلى اللـه أكـثر، أن يكثِّـف جهـده، أن يعتنـي أكـثر، أن يقلـل مـن انشـغالاته غـير المهمـة والعبثيـة، التـي يهـدر فيهـا وقتـه، وأن يكـثر مـن ذكـر اللـه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، أن يرجـع إلى اللـه، أن يدعـو اللـه، وأن يكـون في سـلَّم اهتماماتـه، **وفي مقدِّمـة اهتماماتـه التـي يدعـو اللـه فيهـا:** أن يطلـب مـن اللـه المغفـرة، هـذا مـن أهـم مـا يحتـاج إليـه الإنسـان؛ **لأن** اللـه الرحيـم، الكريـم، العظيـم، يريـد لنـا الخـير.

مشـكلتنا دائمـاً هـي في ذنوبنـا، هـي في خطايانـا، هـي في معاصينـا، هـي التـي تؤثِّـر سـلباً علينـا، هـي التـي لهـا آثارهـا السـيئة علينـا في الدنيـا، وفي مسـتقبلنا الأبـدي في الآخـرة، أن نطلـب مـن اللـه أن يغفـر لنـا، أن يعفـو عنـا، وأن نطلـب منـه أيضـاً أن يعتـق رقابنـا مـن النـار، هـذا مـن أهـم مـا يطلبـه الإنسـان مـن اللـه، ومـن أهـم مـا يدعـو بـه، أن يطلـب مـن اللـه مـا يتعلـق

بشؤونه الشخصية، وهمومه، وظروف حياته، وما يتعلق بالواقع العام لأمته ولمجتمعه المسلم، أن يطلب الله له التوفيق، والنصر، والعون، والهداية... وغير ذلك من الخير العام.

ويمكن للإنسان أن يستفيد من الأدعية القرآنية، هي أدعيةٌ عظيمةٌ وجامعة:

من ضمن الأدعية القرآنية المباركة: الدعاء الجامع، الذي نطلب فيه من الله خير الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١]، دعاءٌ جامع يحفظه العامي والمتعلِّم، ويفيد للإنسان المنشغل وغير المنشغل، دعاءٌ عظيم، ودعاءٌ مبارك.

وكذلك دعاء الربَّانيين المجاهدين، من أعظم الأدعية، ومن أهم الأدعية: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢]، ومن المهم للإخوة المجاهدين أن يكثروا من هذا الدعاء في هذه الليالي المباركة.

من أهم الأدعية: دعاء الراسخين في العلم، الذي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة آل عمران، وهو من أعظم وأهم الأدعية التي يحتاج إليها الإنسان، الذي يحرص على التوفيق الإلهي، وعلى حسن العاقبة، ويتخوَّف ويخاف على نفسه من الزيغ، ومن الخذلان، ومن الضلال: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[٣].

وهكذا هناك أدعية مأثورة عن النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، أدعية مأثورة من الصحيفة السجادية، من غيرها من الأدعية المأثورة والمباركة المناسبة، التي تتضمن الاعتماد على ذكر الله بأسمائه الحسنى، يمكن

١- البقرة: من الآية ٢٠١

٢- آل عمران: من الآية ١٤٧

٣- آل عمران: الآية ٨

للإنسان أن يستفيد منها، مع الإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من الاستغفار، والتسبيح... وغير ذلك، مع الاهتمام بالأعمال الصالحة، مع تقوى الله، والحذر من المفسدات للأعمال، والمحبطات للأعمال، مما يتنافى مع التقوى.

من أهم مواطن الدعاء، التي هي من أقرب الأماكن استجابةً، ومن أقرب الأحوال استجابةً للدعاء، هي: أحوال المرابطين في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في ميادين الجهاد، هم في مواطن المرابطة والجهاد، وفي تلك الحالة التي يعيشون فيها أداء مسؤولياتهم المقدَّسة والعظيمة، وهم يرابطون في سبيل الله، من أهم المواطن، ومن أحسن الأحوال لاستجابة الدعاء، **يجب** اغتنام الفرصة فيها، والإقبال إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالدعاء، والإكثار من الدعاء، ومن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إضافةً إلى العناية بأعمال الخير والبر، من إخراج الصدقات وغير ذلك، من أعمال البر والخير، مع الاهتمام أيضاً بشكلٍ مستمر خلال ما بقي من شهر رمضان بالقرآن الكريم، بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يوفِّقنا لاغتنام ليلة القدر، وأن يكتب لنا فيها من خير ما يكتبه لعباده، من رضوانه، ومغفرته، وعفوه، والعتق من عذابه، وأن ينصرنا بنصره، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء. ٢١

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

*****

الأخوّة الإيمانية (١)

المبدأ الإسلامي المهم واللازم لإصلاح واقع الحياة

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

من أهم المبادئ الإسلامية، والفرائض الدينية، والمتطلبات الضرورية لواقع الحياة، وطبيعة المسؤولية، هي: الاعتصام بحبل الله جميعاً، والتوحد، **والأخوّة بين المؤمنين**، يعتبر هذا المبدأ العظيم فريضةً من فرائض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإلزامية، التي **لابدَّ** منها في تحقيق التقوى والالتزام الإيماني، **أي:** لا

يمكن أن يُحسَب الإنسان عند الله من عباده المؤمنين الصادقين، ومن عباد الله المتقين، إذا لم يكن عنده اهتمامٌ وسعيٌ للالتزام بذلك، اهتمامٌ بتنفيذ ذلك، بتحقيق ذلك، وسعيٌ وفق توجيهات الله وتعليماته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهي فريضةٌ ضروريةٌ للقيام بالمسؤوليات الجماعية الإيمانية، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرنا بمسؤوليات، نتعاون فيها، نتحرك فيها بشكلٍ جماعي، على مبدأ الأمة الواحدة، **ومنها:** الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة القسط... ومسؤولياتٌ أخرى، وكذلك التعاون على البر والتقوى، كل هذه المسؤوليات الجماعية التي لابدَّ من التحرك فيها على نحوٍ جماعي، وبجهدٍ جماعي منظَّم، **لابدَّ** فيها من أخوة المؤمنين فيما بينهم، **لابدَّ** فيها من أن تقوم على أساس مبدأ التوحد.

وكذلك المشروع الإلهي في أساسه هو مشروعٌ جماعي؛ لأن الواقع البشري هو واقعٌ مترابط، والناس يتحركون في إطارٍ جماعيٍ: إمَّا في صف الحق، أو في صف الباطل، وفي أي اتجاهٍ كانوا، المجتمعات البشرية على الأرض هي مجتمعات تتحرك بشكلٍ جماعي، ضمن تكتلات وأطر، منها دول، منها كيانات، منها...إلخ. هذا شيءٌ معروف في الواقع البشري، **فالمشروع الإلهي هو في نفسه مشروعٌ جماعيٌ، يجمع ويرسم المسؤوليات الجماعية، التي يتحرك فيها المؤمنون، على أساس القيام بها، والنهوض بها، والتحرك لتنفيذها.**

إضافةً إلى ذلك، هو عامل قوة، وهذه مسألةٌ معروفةٌ في الواقع البشري، **أنَّ التوحد قوة، وأنَّ التفرق ضعف**، والقوة في التوحد **قوةٌ** في مواجهة الأعداء، **قوةٌ** في أداء المهام الجماعية، **قوةٌ** في إنجاز المشاريع الكبرى، **قوةٌ** في كل ما تحتاج الأمة فيه إلى قوة، **قوةٌ** في مواجهة التحديات والأخطار، **قوةٌ** في تحقيق الأهداف العظيمة والكبيرة والمهمة...إلخ. وهذه أيضاً مسألةٌ معروفة.

٢٢

إضافةً إلى أنَّ التوحد، والتآخي، والتعاون، والتفاهم، والألفة، من أهم عوامل الاستقرار الداخلي، كل أمة تتحرك في واقع الحياة ضمن مسؤولياتها وأهدافها، تحتاج إلى استقرارٍ داخلي يساعدها على النهوض بمسؤولياتها كما ينبغي؛ **لتحقق** التعاون المطلوب، المبني على الانسجام القائم، والتفاهم القائم.

ثم أيضاً لتتحرك بجهدٍ كبير، بجهدٍ جماعيٍ قوي، يحتاج ذلك كله إلى أن يكون هناك تفاهم، انسجام، تعاون، استقرار داخلي، إذا فقد الاستقرار الداخلي، انشغل الناس أصلاً بالمشاكل التي تتكاثر، فتزعجهم، تؤثر عليهم، انشغالهم بها انشغالٌ تام، على المستوى الذهني، والنفسي، والفكري، وعلى مستوى الاهتمامات العملية، فيؤثر ذلك بشكلٍ مباشر على اهتماماتهم الرئيسية، على أعمالهم المهمة؛ **وبالتالي** على أهدافهم الكبيرة، **وهذه أيضاً من المسائل المعروفة:** الاستقرار الداخلي، الذي يؤمنه التوحد، وتؤمنه وتوفره الأخوّة، هو عاملٌ مهمٌ **جدًّا** في النجاح، وفي أداء المهام الكبرى، وفي النهوض بالمسؤوليات مهما كان حجمها، وبتحقيق النتائج الكبيرة والعظيمة، وهذه مسألة سنتحدث عنها على نحوٍ من التفصيل بشكلٍ أكثر.

مع كل ذلك، مع اعتبار هذه المسألة فريضة إيمانية، ومبدأً إسلامياً عظيماً ومهماً، **ولابدَّ** منها في الالتزام الديني وتحقيق التقوى، **لابدَّ** منها في النهوض بالمسؤوليات الجماعية، ومواجهة التحديات والأخطار، **لابدَّ** منها في تعزيز وترسيخ الاستقرار الداخلي، أهميتها الكبيرة **جدًّا** فيما يترتب عليها من نتائج لأي مجتمع ينطلق على أساسها، **مع كل هذا، هي من الفرائض التي لا تحظى بالاهتمام المطلوب على المستوى العملي في الواقع، وتلقى محاربةً شرسةً جدًّا من الشيطان، وأولياء الشيطان، وقلة اهتمام في واقع المسلمين، إمَّا بشكلٍ عام، أو حتى على المستوى الداخلي لدى المسلمين.**

وهـذه مـن المفارقات العجيبـة، مسـألة بهـذه الأهميـة في موقعها في القـرآن الكريـم والآيـات الكثـيرة، وفي مـا تحـدث بـه الرسـول ﷺ، لهـا هـذه الأهميـة، لهـا هـذه الثمـرة، لهـا هـذه النتيجـة، والإهـمال لهـا، والتفريـط بهـا، يترتـب عليـه خسـائر كبـيرة **جـدًّا**، حالـة الفرقـة والاختـلاف عليهـا وعيـدٌ بعـذاب اللـه العظيـم، هـو أمـر رهيـب **جـدًّا**، كل إنسـان مؤمـن، صـادق الإيمـان، يسـعى إلى نجـاة نفسـه مـن عـذاب اللـه العظيـم، يترتـب عليهـا الخسـائر الكبـيرة، والفشـل الكبـير، عـلى مسـتوى سـعي النـاس للقيـام بمسـؤولياتهم فـلا يتمكنـون مـن ذلـك، يفشـلون في أعمالهـم، ينزعجـون مـن بعضهـم البعـض، وينشـغلون ببعضهـم البعـض، عـلى حسـاب قضاياهـم الكبـيرة والعظيمـة والمهمـة، ومسـؤولياتهم المقدسـة، الآثـار السـلبية **جـدًّا** شـنيعة، وفظيعـة، وخطـيرة، يفتحـون ثغـرات للشـيطان، فيعمـل عـلى توسـيع الفجـوة، عـلى أن يبـذر بـذور الشـقاق والفتنـة، ويترتـب عـلى ذلـك نتائـج سـيئة **جـدًّا** مـن المعـاصي والذنـوب المتنوعـة، والتـي سـنتحدث عنهـا- إن شـاء اللـه- عـلى نحـوٍ مـن التفصيـل.

أوامـر اللـه ﷻ في القـرآن الكريـم، التـي تتعلـق بهـذا الموضـوع كثـيرة، وصريحـة، وواضحـة، ومؤكـدة؛ **إنمـا** يبقـى الاسـتجابة، الاسـتجابة مـن كل الذيـن يعتـبرون أنفسـهم منطلقـين عـلى أسـاس الاسـتجابة للـه، اللـه يقـول في القـرآن الكريـم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]، يرسـم لنـا اللـه في القـرآن الكريـم أرقـى مسـتوى وأعظـم نمـوذج مـن الوحـدة، التـي تفـوق أي وحـدة في واقـع المجتمـع البـشري، **هـي: الوحـدة الإيمانيـة، التـي ننطلـق فيهـا مـن منطلقـاتٍ إيمانيـة**، فنعتصـم بحبـل اللـه جميعـاً، نلـوذ بـه، تجتمـع كلمتنـا عـلى أسـاس هـدى اللـه ﷻ، وتعليماتـه المباركـة، الجامعـة، المقدّسـة، العظيمـة.

١- آل عمران: من الآية ١٠٣

وهـذه الوحـدة الإيمانيـة يقـدِّم اللـه لنـا أساسـها المتـين، أساسـها العظيـم، أساسـها القـوي الـذي تبنـى عليـه، فيكـون بنيانهـا بنيانـاً شـامخاً، متماسـكاً، صلبـاً، قويـاً؛ **لأنـه** قـام عـلى أسـاسٍ وأرضيـةٍ صلبـةٍ، وثابـةٍ، ومتينـةٍ، وقويـةٍ، ومحكمـة.

من النصوص المهمة في وجوب التوحد والحذر من التفرق والاختلاف

مـن أكـبر العوامـل في الفرقـة والاختـلاف، هـو: الاختـلاف عـلى المسـتوى الفكـري، عـلى المسـتوى الثقـافي، عـلى مسـتوى الـرؤى، حتـى عندمـا نـأتي إلى الجانـب العمـلي، فتتبايـن الـرؤى المتعلقـة بالجانـب العمـلي، فيـؤدِّي ذلـك إلى التبايـن، وإلى الفرقـة، وإلى الاختـلاف، **والقـرآن الكريـم يعالـج أول مـا يعالـج هـذه المسـألة:**

فيحـدد لنـا المنطلـق والدافـع، ليكـون منطلقـاً إيمانيـاً، ودافعـاً إيمانيـاً مقدَّسـاً، فنحظـى مـن اللـه ﷻ بالمعونـة، بالتوفيـق عـلى ذلـك.

ثم يوحِّد لنا الرؤية؛ حتى نتحرك برؤيةٍ موحَّدةٍ، وتوجهٍ واحدٍ.

ثـم مـع ذلـك يؤكِّـد لنـا في القـرآن الكريـم أنـه لابـدَّ مـع التحـرك الجماعـي هـذا، مـن الأخـذ بأسـباب الوحـدة والألفـة، والحـذر مـن أسـباب الفرقـة والاختـلاف، ويعـدد لنـا ذلـك في القـرآن الكريـم.

هنـا في هـذا الأمـر الإلهـي: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، يـأتي الأمـر في: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾، الـذي يفيـد أن يكـون الاعتصـام جماعيـاً مـن الأسـاس بـ(واو الجماعـة)، ثـم أيضـاً يضيـف إلى ذلـك قولـه: ﴿جَمِيعًا﴾؛ **ليؤكِّـد** عـلى أنَّ هـذا الاعتصـام اعتصـام جماعـي، هـو اعتصـامٌ جماعـي، ويـأتي بعـده بقولـه: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2]، فهـو تأكيـدٌ ثالـث، هـذا التأكيـد الكبـير والواضـح يبـين خطـورة التفـرق،

١- آل عمران: من الآية ١٠٣

٢- آل عمران: من الآية ١٠٣

وأنه يعتبر من المعاصي، من الذنوب، من الجرائم الكبيرة، والخطيرة، والسيئة.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، فالمؤمنون بانتمائهم الإيماني، ومسؤولياتهم الإيمانية، ومسيرتهم الإيمانية هم إخوة، عليهم أن يشعروا بهذه الأخوة الإيمانية، التي هي أسمى من روابط النسب، ومن كل الروابط.

يقول الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، فيأمر بصلاح ذات البين؛ للحفاظ على الوحدة، على الأخوة، على التعاون.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[3].

يقول الله ﷻ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[4].

ويحذِّر أيضاً من الفرقة والاختلاف بتحذير شديد؛ باعتباره من الجرائم الكبيرة، من كبائر الذنوب، فيقول ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ **لأن** البينات تجمع، هي كافية **في أن** يجتمع بها وعليها المؤمنون، **في أن** تحل أي حالاتٍ من الاختلاف، أو سوء التفاهم، **في أن** تقدِّم ما يعالج العوائق النفسية المؤثرة سلباً على مسألة التوحد والتعاون بين المؤمنين.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5]، وهذا شيءٌ مخيف **جدًّا**، هو وعيدٌ صريح، ووعيدٌ لا يمكن أن يختلف، وهذا الذنب -بحد ذاته- كفيلٌ أن يدخلك إلى جهنم،

١- الحجرات: من الآية ١٠
٢- الأنفال: من الآية ١
٣- الصف: الآية ٤
٤- الشورى: من الآية ١٣
٥- آل عمران: الآية ١٠٥

أن يوصلك إلى العذاب العظيم، حتى لو كنت تتظاهر بالاهتمام بصلاتك، وبصيامك، وببعض الأعمال الأخرى، ولكنك ممن يتفرّقون، ممن يسعون للفرقة، ممن لا يسعى للأخوّة الإيمانية، ممن يتجه اتجاه الفرقة والشتات، وينأى، ويبتعد، ويسعى للخروج عن الصف الإيماني والأخوّة الإيمانية، فهذا الذنب- بحد ذاته- كافٍ في أن يوصلك إلى جهنم، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وهو في الواقع جرمٌ عظيم، تداعياته وآثاره السلبية خطيرةٌ **جدًّا**، وبالذات تجاه المسؤوليات الجماعية العظيمة والكبرى والمهمة في واقع الأمة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]، قوله تعالى مخاطباً لنبيه صلوات الله عليه وعلى آله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، عبارة مهمة **جدًّا جدًّا**، تبين ألَّا علاقة لهم برسول الله، ولا بما عليه رسول الله؛ **وبالتالي** لا علاقة لهم بالدين، أمر رهيب **جدًّا**، وأمر خطير **جدًّا**.

في الحديث النبوي الشريف عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله: ((**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**))، الهجر بالقطيعة، بالمباينة، بالانفعال والجفاء، فالقطيعة التي هي مبنيةٌ على جفاء، قطيعةٌ متعمدة، هي لا تَحِلُّ، إذا حصلت يجب التخلص منها قبل أن تطول، ((**ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**)).

يقول أيضاً صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: ((**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**))، الإيمان له أهميته حتى على المستوى التربوي، بمثل ما أهميته على المستوى المبدئي، أنه يرسي المبادئ الجامعة، هو أيضاً على المستوى التربوي يزكي النفوس، ويصيغها لتكون قابلةً لأن تأتلف، لأن

٢٢

١- الأنعام: الآية ١٥٩

تتعاون، لأن تتفاهم، لأن تتظافر جهودها في طاعة الله ﷻ، تعالج من الإنسان كل الترسبات والشوائب الخبيثة والسيئة، التي تمثل عائقاً **عن** الأخوّة الإيمانية، **وعن** التعاون على البر والتقوى، **وعن** التعاون في النهوض بالمسؤوليات الجماعية، **((ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السَّلام بينكم، وتواصلوا، وتبادلوا))**.

نتائج التفريط في هذه الفريضة المقدسة

النصوص التي تتعلق بالوحدة وأهميتها بين المؤمنين، والأخوّة فيما بينهم، هي كثيرةٌ **جدًّا**، ومؤكدةٌ، وواضحةٌ، وجعلت من المسألة مسألة أساسية، والنصوص التي تحذِّر من الفرقة، هي كثيرةٌ وصريحةٌ، واقترنت بالوعيد الصريح، ومع هذا **من الواضح في واقع المسلمين أنَّ من أكبر مشاكلهم أنهم فرّطوا، فرّطوا في هذا المبدأ العظيم، فرّطوا في هذه الفريضة المقدَّسة، بكل ما لها من أهمية، وما يترتب عليها من نتائج عظيمة، ودفعوا الثمن الباهظ، والمكلف، والكبير، نتيجةً لذلك.**

فعلى مستوى واقع الأمة الإسلامية، وعلى مدى التاريخ، وفي المرحلة الراهنة، تضرر المسلمون **جدًّا** من فرقتهم، فهم أمةٌ كبيرة، لديها الإمكانات الهائلة، ولكن لأنها أمةٌ مشتتة، مفرقة، واتجه أعداؤها للتوحد ضدها، أصبحت أمةً مضطهدة، فانتماء الإنسان المسلم إلى أمةٍ كبيرة بحجم المسلمين، إلى أكثر من مليار مسلم، لا يجعله يشعر بأنه فعلاً يستند إلى دعم كبير، إلى سند عظيم، هو أمته التي ينتسب إليها؛ **لأنه** يدرك أنه قد يكون- وهو هناك، أو هناك، في بقعةٍ من بقاع العالم الإسلامي- مهما واجه من تحديات، ومن أخطار، أو من ظلم واضطهاد، أو من إذلال وإهانة، فليس هناك اهتمام بواقعه، ليس هناك ذلك التآخي، التعاون فيما بين

هذه الأمة، التكاتف فيما بين هذه الأمة، لتكون إلى جانب بعضها البعض، **لا في** مواجهة التحديات، والأعداء، والأخطار، **ولا في** تحقيق المصالح المشتركة الكبيرة والعظيمة، التي تنهض بالأمة في كل مجالات حياتها، **ولا في** أشكال التعاون على البر والتقوى.

ولذلك تجرَّأ أعداء هذه الأمة عليها، ويضطهدون المسلمين في مختلف بقاع الأرض، يلقى المسلمون في كثيرٍ من بلدانهم، في كثيرٍ من المناطق، وحتى على مستوى القارات، الاضطهاد على المستوى الديني المباشر، في شؤون دينهم، يُمنَعون، أو يعذَّبون، أو يضطهدون، أو تحصل إبادات جماعية، أو تهجير واسع... أو أي شيء من ذلك، يمنعون من أشياء حتى من أشياء سلوكية، أشياء تعبِّر عن هويتهم الإيمانية، كالحجاب مثلاً، أشياء كثيرة **جدًّا**، تصدر الإساءات إلى القرآن الكريم، والعمل لحرقه، وتصدر الإساءات إلى رسول الإسلام ﷺ، إلى مقدسات المسلمين، وبكل جرأة من جانب الأعداء؛ **لأنهم** يدركون أنَّ هذه الأمة وإن كانت كبيرةً في حجمها، كأمة من حيث العدد، والرقعة الجغرافية، والإمكانات، لكنها ليست قوية، ليست قوتها بحجمها؛ **لأنها** مشتتة، مفرَّقة، مبعثرة، غرق كل بلدٍ من بلدانها في همومه، ومشاكله، وجزئياته، وقضاياه، وتخلت عن مسؤولياتها الجماعية، التي هي المفتاح لتعزيز الأواصر فيما بينها، والروابط فيما بينها.

٢٢ **دخلت الفرقة بكل أشكالها ما بين العالم الإسلامي والأمة الإسلامية، الفرقة بكل أشكالها:** الفرقة والاختلاف على المستوى الفكري والثقافي، وعلى المستوى السياسي، واشتغل الأعداء من جانبهم أيضاً على المستوى الجغرافي، فقطَّعوا أوصال هذه الأمة إلى بلدان، وقسَّموها، وجزَّؤها، ورسموا بينها حدودها السياسية، ثم اشتغلوا بشكلٍ مستمر، ويعملون بشكلٍ مستمرٍ

ودؤوب على توسيع الفجوة بين أبناء الأمة، **يستنسخون بشكلٍ مستمر المزيد من كل عوامل الفرقة**، مما يشتت المسلمين على المستوى الثقافي، وعلى المستوى المذهبي، وعلى المستوى الفكري، وعلى المستوى السياسي، وعلى... على كل المستويات، حتى على المستوى العرقي، أصبحوا يشتغلون لبعثرة المسلمين من خلال ذلك.

فأوصلوا المسلمين إلى ما وصلوا إليه من الفرقة والشتات الكبير، الذي لا مثيل له عند غيرهم، فيما الأعداء يتجهون إلى تحالفات، وتكتلات، ويجتمعون على مواقف موحَّدة ضد أمتنا الإسلامية، يصبح اجتماع الأمة الإسلامية على أي موقف أمراً صعباً **جدًّا**، وأحياناً يكون الاجتماع محدوداً **جدًّا**، وعلى مستوى شيءٍ شكليٍ، إصدار بيان، أو نحوه، ثم في الأخير حتى بهذا القدر لم يعد متوفراً.

دخل الأعداء بالفتنة التكفيرية ليوسِّعوا أكثر وأكثر، ويعمِّقوا جراح هذه الأمة أكثر وأكثر، ودخلوا بالعناوين الأخرى: العناوين السياسية، ودخلوا عبر الأنظمة العميلة لهم من المنافقين، الذين يمثِّلون معاول الهدم في يد أعداء الأمة؛ كذلك ليوسِّعوا الفجوة من الداخل أكثر فأكثر، وليثيروا الفتن في داخل هذه الأمة أكثر فأكثر.

مقومات وحدة الأمة قائمة لو توفرت الإرادة الصادقة

مع كل ما وصلت إليه الأمة من شتات وفرقة، وما يعمله الأعداء، فلو توفرت لدى الأحرار والأخيار، والذين يتجهون الاتجاه الإيجابي والسليم من أبناء الأمة، توفرت عندهم الإرادة القوية والصادقة على معالجة هذه المشكلة بالتحرك الجاد، من خلال تعزيز الانتماء الإسلامي الجامع، والالتقاء على القرآن الكريم، والقواسم المشتركة، وتوحيد الموقف من القضايا الرئيسية،

هذا- بحد ذاته- سيكون مقدمةً فيما يتعلق بالواقع الإسلامي العام، مقدمةً مهمةً **جدًّا**، تساعد الأمة الإسلامية؛ **لأن** الحديث عن توحُّد المسلمين جميعاً دفعةً واحدةً حتى على مستوى الموقف الواحد، يكاد يكون من المستحيل بالنظر لما وصلوا إليه، ولطبيعة التوجهات التي أصبحت سائدة لدى الكثير من أبناء الأمة، الذين غابت من اهتماماتهم مثل هذه المسائل، وأصبحت عندهم العقد الكثيرة، والعوائق الكثيرة، والسلبيات التي تبعدهم عن مثل هذه الأمور إلى حدٍ كبير.

ولكن على المستوى الإجمالي، فيما لو تحرَّك الأخيار، الناس الناصحون، الحريصون من أبناء الأمة، على أساس الالتقاء تحت العناوين الجامعة: العنوان الإسلامي، الذي يتجاوز الأطر المذهبية، والأطر الجغرافية، والعودة إلى القرآن الكريم، والتحرك في إطار المواقف الجامعة، في القضايا التي هي قضايا تهم الأمة كل الأمة، لها علاقةٌ بالأمة بشكلٍ عام، فالتوجه على هذا النحو، وإن شاء الله مؤشراته وبشائره فيما يتعلق بتحرك الأحرار من أبناء الأمة، والمجاهدين من أبناء الأمة في قضية فلسطين، والقضايا الجامعة، مبشراته- إن شاء الله- جيدة.

على مستوى مجتمعٍ معين، كبلدنا اليمن، الذي لنا فيه الهوية الجامعة، الهوية الإيمانية، الانتماء الإيماني الجامع، ونعيش كبلدٍ واحدٍ، تجمعنا الروابط الكثيرة **جدًّا**، ترسيخ هذا الانتماء الإيماني، هذه الهوية الجامعة الإيمانية، وهي هوية مباركة، هوية عظيمة، **والتحرك على أساس القرآن الكريم، هو من أهم وأعظم وأقدس ما هو كفيلٌ بأن يجمع، وأن يؤلِّف الله القلوب عليه، وفي مواجهة التحديات والأخطار الكبيرة التي نواجهها.**

٢٢

وهناك فعلاً عوامل هدمٍ تشتغل للتفرقة بين أبناء شعبنا، وفي مقدمتها: التكفيريون والمنافقون، التكفيريون هم منافقون، ولكن لهم سمة معينة، يشتغلون تحت العناوين الدينية، ويرسِّخون ويجذِّرون حالة الفرقة، ويوسِّعون الفجوة بين أبناء الشعب اليمني، ويكفِّرون بقية أبناء الشعب، من لا يتجهون بتوجههم، ومن لهم منهم موقف، ويشتغلون كأداة في يد أعداء الإسلام والمسلمين.

على المستوى العام، كلما رُسِّخت الهوية الإيمانية الجامعة، وكلما رُسِّخ الارتباط بالقرآن الكريم، والاهتداء به، والتحرك ضمن المسؤوليات الجماعية، التي هي جهادٌ في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإقامةٌ للقسط، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر، نعمل من خلالها على أن نحقق لبلدنا الاستقلال عن التبعية لأعدائه، الخلاص من التبعية لأعدائه، العمل على إبعاد سيطرة المنافقين عن شعبنا؛ **لأنه** شعبٌ عظيم، شعبٌ مسلم، شعبٌ هويته إيمانية، لا يليق ولا يجوز أبداً أن يسيطر عليه المنافقون، التابعون لأعداء الأمة، الموالون لأعداء الأمة، الذين يعملون بكل وسعهم على تنفيذ أجندة ومؤامرات أعداء الأمة في الواقع الداخلي.

من مواصفات المؤمنين الساعين لترسيخ الأخوة الإيمانية

لكن عندما نأتي إلى واقعنا كذلك في إطار هذا التحرك الإيماني، ما الذي يساعدنا أكثر على ترسيخ وتعزيز هذه الأخوّة الإيمانية؟

كما قلنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل لها الأساس الذي تبنى عليه، وهي: الرؤية الواحدة، عندما نتحرك وفق هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي هو النور، هو البصيرة، ولا نتحرك وفق أهوائنا، وفق آرائنا التي قد تكون البعض منها آراء سخيفة، بعيدة عن الحكمة، بعيدة عن الصواب، **ونعود إلى القرآن الكريم**، فهذه

هـي الأرضيـة الصلبـة، التـي يبنـى عليها بنيـان الأخـوّة عـلى أرقـى مسـتوى.

ثـم التحـرك في إطـار المسـؤولية الجامعـة، اللـه ﷻ يقـول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فمـن ضمـن مواصفاتهـم الإيمانيـة، والتزاماتهـم الإيمانيـة، وما يدخـل في إطـار التزامهـم الإيمـاني، واسـتقامتهم الإيمانيـة، قولـه: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، فهـم يتجهـون كأمـةٍ واحـدة، متآخيـة، متعاونـة، متفاهمـة، تتظافـر جهودهـا للنهـوض بهذه المسـؤولية الجماعيـة: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾... إلى آخـر الآيـة المباركـة، ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

يقـول أيضـاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾[2]، صـف واحـد، يجمعهـم التوجـه الواحـد، الموقـف الواحـد، التعـاون فيـما بينهـم، تظافـر جهودهـم فيـما بينهـم، ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[2]، في مسـتوى تعاونهـم، تآخيهـم، تماسـكهم، صلابتهـم، قوتهـم، كالبنيـان المرصـوص.

في القـرآن الكريـم هدايـةٌ واسـعة إلى العوامـل التـي تسـاعد عـلى الأخـوّة الإيمانيـة، التـي تسـاعد عـلى الحفـاظ عـلى وحـدة الكلمـة، وعـلى اجتـماع الكلمة مـن كل الجوانـب، كـما هـو عـلى المسـتوى الفكـري، والثقـافي، والرؤيـة العمليـة الواحـدة، هـو أيضـاً عـلى مسـتوى المسـؤولية الجامعـة، المسـؤولية الواحـدة التـي يتحركـون فيهـا، ويؤلـف اللـه بـين قلوبهـم، بتوجههـم الصـادق، بإخلاصهـم في ذلـك للـه ﷻ، بتوجههـم لتنفيـذ ذلـك مـن أجـل اللـه ﷻ.

١- التوبة: الآية ٧١
٢- الصف: من الآية ٤

هناك ما تبنى عليه هذه الوحدة، وهناك ما يحافظ عليها، ويساعد عليها، على المستوى النفسي، على المستوى التربوي، القرآن الكريم يقدِّم ما يزكي النفوس، ما يُخَلِّصَها من الشوائب الخطيرة التي تعيق مسألة الأخوّة والتعاون، يُخَلِّص النفس البشرية من الأنانية، من الحسد، من الكبر، من الطمع، من الجشع، يساعد الإنسان على أن تزكو نفسه، وزكاء النفس يجعل نفسية الإنسان قابلةً للألفة، سليمةً من العقد، قريبةً من الأخوّة، ليس فيها ما يصنع الحواجز والعقد من السلبيات الخطيرة.

ثم على مستوى حسن التعامل، وبذل المعروف، والإحسان، والسعي لصلاح ذات البين، والتحلي بالقيم المساعدة على ذلك، فتأتي المواصفات المهمة، التي تبيِّن ما هم عليه فيما بينهم، من مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]، إذا ترسَّخت هذه المواصفات العظيمة، إذا كانت الرحمة هي السائدة فيما بينهم، في تعاملهم مع بعضهم البعض، في اهتمامهم ببعضهم البعض، في أسلوبهم في التعامل مع بعضهم البعض، في الاهتمام بشؤون بعضهم البعض، إذا كانت الرحمة هي السائدة، أَلَا ينتج عنها الألفة؟ أَلَا ينتج عنها الأخوّة؟ أَلَا ينتج عنها التعاون؟ بلى، وحالة مستمرة، ﴿رُحَمَاءُ﴾، تصبح من المواصفات الرئيسية التي يستمرون عليها، ويبنى عليها سلوكهم، وتعاملاتهم فيما بينهم، ونظرتهم تجاه بعضهم البعض، وبذلهم المعروف لبعضهم البعض، ومستوى التعاطف فيما بينهم لكل ما يستدعي حالة الرحمة.

١- الفتح: من الآية ٢٩

يقول أيضاً عنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وهذا كذلك قدَّمه كمواصفة من المواصفات الأساسية المهمة، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهم فيما بينهم، في معاملاتهم، في تصرفاتهم تجاه بعضهم البعض، يتعاملون بمنتهى التواضع، ليس فيهم الجرأة على الإساءة إلى بعضهم البعض، القسوة على بعضهم البعض، الغلظة على بعضهم البعض، الجرأة بارتكاب الجريمة في الاعتداء على بعضهم البعض، هم بعيدون عن كل ذلك، هم في منتهى التواضع فيما بينهم، ليس عنده الجرأة لا في الإساءة، ولا في الاعتداء، ولا في الظلم، ولا في أي تصرفٍ سيء يصدر من جانبه عمداً تجاه أخيه المؤمن، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

كظم الغيظ والعفو دليل صفاء النفس والوعي الكبير

يقول عنهم أيضاً: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾آل عمران: من الآية ١٣٤، أيضاً يتحلون بصفة كظم الغيظ، حتى إذا بَدَر من أخيه المؤمن ما قد يزعجه، أو ينفعل منه، فهو لا يبادر فوراً إلى الإساءة، وإلى الرد حتى بأكثر من ذلك، وإلى أن يُخرِج كل ما في قلبه بشكل إساءات، واتهامات، وكلام جارح، إذا اغتاظ، والغيظ هو أشد حالة من حالات الانفعال والغضب، وهي الحالة الخطيرة على الكثير من الناس، الذين إذا عانوا من هذه الحالة، لم يعودوا ينضبطون بأي ضوابط، سيقولون أي كلام، مهما كان جارحاً، مهما كان مسيئاً، مهما كان فيه أيضاً أحياناً افتراءات، وإساءات، واتهامات باطلة، وكلام جارح، فيتحمل الإنسان الوزر الكبير، ويصنع الفجوة التي تزداد يوماً بعد يوم.

٢٢

١- المائدة: من الآية ٥٤

فهم قال الله عنهم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، بما يفيد أنها صفة يستمرون عليها، ليس بمجرد أي حالة انفعال يبدأ يتكلم، ويسيء، وتحصل من جانبه ردة فعل، وكثيراً ما تكون ردود الأفعال مبالغاً فيها، أكثر ما تكون مبالغاً فيها، فيها اتهامات أكثر، فيها إساءات أكثر، فيها جرح أكثر، القليل من الناس الذين قد ينضبط حتى في مستوى ردة الفعل، عندما يصدر ما يزعجه، أو ما يجرح مشاعره، **أكثر ما يحصل هو:** الرد المبالغ فيه، الذي يتحمل الإنسان فيه الوزر، وهو يريد أن يشفي غيظه، **أو كما يقولون:** [أن يبرد غليله]، أن يتكلم، يتكلم، ويسيء، ويجرح، ويقول ما يرى أنه ارتاح بكل ما قد قال، ولكن هذا لا يليق، لا يليق أخلاقياً، ولا إنسانياً، ولا إيمانياً، وهو- في نفس الوقت- مما يورِّط الإنسان في أن يحمِّل نفسه الوزر والإثم، وهذا يحصل للكثير، يحصل للكثير في ردود أفعالهم الظالمة، المشحونة بالافتراءات، والإساءات، والكلام الجارح، والاتهامات الباطلة، والبعض أيضاً قد يضيف إليها أيماناً، ويقسم على ذلك، وهذه أمور شنيعة، وأمر رهيب **جدًّا** عندما يحلف الإنسان أيضاً اليمين الفاجرة، يضيف إلى ذلك ذنباً على ذنب.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قد حتى يعفو؛ **لأنه** يحمل اهتمامات كبيرة، مسؤولية عظيمة، حريص **جدًّا** على ما هو أهم، على القضية الكبرى، على مواجهة التحديات الخطيرة، يمتلك الوعي الكافي عن مخاطر الفرقة، وعمَّا تسببه من ضعف، وشتات، وفشل، وتمكين للأعداء، وما ينتج عن ذلك من مخاطر كبيرة **جدًّا** على الناس في دينهم ودنياهم.

يقول عنهم، عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1]، في واقعهم الداخلي تجاه ما قد يبدر مما يستفزهم، مما يغضبهم من كلمةٍ من هناك، أو تصرفٍ من هناك، هم لا يبادرون بكل سرعة، بكل جرأة، بكل شدة، على ردة الفعل المسيئة، أو الجارحة، أو المؤلمة، أو الانتقامية، لا يعيشون حالة العقدة، عقدة الحقد، وعقدة الانتقام تجاه كل شيء، كل شيء، أبسط كلمة، أبسط استفزاز، أبسط مشكلة، ثم تأتي ردة الفعل المبالغ فيها، الانتقامية، الحنقة، التي تعبِّر عن أنَّ الإنسان يحمل في داخله حقداً، كراهيةً، عقداً، ليست نفسيته سليمة في ذلك؛ **أمَّا** هم فيقول عنهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، ويأتي هذا في سياق نقاء أنفسهم، صفاء أنفسهم، اهتماماتهم الكبيرة بالأمور العظيمة، بالمسؤوليات الكبيرة، وعيهم بخطر الأعداء، وخطر التفريط في مواجهتهم، وعيهم بحجم القضايا، لا يجعلون من الحبة قبة، يساوي أي إشكالية، أي قضية، أي سوء تفاهم، بأكبر مشكلة، البعض من الناس يعني أبسط قضية عنده أكبر من المشكلة الفلسطينية، أكبر من العدوان الجاري على البلد، أكبر من أي قضية أخرى، انفعاله من ذلك الأمر الذي استفزه، غضبه، توتره الشديد، انزعاجه الشديد، ردة فعله، اهتمامه الكبير، يفوق كل أمرٍ آخر، هذا يدل على حالة نفسية غير سليمة، حالة نفسية صغيرة، لا تحمل الاهتمامات الكبيرة، المشاعر الإيمانية، لا تعطي قيمة للتوجيهات الإلهية، وهذا ما سنتحدث عنه أكثر- إن شاء الله- لاحقاً.

١- الشورى: من الآية ٣٧

الكلام حول هذا الموضوع له تفاصيله الكثيرة، نتحدث عنها لاحقاً إن شاء الله.

ونكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

*****

٢٢

الأخوّة الإيمانية (٢)

العامل الأبرز لقوّة الأمة وحمايتها واستقلالها

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن المبدأ الإسلامي العظيم: الاعتصام بحبل الله جميعاً، ووحدة الكلمة على أساس ذلك، والأخوّة بين المؤمنين؛ **باعتبار** ذلك من أهم المبادئ الإسلامية، والفرائض الدينية الإلزامية، التي أتى الأمر بها في القرآن الكريم، وتكرر كثيراً، وأتى الحديث عنها واسعاً من جوانب متعددة.

تحدثنا بالأمس عن بعضٍ من النقاط، في بدايتها: أنَّ هذا هو من المبادئ الأساسية، عندما قال الله سُبحانَهُ وتَعالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]، عندما قال جَلَّ شأنُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، هذا المبدأ العظيم لأهميته وما يترتب عليه لابدَّ منه في إقامة الدين، في إقامة القسط، لا يتهيَّأ للأمة أن تتحرك ضمن استجابتها لله سُبحانَهُ وتَعالَى لإقامة الدين **إلَّا** بذلك.

كما هو أيضاً فريضةٌ إلزاميةٌ على المستوى الإيماني، لا يتحقق الإيمان، وكمال الإيمان بين المؤمنين، **إلَّا** به، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، أمرٌ ملازمٌ لإيمانهم، إذا كان الإنسان مفرِّطاً في ذلك، ولا يهمه ذلك، ويتجه اتجاهاً فردياً، وعلى قطيعةٍ مع إخوانه المؤمنين، فهو بعيدٌ عن الالتزام الإيماني، ومخلٌّ بإيمانه، ومذنبٌ بذلك.

لأهمية المبدأ العظيم في الاعتصام الجماعي بحبل الله سُبحانَهُ وتَعالَى، لابدَّ منه أيضاً في أن تحظى الأمة بالاستقلال عن التبعية لأعدائها، وأن تتحصن من اختراقهم، ولذلك أتى هذا الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، ضمن ما هدى الله إليه فيما يحمي الأمة ويحصِّنها من سيطرة أهل الكتاب عليها، من سيطرة اليهود عليها، ومن اختراقهم لها، فأتى هذا المبدأ من المبادئ والأعمال الأساسية التي تحصِّن الأمة، وتحفظ الأمة، وتحمي الأمة من اختراق أعدائها، ومن سيطرة أعدائها عليها، ومن تمكُّنهم من التطويع لها واستغلالها، فهو مبدأ له هذه الأهمية بالنسبة للأمة في دينها، في كرامتها، في عزتها، له هذه الأهمية في تحصينها، وحمايتها، والحفاظ عليها، ليس أمراً عادياً، يمكن أن يهتم الإنسان به، أو لا يهتم، فإذا لم يهتم كانت النتائج عادية، أو بسيطة، أو الأضرار طفيفة، أو التبعات محدودة.

١- آل عمران: من الآية ١٠٣
٢- الحجرات: من الآية ١٠

نتائج التفريط بهذا المبدأ العظيم: أن يتمكن أعداء الأمة، أعداء المؤمنين، من السيطرة عليهم، من الإذلال لهم، من فرض ما يريدون عليهم، من التطويع لهم، من الاستغلال لهم، ولذلك المسألة في غاية الأهمية.

كما أنه مرتكزٌ أساسٌ للنهوض بالمسؤوليات الجماعية، المسؤوليات الجماعية التوجه الإلزامي فيها على المستوى الفردي هو مؤكد، **بمعنى:** أن كل شخصٍ عليه أن يسعى للتوحد مع إخوته المؤمنين، والتعاون معهم في النهوض بتلك المسؤولية الجماعية، لا أن يتجه للتحرك على نحوٍ فردي، بشكلٍ شخصي، وعلى أساسٍ فردي، **يقول:** [أنا سأتحرك بمفردي، لا شأن لي بالآخرين، وسأعمل في سبيل الله لوحدي، وسأتحرك لوحدي، ولا يهمني الآخرون ، ليست المسألة على مزاج الإنسان، عندما تريد أن تتحرك وفق توجيهات الله، وفق تعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من منطلق الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد وجَّهك إلى كيف تتحرك، عندما قال في الآية المباركة: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾، وقال: ﴿جَمِيعًا﴾ وقال: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، عندما قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾[1].

وأتت هذه المواصفات لتقابل المواصفات النقيضة لها عن المنافقين، قبل ذلك بعدة آيات قال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[2]، في مقابل أنَّ المنافقين يجمعهم، وإن اختلفت دوافعهم، من حيث الأطماع، والأهواء، والرغبات، **لكن يجمعهم قاسمٌ مشترك:** هو العداء للمؤمنين، هو

١- التوبة: من الآية ٧١
٢- التوبة: من الآية ٦٧

الكره للمؤمنين، هو التوجهات التخريبية في الأمر بالمنكر، في النهي عن المعروف، في تخريب الساحة الإسلامية من الداخل، ففي المقابل لابدَّ أن يكون تحرك المؤمنين، سواءً في التصدي لتحرك المنافقين، أو من وراء المنافقين، من الكافرين وأعداء الإسلام والمسلمين، لابدَّ أن يكون تحركاً كما رسمه الله، كما وجّه الله إليه: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، صفٌ واحد، توجهٌ واحد، موقفٌ واحد، والله قد هيَّأ الأرضية الصلبة الملائمة، التي يقوم عليها هذا التوجه، عندما هيَّأ أن يكون هناك منهجية واحدة، هي كتابه، هي هديه، هي نوره، وقيادةٌ واحدة تتحرك بالأمة على ذلك الأساس، تتحرك بالمؤمنين على ذلك الأساس، وموقفٌ واحد، وهيأ أيضاً من جوانب كثيرة- سنتحدث عن البعض منها في سياق الحديث- ما يساعد على ذلك.

من جانبٍ آخر، إلى جانب أن المسألة مسألة إيمانية، إذا لم يلتزم الإنسان بها، فليس بمؤمنٍ صادق الإيمان، وكامل الإيمان، وهو مخلٌّ بما هو من الفرائض الإيمانية الإلزامية، المهمة **جدًّا**، فقد تكون بقية أعماله لا قيمة لها، ليست مقبولةً منه؛ **لأنه** مخلٌ بما هو من الأساسيات، في الالتزامات الإيمانية، وفي تحقيق التقوى.

مبدأ الاعتصام.. العامل المهم في عزة الأمة وقوتها

من أهم ما هو معروفٌ عن هذا المبدأ العظيم، وهذه الفريضة المقدسة: أنه عامل قوة، عامل قوةٍ في كل شيء: في التصدي للأخطار، للأعداء، للتحديات، عامل قوة في مستوى إنجاز الأعمال العظيمة والأمور الكبيرة في كل المجالات، عندما يكون هناك تعاون، توجه جماعي، تظافر للجهود، تكاتف، هذا يتحقق به الأشياء الكبيرة، والأمور المهمة والعظيمة.

هناك درسٌ كبيرٌ وواضحٌ جدًّا من واقع الأمة الإسلامية، الأمة التي هي كثيرة العدد، بأكثر من مليار مسلم، في بعض التقديرات بأكثر من مليار ونصف مليار مسلم، بأكثر من المليار والنصف مليار، الأمة التي هي تمتلك رقعةً جغرافيةً واسعةً ومهمة، في مناطق من أهم المناطق في العالم، في موقعها الاستراتيجي، الأمة التي تمتلك الثروات والإمكانات الاقتصادية، وفي باطن الأرض، والثروات التي لم تستثمر بعد بشكلٍ هائل **جدًّا**، واقعها ضعيف على نحوٍ عام، مقارنةً ببقية الأمم، من الأمم الأخرى على وجه الأرض، ومهما زاد عدد المسلمين، ومهما كانت إمكاناتهم، ومهما... وهم على هذا النحو من الفرقة والشتات؛ **فذلك** يؤثر عليهم، يؤثر عليهم.

بينما إذا اتجه البعض من المسلمين؛ لأن الانتظار للجميع حتى يتوحدوا لا ينبغي أبداً، هو انتظارٌ للمستحيل، عندما يتجه البعض من أبناء هذه الأمة ليتوحدوا، وتجتمع كلمتهم على أساسٍ صحيح، في الموقف الصحيح، تظهر قوتهم، فاعليتهم في الساحة، أثرهم الكبير، إنجازاتهم الضخمة.

عندما نرى مثلاً كنموذج من أحسن النماذج وأرقاها: حزب الله في لبنان، مجموعةٌ من المؤمنين تحركوا، اجتمعت كلمتهم على أساسٍ صحيح، في الموقف الصحيح، في الاتجاه الصحيح، حققوا نتائج كبيرة، وكانت قوتهم في التصدي للعدو الإسرائيلي، وفاعليتهم واضحةٌ **جدًّا**، وعاليةٌ **جدًّا**، وهكذا في أي بقعةٍ من بقاع العالم الإسلامي، يجتمع المؤمنون، وتتوحد صفوفهم، وتتظافر جهودهم؛ **تظهر** النتائج الكبيرة والمهمة.

فهو عامل قوة، وهذا دافعٌ مهم، الوعي بهذه الحقيقة، وحرص المؤمنين، حرص الناس ذوي الوعي، والبصيرة، والرشد، والحكمة، أن يكونوا أقوياء في موقفهم، أقوياء في عملهم، أقوياء وناجحين في مهامهم، فالجهد الجماعي،

والتعاون، وتظافر الجهود، والأخوّة الحقيقية، الأخوّة الإيمانية التي هي أرقى أخوّة، وأرقى الروابط، وأسمى الروابط، التي تعزز حالة التعاون، المبنية على انسجام، وتفاهم، وتراحم... إلى غير ذلك، فهو عامل قوة في التصدي للعدو وللأخطار في كل المجالات، ولهذا أتى التشبيه في الآية المباركة للمؤمنين المقاتلين في سبيل الله صفاً واحداً، بتعاونٍ، بتوجهٍ واحد، بأخوّةٍ حقيقية، قال عنهم: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[١]؛ **ولذلك** يتحتم على الإنسان المؤمن أن يسعى لأن يكون لبنةً صالحةً تدخل ضمن هذا البنيان المرصوص.

كما هو- كما أشرنا بالأمس- عامل استقرار مهم في الوضع الداخلي، في إطار التحرك العملي لابدَّ من توفير حالةٍ من الاستقرار والهدوء، تساعد على أن تتوجه كل الطاقات، كل الاهتمامات، إلى الموقف المهم في التصدي للعدو، في الاهتمام بالأعمال المهمة، في إنجاز ما ينبغي إنجازه.

إذا فسد الواقع الداخلي، وشابته الخلافات، المشاكل، النزاعات، التباينات، العقد، يؤثِّر هذا إلى حدٍ كبيرٍ **جدًّا**، جزءٌ كبيرٌ من التفكير، إن لم يكن كله، وجزءٌ كبيرٌ من الجهد العملي، من الكلام، يتجه لخدمة فساد ذات البين، لخدمة الشقاق والنزاع، لخدمة الخلافات، والبعض يكون في ذلك أنشط منه في الاتجاه الرئيسي، الاتجاه الصحيح، في النهوض بالمسؤولية، إذا تحوَّلت المسألة مسألة خلافات، وسوء تفاهم، وشقاق، يكون نشيطاً، حاد اللسان، متحركاً، متابعاً، معمماً، نشطاً في الاتجاه السلبي، بأكثر منه في الاتجاه الصحيح، وحاداً، وأكثر جرأة، أكثر جرأةً، لأكثر منه في الاتجاه الصحيح.

١- الصف: من الآية ٤

ثم يتحول الحال في الانشغال، والعوائق، والتأخير، إلى نحوٍ سلبي، وذلك مما يبين جرم وإثم وذنب هذا السلوك، هذا التصرف، الذي هو في إطار الفرقة، وليس في إطار جمع الكلمة، وترسيخ الأخوّة، وتعزيز الأخوّة الإيمانية.

عندما ينشط الإنسان فيما يفرِّق، فيما يبعثر، فيما يوسِّع الفجوة، فيما يعزز حالة الصراع الداخلي، الشقاق الداخلي، فهو يتجه الاتجاه الشيطاني، مع إبليس، هذه هي وظيفة إبليس، وظيفة الشيطان، دور الشياطين، ودور أوليائهم، الذين يعملون دائماً على التفكيك، على إثارة النزاع، على البعثرة، على تعزيز حالة الكراهية والبغضاء بين المؤمنين، ويعملون على ذلك بأهداف شيطانية، بأهداف شيطانية، فالمسألة سلبيتها كبيرةٌ **جدًّا**، تؤثِّر على الواقع العملي، تؤثر على النفوس، تتفرع عنها الكثير من المعاصي: النميمة، الغيبة، الكذب، الافتراء، البهتان، سوء الظن... كم تتفرع عنها من المعاصي، وسنتحدث- إن شاء الله- عن ذلك بالتفصيل.

عظمة مبدأ الاعتصام ودلالاته المهمة

فمن أهمية هذا المبدأ العظيم: أنه يمثِّل عامل استقرار وسلامة من كثيرٍ من الفتن، والمشاكل، والهموم، لصالح ما ينبغي توجيه الطاقات والقدرات، وحتى المشاعر الساخطة نحوه، مشاعر الغضب، والسخط، والانفعال، والشدة، وكذلك الجرأة، كل هذا يمكن توجيهه في الاتجاه الصحيح، حيث تؤجر، وحيث تشكر، وحيث يكون لذلك إيجابياته الكبيرة، ضد أعداء الأمة، ضد أعداء المؤمنين، الاتجاه الصحيح.

مما يدل عليه أيضاً هذا المبدأ العظيم في اهتمام الإنسان به، وسعيه للالتزام به: أنه يدل على الوعي لدى الإنسان، يدل في واقع الإنسان نفسه، في حالة التزامه، اهتمامه، سعيه لذلك، أنه إنسانٌ واعٍ، يدرك أهمية هذا الأمر من كل الجوانب، ويدل على تحليه بالمسؤولية، أنه من المهتمين بالنهوض بالمسؤولية، لديه حرص كبير، أنه بالفعل إنسانٌ مجاهدٌ حقاً، يدرك أهمية المسألة، وقيمتها، وما يترتب عليها من النتائج، وأنه مخلص.

يدل أيضاً على زكاء النفس، وسلامتها من الأنانية، والضغائن... وكثيرٍ من الآفات التربوية، التي هي وراء ألَّا يكون لدى الإنسان تقبُّل للأخوة، للتعاون، للانسجام، حتى للصبر من أجل ذلك.

فهذه جوانب مما يدل على أهمية هذا الأمر العالية، أهميته الكبيرة، وشأنه العظيم، ومسيرة الإسلام قامت على هذا الإساس، مسيرة الإسلام بكلها قامت على مبدأ الأمة الواحدة، التي تتحرك وفق مسؤوليةٍ واحدةٍ، ومنهجٍ إلهيٍ عظيم، وفي إطار قيادةٍ واحدةٍ، تتحرك على أساس هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأخوّة الإيمانية، والتحلي بالمسؤولية في إطار ذلك، وقدّمت نموذجاً راقياً وناجحاً، حلَّ مشكلة العرب آنذاك في الفرقة والشتات إلى حدٍ كبير، ووجَّه طاقاتهم في الاتجاه الصحيح.

كان العرب مشتتين، متفرِّقين، وكانوا مختلفين في كل شيء، وكان العرب شديدين في خلافاتهم، وفي صراعاتهم، يمكن أن يقتتلوا حتى على عقال بعير (مربط الجمل)، معركة حامية **جدًّا** تقوم على ذلك، ويمكن لكلمة تبدر من شاعرٍ في تلك القبيلة، أو خطيبٍ فيها، أن يفتح صراعاً ساخناً، ومعركةً على أشدها، ويمكن لأي خلاف أن يفسد ذات بينهم، وأن يوسِّع الفجوة بينهم، وأن يفتح صراعاً ساخناً فيما بينهم... وهكذا غرقوا في صراعات كثيرة،

كثيرة **جدًّا**، جزءٌ كبيرٌ منها، وعددٌ كبيرٌ منها، على قضايا تافهة، شيءٌ منها لا يستحق أصلاً أن يفتح الإنسان من أجله أي مشكلة، يمكن أن يتجاهله، أن يتغاضى عنه، وجوانب منها يمكن أن تحل بشكلٍ صحيح، بطريقةٍ إيجابية، على أساسٍ من الحق، والعدل، والإنصاف، أو على أساسٍ من التصالح والتراضي، وبقيت هذه المشكلة في الواقع العربي، عادت إليه فيما بعد، كان رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في حركته بالإسلام يتجه بالمسلمين أن يتوحَّدوا بالإسلام، يتجه بالمؤمنين أن يتآخوا في إيمانهم، وكان يرسِّخ هذا الجانب، ويؤاخي بينهم، ويعزز الروابط فيما بينهم، وكان يحثهم على ذلك، وكان يسعى إلى ذلك بكل جهد، وإذا حصل التوجه؛ **حصل** معه التدخل الإلهي.

وهذا ما حصل مثلاً في قصة الأوس والخزرج، وكان بينهم قبل الإسلام خلافٌ شديد، ونزاعٌ شديد، واقتتالٌ شديد، وعداءٌ شديد، ثم بالإسلام اجتمعت كلمتهم، وتوجهوا توجهاً واحداً، في موقفٍ واحد، في إطار منهجيةٍ واحدة، تحت قيادةٍ واحدة، فألَّف الله فيما بينهم، وذكَّرهم بهذا، قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1]، **ولاحظوا** فيما قاله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذا النص المبارك، ذكر أنَّ الأخوة نعمة لمرتين، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، وفعلاً، وفعلاً **الأخوة الإيمانية هي من أعظم النعم، آثارها الإيجابية على النفس، على المشاعر، على الحياة، على الواقع، آثارها عظيمةٌ جدًّا.**

١- آل عمران: من الآية ١٠٣

الإنسان المشاقق، المعقَّد، هو يعيش حالة الغربة، حالة الوحشة، سوء ظنه، سوء نظرته، عقده تجاه الآخرين، تجعله ينظر إلى كل شيء نظرة سلبية، ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، وهذا ترتب عليها نتائج عظيمة، ونتائج كبيرة.

المنهج التربوي في الإسلام وأثره في تأليف القلوب

فالإسلام في منهجيته العظيمة، وفيما يترتب على الانطلاقة الصادقة في مبادئه المهمة، هو صلةٌ بالله ﷻ، يحظى من يتجهون على أساس مبادئه بالرعاية الإلهية، التي تصل إلى درجة أن يؤلِّف الله بين قلوبهم، لكن هذا لابدَّ فيه من الأخذ بالأسباب، والأسباب أساسها الاستجابة لله ﷻ في توجيهاته هذه، والتوجه الصادق الذي يعلمه الله، وهو يتدخل، ويجبر القلوب، ويساعد الإنسان حتى في السيطرة على مشاعره؛ **لأن** البعض من الناس في طبيعته شديد التعقد، سريع الانفعال، بطيء الرضا، سريع الغضب، وبطيء الرضا، فالإسلام قام على هذا الأساس، فكان له أثره العظيم.

أضافةً إلى أنَّ منهجه التربوي يساعد ذلك، هو يزكي النفس، يصلحها من كثيرٍ من الشوائب التي تؤثر على الإنسان؛ **لأن** جذور السلوك، جذور سلوكيات الإنسان، وتصرفاته، ومواقفه، في أعماق نفسه، **جذورها في أعماق النفس:** الأنانية، كذلك- مثلاً- الهلع، الكبر... مواصفات معينة، أشياء وسلبيات معينة، إذا كانت متجذِّرةً في نفسية الإنسان، تؤثر عليه؛ **فلا** يرى في نفسه التقبل لمسألة الأخوّة الإيمانية، والاعتصام بحبل جميعاً، لا يطيق ذلك، هو كثير الاحتكاك، كثير العناد، كثير الإشكالات، لا يستطيع أن ينضبط وفق توجيهات الله ﷻ، التي تعود إلى تعاملاته كيف تكون بما يفيد ذلك، بما يعزز من حالة الأخوة الإيمانية.

فالتربية الإيمانية هي تربية تزكي النفوس، تصلحها، تطهر مشاعر الإنسان، فتكون مشاعر صافية، نقية، سليمة، ليست مشحونة بالأنانيات، والعقد، والكبر، والغرور، والسلبيات الأخرى، التي تغيِّر سلوك الإنسان، أسلوبه في التعامل، طريقته في المعاملة مع الناس، تصوِّب اهتمامات الإنسان، فتكبر؛ **لأنها** تتجه نحو الأمور العظيمة، الأمور المهمة، الأمور المقدَّسة، **الغايات لديه:** رضوان الله، الجنة، السلامة من عذاب الله، تسيطر على مشاعره، على دوافعه، ثم على أسلوبه، على عمله، على طريقته، يصبح متقبلاً، متفهماً، مستجيباً، فلذلك المنهج التربوي هو يساعد على ذلك.

حسن التعامل ودوره في ترسيخ الأخوة الإيمانية

ثم مع ذلك، مع المبادئ، مع المنهج التربوي، مع ما يرتبط بالوعي في هذه المسألة، أرشد الله في القرآن الكريم إلى أسلوب التعامل، كيف يكون أيضاً على النحو الذي يساعد على الأخوّة الإيمانية، من ضمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[1].

قلنا في بداية المحاضرة بالأمس: أن مبدأ الأخوّة الإيمانية، والتوحد، والاعتصام بحبل الله جميعاً، مما يلقى محاربةً شرسة من الشيطان وأوليائه، حربهم شديدة على هذا الموضوع، يركِّزون عليه تركيزاً كبيراً، يبذلون كل جهد، ويسعون بكل جد إلى إثارة الفرقة، إلى إثارة الخلاف، إلى تشتيت شمل المؤمنين، ولذلك أرشد الله في هذه الآية المباركة إلى ما يساعد على تعزيز الأخوّة الإيمانية، عندما قال: ﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فيما يقولون، فيما يتخاطبون فيما بينهم، فيما يتحاورون فيه

١- الإسراء: الآية ٥٣

في إطار مسؤولياتهم، هذا موضوعٌ يحتاج الإنسان إليه في المعاملة بشكلٍ عام، وفي أداء الأعمال، وفي أداء المسؤوليات، أن يراعي هذا، أن يقول التي هي أحسن، وأن يترك الكلمات السيئة، المستفزة، الجارحة، التي لها آثار سلبية على مشاعر الآخرين؛ **لأن** البعض من الناس حاد اللسان، جريء اللسان، والبعض تصل جرأته إلى حد الوقاحة، وقد- أحياناً- قد يكون الإنسان من موقع أنه يرى نفسه مهماً، أو في موقع مسؤولية معينة، يرى لنفسه الحق في أن يقول أي شيء، وأن يتكلم بأي كلام مهما كان مسيئاً، هذا المعيار المهم في الآية المباركة: ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، من المهم الالتزام به.

﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[1]، فالشيطان يستغل، عندما تكون طريقة التخاطب والكلام طريقة مستفزة، مستفزة بالفعل، البعض من الناس كل شيء يصبح عنده مستفزاً، حتى الكلام الطبيعي، حتى الكلام العادي، حتى الكلام المسؤول، ما الذي ينبغي أن يستفزك؟ **مثلاً:** التواصي بالحق، النصيحة، التنبيه على الخطأ بطريقة محترمة، لا ينبغي أن يستفزك، الكلمات التي هي بالفعل كلمات مسيئة، موبخة، جارحة، مهينة، البعض من الناس، إما لأنه حساسٌ **جدًّا جدًّا**، أو متكبر، أو مغرور، يجعل أي كلمة مهما كانت كلمة محترمة، يجعلها وكأنها جارحة **جدًّا**، وكأنها من أسوأ ما يمكن أن يقال، وعندما يسمعها الناس، أو تعرض عليهم، الكل يعرف أنها كلمة عادية، لا ينبغي أن يستفز منها إلى تلك الدرجة.

١- الإسراء: من الآية ٥٣

﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾، فهو يستغل الموضوع، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[١]، **ولذلك هو يجعل من أهم ما يسعى له:** أن يثير الفتنة والمشاكل بين بني آدم، هذا بدافعه العدائي بالنسبة للشيطان.

تحدثنا بالأمس عن قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، وكيف أن التراحم الذي يأتي إلى كل الواقع، إلى كل الظروف، إلى كل الحالات التي تستدعي الالتفاتة الإنسانية، أن له أهميته الكبيرة في ذلك، له أهميته الكبيرة في تعزيز الروابط والأخوّة، وفي تعزيز المشاعر الأخوية.

أهمية التواضع وكظم الغيظ ومصارعة الغضب

التواضع كذلك، في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، من أهم ما يفيد ويؤثر هو التواضع، والتواضع من الجميع، ممن هم في مقامات المسؤولية، ومواقع المسؤولية، بأي صفة، وبالأولى هم أن يكونوا أكثر تواضعاً، أو في مختلف الأعمال، أو بشكلٍ عام، التواضع من الجميع مطلوب، ومهمٌ **جدًّا** أن يكون سلوكاً قائماً.

الله قال حتى للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ**:** ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، خفض الجناح هو تعبير عن حالة التواضع، وحسن التعامل مع الآخرين، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، أسلوب التكبر، والتعالي، والاحتقار، أو الترفع على الآخرين، السلوك الذي يعبِّر عن ذلك عادةً ما يكون مستفزاً، ويصنع الفوارق؛ **بينما** التواضع يعزز من حالة الإخاء.

١- الإسراء: من الآية ٥٣
٢- الفتح: من الآية ٢٩
٣- المائدة: من الآية ٥٤
٤- الحجر: من الآية ٨٨

كظم الغيظ، كما مرَّ بنا بالأمس في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[1]؛ لأن الناس ليسوا بمعصومين، قد يصدر هفوة من هنا أو هناك، تأتي كلمة مستفزة من هنا أو هناك، أو تصرف مستفز، فالإنسان يكظم غيظه، ولا ينفجر، يتحول إلى قنبلة مشحونة بالعقد، أبسط كلمة مستفزة وانفجر بشكلٍ كامل، وإذا هو ذلك المملوء سخطاً، المملوء عقداً، المشحون عقداً، فيثور بالكلام السيء، أو التصرفات السيئة، أو يتهور بارتكاب جريمة عدائية، البعض يقتل، البعض يضرب، البعض يرتكب جريمة من الجرائم، يسيء إساءة بالغة تبطل عمله، تحبط أجره وثوابه حتى على جهاده وعمله، الإنسان يكظم غيظه، والقضايا التي تحتاج إلى معالجة، تعالج بروح عملية، بدلاً من ردة الفعل غير الواعية، ردة الفعل التي تتجاوز التقوى، تتجاوز الضوابط الأخلاقية، والإيمانية، والإنسانية حتى.

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فكظم الغيظ هو مما يساعد على الحفاظ على الأخوّة، إذا لم يكن هناك كظم غيظ، وكان هناك على أبسط إشكالية، أو أبسط كلمة، أو أي استفزاز، أو أي شيء يغضب الإنسان، ردة فعل، ردة فعل، تتحول الظروف العملية، وظروف الحياة، حتى على مستوى الأسرة الواحدة، أو القرية الواحدة، أو الحي الواحد، أو الحارة الواحدة، إلى ساحة مشحونة بالصراعات، والتوترات، والنزاعات، وبيئة مليئة بالقلق، مليئة بالتوتر، مليئة بالانزعاج، هذا لا ينبغي أبداً.

١- آل عمران: من الآية ١٣٤

العفو ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[١]، **صفة مستمرة؛ لأن** كثيراً من الأمور لا ينبغي أن تبقى مشكلة، تحل، أو بعض الأمور قد يتجاوزها الإنسان وتنتهي، والتي قد لا يفيد حتى تجاوزها في أن تنتهي، يمكن معالجتها لتنتهي.

طبيعة البعض من الناس أن يجمع المشكلة عند المشكلة، والكلمة عند الكلمة، وتكون ذاكرته في ذلك ذاكرة نشطة، يحفظ ولا ينسى، طالما والمسألة مسألة عقد فهو لا ينسى، يمكن أن يذكرك بما قلت قبل سنوات طويلة، [أنك قلت في يوم كذا، في ساعة كذا، كلمة كذا]، وأنها لا زالت تَحُزُّ في نفسه، والكلمة عند الكلمة، حتى التي ليست في أصلها كما فهم؛ **إنما** بحسب سوء فهمه، سوء ظنه، سوء تقديره للأمور، جعل منها مشكلة، والبعض قد تكون إشكاليةً حقيقية، ولكنه ليس ممن يعفو، ليس ممن: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٢]، لا يغفر، ولا يعفو، ولا يسامح، ولا... وكثيرٌ من الأمور التي لا تستحق أصلاً أن تمثل إشكالية وعقدة، يحتفظ بها الإنسان ويراكمها، ويبني عليها ردود أفعاله.

والبعض من الناس إذا كان في إطار عمل، حتى في إطار العمل في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله، تؤثر عليه حتى في عمله في سبيل الله، وفي جهاده في سبيل الله، **حتى في هذه المسألة:** مسألة الاستجابة لله في الأخوّة الإيمانية، في الاعتصام بحبل الله جميعاً، هو لا يطيق أن يتوحد مع إخوته الآخرين، أن يواخيهم؛ **لأنه** معقدٌ **جدًّا** على ذلك الذي قد قيل له عنه أنه قال كذا، ومعقدٌ **جدًّا** ومستاءٌ من ذلك الذي كان قد حدث بينه وبينه سوء تفاهم... وهكذا.

١- آل عمران: من الآية ١٣٤

٢- الشورى: من الآية ٣٧

فالعفو، المغفرة، ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، **هل أنت هكذا؟** قيِّم نفسك، هل أنت ممن يغفر، ممن يسامح، ممن يتجاوز عن كثير من الأمور، لله وفي سبيل الله، من أجل الأمور المهمة، لاهتماماتك الكبرى، لصالح القضايا الكبرى، أو لست ممن هم كذلك؟ هل أنت ممن يعفو؟ قيم نفسك أنت، قيم نفسك على أساس كتاب الله، آيات الله، وأصلح نفسك، ووجّه نفسك على هذا الأساس، والله وعد في القرآن بأن يعفو عن العافين، أنت عندما تعفو عمَّن بدرت منه زلةٌ إليك، يقابلها أن يعفو الله عنك في زلةٍ بدرت منك كانت ستحسب عليك ما بينك وبين الله، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]، هكذا قال عن العفو في سورة النور، هذا مرغِّب بشكل كبير **جدًّا.**

الأمر الإلهي بإصلاح ذات البين ونبذ التفرق

مما أرشد إليه الله في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، عندما يحدث سوء تفاهم، عندما يحصل إشكال في الواقع، ما بين هذا وذاك من المؤمنين، وأثَّر على العلاقة فيما بينهم، عليهم أن يسعوا لصلاحه، هذا من تقوى الله ومن الإيمان.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أطيعوه واتقوه في صلاح ذات بينكم، هذا يدخل ضمنه السعي أصلاً للمحافظة على صلاح ذات البين، أن يسعى الإنسان ابتداءً كيف يحافظ على علاقته بإخوته المؤمنين أن تكون علاقة صالحة، وأن يسود ما بينه وبينهم الأخوّة الإيمانية، **ويدخل ضمنه أيضاً:** إصلاح ما فسد، إصلاح ما فسد من ذات البين، عندما يحصل سوء تفاهم، أو إشكالية معينة تؤثر سلباً، يسعى

١- النور: من الآية ٢٢

٢- الأنفال: من الآية ١

الإنسان قدر الاستطاعة لمعالجة ذلك؛ **لأن** البعض يحتفظ بفساد ذات البين، والعجيب أن البعض وكأنه يعجبه ذلك، كأنه يرتاح، مع أنه دائماً ليس في واقع الأمر في راحة، هو في تعب؛ **لأن** العقد متعبة، الشحناء، والبغضاء، والغيظ المستمر، والكراهية التي تتأجج في مشاعر الإنسان، كلها مشاعر سلبية، هي مشاعر سلبية، لها تأثيراتها السيئة على نفس الإنسان، متعبة، ليست مريحة، صفاء النفس هو الراحة، صفاء القلب والمشاعر ونقاؤها هو الراحة، هو السعادة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، فلا يجوز للإنسان أن يكون سريعاً إلى فساد ذات البين، عجَّالاً يفسد ذات البين، أو البعض لا يكفيه في واقعه هو أنه ليس ممن يتوجه هذا التوجه؛ **إنما** يحاول أن يشجع الآخرين على الإساءة، على فساد ذات البين، على خلخلة الصف الداخلي، على الفرقة، والذين يعملون هذا العمل هم في صف الشيطان، هم يعملون عمل الشيطان، هم تأبلسوا، عمل خطير، من أسوأ الأعمال مقتاً عند الله، من أسوئها مقتاً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ورد في الحديث النبوي الشريف: ((ولا يحلَّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام))**، هجر القطيعة، ليست مجرد الغياب، أو الانشغال، هجر القطيعة، المباينة، الإساءة، الإعراض، عندما يطول الوقت، تتسع الفجوة، يكبر التباين حتى في أعماق النفوس، حتى الوصول إلى نتائج سيئة.

أيضاً من أهم ما يفيد في ذلك: استيعاب الإنسان للوعيد الإلهي: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، الآية تستحق من الإنسان أن يفكر كثيراً، أن يتأمل جيداً، أن يستوعب خطورة الأمر عليه؛ **لأن** الوعيد بالعذاب العظيم هو وعيدٌ من

١- آل عمران: الآية ١٠٥

الله، فالمستهتر بهذا الأمر، والمتجه اتجاهاً سلبياً تجاه هذه المسألة هو موعود من الله بالعذاب العظيم.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

الأخوّة الإيمانية (٣)

العوائق المؤثرة سلبًا والتي تزرع التفرق والتباين

المحاضرة
الرابعة والعشرون

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

تحدثنا عن **الأخوّة الإيمانية**، ومبدأ الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعاً، كمبدأٍ عظيمٍ من أهم المبادئ الإسلامية، وباعتبار الأخوة الإيمانية من الفرائض الإيمانية الدينية الإلزامية، وتحدثنا عمَّا يرتبط بذلك، وعن أسسه، **التي هي**

متمثلة: بالاعتصام بحبل الله جميعاً، باجتماع الكلمة على أساس هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتحرك وفق ذلك في مسيرة الحياة، بقيادةٍ واحدةٍ على هذا الأساس، وأيضاً من خلال القيم التي تساعد على التزام الأخوّة الإيمانية، وتنمّي حالة الإخاء بين المؤمنين، مما يعود فيها إلى حسن التعامل، إلى كظم الغيظ، إلى المواصفات المهمة **جدًّا**، في مثل قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]... إلى غير ذلك.

ومجمل ما يفيد في ذلك، هو: أنَّ الثمرة المهمة التي هي قائمةٌ على تعاملهم فيما بينهم بالصدق، والوفاء، والأخوة، وتلك القيم القرآنية، تثمر فيما بينهم الثقة، الثقة ببعضهم البعض، الاعتماد على بعضهم البعض، الاطمئنان إلى بعضهم البعض، وهذا له أثره الكبير جدًّا في الواقع العملي، في أن ينطلقوا معاً في مختلف المهام والمسؤوليات والأعمال، وفي مواجهة التحديات والأخطار مهما كانت، وبفاعليةٍ عالية، **كلما كانت الثقة قوية، والاطمئنان كبيراً؛ كلما كانت الفاعلية في ميدان العمل، في النهوض بالمسؤوليات، في مواجهة التحديات والأخطار عالية جدًّا**، وهذه مسألة معروفة في الواقع البشري.

فالموضوع في أساسه كما هو موضوعٌ يرتبط بالجانب الإيماني للإنسان، بتحقيق التقوى، بقبول العمل عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، له أيضاً جاذبيته الكبيرة من حيث نتائجه في واقع الحياة، ما يترتب عليه في واقع الحياة، ما يتحقق به في واقع الحياة.**

ولهذا يحرص الآخرون من غير المسلمين على أن يتكتلوا في تكتلات كبرى، وأن يتحالفوا، وأن يتعاونوا، وأن تتظافر جهودهم في مواقف معينة، تجاه تحديات معينة، في مواجهة خصمٍ، أو عدوٍ معين، حتى ضد الإسلام والمسلمين،

١- الفتح: من الآية ٢٩

هم يحرصون على أن تتظافر جهودهم، وأن ينسِّقوا تحالفات كبرى، كما هو حاصلٌ في هذا العصر بقيادة أمريكا، ويتحركون كذلك على مستوى واسع في أمورهم الأخرى، المتمثلة بالجوانب الحضارية، والاقتصادية... وغيرها.

الأكثر غبناً في كل هذا، وتفريطاً في هذا الجانب، هم المسلمون، وعندما يتحرك البعض من المسلمين على أساس التوجه الصحيح، وعلى أساس المبادئ الإيمانية العظيمة، ويسعون إلى أن تجتمع كلمتهم على أساس هدى الله، وفي الموقف الحق، وفي الاتجاه الصحيح، **فعليهم أن يكونوا** مرسِّخين في واقعهم لهذا الجانب، **وأن يكونوا** على الدوام حذرين من حالة الفرقة والاختلاف.

تحدثنا في كلامنا بالأمس وما قبله عن الوعيد الإلهي على التفرق والاختلاف، عندما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]، فمن الخطورة الكبيرة على الإنسان أن يدخل ضمن هذا الوعيد، الوعيد الشديد: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، هذا- بحد ذاته- كافٍ بالنسبة للإنسان المؤمن **أن يسعى** بكل جد إلى الحذر من الفرقة، من الاختلاف في داخل صف المؤمنين، **وأن يسعى** دائماً إلى أن يبقى في حالة الاعتصام بحبل الله جميعاً، **وأن** يرعى الأخوّة الإيمانية بكل ما تبنى عليه، بكل لوازمها، بكل العوامل المساعدة عليها، **وأن** يحذر- في نفس الوقت- من أسباب الفرقة.

١- آل عمران: الآية ١٠٥

هناك عوامل وأسباب تؤدي إلى الفرقة، ويجب الحذر منها، وسنتحدث عن البعض منها باختصارٍ إن شاء الله:

❖ **في مقدِّمة العوائق التي تؤثِّر سلباً على الأخوّة الإيمانية، وعلى الاعتصام بحبل الله جميعاً، وتسبب للفرقة، والاختلاف، والتباين، وتؤثِّر على مستوى الانسجام والتفاهم: العوامل النفسية:**

- **وفي مقدِّمتها: الكبر:**

الكبر هو من أسوأ الصفات، ومن أكبر الذنوب والمعاصي، وخطورته على الإنسان في كل دينه، وفي كل واقعه، خطورته كبيرةٌ على الإنسان، يستحيل معه الاستقامة على أساس هدى الله، ويبعد الإنسان عن القابلية لهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كثيرٍ من الأمور المهمة، وله تأثيره الخطير في مسألة الأخوّة الإيمانية، والاعتصام بحبل الله جميعاً؛ **لأن** الإنسان المتكبر، الذي يصبح متكبراً، يربط الأمور في الواقع العملي بهذا الجانب، هو يرى نفسه أكبر من الحق، **وترتبط الأمور في جوانبها الثلاثة:**

- **أولها الموقع:**

ترتبط الأمور العملية بالموقع، وأكثر الناس عرضةً لهذا الجانب هم أصحاب المواقع الاعتبارية على المستوى الاجتماعي، أو على المستوى العلمي، أو على المستوى الثقافي، أو على مستوى السلطة، من لهم مناصب، أو وجاهة، أو يرون أنفسهم أصحاب كفاءة معينة، أو مهارة معينة، أو مقام معين، أو ألقاب معينة، هم من أكثر الناس عرضةً لخطورة الكبر، ومشكلة الكبر.

فتجاه أي عمل من الأعمال، أو تحرك في أي مهمةٍ من المهام، أو مسؤوليةٍ من المسؤوليات، المعيار عند الإنسان المتكبر، **هو:** كبره، هل هذا العمل، هل هذه المسؤولية، هل هذا الدور، هو بمستوى الموقع الذي أفترضه لنفسي، هو

يلبِّي الطموح الشخصي؟ ويرى نفسه مثلاً متطابقاً مع مستواه، مع موقعه، مع أهميته، مع شخصيته، وإلَّا فقد لا يقبل به أصلاً، مهما كان عظيماً، مهما كان مهماً، مهما كانت فيه مرضاة الله ﷻ، مهما كان له من أثرٍ في الواقع، فهنا تكون استجابته ليست مرتبطةً بالغاية الإيمانية العظيمة، التي هي رضوان الله، **والقيمة العملية الفعلية بهذا المعيار:** معيار مرضاة الله ﷻ.

المعيار عنده معيارٌ آخر، المعيار هو: كبره، هل هذا العمل يتوافق مع كبره، مع الموقع الذي له في نفسه، وإلَّا فلن يلتفت إليه مهما كان عظيماً، ومهما كان مهماً.

- **على مستوى التقبل:**

سواءً في ميدان التوجيهات العملية، أو في مقام النصح والتذكير، أو في مقام الأخذ والرد والنقاش للمواضيع العملية، **المتكبر من أكثر الناس أنفةً، وأبعدهم عن التقبل،** يعاند يصر على رأيه، حتى لو كان خاطئاً، حتى لو لم يكن سليماً ولا صائباً، لكن ارتبطت المسألة عنده بالاعتبار الشخصي، فتصبح المسألة فوراً مسألة شخصية، يتشبث بوجهة نظره الخاطئة، أو بتوجهه الخاطئ، أو بموقفه الخاطئ، لا يريد أن يتراجع عنه أبداً، ولا يقبل نصحاً، ولا يقبل نقاشاً، ولا يقبل أن يُذَكَّر أبداً، وبالذات إذا كان التذكير يأتي له ممن يراه أدنى مرتبةً منه، أو أقل شأناً في نفسه منه، فيصبح الكبر أيضاً عائقاً كبيراً أمام تقبل التوجيهات، التي يصبح المعيار عند الإنسان تجاهها هو كبره، هل هي تتناسب، أم لا تتناسب، من معيار الكبر فقط، على مستوى النصح، على مستوى التذكير... وهكذا، وهذه جوانب خطيرة **جدًّا**، ومؤثرة إلى حدٍ كبير.

- **ثم مما يؤثِّر في مسألة الكبر، هو: سلبية الإنسان في تعامله:**

المتكبر عادةً ما يكون سلوكه وأسلوبه في التعامل أسلوباً مطبوعاً بالتكبر، لا يتواضع في تعامله، يبرز كبره وتعاليه وغطرسته في أسلوبه في التعامل مع الآخرين:

- **سواءً** وهو في موقع مسؤولية، فهذا أكثر، سيجعله أكثر سلبيةً في طريقته في التعامل مع الآخرين من موقع مسؤوليته المعينة.

- **أو حتى** باعتداده بنفسه، ومقامه، واعتباره الشخصي، فهو يتعامل مع الآخرين بتكبر، بتعالٍ، بغطرسة، يبرز في أسلوبه حالة التكبر والتعالي.

وهذا منفرٌ جدًّا في واقع الأمة، يستحيل مع هذه الحالة أن يكون هناك انسجام تام، تعاون، وقرب، قرب في المشاعر، وقرب أخوي، وتحقيق لحالة الأخوّة الإيمانية كما ينبغي.

فالكبر في هذه الاتجاهات الثلاثة، والإنسان يربط الأمور بموقع معين، لا يتحرك إلَّا إذا كان سيحصل على ذلك الموقع، ومن ذلك الموقع موقفه مما يأتي من الآخرين، سواءً على مستوى توجيهات عملية، أو نصح، أو مناقشة للأمور بشكلٍ عملي، حتى لو كان بطريقة أخوية، لا يتقبل أصلاً، وفيما يتعلق بالتعامل، فالكبر خطيرٌ من كل هذه الجوانب، وكلها تؤثر سلباً على الأخوّة الإيمانية، تأثيرها سيءٌ **جدًّا**، وكلها تؤدي إلى الفرقة، فهو يؤدي إلى الفرقة من كل جوانبه الثلاثة.

ولذلك أتى في القرآن الكريم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، هم خاضعون لله، همهم ما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١- السجدة: الآية ١٥

والإنسان المؤمن هو يعي جيداً أنَّ قيمته ليست بالتكبر، وأنَّ منزلته المهمة التي يسعى للحصول عليها هي عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسعى لمرضاة الله، لأن يرضى الله عنه، وهو يعلم أنَّ العزة لله جميعاً، وأنَّ الله يعز عباده المؤمنين، لا يحتاج لكي يكون عزيزاً، ولكي يحظى بالعزة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى التكبر.

بل **في الواقع، واقع الناس، المتكبر مذموم، وغير محترم،** لا يحظى بالاحترام، حتى لو داراه الناس، ليس على أساس احترام وتقدير من أعماق قلوبهم، بل إنَّ الإنسان الذي له دوره، أو له مقامه، أو له شيءٌ معين، كفاءة معينة علمية، أو ثقافية... أو أي اعتبار، **إذا كان متواضعاً، مع ما منحه الله ووهبه الله إياه، من دورٍ معين، أو جاهٍ معين، أو جهدٍ معين، أو إسهامٍ معين بارز، فالله أولاً:** سيمنحه العزة، **ثانياً:** الناس يحترمونه، يقدِّرونه، عندما يلمسون تواضعه وقربه، يحترمونه أكثر.

- **من أهم العوامل المؤثرة سلباً، والمؤدية إلى التفرق حتماً، هي: النظرة الشخصية، والمقاصد الشخصية، والتمحور حول الذات:**

إذا فقد الإنسان إخلاصه لله تعالى، لم يعد يعمل من أجل الله، من أجل مرضاة الله، وهذا كل همه، هذا الأساس في انطلاقته، وهذا هو الدافع الرئيسي له ليعمل، بل أصبح يريد من وراء ما يعمل، حتى لو كان جهاداً في سبيل الله، حتى لو كان أداءً لمسؤوليةٍ معينة، حتى لو كان عملاً خيرياً وعملاً اجتماعياً لمصلحة الناس، فيه الخير للناس، أصبح ينطلق من منطلق شخصي، **يريد الاعتبار الشخصي:**

- **إمَّا** يريد لنفسه الموقع المعنوي، يريد منصباً معيناً، مقاماً معيناً، ويسعى للسمعة الكبيرة بين أوساط المجتمع.
- **ويسعى** أيضاً مع ذلك، أو بدونه، إلى مكاسب مادية.

إذا أصبحت المكاسب الشخصية على المستوى المعنوي، أو على المستوى المادي، أو على المستوى المعنوي والمادي، هي الدافع الرئيسي للعمل، هي المؤثر الكبير في انطلاقة الإنسان، فالإنسان هنا يتغير، وهذا يؤثر على سلوكه، على تعامله، على تفاعله، على مدى استجابته، على مدى إنجازه؛ **لأنه** يربط الأمور العملية بهذا الجانب، [هل وراء هذا العمل سمعة شخصية، مكسب شخصي، وإلا فليس عملاً مهماً، أنا لا أريده، لا أريد الاستمرار فيه]، عندما ينطلق في عملٍ معين، هل تحققت هذه المكاسب الشخصية، وإلا تثور ثائرته، يشاقق، يعاند، يعارض، يحتج، يثير الضجة، يؤثر سلباً على الواقع العملي؛ **لأن** هذا هو الأساس الذي يؤثر فيه، وفي أدائه، وفي مستوى تفاعله، وحتى في مستوى التزامه.

وبالتالي تتكون عنده في نفسه هذه الحالة السلبية، التي ينظر من خلالها حتى إلى الآخرين، هل هم يقدِّرون جهده؟ هل هم يعتبرون له دوره، مقامه الشخصي، اعتباره الشخصي؟ هل يهتمون بذلك إلى حدٍ كبير؟ وإلا فقد أحياناً يتهمهم أنهم لا يقدِّرون له ذلك كما ينبغي؛ **وبالتالي** يمقتهم، يكرههم، يؤثر هذا على علاقته بهم، لم يعد ما يجمعه بهم هو ذلك العمل الصالح، العمل العظيم، أصبحت المقاصد الشخصية، وإذا تصور أنهم لا يعطونه في ذلك ما ينبغي، فلديه موقف منهم، ويستاء منهم كثيراً، وهذه من الحالة الخطيرة **جدًّا، الإخلاص عاملٌ مهم في الحفاظ على الوحدة والأخوّة الإيمانية.**

- **من أهم ما يؤثِّر سلباً على الأخوة الإيمانية، ويؤدِّي إلى التفرق، هو: حالة العجب والغرور لدى الإنسان:**

وهي حالةٌ خطيرةٌ جدًّا، وقد تعرض للإنسان في مرحلة من مراحل العمل في سبيل الله، والعمل الصالح، قد ينطلق الإنسان في بداية الأمر بإخلاصٍ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتوجهٍ نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيما بعد نتيجةً لإنجازات عملية معينة وفَّقه الله لها، أو نتيجةً لأنه وصل إلى موقع عملي معين، أو منصب معين، أو مسؤولية معينة؛ **أصبح** معجباً بنفسه، ومغروراً بنفسه، وبالذات عندما يترافق مع ذلك أن يحظى بالمديح والثناء من الآخرين كثيراً، فإذا أحيط أيضاً بالبعض من الأصدقاء والأصحاب المتملِّقين، أو استخدم كأسلوبٍ معه لتوطيد العلاقة معه، وللوصول إلى مكاسب من جانبه، كما هو الأسلوب الحاصل بالذات عندما يكون الناس في مواقع مسؤولية، يتقرب البعض إليهم بأسلوب التملق، والإكثار من المديح، والثناء الكثير، والإشادة المتكررة... وهكذا، على نحوٍ يصنع لدى البعض عجباً بنفسه، وغروراً تجاه نفسه، فينظر إلى نفسه أنه أصبح إنساناً عظيماً ومهماً، وأنَّ منزلته عالية، ثم يتهم الآخرين بأنهم لا يقدِّرونه كما ينبغي، لا يهتمون به كما ينبغي، لا يحترمونه كما ينبغي، لا يعطونه ما يستحق بحسب مقامه، ودوره، وأهميته... وما إلى ذلك، ويغرق في هذا التفكير، وهذا التوجه؛ **حتى** ينسى الله، ينسى العمل الصالح، ينسى كل شيء، ينسى أن يكون مبتغاه من الله، وأن تكون وجهته إلى الله.

ثم مهما عمل، مهما قدَّم، يعظم هو عند نفسه، لا يشعر بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يتجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **وبالتالي** تكثر نقمته، يصبح ناقماً، ناقماً على الناس، ناقماً على الواقع من حوله، **من هذا الاعتبار**: [أنه إنسانٌ عظيمٌ مهمٌ **جدًّا**، وأنه إنسانٌ خارقٌ للغاية، وأنه وأنه وأنه...]، فهو دائم

التسبيح بحمد نفسه، يفكِّر في نفسه، يسبِّح بحمد نفسه، وهو يتذكر أنه عظيم، وأنه مهم، وأنه الذي يفعل، وأنه الذي يعمل، وأنه المهم **جدًّا**، وأنه العبقري، وأنه لو الذي حصل على ما يستحق من الاهتمام والعناية به، لفعل، ولكان، ولـ... ثم يبدأ في حالة التذمر من الآخرين، والاستياء من الآخرين، والتعقد على الآخرين.

حالة العجب والغرور بالنفس هي حالةٌ خطيرةٌ على الإنسان، وهي تتنافى مع الإيمان، الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[1]، المغرور بنفسه، المعجب بنفسه هو المختال، الفخور، كثير الافتخار، فهو يتحدث عن نفسه أنه وأنه وأنه... كثيراً كثيراً، ينسى الله، بل قد لا ينظر حتى إلى جهود الآخرين، ولا يعتبرها ذات قيمة ولا أهمية، لا يرى إلَّا نفسه، ولا يرى إلَّا جهده، ولا يرى إلَّا إنجازه، ولا يرى إلَّا عمله، ويعظم عنده ما يفعله كثيراً، حتى الشيء البسيط الذي قد يعمله، أو الإنجاز البسيط الذي قد يحققه؛ **لأنه** منه، يراه شيئاً عظيماً، شيئاً مهماً، وينتظر دائماً في مقابل ذلك من الآخرين أن يثنوا عليه، أن يسبحوا بحمده، أن يعظِّموه، وينتظر في مقابل ذلك المزيد من الألقاب، والاستحقاقات، والمقاصد الشخصية، والحسابات الشخصية، والمكاسب الشخصية، وهذه حالةٌ خطيرةٌ **جدًّا** على الإنسان.

وأيضاً هذه من الحالات التي تصنع فجوةً ما بين الإنسان وبين الآخرين، يصعب مع الإنسان إذا أصبح على هذا النحو التفاهم معه، التعاون معه، العمل سوياً معه، المناقشة للأمور العملية معه، يتعقَّد **جدًّا** من النصح له، يستاء **جدًّا** من التذكير له، يصبح في الواقع العملي من الصعب التنسيق في

١- النساء: من الآية ٣٦

عملٍ معه، يكاد يكون مستحيلاً؛ **لأنه** دائماً غارقٌ في هذه العقد الشخصية، والحالات الشخصية، فهي من الحالات الخطيرة **جدًّا جدًّا**، وتعرض للبعض من الناس بعد مرحلة عملية معينة، يتغير تماماً، يتغير تماماً، ثم يتلو بعد ذلك التعقد الشديد، والكره الشديد، وحتى الوحشة، **((أوحش الوحشة العجب))** كما روي عن الإمام عليٍّ عليه السلام، **المغرور بنفسه، المعجب بنفسه يشعر- في نهاية المطاف- بالوحشة، ولا يشعر بالانسجام مع الآخرين، وينفر من الآخرين، ينفر منهم إلى حدٍ كبير.**

- **من أهم عوامل الفرقة: الطمع المادي، والأنانية:**

عندما تصبح أطماع الإنسان هائجةً، تحكم توجهاته، وتؤثِّر عليه في أعماله، وتمثل هي الدوافع لتحركه؛ فهو بالتالي يتجه على حساب الأعمال الأساسية والمسؤوليات المهمة، يصبح المهم عنده أن يجمع، إذا لم يحصل على ما يبتغيه من الأطماع المادية، تقوم القيامة، يكره الآخرين، يسخط عليهم، يمقتهم، ولا ينسجم معهم، ولا يتفاهم معهم، رضاه عنهم مرتبطٌ بمقدار ما يتحقق له معهم من المكاسب المادية، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1]، فرضاه وسخطه يرتبط بالجانب المادي، هذه حالة خطيرة **جدًّا**.

١- التوبة: من الآية ٥٨

- **من الأسباب المؤدِّية للفرقة، والعوامل الخطيرة المؤدِّية إليها: الغضب والانفعال المنفلت:**

كل إنسان يغضب، وكل إنسان ينفعل، لكن الله قال عن عباده المؤمنين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[١]، وقال عنهم: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٢]، وقال عنهم: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[٣]، **من القيمة الإيمانية، ومن المميزات التي تعود إلى التقوى: أنَّ الإنسان في حالة الغضب يضبط نفسه**، يسعى -بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى- إلى كظم غيظه؛ **وبالتالي** يسعى إلى السيطرة على ردة فعله، أن تكون ردة فعله متوازنة، وفق ما يرضي الله سبحانه وتعالى، ألَّا يتجاوز فيها الحق، **بل أكثر من ذلك:** أحياناً إلى أن يكظم غيظه بالكامل، وألَّا يظهر غضبه أصلاً، ألَّا يترجم حالة الغضب في ردة فعلٍ سلبية، بل يصبر، ويكظم غيظه، ويصرف ذهنيته، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، وتحتاج إلى تقوى، إلى إيمان.

الله قال عن هذه الحالة، التي وصف البعض من خيار عباده بها، الذين يدرؤون السيئة بالحسنة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤]، **يعني:** مرتبة إيمانية عالية **جدًّا**، من يصل ليس فقط إلى أن يكظم غيظه، بل أن يدرأ السيئة بالحسنة، مقامه عظيمٌ عند الله، وشأنه كبيرٌ عند الله سبحانه وتعالى، ومرتبته عالية، ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وأجره كبيرٌ **جدًّا**، وهي تعبِّر عن زكاء نفسٍ إلى حدٍ كبير، وعن توجهٍ عظيمٍ إلى الله سبحانه وتعالى، وعن اهتمام عظيم بأمر الدين، وأمر الأمة، يجعل الإنسان يصبر من أجل ذلك على كل شيء، مهما كان صعباً على نفسه، مهما كان شاقاً على نفسه.

١- آل عمران: من الآية ١٣٤

٢- الشورى: من الآية ٣٧

٣- آل عمران: من الآية ١٣٤

٤- فصلت: الآية ٣٥

الحساسية المفرطة لدى الإنسان التي تجعله غير متوازن في انفعالاته، قد يكون أحياناً وراءها العجب، ووراءها الغرور، أو الكبر... أو نحو ذلك، عندما يكون الإنسان حسَّاساً **جدًّا**، بمجرد كلمة بسيطة، وقد تكون غير حسَّاسة **جدًّا** الكلمة في أصلها، مستفزة بعض الشيء، وجِّهت إليه؛ **فيغضب** أشد الغضب، يعني: لو هدمت الكعبة، لَمَا غضب كذلك، لو دُمِّر الأقصى، لَمَا انفعل كذلك، لو سُحِقَت الأمة الإسلامية، لَمَا انفعل بذلك المقدار، لو حصل ما حصل في الشأن العام، لَمَا انفعل بذلك المقدار.

الحساسية المفرطة جدًّا لدى الإنسان إلى درجة أن ينفعل تجاه أبسط موضوع، أو قضية، أو استفزاز، إلى أنهى حد، إلى حالة رهيبة **جدًّا، والبعض يتورَّط: إمَّا** بالقتل، **أو** يتورَّط في الجرح، **أو** يتورَّط في أن يتكلم بكلام سيئ **جدًّا**، فيه السب، فيه الإساءات، فيه الافتراءات، فيه الاتهامات الباطلة، فيه التجريح المبالغ فيه، فيحمِّل نفسه الوزر والآثام، وهذا يؤدِّي إلى الفرقة، يؤدِّي إلى الفرقة.

حالة الغضب أحياناً تجعل البعض من الناس إما يسيء إساءات بالغة، **أو** يحصل من جانبه ردود أفعال ظالمة، مدمِّرة، تخرِّب تخريباً كبيراً، تمزِّق الصف، والوحدة، والأخوة، والتفاهم، ولها آثار سيئة **جدًّا**، حالة خطيرة **جدًّا**، أو يتخذ قراراً سلبياً في ردة فعله، بأن يترك طريق الحق أصلاً، أن يتنصَّل عن العمل العظيم، عن العمل الذي فيه رضا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأنه** غضب وانفعل.

فحالة الغضب والانفعال حالة خطيرة جدًّا، والإنسان عليه أن يعوِّد نفسه على أن يتوازن في ردود أفعاله، أن يضبط نفسه، وأن يستعين بالله في ذلك، وإذا كان بطبعه إنساناً انفعالياً، فليطلب من الله أن يشرح صدره،

وليسعَ أن يرسِّخ أهمية هذه المسألة في نفسه، وأن يستعين بالله في ذلك؛ **حتى** يضبط ردة فعله.

- **من العوامل السلبية المؤدِّية إلى التفرق: سوء الظن:**

والله نهى عن ذلك، الله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، والعجيب أنَّ البعض يكون سريعاً إلى سوء الظن، **يعني:** أول ما يحمل أي موضوع، أو أي قضية تلتبس عليه، أو أي شيء يسمعه فلا يعجبه، يبنيه على أساسٍ من سوء الظن، من أول لحظة، يسيء ظنه سريعاً، جاهز لأبسط موضوع ليفسِّره بأسوأ تفسير، وليحمله على أسوأ الاحتمالات، وهذه حالة سلبية لدى الإنسان.

سوء الظن يمثل خطورة كبيرة على الإنسان، في تعامله مع الآخرين، في علاقاته بالآخرين، لا تستقيم مسألة العلاقات الأخوية الإيمانية مع وجود سوء الظن، يفكك العلاقات، ويؤثِّر عليها سلباً.

أضف إلى ذلك، إذا كان الإنسان في موقع مسؤولية، وهذه المسألة خطيرة **جداً؛ لأن** البعض من الناس يبني على سوء ظنه تصرفاته، مواقفه، يبني عليها مواقف، فيتخذ موقفاً سلبياً من الآخرين، بناءً على سوء ظنه، بل البعض يجعل من مجرد هواجسه دليلاً قاطعاً، **يعني:** كما لو كان شيئاً رآه، وتحقق منه، كما لو كان شيئاً يقينياً، يكفي أن يحصل لديه هواجس، فيبني عليها تصرفات، يبني عليها ردود أفعال، يبني عليها مواقف، وهذه حالة خطيرة، إذا كان الإنسان في موقع مسؤولية يظلم، يظلم، يبني على سوء ظنه موقفاً معيناً، أو قراراً معيناً، فيظلم، يظلم الآخرين، أو يُصدِر أحكاماً عليهم، ويطلق عليهم التوصيفات التي يرغب بها، فيظلم.

١- الحجرات: من الآية ١٢

سوء الظن حالة خطيرة جدًّا، يجب التخلص منه، يجب الحذر منه، يجب الانتباه منه، في تأثيره السلبي على مستوى العلاقة والأخوة، وفي تأثيره السلبي في موقع المسؤولية والأداء العملي، ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

- **مما يؤدِّي إلى الفرقة وهو من عوامل الفرقة: الحسد:**

والحسد من أسوأ الصفات، ومن أذمها، الحسد: عندما تغتاظ من شخصٍ آخر؛ **لأن** الله أنعم عليه بنعمةٍ معينة، تراه **مثلاً:** له مكانة معينة، أو له مقام معين، أو يحظى باحترام، أو... تكرهه؛ **من** أجل أنَّ الله منحه شيئاً معنوياً، أو مادياً، فتغتاظ منه على ذلك، وتكرهه لذلك، لِمَا منَّ الله به عليه، تغتاظ أشد الغيظ عندما تسمع الآخرين يشيدون به، أو يثنون عليه، أو يعجبون به، فتتجه إلى ذمه، إلى الانتقاص منه، أو يكون لك ردة فعلٍ تجاهه.

الحسد لا ينسجم مع الإيمان أبداً، الحسد هو ردة فعلٍ، هي في عمقها ردة فعلٍ نحو الله، قبل أن تكون نحو عبده، وهي حالةٌ خطيرةٌ جدًّا على الإنسان، ولهذا يقول الله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1].

❖ **مما يؤثِّر على مستوى التصرفات والسلوكيات على الأخوّة الإيمانية، ومما يؤدِّي إلى الفرقة: الهمز، واللمز، والسخرية، والاغتياب:**

هذه تعود إلى اللسان، إلى اللسان، إذا كان الإنسان هَمَّازاً لَمَّازاً، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[2]، البعض يصبح من عاداته من سلوكياته أن يطلق لسانه، أو قلمه وكتاباته، في هذا الزمن أصبحت الكتابة أحد اللسانين، ذات حضور بارز، أن يطلقه في الطعن في أعراض الناس، في تناول هذا، وتناول ذاك،

١- الفلق: الآية ٥

٢- الهمزة: الآية ١

والـكلام عـلى فـلان، والـكلام عـلى فـلان الآخـر، ينتقـص منـه، يطعـن في عرضـه، يـسيء إليـه، يتكلـم عليـه بالكلـمات الجارحـة، مـا كان منها في وجهـه ومحضره، وهـو أذيـةٌ لـه، وظلـمٌ لـه، ومـا كان منها في غيابـه، كل هـذا محـرَّم، الإنسـان **عندما يكـون عـلى هـذا النحـو، هـو ليـس بمؤمـن،** ليـس بمؤمـن، مـن يصبـح هـذا جـزءاً مـن سـلوكه، جـزءاً مـن سـلوكه الـذي يعتـاده، ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[1].

هـمَّاز: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، يتكلـم عـلى النـاس، يجـرح مشـاعرهم، يتناولهـم، وقـد يكـون كل يـوم ولديـه ضحيـة، يتكلـم عـلى فـلان وعـلى عـلان بـكل جـرأة ووقاحـة، وإسـاءة بالغـة، البعـض قـد يتخـير وينتخـب الكلـمات الأكـثر إسـاءة، والجارحـة أكـثر، فـإذا كان لديـه مَلَكَـة، وقـدرة تعبيريـة وبيانيـة، أو بلاغـة، قـد يُسَـخِّرها عـلى نحـوٍ أسـوأ، ليجلـب المزيـد مـن الأوصـاف السـيئة، والكلـمات الجارحـة.

وفي هـذا الزمـن عَظُـمَ هـذا الـوزر في مواقـع التواصـل الاجتماعـي، ومـع وجـود هـذه الإمكانيـات، يـأتي البعـض ليشـنِّع، وليجـرح، ولـسيء، وليطعـن في عـرض إنسـان في بيئـةٍ مفتوحـة، في نـادٍ إعلامـي، مواقـع للتواصـل الاجتماعـي، أو غيرهـا، عـلى مـرأى ومسـمع الكثـير مـن النـاس، يحـاول أن يعمـم إسـاءته إلى أوسـع نطـاقٍ ممكـن.

اللـه يقـول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2]، **أنتـم كمجتمـعٍ مؤمـنٍ واحـد، عندمـا تلمـز الآخريـن، أنـت تلمـز نفسـك، أنـت تـسيء إلى نفسـك، أنتـم كالجسـد الواحـد، أنتـم أمـةٌ واحـدة، حافظـوا عـلى أخوتكـم،** ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

١- القلم: الآية ١١
٢- الحجرات: من الآية ١١

الغيبة كذلك: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]، حالة خطيرة **جدًّا**، ينزِّه الإنسان لسانه، حتى يكون في تعبيره نظيفاً سليماً من الوزر والإثم، عن الاعتياد لهذا الأسلوب.

السخرية: الله قال: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[2]، السخرية التي فيها استهزاء، واحتقار، **وإساءة بأي اعتبار:** باعتبار اجتماعي... أو بأي اعتبار من الاعتبارات التي هي باطلة، لا يبنى ولا يجوز أن يبنى عليها سخرية من أحد، لا على المستوى الشخصي، ولا على المستوى الجماعي، فأن تصبح المسألة إلى هذا المستوى: ﴿قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾، يأتي البعض ليسخر من أهل بلد بأكملهم، أو منطقة معينة بأكملهم، أو قبيلة معينة، أو عرق معين، لا يجوز أبداً السخرية والاستهزاء بأي تصنيف وبأي مستوى أبداً، لها آثارها السيئة في التفكيك بين المجتمع.

الله جعل العلاقة والأخوّة الإيمانية قائمة على أساس: أن يرعى الإنسان الكرامة الإنسانية للآخرين، وأن يرعى الاحترام المتبادل مع الآخرين، قائمة على قاعدة الاحترام المتبادل، الصدق، الوفاء، العطف، الإحسان، إرادة الخير للآخرين.

❖ **من العوامل المؤدية إلى الفرقة: سوء الخلق، والفظاظة والغلظة:**

البعض من الناس لا يجسِّد الذلة على المؤمنين، والرحمة بين المؤمنين، في أسلوبه في التعامل، في طريقته في التخاطب مع الآخرين، فهو سيء الخلق، فظ، غليظ، عُتُل، جافٍ، يطبع أسلوبه في التخاطب مع الآخرين، والكلام مع الآخرين، والتعامل مع الآخرين، الجلافة، الفظاظة، الغلظة، الكلمات

١- الحجرات: من الآية ١٢

٢- الحجرات: من الآية ١١

الجارحـة، الجـرأة، الوقاحـة، قلـة الأدب، عـدم الاحـترام، وهـذا يـؤدي إلى التفـرق، هـذا يـؤدي إلى التفـرق، ويصبـح عائقـاً حقيقيـاً عـن التعـاون، الانسـجام، المحبـة، الأخـوّة في معناهـا الحقيقـي.

وهـذه حالـة مذمومـة، سـواءً عـلى مسـتوى العلاقـة، تأثيرهـا السـلبي عـلى العلاقـة حتـى فيـما بـين الأفـراد، أحيانـاً تـؤدي إلى مشـاكل كثـيرة، ومشـاكل خطيرة، **أو** في موقـع المسـؤولية، إذا كان الإنسـان في موقع مسـؤولية، أو في منصبٍ معـين، وهـو سيء الخلـق، وهـو فـظٌ غليـظ، وللأسـف الشـديد انتـشرت هـذه الظاهـرة السـلبية في أوسـاط المجتمـع المسـلم، خاصـةً ذوي المقامـات والأعـمال والمسـؤوليات؛ مـن أصبـح لديـه عمـل مهـم، الكثـير منهـم يصبـح فظـاً، غليظـاً، سيء الخلـق، تعبيراتـه، أسـلوبه في التعامـل، مسـتفز، وسيء، وجـارح.

انتـشرت حتـى في المستشـفيات، حتـى لـدى الممرضـات، حتـى لـدى الأطبـاء، الكثـير مـن الأطبـاء تـراه سيء الخلـق، هنـاك منهـم نمـاذج راقيـة **جـدًّا**، تجسِّـد الرحمـة، والإحسـان، والعطـف، وأسـلوبها جـزءٌ مـن المعالجـة للمريـض، البعـض منهـم سيء الخلـق.

في المناصـب والمسـؤوليات، وبالـذات الحكوميـة، والمواقـع الرسـمية، والمقامـات الشـخصية، وكما سـبق عـن المتكبريـن، والمعجبين بأنفسـهم، والمغروريـن بأنفسـهم، هـم أيضـاً مـن أكثر النـاس المتصفـين بهـذه الطريقـة في التعامـل، في سـوء خلقهـم، في فظاظتهـم، في غلظتهـم، وهـي ظاهـرة سـيئة **جـدًّا**، يجـب التخلـص منهـا.

مهـما كان منصـب الإنسـان، أو موقعـه، أو مسـؤوليته، أو مهارتـه، أو كفاءتـه، مهـما كان اعتـداده بنفسـه، فينبغـي لـه أن يتخلـق بالخلـق العظيـم، وأن يكـون حسـن الخلـق، حسـن التعامـل، وأن يتعامـل مـع النـاس باحـترام، كبيرهـم

وصغيرهم، يتعامل باحترام مع الجميع، مع الجميع، يكون الاحترام هو الأساس الذي يبني عليه أسلوبه في التعامل، في التخاطب مع الآخرين.

في مواقع المسؤولية بكلها، مهما كان موقع المسؤولية، **يجب** على الإنسان أن يتعامل باحترام، أن يكون متواضعاً، أن يكون مؤدباً في عباراته، في أسلوبه في التخاطب، حتى لو غضب، البعض قد يكون مؤدباً محترماً إذا كان راضياً؛ **أما** إذا سخط، أو غضب، أو انفعل، أو استاء، ينقلب على موجة أخرى، بسرعة بسرعة، ولو كلمة بسيطة، موجة ثانية، فيظهر قليل الأدب، جريئاً في الإساءة والوقاحة، لا يتحرج من إطلاق أي كلمة، أو أي تعبير مهما كان سيئاً، يسيء تعامله **جدًّا**، وهذا ما لا ينبغي.

الله قال لنبيه، وهو خاتم النبيين، وسيد الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، **يعني:** لَمَا صبروا عليه وهو رسول الله، لَمَا قدَّروا له أنه رسول الله ﷺ، لَمَا تحمَّلوه.

وفعلاً البعض في موقع مسؤولية معينة، قد يكون لديه مهارات في مجال العمل، وإنساناً ناجحاً من حيث خبرته العملية في عمل معين، لكن لا يطيقه الناس، ليتواجدوا معه، ليتكاتفوا معه، لينشطوا معه، ليكونوا ضمنه، ضمن عمله، لماذا؟ لأنه سيء الخلق، لأنه فظ، غليظ، في أسلوبه في التعامل، وإذا انفعل، لا يتحرج من أي إساءة، وسريع الغضب، وسريع الانفعال، وبطيء الرضا، وكثير الجفاء.

١- آل عمران: من الآية ١٥٩

الإمام عليٌّ عليه السلام **قال كلمة جميلة: ((مَنْ لَانَ عُودُه، كَثُفَتْ أغصَانُه))**، الإنسان المتواضع، المحترم للآخرين، الصبور، الحليم، يحبه الناس، يألفه الناس، يجتمع عليه الناس، حتى عندما يكون في إطار مسؤولية، يرتاح الناس للعمل معه، والبعض يكون حتى العمل معه متعباً.

إذا كان الحال أن الناس ما كانوا ليتحملوا حتى رسول الله لو كان فظاً غليظ القلب، لكن ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[1]، فكيف بالإنسان في أي موقع من مواقع المسؤولية؟! **فأمَّا** البعض يلوم الآخرين، أو يتهمهم، هو منفِّر بطبيعته، منفِّر بأسلوبه، منفِّر بفظاظته، بغلظته، بسوء خلقه، ثم يشك في الآخرين أنهم السبب في ألَّا يرغب الناس في أن يبقوا حوله، في أن يكونوا معه، في أن يكونوا ضمن مهامه، أو عمله، في أن ينسجموا معه، مع أنَّ الحقيقة أن الناس ينسجمون تلقائياً أصلاً، إذا كان الإنسان وبالذات إذا جمع **بين** مهارة عملية في مجال عملٍ معين، **وبين** حسن خلقٍ، يرتاح الناس له كثيراً.

❖ **من العوامل المؤدية إلى الفرقة، وهي ذات خطورة كبيرة جدًّا: النميمة:**

النميمة ظاهرة سيئة جدًّا، وهي عندما يسمع الإنسان كلاماً جارحاً، أو كلاماً معيناً يسيء إلى شخص معين، فيذهب لينقله ويشي به، وكذلك إذا حاول الإنسان كذلك أن يسعى للفرقة بين هذا وذاك، سواءً بما ينقله من الكلام الجارح، وقد يزيد عليه، وقد يختار أسلوب التقديم له بطريقة مستفزة **جدًّا**، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب، ومن أقذر الأساليب، ومن أكبر المعاصي، **النميمة هي من الكبائر، ((لا يدخل الجنة قتات))** في الحديث النبوي الشريف، **القتات:** النمام.

١- آل عمران: من الآية ١٥٩

البعض ماهرون في هذا الأسلوب: أسلوب الإثارة لهذا على ذاك، والتفرقة بين هذا وذاك، وكثيراً ما تحصل هذه الأمور في مقام المسؤوليات، ومن جانب المتملقين الانتفاعيين، الوصوليين، المستغلين، يتملقون إلى هذا، أو ذاك، بتحريضه ضد الآخرين، بتحسيسه منهم، بمحاولة أن يشعروا الشخص بأنه محسود من الكل، وأنه وأنه وأنه، يكون أسلوبهم في التملق أسلوباً يثير الفرقة، يسبب الشتات.

إضافةً إلى أن الأعداء يستغلون هذا الجانب؛ لأنهم يعملون دائماً، ومن أهم الأعمال الرئيسية لديهم هي إثارة الفرقة من الداخل، عمل رئيسي من الأعمال التي يسعى لها الأعداء دائماً، يسعى لها الشيطان، ويسعى لها أولياء الشيطان.

فالنميمة هي ظاهرة سيئة جدًّا، الإنسان إذا كان متعاطفاً مع شخص معين، وسمع شخصاً أساء إليه، بإمكانه أن يرد هو، أن يقول: [يا أخي احترم نفسك، هذا الكلام غيبة، هذا إساءة إلى فلان]، **أو يقول له:** [اتق الله، هذا وزر، هذا ذنب...]، لكن عندما يذهب لينقل ذلك الكلام الجارح إلى الشخص الآخر، وقد تكون أحياناً طريقة النقل مبالغاً فيها، أو يضاف إليها، أو نحواً من ذلك.

أو كذلك من أصبح هذا طبعه، يعجبه أن يثير الفرقة، أن يثير الحساسيات، أن يثير العقد، أن يعقد هذا على هذا، وهذا على ذاك، يرتاح للإنسان المشاقق والمسيء، يشجعه على إساءته، يشجعه على شقاقه، ينمِّي العقد، يغذي حالة التذمر، هذه ظاهرة سيئة جدًّا، هي عملٌ بعيدٌ عن التقوى والإيمان كل البعد، معصية وذنب، ووزر، وتخدم الشيطان، الشيطان هو الذي يتجه على هذا الأساس: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

١- الإسراء: من الآية ٥٣

فالإنسان الذي يعمل هكذا، يعجبه إثارة التذمر، والعقد، والحساسيات، والفرقة، والخلافات، والبغضاء، والكراهية، وتعقيد هذا على هذا، وتعقيد هذا على ذاك، يصبح عمله في خدمة الشيطان، ومع الشيطان، ينزغ الشر، ينزغ الفساد، ينشر الفرقة، وهو عملٌ سيء بكل ما تعنيه الكلمة، ومن كبائر الذنوب، فيصبح الإنسان كما قال الله عنه: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، متحرك ينشر، ينشر، ﴿بِنَمِيمٍ﴾، نمام، نمام.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

*****

الأخوة الإيمانية (٤)
وسائل أعداء الإسلام لتجزئة الأمة وتفرقها

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

في سياق الحديث عن المبدأ الإسلامي العظيم: الاعتصام بحبل الله جميعاً، والأخوة الإيمانية، والحديث عن خطورة الفرقة بين المؤمنين، تجلَّى لنا أهمية هذا المبدأ، وأهمية تلك الفريضة العظيمة، بالاعتبار الإيماني، **فلا يمكن أن تكون متقياً لله، مؤمناً كامل الإيمان، صادق الإيمان، مستجيباً**

لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ملتزماً بدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلَّا وتهتم بهذا المبدأ، وتسعى للالتزام به، وتسعى لتطبيق تلك الفريضة، التي هي: الأخوة الإيمانية.

وتبيَّن إلى جانب الأهمية الإيمانية لهذه المسألة، أهميتها أيضاً على مستوى الواقع، **في** أن تكون الأمة قويةً في مواجهة أعدائها، **وفي** النهوض بمسؤولياتها، **وفي** إنجاز أهدافها المقدَّسة، **وفي** الاهتمام بمصالحها الكبرى، كل هذا لابدَّ فيه من وحدة الكلمة، من التعاون على المستوى العام، الأمة الإسلامية بشكلٍ عام، أو على مستوى أي مجتمع من مجتمعات أمتنا، يريد أن يستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يتحرك على أساس هذا المبدأ العظيم، الذي ثمرته معلومةٌ، ومعروفةٌ، ومؤكَّدة.

وكما قلنا في سياق الحديث في المحاضرات الماضية: هذا المبدأ يلقى أشد المحاربة من الشيطان، ومن أعداء المسلمين بشكلٍ عام؛ **لأنهم يعون أهميته، يعون** كم أنه يشكِّل عائقاً أمام مؤامراتهم، وأهدافهم، وأحقادهم، ومساعيهم للسيطرة على هذه الأمة، أو على أي مجتمع من أبناء هذه الأمة، يسعى وفق ذلك المبدأ العظيم، وينطلق على أساسه، هم يدركون أنه يمثِّل عامل قوة للأمة بشكلٍ عام، أو لبعضها، من يتحرك على أساسه من أبناء هذه الأمة، وهم يريدون أن يزيحوا من أمامهم كل ما يمكن أن يشكِّل عائقاً لهم في تحقيق أهدافهم، في السيطرة على أمتنا الإسلامية، وعلى أوطانها وثرواتها، وحتى على ثروتها البشرية، فهم يتحركون لمحاربة هذا المبدأ العظيم بكل الوسائل، وتحت كل العناوين، ومنذ زمنٍ طويل، ليست حربهم على هذا المبدأ، واستهدافهم للأمة في هذا المبدأ العظيم شيئاً جديداً، إنما يتطور مع الوقت، وتتطور أساليبهم فيه، ووسائلهم لتحقيقه.

تقسيم العالم الإسلامي جغرافياً وسياسياً

من المعروف أنَّ أعداء الأمة سعوا إلى تقسيم العالم الإسلامي الكبير إلى دويلاتٍ متفرقة، ففصَّلوه جغرافياً وسياسياً، وأطَّروا كل بقعةٍ منه على المستوى الجغرافي والسياسي؛ **ليفصلوها** عن البقعة الأخرى، فهم كانوا وراء هذا التقسيم الذي عليه بلاد المسلمين، وفيما سبق كان العالم الإسلامي عالماً واحداً، ولكنهم سعوا إلى تجزئته، وتقطيع أوصاله؛ **لإضعاف** أبنائه، وهذا شيءٌ معروف، عُقِدَّت له مؤتمرات، وكانت لها مخرجات، ووثائق معينة، إلى درجة أنَّ أبناء العالم الإسلامي إذا اختلفوا، وتنازعوا أحياناً على الحدود، البعض منهم يحتكمون إلى العدو الذي فرَّقهم، وقسَّم أوطانهم، وجزَّأ بلدانهم؛ **لأنهم** يعتبرونه هو الأعرف كيف فعل، كيف قسم هذه المنطقة عن تلك المنطقة، وهذا البلد عن ذلك البلد، وكيف قطَّع أوصال ذلك الوطن، فيحتكمون إليه، يحتكمون عند البريطاني، ليقول لهم كيف قسم أوطانهم، أين هي الحدود وفق تقسيمه.

مذهبياً ودينياً

لم يكتفوا بذلك؛ أن قسموا العالم الإسلامي إلى أوطان مؤطَّرة سياسياً وجغرافياً، وفرقوا بين أبنائه على هذا الأساس، بل عملوا بكل جهد إلى توسيع الفرقة المذهبية، وإلى استنساخ مذاهب إضافية، وإلى إحداث الفرقة حتى داخل كل مذهب؛ **ليشتتوا** الأمة فكرياً، وثقافياً، ودينياً.

وأكثر من ذلك: يحاولون أن يزرعوا في العالم الإسلامي من جديد أقليات دينية، يعملون على إنشاء أقليات دينية، بديانات جديدة غير الإسلام، ثم إلى فرضها سياسياً، إلى أن يفرضوا لها حقوقاً سياسية، وأن يؤقلموا الوضع العام في البلد على مستوى النظام، وعلى مستوى ما يعتمد عليه أبناء البلد في

نظم شؤون حياتهم، إلى أن يكون وفقاً لذلك لإزاحة الإسلام وشريعة الإسلام من شؤون الحياة، فعملوا على أن يزرعوا في كثيرٍ من العالم الإسلامي ديانات جديدة غير الإسلام، ويعملون على أن يوسعوا دائرتها بكل جهد، واستغربنا في الآونة الأخيرة حينما جلبوا إلى اليمن البهائية، والأحمدية، وأصبحوا يجلبون أيضاً عناوين أخرى، ويحاولون أن ينشروها، وأن يوسعوا دائرتها.

أمّا على مستوى ما هو محسوبٌ على الإسلام من مذاهب، وأفكار، وتوجهات ثقافية وفكرية مشتتة، فهم يشتغلون باستمرار، لتحريف المفاهيم، وتغييرها، والشتات الفكري والثقافي الذي يسعون من ورائه لبعثرة الأمة؛ **حتى** لا تعتصم بحبل الله جميعاً، تتوجه على أساسٍ واحد، ورؤيةٍ واحدة، وهم يشتغلون بشكل مستمر، ويستفيدون في هذا العصر من الإمكانات التقنية، وبالذات من الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، والمواقع على الإنترنت، ويحاولون أن يستغلوا فقدان المنعة الثقافية لدى الكثير من أبناء الأمة، والضعف الثقافي لدى الكثير من أبناء الأمة، والفراغ الثقافي لدى الكثير منهم، في التأثير عليهم، وهم يعملون في هذا الاتجاه عملاً واسعاً.

من أبرز ما عملوه لإثارة الفرقة، تحت العنوان الديني، في أوساط المجتمع الإسلامي، هو: المد التكفيري، هم وراء إنشاء المد التكفيري، وزرعه في أوساط الأمة، وتوسيعه وتوسيع نطاقه في أوساط الأمة، الظاهرة التكفيرية هي تكررت في الواقع الإسلامي مع الزمن، لكنهم في هذا الزمن استغلوها، ووظفوها إلى أقصى حد، ودعموها، ووفروا لها الدعم الكبير من عملائهم من المنافقين، من الأنظمة التي هي مواليةٌ لهم، والحكومات التي تُمَوِّل مخططاتهم ومؤامراتهم، فاتجهوا إلى توسيع رقعته، ليمتد إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي، وليتحرك لإثارة الفتن بين أبناء العالم الإسلامي بشكلٍ كبير

وعنيف **جدًّا**، لإثارة الفتن، والقتل، والجرائم، والإبادات الجماعية، وتوسيع دائرة الفرقة على أشد ما تكون، لتكون فرقة عقائدية بشدة، ينظر إلى أخيه من أبناء الأمة الإسلامية إلى أنه كافر **يجب** ذبحه على الفور وبدون تأخير، أو تمزيقه إلى أشلاء، من خلال التفجيرات الإجرامية، كما رأيناه مؤخراً في أفغانستان، وتكرر مثله كثيراً في العراق، وفي اليمن... وفي بلدانٍ كثيرة.

فهم يعملون على إثارة الفرقة، وتدمير الأمة الإسلامية، وخلخلتها من الداخل، ويبذلون في ذلك كل جهد، هذا بالنسبة لهم هو توجهٌ أساسيٌ، يعملون عليه بكل اهتمام، وبكل جد، ويوظفون له كل الجهد والإمكانات اللازمة، وهذا ما **يجب** أن نعيه جيداً، وأن نستوعبه بحجم أهميته وتأثيره، هذا مما يعملون عليه.

استثمار المشاكل وتفكيك المجتمع

يعملون على الاستثمار في كل المشاكل والأزمات والخلافات، أي خلاف يظهر في هذا البلد الإسلامي، أو ذلك البلد، سواءً في الوطن العربي، أو غيره، فهم يتجهون إلى استغلاله، إلى تغذيته، إلى أن يزداد أكثر وأكثر، وأن يتوسع أكثر وأكثر، إلى أن يخدم أهدافاً لهم محددة هنا أو هناك، وهذا مما يعملون عليه، ويشتغلون فيه بشكلٍ جاد.

يتجهون حتى في الاستثمار في المشاكل الاجتماعية، المشاكل بكل أشكالها في عالمنا الإسلامي يستثمرونها.

يتجهون حتى على مستوى الفرز الاجتماعي، فهم وراء العمل على أن يفصلوا المرأة ككيانٍ لوحده، والشباب ككيانٍ لوحده، هذا ما يعملونه عندنا في العالم الإسلامي، ثم يتجهون بالمرأة إلى أن تفهم أنها كيان لحالها، ولديها

اهتمامات سياسية، ولديها معركتها مع الرجل، في الصراع على الحقوق، وما إلى ذلك؛ **لأنهم** يسعون حتى إلى تفكيك الأسرة، لا تبقى الأسرة التي هي اللبنة الأساسية في الإسلام في داخل المجتمع، المجتمع لبناته الأسر، يتكون من الأسر، **الاستقرار على مستوى الأسرة له أهمية في الاستقرار على مستوى المجتمع**، فهم يسعون بكل جهد، والبعض من النساء السذج يستجبن لهذه التوجهات، وهذه الأنشطة، ويغفلن عن أنها أنشطة استهدافية؛ **لأن** قوة المجتمع في أن يكون أبناؤه في حالةٍ من الوحدة، قوة الأسرة في أن تكون متوحدة، قوة المجتمع كذلك.

فيتجهون على مستوى المرأة، على مستوى الشباب، على مستوى الطفل... وهكذا، تقسيمات وبعثرة، **كما قلنا في مناسبة من المناسبات: لو** استطاعوا أن يبعثروا الإنسان نفسه إلى عدة اتجاهات، **ويجعلوا** كل يدٍ من يديه تخاصم الأخرى، **وكل** شيءٍ فيه يخاصم الآخر، لفعلوا، هم يعملون على تجزئة هذه الأمة إلى أنهى حد، إلى أقصى ما يمكن، هذا ما يعملون له، ويلقون بيئةً مهيأةً لذلك إلى حدٍ كبير.

فاشتغلوا في كل هذه الاتجاهات، وفي الأزمات، وفي تفرقة الأمة في المواقف والسياسات، تجاه أي موقف مهم يسعون إلى أن يكون واقع الأمة تجاهه في حالة اختلاف وتشتت، السياسات كذلك، في كل الاتجاهات.

وعانا المسلمون من هذه الفرقة، ضعفوا، تجرأ عليهم أعداؤهم في كل مكان، في كل اتجاه، اطمأن أعداؤهم إلى حدٍ كبير، من أن تكون ردة الفعل العامة من كل المسلمين تجاه ما يفعله ببعضهم هنا، أو هناك، مع أن تربية الإسلام تربيهم على الشعور بأنهم أمة واحدة **((كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تتداعى له سائر الأعضاء بالسهر**

والحمى))، أن يعملوا على أن يكونوا كالبنيان المرصوص، والذي يربي على الشعور بالمسؤولية تجاه كل المسلمين من كل فردٍ منهم، **((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن سمع منادياً ينادي يا للمسلمين، فلم يجبه، فليس بمسلم))** وفي بعض الروايات **((فليس من المسلمين))**.

هكذا عملوا داخل بلدان العالم الإسلامي، يعني: عملوا على المستوى العام كأمة، ثم داخل كل بلد من بلدان العالم الإسلامي، يشتغلون بعد أن فككوا الأمة إلى دويلات، يتجهون داخل كل بلد، كل دولة، بنفس العمل، بنفس الاتجاه؛ **لتمزيق** صف أبناء ذلك الوطن، للتفرقة بينهم إلى أقصى حد، تحت كل العناوين، لتشتيتهم في كل شيء، لبعثرتهم في كل شيء، **لزرع التباين بينهم في كل الأمور وفي كل المجالات:** المجالات السياسية، والمجالات الاجتماعية... وفي كل شيء، ويعملون على ذلك بشكلٍ مستمر ومنظم، ووفق خطط، وهذا أمرٌ واضح، هذا ليس أمراً خفياً، وليس افتراءً عليهم، أو ادعاءً عليهم بغير حقيقةٍ، هم يعملون ذلك، لديهم خطط منظمة، معلنة، وأنشطة واضحة، ويشتغلون على ذلك بكل جد، وبكل اهتمام.

الاستهداف لمن يسعى لإعاقة مخططاتهم ومؤامراتهم

من ضمن ما يعملون على استهدافه، ولمحاربته، هو: عندما يتحرك أيٌّ من أبناء هذه الأمة في الاتجاه الصحيح، الذي فيه التبني للموقف الصحيح، سواءً تجاه قضايا الأمة بشكلٍ عام، أو تجاه أي بلدٍ من البلدان، فعندما يتجه البعض من أبناء هذا البلد، أو ذاك، في اتجاه أن يكون بلدهم حراً، مستقلاً، كريماً، مستقلاً من التبعية لأعدائه، وأن يحظى بالحرية والكرامة من سيطرتهم، ومن نفوذهم، والانعتاق من هيمنتهم، ويتجه إلى أن يتكامل إيجابياً مع أبناء أمته، وأن يتبنى قضايا أمته، **فهم يستهدفونه على أشد**

مستوى من الاستهداف: الاستهداف العسكري، الاستهداف الاقتصادي، الاستهداف بهذا المجال نفسه، بهذا الجانب نفسه، لتفكيكه من الداخل، وأيضاً لبعثرة الأمة من حوله أن تتجه نفس التوجه الصحيح.

وهذا ما حصل عندنا في اليمن، عندما اتجه شعبنا على هذا الأساس، ضمن هذا التوجه الصحيح الإيجابي، المنسجم مع مبادئه، مع انتمائه للإسلام، مع هويته الإيمانية، يريد ألَّا يخضع لسيطرة أعدائه من الكافرين والمنافقين، توجه الاستهداف له عسكرياً، واقتصادياً، وتوجه الاستهداف له تحت كل عناوين التفرقة بين أبنائه، واستهداف الأحرار فيه بكل شكلٍ من أشكال الاستهداف.

وهذا ما حصل في فلسطين، في استهداف المجاهدين هناك، هذا ما يحصل في لبنان، ضد حزب الله في لبنان، هذا ما حصل في العراق، هذا ما حصل في مختلف البقاع الإسلامية، **أيُّ توجهٍ صحيحٍ بنَّاءٍ، يتجه نحو عزة الأمة، وكرامتها، وحريتها من أعدائها، والتصدي لأعدائها، والتصدي لطغيانهم وشرهم، والعمل على إعاقة مخططاتهم ومؤامراتهم، يتوجه نحوه الاستهداف بشكلٍ مكثف،** وهذا أيضاً أمرٌ معلن، وأمرٌ واضح، وليس خفياً.

ويستغلون من ضمن ما يستغلونه في تحقيق هذا الهدف، وفي إطار هذا الاستهداف: مواقع التواصل الاجتماعي، بحملات التشويه المنظَّم، سواءً التشويه العام، **مثلاً:** عندنا في اليمن يتوجه بشكلٍ رئيسي التشويه ضد أنصار الله؛ **لدورهم** مع بقية أحرار هذا البلد في الاتجاه الصحيح، في التصدي لأعداء هذا البلد، في السعي لحرية وكرامة أبناء هذا البلد، **ويتجه أيضاً ضد الآخرين الذين يتجهون معهم في هذا الموقف:** الموقف الصحيح.

في فلسطين ضد المجاهدين، في لبنان ضد حزب الله... وهكذا في بقية العالم الإسلامي، حملات منظَّمة، حملات دعائية، مشحونة بالافتراءات، ومشحونة أيضاً بتوظيف أي إشكاليات، وتكبيرها، وتضخيمها، وتعميمها، وتحويلها إلى عناوين أساسية تملأ كل مواقع التواصل الاجتماعي، حملات للتشويه؛ **لهدف** صد الناس عن تبني الموقف الصحيح، وصرف أنظارهم عن العدو الحقيقي، وصرف اهتماماتهم عن النهوض بمسؤولياتهم في الاتجاه الصحيح، والموقف الحق، الذي ينبغي أن يكون محط اهتمامهم.

إضافةً إلى توظيف أي خلافات، وأي إشكالات، وأي سلبيات، إلى أقصى حد، مهما كانت السلبية جزئية، أو محدودة، تتحول إلى قضية رئيسية، وتتحول إلى موضوع أساسي، يطغى على كل شيء، ويتحول هو محط كل الاهتمام، والأخذ والرد، وتبنى عليه المواقف، والأحكام العامة، وتبنى عليه توجيه الإساءات إلى أقصى حد، حتى لتتحول الجزئية البسيطة من الإشكالات، أو السلبيات، أو حتى قضية لا أساس لها من الصحة، هي مجرد افتراء، وكأنها قضية القرن الحادي والعشرين، التي ينبغي أن يتحول كل اهتمام الناس حولها، وأن تبنى عليها كل الأحكام، والمواقف، والإساءات، وكل الإجراءات، وكل شيء، وكل العداء، وكل السخط يبنى على أساسها، على نحوٍ غير طبيعي، على نحوٍ هستيري، جنوني، على نحوٍ فيه إفراط، وفيه مبالغات غريبة **جدًّا**.

أيضاً على مستوى استغلال أي خلافات، سواءً خلافات في الرأي، خلافات في الواقع العملي، خلافات تظهر كخلافات شخصية، أي خلافات، فتأتي معها الحملات الدعائية، التي تجعل منها أمراً كبيراً، ورئيسياً، **كل هذا بهدف:** التفرقة، توسيع الفجوة، زرع حالة التباينات، تفكيك الناس **عن** الموقف الصحيح، **عن** الاتجاه الصحيح، وأيضاً إشغال الناس وصرف اهتمامهم **عن**

القضايا المهمة فعلاً، **عن** القضايا الحقيقية، **عن** القضايا الأساسية، **عن** الأخطار الحقيقية، **عن** العدو الحقيقي، **عن** المسؤوليات المهمة، **وحتى عن** معالجة أمورهم على المستوى العملي بشكلٍ صحيح، يصرفونك عن الأسلوب الصحيح، عن التوجه الصحيح، إلى الأسلوب غير الصحيح، الهدَّام، المدمِّر، المسيء، الذي يفاقم المشاكل أكثر، ولا يسهم في حلها أصلاً... وهكذا.

انسجام المنافقين ومرضى القلوب مع نشاط الأعداء!

يبرز مع نشاط الأعداء المنظَّم في ذلك، والذي يشتغل ضمن خطط واضحة، وحملات بعد كل فترة وأخرى، حملة معينة يطلقونها، ينسجم ويتلاقى معه دور بقية المنافقين، بقية الذين في قلوبهم مرض، مثلاً: على مستوى واقعنا في اليمن، من هم في إطار الصف الوطني، ولكنهم ليسوا جادين، ليسوا صادقين، ليس لهم اهتماماتهم الحقيقية الصادقة، أو لديهم بعض الاهتمامات الشكلية والمحدودة **جدًّا**، والموضوع بالنسبة لهم في مستوى هامشي وعادي، ليس توجهاً جاداً، صادقاً، له شواهده في الواقع، له مداليله في الأداء العملي؛ **إنما** هو مجرد كلام عادي، ولكن يبرز اهتمامهم الكبير، عنايتهم الفائقة، تركيزهم الكبير، شدتهم، جرأتهم، وقاحتهم، في الاتجاه السلبي، المناوئ، المعارض، الذي يصرف الناس عن الاهتمام بالأمور المهمة، بالقضية الأساسية، بالموقف الصحيح، فينسجمون مع أي حملة معادية، عندما يطلق الأعداء حملة، سواءً تستهدف أشخاصاً محددين، أو تستهدف الاتجاه بكله، الاتجاه الذي يتصدى للأعداء، الذي ينهض بالمسؤولية، الذي يقف الموقف الحق، فينسجمون ويتماهون مع ذلك.

والبعض أيضاً من ذوي العقد، أو المشاكل الشخصية، لديه مشكلة شخصية، لديه أهداف شخصية لم تتحقق، لم يحصل عليها، يتبنَّى بالنتيجة موقفاً سلبياً معادياً، لكنه يتجه مع الموجه، موجه من جانب الأعداء، فيها

نشاط عدائي، فيها إثارة للسخط، فيها تحريض عدائي، فيتماهى معها من منطلق أن لديه عقدة شخصية، ومشكلة شخصية، وهذا أسلوبٌ خاطئٌ، ولا أخلاقي، ولا إنساني، **وأي شيءٍ لا يبرر للإنسان مهما كان أن يتماهى مع الأعداء، أن يتجه مع الأعداء من أجل شفاء غيظه، أو من أجل عقده الشخصية.**

الأعداء يشتغلون بشكلٍ مكثف، ويصبون نشاطهم نحو الاتجاه الداخلي؛ لتفكيك الناس من الداخل، إلى درجة أن يوظِّفوا في ذلك ما يفعلونه هم؛ بهدف صرف ردة الفعل، وتوجيه ردة الفعل بالاتجاه الخاطئ، فمثلاً: عندنا في اليمن، عندما يحاصرون شعبنا، عندما يرتكبون بحقه أبشع الجرائم، يحاولون أن يؤلِّبوا الناس حتى تجاه ما فعلونه هم، ضد من؟ ضد من يتصدى لهم، ضد من يقف بوجههم، ضد من يحاربهم، ضد من ينتقم منهم لشعبه، فيتَّجهون بتوجيه اللوم تجاه ما حصل، تجاه ما يرتكبونه من جرائم، تجاه ما يعملونه من حصار، ضد أنصار الله، وضد من يقف معهم من أحرار هذا البلد في التصدي للعدوان، ويحمِّلونهم المسؤولية، واللائمة، ويتحرك معهم الطابور الخامس، والمعقَّدون، والسيئون، ممن لا يمتلكون الضمير، والأخلاق، والقيم، ولا يكترثون لأن يقولوا أي شيء، فيتماهون معهم في ذلك، فتأتي المحاولات لأن تتوجه حالة السخط تجاه ما فعله العدو ضد الصديق، ضد الذي يقف بوجه العدو، ضد من يتصدى للعدو، ونفس هذا التصرف، نفس هذه السياسة، نفس هذا الأسلوب يفعلونه في فلسطين.

يقوم العدو الإسرائيلي باعتداءاته على الشعب الفلسطيني، وأحياناً بتصعيد كبير، مثلما حصل في العام الماضي بتصعيده على غزة، وفي أعوام سابقة، حملات وحرب شاملة مفتوحة، وحصار شديد، ثم يحرِّض الأهالي والشعب الفلسطيني ضد المجاهدين تجاه جرائمه، هو يقتل، ويدمِّر، ويحاصر، ويريد من الناس ألَّا يسخطوا عليه تجاه ما فعل، وأن يسخطوا

على الذين يقفون بوجهه من أبناء شعبهم، الذين يتصدون لجرائمه من أبناء شعبهم، الذين يقفون بوجه عدوانه وإجرامه من أبناء شعبهم، الذين يسعون لإنقاذ شعبهم، لتحرير شعبهم، يريد منهم (من الفلسطينيين) أن يعادوهم هم، بدلاً من أن يعادوه هو على جرائمه، وعلى حصاره.

نفس المسألة عندنا في اليمن، يأتي تحالف العدوان ليقتل، ويريد من الناس ألَّا يغضبوا منه هو لأنه قتل، لأنه ارتكب الإبادات الجماعية، يحاصر، ويعذِّب المجتمع اليمني في قوته، وفي معيشته، وفي اقتصاده، لكن يريد من الناس ألَّا يسخطوا منه هو لأنه فعل بهم ذلك، ألَّا يغضبوا منه لأنه يعذبهم، يضطهدهم، يحاصرهم، أن يغضبوا ممن يقفون بوجهه، ممن يتصدى له، ممن يحاربه، ممن يقف بوجه عدوانه، ممن ينتقم للشعب منه، أن يبغضوه هو.

في لبنان كذلك حملات كبيرة دعائية ضد حزب الله في لبنان، ومطالبات مستمرة بنزع سلاحه؛ **لأنه** حرر لبنان من أعدائه، لأنه تصدى للعدو الإسرائيلي، الذي يعتدي على لبنان، الذي سعى إلى احتلال لبنان، الذي سعى إلى مصادرة الحرية على الشعب اللبناني، والاستقلال والكرامة، الذي ارتكب أبشع الجرائم بحق الشعب اللبناني، وعند كل حربٍ مفتوحة مع حزب الله، يرتكب أبشع الجرائم، يقوم بتنفيذ عمليات وحشية وإجرامية، لكن- في نفس الوقت- يطلب من اللبنانيين ألَّا يبغضوه على ذلك، وألَّا يكرهوه على ذلك، ألَّا تكون ردة فعلهم تجاهه تجاه ذلك؛ **إنما** أن يبغضوا حزب الله؛ لأنه يقف بوجهه، لأنه يحاربه، وحصل هذا في العراق، وحصل... يحصل بشكلٍ عام في واقع الأمة الإسلامية.

المسألة هذه مسألة واضحة، حملات الأعداء فيها عادةً ما تكون واضحة، وسياساتهم في ذلك سياسات مكشوفة، لكن عندما يكون لدى

البعض حالة من العقد، تسبب لهم العمى، عمى البصيرة، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١]، **أو** البعض أيضاً مفلسون إنسانياً، وأخلاقياً، وقيمياً، فيتجهون نفس الاتجاه الذي يريده العدو، وهو اتجاه خاطئ، وغبي، وظالم؛ **لأنك** عندما تتوجه بسخطك، وكرهك، ولومك، وتحميلك المسؤولية، إلى من هو بريءٌ، وتناصر المعتدي الذي يرتكب الجريمة، تقف مع ذلك الذي يقتل، ويحاصر، ويرتكب الجرائم البشعة، والإبادة الجماعية، تؤيِّد سياساته، تتبنى منطقه، تتبنى ما يقوله، وتوجِّه اللوم إلى من يقف بوجهه، توجِّه اللوم فيما فعله ذاك، هذا افتراء، وبهتان، وظلم، وإجرام، وانحراف، وغباء، ويجمع كل الأوصاف السيئة والمقيتة.

في الواقع الداخلي عادةً ما يكون هناك استهداف في اتجاهات متعددة، فمن يقف في وجه الأعداء، من يتبنى الموقف الحق، كجزءٍ من أبناء هذه الأمة، يتوجه الاستهداف له حتى لتفرقته من الداخل، وحتى في استهداف بيئته الشعبية، والحاضنة، وجمهوره، عادةً ما يكون هناك نشاط مكثف في هذا الاتجاه، وشغل لتوظيف أي إشكالات، أو أي خلافات، أو أي تباينات إلى أقصى حد، كما شرحنا في بداية الحديث.

سنة الله في الفرز لتمييز الخبيث من الطيب

وفي الواقع العملي هناك سنَّة من سنن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع عباده المنتمين للحق، المتجهين على أساس الاتجاه الإيماني، هي: سنَّة الاختبار، التي تبيِّن الصادق عن غيره، الوفي عن الخائن، والصادق عن الكاذب، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾آل[٢]، **ومن أهم ما يأتي فيه الاختبار، ويجلِّي الناس هو: في الموقف الحق، في تبني الموقف**

١- الحج: من الآية ٤٦

٢- عمران: من الآية ١٧٩

الحق، وفي الثبات على ذلك، في الثبات على ذلك، والاستمرار على ذلك.

في مسيرة الحياة في كل زمن، يأتي الفرز، ويأتي نتيجةً لذلك الاختبار من ينكشف زيغهم، من يتجهون على نحوٍ آخر، من ينحرفون عن الموقف الحق، من ينحرفون عن الاتجاه الحق، هذا حصل حتى في عهد الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام»، وحصل في كل زمن، هي سنَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿مَا كَانَ﴾، يعني: أنها سنَّة مستمرة، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، فيأتي البعض مثلاً في مرحلة من المراحل فيزيغ ويخرج عن تبني الموقف الحق، والاتجاه الحق، ويصبح منطقه منطق الأعداء، اتجاهه اتجاه الأعداء، يتخلى نهائياً وبشكلٍ تام عن تبني الموقف الحق، والتوجه الحق، ويتبنى موقفاً مغايراً سلبياً، تجاه من؟ تجاه الذين يتبنون موقف الحق، يتحول إلى مخاصم لهم، إلى مسيء إليهم، إلى معادٍ لهم، إلى محرضٍ ضدهم، إلى مفترٍ عليهم، ويتبين أنه أصبح موقفه موقفاً مغايراً، قد تخلى عن الموقف الحق، وتخلى عن القضية الحق، وتخلى عن الاتجاه الحق، وبقي اتجاهه متماهياً تماماً مع اتجاه الأعداء.

يحصل هذا في كل زمن، الزائغون الذين ينحرفون عن تبني الحق، ثم يتحول نشاطهم إلى نشاطٍ من أجل الفرقة، يكونون دعاةً للفرقة، دعاة للخلاف، يسعون إلى خلخلة الصف الداخلي، يسعون إلى صرف اهتمام الناس عن القضايا الرئيسية، عن الموقف الحق المهم، عن القضية الأساسية، يسعون إلى صرف أنظار الناس عن ذلك نهائياً؛ **حتى** لا تبقى قضيةً للناس، ولا تبقى محط اهتمامهم، وأن يتجهوا بالناس إلى تبني مواقف عدائية مختلفة، تنسجم مع توجهات الأعداء، وهذا يحصل في كل زمن.

الذين يتجهون هذا الاتجاه المنحرف، فيزيغون عن الموقف الحق، والاتجاه الحق، ويتحولون إلى دعاةٍ للفرقة، يصفهم الله في القرآن الكريم بـ**{الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}**.

يعني: البعض من الناس قد ينطلق في الاتجاه الحق، ويتبنى الموقف الحق، وقد يبرز في ذلك، أو يلقى شيئاً من السمعة والشهرة، ولكنه في حقيقته، في داخله، في ضميره، في وجدانه، في قلبه، بقي لديه مرض، ما هو المرض هذا؟ هو مرض معنوي، مرض تربوي، إمَّا أنه بقي مرتاباً تجاه شيءٍ من الحق، لم يؤمن به في الواقع، أظهر اقتناعه بالحق، لكنه بقي مرتاباً تجاه شيءٍ من الحق، لم يؤمن به حقاً، لم يؤمن به حقيقةً، واحتفظ بحالة الريب تلك، بقيت معه، لم يتخلص منها، لم يستنر بنور الله، لم تكتمل بصيرته، ولم يتم يقينه، فبقي ذلك الريب فيه، يكبر، يعظم، يصطدم باختبارٍ معين، فيتجلى في موقفه، ويظهر مثلاً تنكره لمبدأ من مبادئ الحق، أو لمبادئ من الحق، أو لشيءٍ من الحق، أو حتى للموقف الحق بكله، وهذا يحصل للكثير من الناس على مدى التاريخ وفي كل زمن، وسيبقى إلى قيام الساعة.

والبعض أيضاً إلى جانب ارتيابه باتجاه شيءٍ من الحق لم يؤمن به، يحتفظ أيضاً بخللٍ تربوي، لا يتزكى، لا يتزكى في طريق الحق، لا يتخلص من الشوائب الخبيثة، **فهو يحتفظ في قلبه بشيءٍ من الخبث: إمَّا** كبر، **إمَّا** حقد، **إمَّا** العجب والغرور، **إمَّا** شيءٌ من الخلل التربوي الذي لا يستقيم معه الإيمان، لا يكتمل معه الإيمان، يبقى متعارضاً مع الحالة الإيمانية، ويعظم لدى الإنسان، فيصطدم في مرحلة من المراحل باختبارٍ معين؛ فيتجلى لدى الإنسان ذلك الخبث، فيظهر ويتبين في موقفه المغاير، في زيغه وانحرافه.

وهـذه أيضـاً مـن سـنن اللـه سُبحانه وتعالى، وقـد يتفاجـأ النـاس مـن البعـض، كيـف تغـيَّر تماماً، كيـف تبنـى موقفـاً معاديـاً، كيـف أصبـح موقفـه منسـجماً مـع الأعـداء، متماهيـاً مـع الأعـداء، مغايـراً لما كان عليـه في المـاضي، فانحرافـه واضحٌ عـمّا كان عليـه سـابقاً.

اللـه سُبحانه وتعالى **قـال في القـرآن الكريـم:** ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[1]، **فاللـه** سُبحانه وتعالى **مـن سـنته أن مـن يحتفـظ في قلبـه بالمـرض، المـرض عـلى مسـتوى الارتيـاب والشـك في شيءٍ مـن الحـق، لا يؤمـن بـه، يحتفـظ بارتيابـه ذلـك، أو معـه أيضـاً اختـلالات تربويـة، لا تنسـجم مـع الإيمـان، شيءٌ مـن الخبـث، أن يظهـر ذلـك، أن يتجـلى؛ لأن اللـه لا يقبـل مـن عبـاده إلا الصـدق**، يريـد مـن عبـاده أن يكونـوا صادقـين في إيمانهـم، صادقـين حتـى في تبنيهـم للموقـف الحـق، لا يقبـل إلّا الصـدق، وإلّا الصادقـين، فمـن يتمسـك معـه بـشيءٍ مـن الارتيـاب، لا يتركـه، لا يسـتبصر، لا يتـم يقينـه، لا تكتمـل بصيرتـه، أو أنـه يحمـل شـيئاً مـن الخبـث ولا يتـزكى، تأتيـه الفـرص التربويـة والإيمانيـة والعمليـة، التـي تسـاعده عـلى أن يتـزكى، فـلا يتـزكى، فهـو يصـل إلى مرحلـة معينـة، يصطـدم فيهـا بالاختبـار الإلهـي، ويفضحـه اللـه، ويكشـفه اللـه، ضمـن سـنته في أن يميـز الخبيـث مـن الطيـب في الواقـع الإيمـاني نفسـه.

١- محمد: ٢٩-٣٠

ضرورة الوعي والموقف الصحيح تجاه أهل الزيغ

مثل هذه الحالة يجب أن يكون الجميع على وعيٍ تجاهها، أولاً: من أجل أن يحذر الإنسان هو نفسه، ألَّا يحتفظ بشيءٍ من الريب، وأن يضل متمسكاً به، وألَّا يحتفظ بشيءٍ من الخبث، ليسعى الإنسان إلى أن تكتمل بصيرته، إلى أن يتم يقينه، إلى أن يكون على وعيٍ كبير، على وعيٍ تام، وأن يتزكى، يسعى دائماً في أن يتزكى، يسعى دائماً في صلاح النفس، يستفيد من كل الفرص التربوية.

ثم لا يتفاجأ الإنسان، أو يتأثر سلباً عندما يشاهد شيئاً من هذه الحالات، التي حصلت في كل زمن، وتحصل في كل عصر، فإذا وجد شيئاً من هذه الحالات، وجد من يزيغ، من ينحرف، من يتبنى الاتجاه المغاير، من يصبح منسجماً مع الأعداء، يتبنى اتجاههم، معادٍ لأمته، معادٍ لمن يتجهون الاتجاه الحق، ويتبنون الموقف الحق، أن ينظر إليه نظرة القرآن، يمكن أن ينصحه، يمكن أن يذكره، إذا لم يقبل، إذا أصبح مخذولاً، قد خذله الله ﷻ، وسلبه التوفيق، فلا يبالي به، لا يعطيه أي قيمة، لا يتأثر به، لا يهزه هو في موقفه، يعرف أن هذه سنة الله في الأولين والآخرين، وأنها على مرِّ الزمن، وفي كل عصر، ومع كل أمة، وفي كل قومٍ مؤمنين، يأتي هذا الاختبار، يميز الله الخبيث عن الطيب منهم؛ **حتى** يتجلى كُلٌّ من الصادق والكاذب، إلى غير ذلك.

ثم ليكن مثل هذا النوع من الناس منبوذاً، لا قيمة له لدى الناس، لا قيمة لموقفه لدى الناس، وعادةً ما يكونون أيضاً حتى عند الأعداء لا قيمة لهم، إذا أصبح لديهم لهم ولو قليلٌ من الأهمية، فهي بحساب ما كانوا عليه، **العدو ينظر إليهم فقط من هذا المنظور:** بحساب ما كانوا عليه، وإلَّا فلا شأن لهم ولا قيمة لهم عند أحد.

يجب أن يكونوا منبوذين، ثم ألَّا تتحول هذه الحالة إلى ظاهرة تتوسع دائرتها كظاهرة تخلخل الصف من الداخل، **يجب** أن يكون الداخل دائماً محصناً بالوعي، بالإيمان، بالبصيرة، باليقين، ألَّا يكون ساحةً مريضة، تنشط فيها الفئات الذين في قلوبهم مرض، فتلقى القابلية، تلقى التأثير، تلقى التجاوب، **يجب** أن تكون مثل هذه الحالة منبوذة؛ **لأنها** خرجت عن الموقف الصحيح، عن الاتجاه الصحيح، فلا يكون لها أي قابلية، ولا أي تأثير.

الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1]، من يتبع غير سبيل المؤمنين، بعد أن قد تبين له الهدى، وكان في الاتجاه الإيماني، وكان يتبنى الموقف الحق، ثم انحرف عن ذلك، وزاغ عن ذلك، وأصبح له موقفٌ مغاير، فهو إنسانٌ مخذول، خذله الله ﷻ، ويسلبه التوفيق، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾، يتركه الله في اتجاهه الخاطئ، في اتجاهه الذي انحرف إليه وزاغ إليه، ويخذله، ويسلبه أسباب التوفيق، وهو الخاسر، عاقبته جهنم، ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

كيف هي سبيل المؤمنين؟ سبيل المؤمنين يتبنون المواقف الحق، يثبتون عليها، مواقفهم من أعداء الله مواقف ثابتة، مبدئية، أساسية، مواقفهم الإيمانية مواقف ثابتة، لا يزيغون عنها، لا يتزحزحون عنها.

فمثل هذا النوع من الناس يجب أن نحمل الوعي تجاهه، وألَّا يلقى أي قيمة، وألَّا نكترث به، يبقى منبوذاً، لا قيمة له، لا أثر له، وننظر إليه النظرة القرآنية.

١- النساء: الآية ١١٥

معالجة حالات التذمر بالطريقة المناسبة

من الحالات التي قد تكون حالةً سلبية، تتطور أحياناً لتصل إلى مستوى الفرقة: حالات التذمر، والاستياء، والمشاكل العملية:

يعني: هناك حالات ليست بعد حالات زيغ، وخروج عن الموقف الحق، لكنها مشاكل عملية في الإطار الداخلي في الموقف، أو في العمل، أو في إطار المسؤولية، أو في الإطار العام، مشاكل تحصل، **واقع الحياة هكذا:** يحصل فيه أحياناً إشكالات معينة، أو اختلافات في الرؤى، أو سوء تفاهم في بعض الأمور، **لا يجوز** أن تتحول مثل هذه الحالة إلى حالة فرقة، إلى حالة ينشر فيها البعض ويعمم حالة التذمر، والاستياء، والعقد، بما يؤثر سلباً على الاتجاه العام، على الاهتمام بالقضايا الأساسية، بالقضايا المهمة، بالقضايا العظيمة، التي مسؤولية الناس فيها مسؤولية مقدسة، مسؤولية إيمانية، مسؤولية جهادية، فيجعل البعض من إشكالية جزئية معينة ما يصد عن الاهتمام بكل ذلك، أو يؤثر سلباً على كل ذلك.

هذه الحالات يجب التوجه لمعالجتها بأسلوبٍ عمليٍ، مجدٍ، سليمٍ، صحيحٍ، أخوي، هذا ما **يجب**، هذا ما **يجب** في مثل هذه الحالات، بدلاً من أن تصبح الحالة حالة يتحدث الناس عنها بطريقة سلبية، يعملون على أن تزداد كمشكلة، على أن تتفاقم كمشكلة، على أن تكبر كمشكلة، ثم تأتي عنها الاجتماعات واللقاءات التي هي في هذا الاتجاه، الاتجاه السلبي، الذي يفاقم من المشاكل، الذي يُكَبِّر السلبيات، الذي يزيد من الفجوة ومن حجم المشكلة.

الله ﷻ **حذَّر في القرآن الكريم** من أن يتحول الأسلوب تجاه ذلك، أو تجاه حتى الأمور الشخصية والعقد الشخصية، إلى أسلوبٍ تخريبي، يُخَرِّب حالة الأخوّة، يصرف الناس عن الاهتمام بالقضايا المهمة والأساسية والمقدسة،

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]، أحياناً تصبح هناك ظواهر منعزلة، يجتمع هؤلاء ويجتمع هؤلاء، ليتدبروا قضيةً معينة، أو يتحدثوا عن قضية معينة، لكن بطريقة سلبية، تصبح مثل تلك الاجتماعات الخاصة اجتماعات يتم فيها الحديث بطريقة سلبية، فيها الإثم، أو فيها العدوان.

البر هو في صلاح ذات البين، التقوى هي في صلاح ذات البين، البر والتقوى في كل ما يساهم على الحفاظ على وحدة أصحاب الموقف الحق، على أخوتهم، على تعاونهم، على تظافر جهودهم، على تطوير وتحسين أعمالهم، على حلِّ مشاكلهم بطريقةٍ مجديةٍ، أخويةٍ، نافعةٍ، مفيدة، **فالبر والتقوى يجب أن يكون هو القاعدة الأساسية، العنوان الأساس، الأرضية التي ننطلق منها لمعالجة كل مشاكلنا، وكل همومنا، وكل خلافاتنا، فنصل إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى، وإلى ما فيه الخير والصالح العام.**

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

٢٥

١- المجادلة: الآية ٩

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم الذكر الحكيم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]، بفضل الله، وبرحمته، وبكرمه، مَنَّ الله بالغيث، وهطلت الأمطار على مناطق واسعة في عددٍ من المحافظات، بعد جدبٍ شديد، كانت المعاناة بسببه قد بلغت

١- الشورى: من الآية ٢٨

إلى مستوى كبير، وبالذات في الأرياف، المعاناة في توفير مياه الشرب، المعاناة الكبيرة **جدًّا** فيما يتعلق بالجانب الزراعي، وصل الحال إلى أن يبست الأشجار في بعض المناطق، المعاناة الكبيرة أيضاً فيما يتعلق برعي المواشي، حيث حصل نقصٌ كبيرٌ في ذلك، إلى درجة أن تموت البعض من المواشي في بعض الأرياف وبعض المناطق.

حالة الجدب كانت قد أضرت كثيراً بالناس في حياتهم، في معيشتهم، وكانت المعاناة قد وصلت إلى حدٍ كبير، ثم مَنَّ الله برحمته- وهو أرحم الراحمين، وهو أكرم الأكرمين، وهو ذو الفضل الواسع العظيم- مَنَّ بالغيث، هذه رحمةٌ من الله تبارك وتعالى، ونعمةٌ عظيمةٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **والمفترض تجاه هذه النعمة من جانب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نتوجه إليه بالشكر، وأن نزداد جميعاً في إقبالنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نسأله المزيد من فضله، نطلب منه المغفرة، نسعى إلى أسباب رضوانه، للأخذ بها، والتقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

الليالي المتبقية من شهر رمضان المباركة، هي ليال مباركة، من المهم أيضاً الإقبال فيها إلى الله أكثر، بطلب المغفرة، بالإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالتوبة النصوح، بعقد العزم والنية على الاستقامة على نهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسعي لصلاح الأنفس، وصلاح الأعمال، وصلاح المواقف، وصلاح السرائر والظاهر والباطن، هذا ما ينبغي أن نتوجه به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو أرحم الراحمين، وهو أكرم الأكرمين، يريد لعباده الخير، هو القائل جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، تأتي رحمته في وضعٍ صعبٍ نعيشه، ومعاناةٍ كبيرة؛ فتغير واقع حياتنا إلى حدٍ كبير، على المستوى النفسي، وعلى المستوى المعيشي، وعلى مستوى الواقع بشكلٍ عام.

١- الأعراف: من الآية ٩٦

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[1].

الحالة التي وصفتها الآية المباركة: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾، هي الحالة التي يعيشها الناس وهم في حالةٍ من الإحباط، والحيرة، لا يعرفون ماذا يفعلون لأنفسهم، يجدون أنفسهم في معاناة شديدة، واحتياج شديد؛ **لأن** الاحتياج للماء احتياج شديد، الماء أساسيٌ في حياة الناس، أساسيٌ وضروريٌ، هو عمود الحياة، يحتاجه الناس لشربهم، يحتاجه الناس لمواشيهم، يحتاجه الناس لزراعتهم، والجانب الزراعي أساسيٌ في حياة الناس، يحتاجه الناس لعمرانهم، لاقتصادهم... **لكل شؤون الحياة:** التجارية، والاقتصادية، والعمرانية، والزراعية، كلها تعتمد على الماء، وهو من أهم ما يدل على حاجتنا الشديدة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على افتقارنا إلى الله؛ **لأنه** لا أحد يمكن أن يمنَّ علينا بالأمطار، وأن ينزِّل لنا الغيث، **إلّا** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، برحمته، وكرمه، وفضله.

وهذا يذكِّرنا بحاجتنا إليه، حاجتنا إلى رحمته، ويذكِّرنا أيضاً بجناياتنا على أنفسنا، عندما نعمل من الأعمال السيئة، أو نضيِّع من الحقوق ما يسبب لنا أن نخسر نحن في حياتنا، أن نتضرر نحن في حياتنا.

١- الروم: ٤٨-٥٠

للمزيد من النعم واستمرارها.. لا بد من الاستقامة والشكر

الإيمان، والتقوى، والإنابة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإقبال إليه، سببٌ لرحمته، سببٌ لفضله، سببٌ لنيل كرمه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى في حالات الجدب والشدائد هو يذكرنا بذلك؛ **لنتضرع** إليه، لنرجع إليه، لنصحح وضعيتنا، لنستقيم في حياتنا على أساس هديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك علينا أن نستثمر هذه الليالي والأيام المتبقية من شهر رمضان المبارك، في الإقبال إلى الله أكثر، ليزيدنا من فضله، ليمن علينا من واسع فضله ورحمته، نحن بحاجة إلى رحمته في الدنيا، وبحاجةٍ إلى رحمته في الآخرة، نطلب منه أن يزيدنا من الغيث، أن يزيدنا من واسع فضله، أن يمن علينا في كل شؤون حياتنا، في احتياجاتنا الأساسية، وأن يهدينا، وأن يوفقنا.

ومن أكثر ما نطلبه منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ونرجوه منه، هو:** المغفرة، أن نطلب من الله المغفرة، أن نسأله المغفرة، أن نستغفره كثيراً، أن نتوجه في استغفارنا على أساس العزم على الاستقامة، على التخلص من المظالم، هذه أمورٌ مهمةٌ **جدًّا.**

فيما يتعلق بالشكر على النعمة، الذي هو من أهم ما يساعد على استمرارية النعمة وزيادة النعمة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدَّم وعداً قاطعاً في كتابه الكريم، عندما قال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، **الشكر سببٌ لرعاية النعمة، وزيادة النعمة، والشكر يعود- بالدرجة الأولى- إلى أن نقدِّر النعمة، أن نقدِّر لله ما أنعم به علينا، أن نستشعر فضله ومنته علينا، وأن نعترف بذلك، وأن نحمده على ذلك، وأن نحسن تصرفنا في نعمته، فلا نعصيه بما أنعم به علينا**، وهذا هو أقل شيءٍ تجاه نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما عبَّر عن ذلك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ألّا نستعملها في معاصي الله، في الإساءة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١- إبراهيم: من الآية ٧

ومن أهم ما ينبغي ملاحظته، هو: إخراج الحقوق، تأتي نعمة الأمطار، فينتعش الجانب الزراعي، تنتعش الزراعة من جديد، والمحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها تمثل دخلاً أساسياً للكثير من الناس، بعد أن يَمُنَّ الله على الكثير من الناس بالرزق، بعد نعمة الأمطار، يبخلون عن إخراج الزكاة، ويتهربون من إخراج الزكاة، ويتهربون من الإنفاق في وجوه البر والخير، والزكاة في المقدمة يتهربون من إخراجها، أو- وهي عادة لدى الكثير الكثير من المزارعين- يخرج جزءاً منها، ويأكل الجزء الآخر، وهذا تنكرٌ للنعمة، وإساءةٌ إلى الله، ومعصيةٌ كبيرة، وإخلالٌ بركنٍ من أركان الإسلام، **لا يجوز للإنسان ولا يليق به أن يتنكر لنعمة الله، وهو يرى حاجته إلى الله،** وهي- في نفس الوقت- حماقة؛ **لأننا** عندما نخرج ما في هذه النعمة من حقوق، هو رعايةٌ للنعمة، وسببٌ لاستمرار النعمة، سببٌ للبركات، سببٌ للخيرات، سببٌ لأن يَمُنَّ الله علينا من واسع فضله، فنحن نبخل على أنفسنا عندما نبخل بالحقوق التي علينا، نبخل على أنفسنا، نتضرر نحن، نهلك أنفسنا نحن، فهي حماقة، وهي معصية، وهي خسارة، **الخسارة هي في البخل، البخل عن إخراج ما في المال من الحقوق،** هذه هي الخسارة، وليست الخسارة في إخراج ما فيها من الحقوق، بل هي رعايةٌ لها، سببٌ للبركات، واتساع الخيرات.

فالشكر هو رعايةٌ للنعمة، عندما نتجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالحمد والشكر، ونحن نستشعر فضله علينا، نتذكر ما كنا فيه من المعاناة، ونتذكر ما استفدناه من هذه النعم، كيف آثارها علينا في حياتنا، على المستوى النفسي حتى، في الاستبشار، في الراحة النفسية، وعلى المستوى المعيشي، فيما يفتح الله بها من أبواب الرزق، وما يوسع فيها وبها لنا في ظروفنا المعيشية، **فهي مسألة علينا أن نستشعرها جيداً، وأن نتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالشكر، وأن**

نسعى للاستقامة، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[١]، يحكي عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[٢].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **فضله عظيم**، فضله واسع، هو أرحم الراحمين، فالعودة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإنابة الصادقة، والتوبة النصوح، والاستغفار، سببٌ لرحمته، لفضله، وأيضاً الاستقامة على نحوٍ مستمر على أساس هديه وتعليماته، **كما قال في آيةٍ أخرى:** ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[٣].

فنحن يجب أن نسعى على أساس الاستقامة على هدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **وتعليماته، في شؤون حياتنا بشكلٍ عام**، في أن نرعى الحقوق التي علينا أن نؤدي مسؤولياتنا، أن ننضبط على أساس توجيهات الله، ونلتزم إيمانياً في معاملاتنا، **((الدين المعاملة))**، **بشكلٍ عام:** المعاملة التجارية، المعاملة في الزراعة، المعاملة... بشكلٍ عامة في كل جانبٍ من الجوانب، **((الدين المعاملة))**، والتحرك في مسؤولياتنا في السعي لإقامة الحق، لإقامة القسط، ورعاية الأمانة، والاستقامة مسألة مهمة من الجميع، الكل مأمورٌ بالاستقامة، الله قال حتى لنبيه صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾[٤]، علينا جميعاً أن نسعى لكي نستقيم في أعمالنا، في أدائنا لمسؤولياتنا.

١- نوح: الآية ١٠

٢- نوح: ١١-١٢

٣- الجن: الآية ١٦

٤- هود: من الآية ١١٢

تكبر المسؤولية بقدر الظروف المهيأة للاستقامة

من هم في مواقع المسؤولية عليهم أن يستقيموا أيضاً، لا يتوجه الخطاب في ذلك فقط إلى المواطنين أن يستقيموا فقط، ويرى المسؤول نفسه، أو من هو في موقع مسؤولية معينة، أو منصب معين، أنه غير معنيٍ بذلك، بل الحق عليهم أوجب، من هم في موقع المسؤولية، **كلما كبرت مسؤولية الإنسان، كلما كان دوره في هذه الحياة أهم، فالمسؤولية عليه أمام الله أكبر، وهو ملزمٌ أكثر بأن يستقيم، أن يستقيم في أدائه، أن يؤدِّي مسؤوليته بأمانة، بصدق، بإخلاص، بدون غش، بدون استغلالٍ محرَّمٍ لموقعه في المسؤولية، بدون خيانةٍ للأمانة في موقعه في المسؤولية، أن يحرص على أن يكون أداؤه بما يرضي الله** ﷻ.

وهكذا الجميع، علينا أن نسعى للاستقامة؛ لأنها أساسٌ لصلاح حياتنا في الدنيا، واستقامة حياتنا في الدنيا، **استقامتنا وفق هدي الله، التزامنا بما يأمرنا الله به** ﷻ**، سعينا لذلك بشكلٍ عام في مختلف مجالات الحياة، هو خيرٌ لنا في الدنيا، وهو خيرٌ لنا وفوزٌ عظيمٌ لنا في الآخرة.**

فنحن- بحمد الله ﷻ**- كشعبٍ يمنيٍ مجاهدٍ**، هويته إيمانية، انتماؤه للإيمان، نال شرفاً كبيراً، ووساماً عظيماً، **بما قاله الرسول** ﷺ **عنه: ((الإيمان يمان، والحكمة يمانية))**، والجميع (جميع المسلمين) الكل معنيٌ بالاستقامة، وقد تتهيأ الظروف للاستقامة في بلدٍ معين أكثر من بلدانٍ كثيرة، عندما يكون هناك توجه قائم للأمة على أساس هدي الله تبارك وتعالى، على أساسٍ من انتمائها للإيمان، **على** أن تتعاون على البر والتقوى، **على** أن تسعى للتحرر من أعدائها، **على** أن تتصدى للفساد، والمنكر، والباطل، والشر، **على** أن تطهِّر ساحتها من ذلك، **على** أن تتجه في صلاح النفوس، وصلاح الواقع، وصلاح

العمل، وصلاح النيات، وصلاح المواقف، هذه نعمة، الظروف مهيَّأة إلى حدٍ كبير، والمسؤولية بذلك تكبر، **كلما تهيَّأت الظروف للاستقامة، للصلاح، للتقوى والإيمان؛ كلما كانت المسؤولية أكبر، وكلما كانت عقوبة التفريط، والتقصير، والمعاصي، والتخاذل عن الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أكبر.**

فبحمد الله نحن شعبٌ يتهيأ له اكتمال الإيمان، نحتاج إلى توجه أكثر، عناية أكثر، التزام أكثر، توعية أكثر، اهتمام أكثر، وإلَّا فالظروف باتت مهيَّأةً إلى حدٍ كبير.

مع هذا، مع التوجه إلى الله بالاستغفار، بالدعاء، بالاستقامة، بالثبات على موقف الحق، الذي هو من أعظم القرب إلى الله، من الأعمال الصالحة العظيمة، من نعمة الله علينا أن نكون في موقف الحق، وأن نثبت على موقف الحق، وأن نكون شعباً مجاهداً، شعباً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يقف موقف الحق، يقول كلمة الحق، يتبنى الموقف الحق في مواجهة الطاغوت في هذا العصر، هذه نعمةٌ عظيمة، مع هذا نتجه أيضاً إلى العمل على الاستفادة من نعمة الغيث والأمطار بشكلٍ أفضل.

ضرورة الحرص على الاستفادة أكثر من مياه الأمطار

تأتي هذه النعمة، وفي الموسم الذي تأتي فيه، أو في أوقاتٍ أخرى أيضاً، في بعض المراحل يَمُنُّ الله بالغيث، وتكون الأمطار غزيرةً **جدًّا**، وتهطل الكميات الكبيرة من الأمطار والمياه، فتتجه أكثر المياه، جزءٌ كبيرٌ منها إلى البحر، وجزءٌ كبيرٌ منها إلى الصحراء، على حسب المناطق، المناطق والمصبات، تتجه بعضها من خلال الوديان وصولاً إلى البحر الأحمر، أو البحر العربي في بعض المناطق، وفي بعض المناطق إلى الصحراء، في معظم المناطق الريفية لا يقتني الناس ولا يسعون إلى أن يمتلكوا حتى خزانات المياه، حتى البرك، فما

بالـك أيضـاً بالحواجـز، والسـدود، والقنـوات المائيـة، التـي يمكـن الاسـتفادة مـن خلالهـا بهـذه النعمـة عـلى نحـوٍ أفضـل.

شـاهدنا خـلال هـذه الأمطـار بالأمـس وقبـل الأمـس في بعـضٍ مـن المناطـق، في بعـضٍ مـن البلـدان، كيـف تصـب كميـات كبـيرة جـدًّا مـن الميـاه تنـزل إلى الوديـان، وتتجـه باتجـاه البحـر.

مـن المهـم ونحـن نلحـظ في واقـع حياتنـا احتياجنـا الكبـير إلى الميـاه، وأنهـا أساسـيةٌ في حياتنـا، في معيشـتنا، في ظروفنـا الاقتصاديـة، أسـاسٌ يمنحنـا اللـه مـن خلالهـا الـرزق، نحتـاج إليهـا احتياجـاً أساسـياً وضروريـاً، **مـن المهـم** أن نسـعى **كيـف** نسـتفيد منهـا أكـثر، كيـف نحافـظ عـلى هـذه النعمـة أكـثر، كيـف نخـزِّن هـذه النعمـة عـلى نحـوٍ أوسـع، وهـذا يحتـاج أيضـاً- مـع الجهـد الفـردي، الـذي يسـتطيع الكثـير مـن خلالـه أن يقتنـوا الخزانـات والـبرك- يحتـاج إلى جهـدٍ جماعـي، إلى تعـاون، إلى تعـاون، إلى مبـادرات اجتماعيـة، مـن أجـل الحواجـز المائيـة؛ **حتـى** تكـثر الحواجـز المائيـة، وهـي مفيـدة، هـي مفيـدة عـلى مسـتوى الاسـتفادة المبـاشرة منهـا، وعـلى مسـتوى أيضـاً الميـاه الجوفيـة، التـي تتغـذى منهـا، والسـدود، **يسـتطيع النـاس مـن خـلال التعـاون أن يعملـوا أعـمالاً كبـيرة، أن ينجـزوا أشـياء مهمـة**، عندمـا يتجهـون بـروحٍ تعاونيـة، أن يكـون لديهـم الحواجـز، والسـدود، والقنـوات المائيـة، التـي يحتـاج النـاس إليهـا، **مثـلاً:** في تهامـة، في الجـوف، والمناطـق الشرقيـة، في مناطـق كثـيرة يحتاجـون إلى القنـوات المائيـة، التـي يسـتفيدون مـن خلالهـا اسـتفادة كبـيرة عـلى المسـتوى الزراعـي، مـن خـلال الميـاه المتدفقـة التـي تنـزل.

عندما يتوجه الجميع على قاعدة التعاون، التعاون على البر والتقوى، التعاون على ما فيه الخير والصالح العام؛ فسيتمكنون -بمعونة الله، بتوفيق الله- من إنجاز أشياء كثيرة، فيستفيدون من هذه النعمة على نحوٍ أوسع، وأفضل، وعلى مدىً زمني أكبر، وتخف معاناتهم، وفي نفس الوقت حتى على مستوى المياه الجوفية، هي تستفيد أيضاً من هذا، وهذا مع الإقبال إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

الاهتمام بالجانب الزراعي لكي نبقى أمة صامدة ثابتة

أيضاً الاهتمام بالزراعة، نحن على مقربةٍ من موسم البذور، أن نبذر، موسم زراعي، الذرة في المناطق الجبلية وبعض المناطق التهامية ربما، المواسم تأتي تباعاً هنا وهناك بحسب تنوع البيئة والمناخ الزراعي عندنا في اليمن، ما بين المناطق الجبلية، والمناطق الشرقية، والمناطق التهامية.

لكن هناك تقصير كبير في الاهتمام بالجانب الزراعي، مع أن المتغيرات، والأحداث، والتوترات العالمية التي تحصل في الدول، في البلدان الأخرى، تؤثر علينا تأثيراً كبيراً **جدًّا؛ نتيجة** اعتمادنا على الاستيراد الخارجي، الحبوب ترتفع أسعارها، كل وقت وهي ترتفع أكثر، عندما نعتمد على استيراد القمح، استيراد مختلف الحبوب، مختلف المواد الغذائية من الخارج، تأتي هذه الأزمات في الخارج، والتوترات، والأحداث، والحروب، والصراعات، والمشاكل المتنوعة، وتؤدي إلى أزمات، فنتضرر تضرراً كبيراً نتيجةً لذلك.

يفترض ابتداءً أن نسعى إلى تقوية إنتاجنا الزراعي، إنتاج غذائنا، هذا شيءٌ بديهي، يهتم به كل البشر، غاب الاهتمام بهذا الجانب عند المسلمين، وبقي الاهتمام به أكثر لدى بقية الأمم والشعوب، وهذا أمرٌ مؤسف، يفترض أننا كمسلمين أكثر اهتماماً من غيرنا؛ **لأن** لهذه المسألة علاقة حتى بديننا، لها علاقة -كما يقال في الدول- بأمننا القومي، ألَّا نكون في وضع

يتحكم بنا أعداؤنا، من خلال الضغط علينا والحصار لنا حتى في قوتنا.

ذكرنا في بعضٍ من المحاضرات كيف أن النبي صلوات الله عليه وعلى آله بعد وصوله إلى المدينة حرّك الجانب الزراعي فيها، وزرعت مساحات شاسعة بالنخيل، وكذلك بالحبوب، ونشط الإنتاج الزراعي نشاطاً كبيراً، وكان يشجع على ذلك، ويحث على ذلك.

نحن بحاجة إلى اهتمام بالموسم الزراعي، وأن نستعيد نشاطنا كذلك في الإنتاج الزراعي، وهذا أيضاً يحتاج إلى التعاون، اهتمام فردي، وتعاون، تعاون ضمن المبادرات الاجتماعية، وضمن الجمعيات الزراعية، التي يمكن إنشاء المزيد منها، إنشاء المزيد من الجمعيات الزراعية، التي تُنَشِّط عملية الإنتاج الزراعي والتسويق الزراعي، فيستفيد الناس لحياتهم، لغذائهم.

حالة الكسل، وانعدام الرؤية، والإهمال، واليأس، ضيّعت شعوبنا العربية، أثّرت على الناس تأثيراً كبيراً جدًّا في شؤونهم، نحن عندما نؤكد على هذه المسألة أيضاً نلحظ أن تكون من منطلقٍ إيماني، من خلال توجهنا على أن نكون أمةً صامدةً، ثابتةً على موقفها الحق، على مواقفها الصحيحة، على توجهاتها الصحيحة، وأن تتحرر من تأثيرات أعدائها، من ضغط أعدائها.

تقوية الإنتاج الزراعي له أهمية بكل الاعتبارات، على مستوى الحصار، **وعلى** مستوى المتغيرات والأحداث التي تحصل في بقية البلدان، فتؤثر على وضعنا في اليمن، وفي وضعنا في بقية البلدان العربية، **ثم أيضاً** له أهمية على المستوى الاقتصادي؛ **لأن** الاستيراد الخارجي يعتمد في أغلبه وفي أكثره على الدولار الأمريكي، الأشياء تشترى بالدولار، وهذا يؤثر على العملة، على قيمة العملة، على الأسعار، له آثار سلبية كثيرة.

التجار من جانبهم، لمصلحتهم حتى هم، ولمصلحة بلدهم، أن يتجهوا إلى الاستثمار في القطاع الزراعي، وفي الإنتاج المحلي، هذا يوفر عليهم الكثير، وفي نفس الوقت يفيد الجميع، يفيد التاجر، ويفيد غيره، ويعالج مشكلة البطالة، يحرِّك اليد العاملة، فله آثاره الإيجابية من جميع الجوانب.

اللجنة الزراعية يمكنها أن تكون على تنسيق مع التجار، بمشاريع تفيدهم، مدخولها جيدٌ عليهم، وفيها خدمةٌ لبلدهم، وأيضاً مع المواطنين في مسألة التعاونيات (الجمعيات الزراعية، والجمعيات التعاونية) التي يمكن إنشاء المزيد منها في مختلف المديريات والمناطق، بما يساعد على أن ينهض الناس، أن يتعاونوا لأن ينهضوا، أن يهتموا بشؤونهم، ألَّا تبقى وضعيتهم وضعية صعبة نتيجةً لتكاسلهم، يحتاج إلى إقبال إلى الله، وسعي، وعمل، وتعاون، **إقبال إلى الله، واستقامة، وشكر للنعمة، وسعي، وعمل، وتعاون، هذا ما نحتاج إليه، وما ينبغي أن نحرص عليه.**

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يزيدنا من واسع فضله، إنه أرحم الراحمين، وهو الكريم الوهاب.

ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

بدايةً نتوجه بالشكر إلى جماهير شعبنا العزيز في استجابتهم الواسعة، وحضورهم الكبير، لإحياء مناسبة يوم القدس العالمي.

نسأل الله ﷻ أن يكتب أجر الحاضرين جميعاً، وأن يتقبل منهم.

التحرك في إطار موقف الحق، وإعلان كلمة الحق، ومباينة الأعداء، أعداء الله، أعداء المسلمين، أعداء الإنسانية، هو من الأعمال العظيمة، من الأعمال الصالحة، من أعظم القرب التي يتقرَّب بها الإنسان إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كما أنَّ حضور الأمة في هذه المناسبة، ليكون لها صوتها المسموع، وموقفها المعلن، أمرٌ في غاية الأهمية؛ **لأن** حالة، الركود، والجمود، والسكوت، والصمت التام، والتوقف عن فعل أي شيءٍ تجاه العدو، وعن قول أي شيء، هو حالة ليست صحيحةً بكل الاعتبارات، **لا هو أسلوبٌ ولا هي طريقةٌ** تنسجم مع القرآن الكريم، توافق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأوامره في كتابه الكريم، **ولا هي** اقتداءٌ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، **ولا هي** الأسلوب المنطقي الصحيح، الذي يعتمده الناس فطرياً في طريقتهم في التعامل مع الأعداء، الذين يتحركون ضدهم بكل ما أوتوا من قوة، وبشكلٍ مكثف، وفي كل المجالات.

أن يكون الإحياء ليوم القدس العالمي إحياءً على مستوى واسع، في بلدانٍ متعددة، ومناطق متعددة، وأوساط واسعة هنا وهناك في العالم الإسلامي، فهذا أيضاً أمرٌ مهمٌ **جدًّا**، وإن كانت هناك مثلاً بعض البلدان تعيش الشعوب فيها وضعيةً مقهورةً، مغلوبةً على أمرها، لا تتحرك أي تحرك؛ **نتيجةً** لمواقف سلطاتها، وحكوماتها، وأنظمتها.

من المؤكد أنَّ الحالة الشعورية والوجدانية، وحالة التعاطف هي قائمة مع الشعب الفلسطيني، في مختلف شعوب هذه الأمة وبلدانها، ولكن التعبير عن ذلك، والتعبير عن الموقف من العدو الإسرائيلي، الذي يشكِّل خطراً على المسلمين جميعاً، لا يقتصر خطره وشره وضره على بقعة فلسطين، والأجزاء العربية التي استولى عليها من الدول المجاورة لفلسطين، ضره وخطره شامل، **وكما قلنا:** كيانٌ فاسدٌ مفسد، موبوء، مُصدِّر للفساد،

ينشر الفساد، ولذلك يفترض أن يكون موقف الأمة تجاهه، وتجاه القضية التي هي واضحةٌ **جدًّا** لا التباس فيها لدى الجميع، ومحل إقرارٍ قد سبق من الكل، عن أنه عدو، وأنَّ الموقف الصحيح منه هو التحرك ضده، وأنَّ الشعب الفلسطيني جزءٌ من الأمة، وفلسطين وطنٌ وبلدٌ من بلدان الأمة الإسلامية، فالموقف الصحيح، الموقف الطبيعي، الموقف الحق هو واضح، لا التباس فيه أصلاً، والذين يرتدون عنه إلى تبني مواقف مختلفة، متباينة، تتحالف مع العدو الإسرائيلي تحت عنوان التطبيع، توالي العدو الإسرائيلي، هم في حالة ارتدادٍ عن الثوابت الواضحة، والحقائق الواضحة، التي سبق أن كانوا هم من يعترفون بها فيما مضى، وقد يتظاهرون في بعض الأحيان أنهم يتعاطفون مع الشعب الفلسطيني، أنهم ضمن الأمة في موقفها العام المعلن، في مراحل كثيرة مما قد مضى.

العدو الإسرائيلي، وإن كان الكثير من أبناء الأمة، نتيجةً لأسباب متنوعة، **بين من** يعيشون حالة المخاوف، والكبت، والقهر، **بين من** قد اتجهوا في حالة الانحراف نحو الولاء للعدو الإسرائيلي والتأثر به، **بين من** لديهم نقص كبير في استشعار المسؤولية، وتقوى الله ﷻ، وإدراك خطورة التفريط، والإهمال، والتقصير، أسباب متفاوتة جعلت الكثير من الناس مع ما يعيشه عالمنا الإسلامي من ضغطٍ كبير، وراءه أعداؤنا من اللوبي اليهودي الصهيوني العالمي، والعدو الإسرائيلي، في كثيرٍ من المشاكل والفتن والأزمات، الضاغطة، المشوشة لذهنية الكثير، والتي تهدف إلى زعزعة كيان هذه الأمة، ألَّا تكون أمةً مستقرة، بل أن تكون في وضعيةٍ مضطربةٍ بشكلٍ دائم، ومضغوطةٍ بشكلٍ مستمر، وأن تتحقق للعدو من خلال طبيعة المؤامرات، الفتن التي يخطط لها، الأزمات التي يستثمر فيها ويفاقم منها، المشاكل التي يغذيها ويدرس كيف يستفيد منها، **كل هذا أراد منه العدو أن يحقق له أهدافه**

الرئيسية: في إضعاف هذه الأمة، **في** تشتيتها، **في** بعثرتها، **في** إفقادها كل عناصر القوة المعنوية، والعملية، والإيمانية، والمادية، **وصولاً إلى** السيطرة التامة عليها، والاستغلال التام لها، في واقعٍ سيء، سيطرة من واقعٍ عدائي، بدافعٍ عدائي، يريد لهذه الأمة أن تكون- وهو مسيطرٌ عليها- في وضعية سيئة **جدًّا، وضعية سيئة بكل الحالات: على المستوى** الأخلاقي، والإيماني، والقيمي، **وعلى مستوى** الدين والدنيا، في كل شيء.

فهذه الحالة جعلت الكثير من الناس يغفلون عن واجباتهم، عن مسؤولياتهم، **تجاه هذه المسألة:** القضية الفلسطينية، الخطر الإسرائيلي على المسلمين جميعاً، الخطر الذي مصدره اللوبي الصهيوني العالمي، الذي يتحرك على نطاق واسع، من خلال أمريكا، من خلال بريطانيا، من خلال دول غربية تنفذ سياساته، تتحرك وفق مؤامراته.

وهذه الغفلة والتجاهل لدى الكثير من أبناء الأمة، هي مصدر ضررٍ على الأمة نفسها؛ **لأنها** لا تجدي شيئاً، لا تجدي شيئاً لا في دفع الشر، ولا في دفع الخطر عن الأمة، ولا تعفي من المسؤولية، لو كانت حالة الغفلة والتجاهل، وعدم الاهتمام بما علينا أن نقوم به، بما علينا أن نهتم به، تنفعنا بشيء، لكانت قد نفعت المسلمين إلى أقصى حد؛ **لأنها** السمة الغالبة في واقع العالم الإسلامي، في واقع الشعوب، ولكان واقع الأمة قد صلح إلى أقصى حد، لو كانت تفيد شيئاً، لكن الواقع يثبت أنها تخدم الأعداء، تضر بالأمة، وتفيد أعداء الأمة، تفيد اليهود، اللوبي الصهيوني العالمي، تفيد العدو الإسرائيلي، تفيد الأعداء بشكلٍ عام؛ **لأنهم** يتمكنون من العمل على تنفيذ مؤامراتهم ومخططاتهم في داخل الأمة، وهي في وضعية ليست في حالة استعداد، في حالة تصدٍ، في حالة ردة فعلٍ لمواجهة ذلك الخطر، بل

الكل في وضعية جامدة، راكدة، بيئة مفتوحة، مسرح مفتوح، تنجح فيه المخططات، تنجح فيه المؤامرات.

كيف نشأ العدو الصهيوني في وطن من أوطان المسلمين؟

من الحقائق القرآنية المهمة جدًّا، والجديرة بالالتفات إليها، والتأمل لها، والاهتمام بها: أن نشوء العدو الصهيوني الإسرائيلي في وطنٍ من أوطان المسلمين، بالقهر، والغلبة، والإجرام، والكيد، والمكر، والعدوان، وتحويله- لذلك الموطن الذي هو من بقاع المسلمين، وفيه مقدسات من أهم مقدساتهم- إلى قاعدة وأرضية ومنطلق يتحرك من خلاله، لنشر فساده وشره في أوساط الأمة، هذا الأمر- بحد ذاته- يعبِّر عن خللٍ كبير حصل في واقع الأمة، حتى أمكن للعدو أن يحقق مثل هذا الاختراق، في بلدٍ من بلدان العالم الإسلامي، أن يأتي، فيأخذ على المسلمين بلداً من بلدانهم، موطناً من أوطانهم، ثم أن يسيطر عليه، بالقهر، بالجريمة، بالاضطهاد، بالظلم، بالعدوان، بارتكاب أبشع وأفظع الجرائم، وأن ينكِّل بشعبٍ هو من هذه الأمة، جزء من هذه الأمة، من المسلمين، من العرب، ثم أن يبني كيانه، ويحوِّله إلى كيان يمتلك جيشاً، وقوةً عسكرية، ثم يتحرك من خلال ذلك إلى العدوان على بقية البلدان في العالم العربي آنذاك، ثم يبقى أيضاً منطلقاً للتآمر على العالم الإسلامي، ويطمح إلى أن يسيطر عليهم بأساليبه، ليس فقط بالحرب العسكرية، وإنما أيضاً بالحرب الناعمة، بالحرب التي يشتغل فيها بأسلحةٍ أخرى أيضاً إلى جانب الحرب العسكرية.

الله سبحانه وتعالى قال عن اليهود في القرآن الكريم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾[1]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾، ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ تعبِّر عن كل زمانٍ ومكان، وهي وضعية تؤثر عليهم في أن يتحركوا لقهر أمة، لضرب أمة، للسيطرة على أمة بحجم الأمة الإسلامية، بحجم العالم الإسلامي، ولذلك عندما قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾، هذه المسألة المهمة **جدًّا**، التي على المسلمين أن ينتبهوا لها، لم يتمكن العدو الإسرائيلي أن يفرض له وجوده في بقعةٍ من بقاع العالم الإسلامي، فيها مقدساتٌ من أهم مقدساتهم، وأن يضطهد شعباً من أبناء هذه الأمة، وأن يتحول هو إلى مصدر لنشر الفساد في هذه الأمة، والإضلال لهذه الأمة، **إلَّا** نتيجة خللٍ كبيرٍ في واقع الأمة؛ **لأن منهجية الإسلام في كل جوانبها: على المستوى التربوي، على المستوى العملي، على مستوى نتائجها عندما تسير الأمة عليها، هي تحصن الأمة من الاختراق، تبني الأمة لتكون في مستوى مواجهة أعدائها، تحظى الأمة من خلالها بالنصر من الله، وبالمنعة، وبالعزة، وبالقوة، فتكون في مستوى مواجهة التحديات، ومواجهة الأعداء،** فكيف يأتي الأعداء الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، فيذلون الأمة الإسلامية، يذلونها، ويتمكنون من تحقيق أهداف كبيرة وخطيرة، ويتحدون هذه الأمة لزمنٍ طويل، لعقودٍ من الزمن، هذه حالة خطيرة، هذه حالة سلبية، تستدعي من أبناء الأمة أن يلتفتوا إلى واقعهم؛ **لاكتشاف** كل جوانب الخلل، كل جوانب القصور، كل جوانب التقصير، التي فقدوا فيها النصر والتأييد من الله سبحانه وتعالى، وكانت سبباً في أن يتمكَّن أعداؤهم الأذلاء- الذين قد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة- من هزيمتهم.

١- آل عمران: من الآية ١١٢

عندما يقول الله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾، **الحبل من الله هو:** التسليط، هو أن يترك لهم هذه الفرصة نتيجة تقصيرٍ كبير، وخللٍ كبير، من الجانب الآخر، من جانب المسلمين، **مثلاً:** في واقعنا الإسلامي.

﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾، ما يأتي مثلاً من جانب الآخرين من مساندة، مثلما هو حال الغرب، الذي وقف مسانداً للعدو الإسرائيلي الصهيوني، وتفريط وتقصير أيضاً- حبل آخر- من جانب الناس بشكلٍ عام، من جانب المسلمين أيضاً، من جانب المسلمين، في تقصيرهم، في تفريطهم، ببترولهم، بإعلامهم، بكل ما يفيد العدو، ويصبح وسيلةً لخدمة العدو، ودعم العدو من جانبهم.

وجوب التيقظ مبكراً والتصدي لهذا الخطر الكبير

فهذه المسألة تبين خطورة الغفلة عن هذا الموضوع؛ لأن جانباً منه يعود- وهو جانبٌ رئيسيٌ وأساسيٌ تجاه ما حصل- يعود إلى واقعنا، ويبين لنا عندما نريد أن نتحرك مثلاً تحت عنوان التصدي لهذا العدو، أنَّ جزءاً كبيراً من المهام، من الأعمال، من المسؤوليات، تتصل بتصحيح واقعنا، تحت عنوان التصدي لهذا العدو، التصدي لهذا الخطر، التصدي لهذا الشر، الذي هو شرٌ كبيرٌ علينا كأمةٍ إسلامية، جزءٌ كبيرٌ منه يعود إلى العناية بواقعنا الداخلي؛ **لتصحيحه**، ولتحصينه، وهذا ما لا يستوعبه الكثير من الناس؛ **لأنهم** يرون المعركة فقط معركةً عسكرية، الجانب العسكري جزءٌ أساسيٌ ورئيسيٌ فيها، لابدَّ أن يكون محط اهتمامٍ كبير، وسنتحدث عن ذلك، ولكن من ضمن ذلك، ومع ذلك، **وإلى جانب ذلك:** الجوانب الأخرى المتصلة بواقع حياتنا في بقية المجالات، ذات التأثير الكبير في هذه المعركة، وفي نفس الوقت **يجب أن يكون العنوان حاضراً: عنوان القيام بالمسؤولية في التصدي لذلك العدو، العداء لذلك العدو، أن نتخذه عدواً**، وهذا جانبٌ يهدي إليه

القرآن الكريم، وهو يبين لنا طبيعة هذه المعركة، أسباب وحيثيات تطوراتها.

عندما نأتي مثلاً لندرس كيف نشأ هذا الكيان على بقعةٍ من بقاعنا الإسلامية، في مراحل متعددة، بدءاً بعصابات يهودية توافدت إلى أرض فلسطين، كيف كان موقف الأمة بشكلٍ عام؟ كيف كان مستوى اهتمامها بهذه المسألة آنذاك في وقتٍ مبكر، هل تعاطت مع الموضوع كما ينبغي؟ بالتأكيد لا، بالتأكيد لا، ولا زالت هذه الروحية سارية في واقع الأمة، وقائمة تجاه مختلف الأخطار.

لا يستوعب الكثير أهمية التحرك المبكر كما ينبغي للتصدي للخطر، ويريدون أن يكتمل الخطر في الواقع؛ لكي يصدِّقوا بأنه خطر، ولكي يصدِّقوا بأن مستوى خطة العدو تهدف إلى أن يصل الوضع إلى ما يصل عليه، **هذا هو الحال عندما نقول**: هناك فعلاً مؤامرات واضحة لأعداء الأمة للسيطرة على كل العالم الإسلامي، على كل بلداننا، للسيطرة علينا جميعاً في هذه الأمة، على كل الشعوب، لا يستوعب البعض هذه الحقيقة، لا يدرك أنَّ أولئك- بالتأكيد- لهم أطماعهم، لهم نزعاتهم ودوافعهم العدائية، وإذا وجدوا الظروف مهيَّأة، ووجدوا هذه الأمة مهيَّأة، لا تمتلك المنعة، العزة، القوة، لا تمتلك المشروع، الذي تتصدى به لمؤامرات أعدائها، فلن يترددوا في اغتنام هذه الفرصة، **التي وصفها النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه **فيما روي عنه، عندما قال: ((يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة على قصعتها))**، كأنهم يتداعون إلى وليمة، وليمة دسمة، وليمة مغرية، وليمة جذَّابة، يتداعون إليها من هنا وهناك، **((قالوا: أمن قلةٍ نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل))**، هذه الحالة السلبية التي تصاب الأمة فيها- وهي أمة كبيرة، بمقدرات ضخمة، ورقعة

جغرافية كبيرة- بالوهن، بالوهن، **عندما قال: ((ويزرع الوهن في قلوبكم))**، هذه الحالة الخطيرة **جدًّا**، غثاء كغثاء السيل، تحول الأمة تفقد القيمة لإمكاناتها، وعددها، وعدتها، الفاعلية اللازمة لذلك، فلا تكون قويةً بمقدار ما تمتلك، أو ما يتهيَّأ لها وما هو متاحٌ لها من عناصر القوة، والإمكانات اللازمة، مما هو متوفر، أو متاح، متاحٌ بين أيديها؛ **إنما** هي لا تقبل على ذلك؛ **لأنها** غافلة عن الموضوع من أساسه.

فأن تكون الأمة في وضعية من التفريط، والتقصير، والعصيان، والغفلة، والبعد عن منهج الله الحق، تسبب لنفسها التسليط عليها، تمكين أعدائها منها، هذا- بحد ذاته- أمرٌ خطيرٌ للغاية.

لابد من فهم طبيعة الصراع مع هذا العدو

ثم عندما نأتي إلى طبيعة الصراع مع هذا العدو، كما نشوؤه حالة تدل على واقعٍ غير سليم في أمتنا، وخللٍ حصل، حتى حدث ما حدث، فكذلك هو وجود حالة المسارعة من البعض من أبناء الأمة لتولي ذلك العدو، للتحالف معه، للتعاون معه، **ونحن قلنا بالأمس:** إنما هم يمكِّنون ذلك العدو من السيطرة عليهم، وإضلالهم، وإفسادهم، واستغلالهم، لن يتحول إلى صديقٍ حقيقيٍ لهم، مهما فعلوا له، مهما قدَّموا له، لن يتحول إلى صديق حقيقي، لا للسعودي، ولا للإماراتي، ولا لآل خليفة... ولا لأي عربيٍ، أو مسلم، من أي بلدٍ يتجه هذا الاتجاه الخاطئ في الولاء للإسرائيلي، يبقى عدواً، لكن يستغل الفرصة، يتمكن أكثر من السيطرة بتلك الطريقة الناعمة، من أجل الإضلال، والإفساد، الإضلال في كل شيء، بما في ذلك في المواقف والتوجهات، وأيضاً الإفساد، الإفساد لهم، والإفساد داخل شعوبهم؛ **لأنهم** يفتحون كل الأبواب أمام العدو الإسرائيلي، يفتحون له كل شيء، ويعطونه الامتيازات

ليتمكَّن أكثر، وكل التسهيلات اللازمة التي يتمناها هو، ليتمكن من خلالها أن ينشط بدون قيود، ولا عوائق، ولا حواجز، لتنفيذ مؤامراته في الإضلال، والإفساد، والاستغلال، في نهاية المطاف يبقى أولئك في نظره يبقون مجرد بقرات حلوبة، وأتانات مركوبة... وغير ذلك، حيوانات لا قيمة لها، تستغل إلى غاية الاستغلال، وأقصى مستوى من الاستغلال، هذا الذي يحدث.

الحالة- بحد ذاتها- هي حالة غير سليمة أبداً، ليست مجرد رأي سياسي، وخيار سياسي، **ليقول لك:** [أنا بلد حر، أتخذ أي خيار سياسي في علاقاتي الدولية]! هذا ليس من هذا القبيل، الولاء للعدو، الذي هو عدوٌ لك، ولأمتك، ولدينك، ولرسولك، ولكتابك، عدوٌ لكل شيء، لكل ما هو عزيزٌ ومقدَّس لديك بحسب انتمائك الإسلامي، وإن لم يبق لديك شخصياً، لكن بحسب انتمائك، ليست مسألةً بسيطة.

ولهذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾[١]، فتصبح المسارعة في توليهم، المسارعة والعمل النشط- وهذا ظاهرٌ في واقع المطبعين- العمل النشط السريع في خدمة أولئك، فيما يخدمهم، في تقديم التسهيلات لهم، في الانتقال بقفزات إلى الأمام في العلاقات معهم، قفزات غريبة، غريبة **جدًّا**، هذه الحالة تكشف عن حقيقةٍ مهمة ذكرها الله في القرآن الكريم، عندما قال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، حالة ليست سليمة على المستوى الأخلاقي، على المستوى الفطري السليم، أولئك فقدوا الإيجابيات للفطرة، القيم الفطرية، وفقدوا أيضاً القيم الإسلامية، فقدوا القيم الإسلامية، لم يعد لديهم إيمان، ولا تقوى، ولا عزة، ولا كرامة، ولا إباء... ولا أي شيءٍ من القيم الفطرية والأخلاقية، الإسلامية أيضاً.

١- المائدة: من الآية ٥٢

وهـذه الحالـة مـن الخلـل الكبـير التـي تحـدث، فتبنـى عليها مواقـف، هـي تعـبِّر عـن انحـراف حقيقـي عـن مبـدأ الإسـلام، ودخـول في حالـة النفـاق، **وجـزءٌ أسـاسيٌّ مـن خطـة العـدو الإسرائيلي هـو الاختراق لهـذه الأمة إلى الداخـل؛ ولذلك** هـو يركِّـز- ومعـه اللـوبي الصهيـوني بشـكلٍ عـام مـن ورائـه- يركِّـز عـلى الـولاء والتطويـع، كأسـلوب أسـاسي يعتمـد عليـه في السـيطرة عـلى أبنـاء هـذه الأمـة، أن يكسـب ولاءهـم، وأن يحولهـم إلى مطيعين لـه، ينفذون هم مؤامراته عليهم، وهو يقدمها بشـكل سياسـات، وبشـكل خطـط، تحـت عناويـن مخادعـة، ينخـدع بها الكثـير منهـم؛ **فيتجهـون** هـم يمولـون تنفيذها، وينفـذون ما فيها، وهـي تضعفهم، تفسـدهم، تضلهـم، وهـي تُمكِّنـه منهـم، وهـي تبعدهـم عـن تأييـد اللـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أهمية التعبئة العدائية لمواجهة سياسة التطويع

ولذلـك عندمـا يبقـى الحـس العـدائي غائبـاً، وتحـل محلـه الغفلـة؛ **تظهـر** هـذه السـلبية إلى حدٍ كبـير، عندمـا يركِّـز العـدو يركِّـز عـلى أن ينـشر حالـة الولاء لـه، وأن يفقـد الأمـة شـعورها العـدائي تجاهـه، الشـعور العـدائي نحـوه كعـدو، والتعبئـة العدائيـة نحـوه كعـدو، مـن أهـم مـا ركـز عليـه القـرآن الكريـم، ومـن أهـم مـا فـرَّط فيـه المسـلمون، إلى درجـة أن البعـض يعـارض ذلـك، يعتـبر هـذا الأمـر لا داعـي لـه، لا ضرورة لـه، ويظهـر انزعاجـه، عندمـا يكـون هنـاك نشـاط تعبئـة عدائيـة ضـد ذلـك العـدو، وهـي **الحالـة التـي تحصِّـن مـن الـولاء لـه، التعبئـة العدائيـة الشـديدة، التـي تترجمها مواقـف، تترجمها أنشـطة، تترجمها هتافـات، تترجمهـا شـعارات،** ولا تبقـى حالـة مخفيـة، لا يعـبَّر عنهـا حتـى بالكلام، أمـر سـخيف للغايـة، البعـض مـن الآراء آراء سـخيفة، لا تنسـجم بـأي حـالٍ مـن الأحـوال لا مـع القـرآن، ولا مـع الواقـع أيضـاً.

فلذلك عندما يركز العدو على التطويع، ويركز على الولاء، ويركز على بيئة مفتوحة أمامه، لا يوجد فيها أي تعبئة عدائية تجاهه، يجدها بيئةً سهلة، قابلة للاختراق، قابلة لأن تنجح فيها مخططاته ومؤامراته؛ **بينما** إذا كان هناك نشاط يتمثل في تعبئة عدائية، وفي نشرٍ للوعي من خلال القرآن الكريم؛ **لأن** الله سبحانه وتعالى ركَّز في القرآن الكريم أن يحذر من الولاء للعدو، وتحذير واسع ومتكرر في القرآن وبشدة، وهذا **يجب** أن يكون عبارة عن نشاط قائم في واقع الأمة، في التثقيف، في التعليم، في الإعلام، وليس أمراً مسكوتاً عنه، إذا لم يكن هناك داعٍ للكلام حول ذلك، فلماذا يتحدث الله عنه في القرآن الكريم، ويركز عليه، ويأتي له بأهم العبارات، وبلهجة قوية، **يعني:** بعبارات قوية **جدًّا**، بالتحذير الشديد **جدًّا**؟ إلا لأهمية المسألة، وأنها تتطلب الحديث عنها في واقع الأمة.

والله سبحانه وتعالى **حذَّر من طاعتهم، هو القائل:** ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[1]، يردوكم كافرين، هذه الحالة التي يسعون فيها في واقع الأمة، من خلال التطويع للأمة، أن يسيروا بالأمة في حالة الارتداد، الارتداد عن قيم هذا الدين، عن مبادئ هذا الدين، عن أخلاق هذا الدين، شيئاً فشيئاً بأسلوبهم الترويضي، وهذه حالة واضحة في واقع الذين اتجهوا للولاء لهم تحت عنوان التطبيع، يرتدون عن مبادئ الدين، عن قيمه، عن أخلاقه، عن تشريعاته، وبشكلٍ مستمر ومتسارع، بخطى متسارعة، وهذه مسألة معروفة لمن يرصد حالهم.

١- آل عمران: من الآية ١٠٠

من أهم الإرشادات القرآنية لمواجهة التحديات

من أهم ما يرشد إليه القرآن في ذلك، هو: الاعتصام بالله، الالتجاء إلى الله تعالى، والانطلاقة الإيمانية، التي لابدَّ منها في الارتقاء بالأمة، لتكون في مستوى مواجهة هذا التحدي والخطر، والاهتداء بالقرآن الكريم، والاقتداء برسول الله ﷺ، وأن تسير الأمة على منهجية الهدى بشكلٍ موحد، في إطار قيادةٍ موحدة، وتوجهٍ موحد، وأن تعتصم بحبل الله جميعاً، وأن تحذر من الفرقة، وأن تحذر من الخلاف، وأن تتجه على أعلى مستوى من الإحساس بالمسؤولية، ومن التقوى، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]، تتجه هذا التوجه بجدية، تستشعر الخطورة الرهيبة للتفريط في أدائها لمسؤولياتها، وفي اهتمامها بهذه القضية، وهو الموقع الوحيد في القرآن الذي أتى فيه ذلك التعبير القرآني: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؛ **ليدل** على الخطورة البالغة والرهيبة في التفريط تجاه هذه القضية، وأنه لابدَّ أن تكون الانطلاقة فيها بأعلى مستوى من التقوى، من الجدية، من الاهتمام، من الحذر من التفريط.

ثم يأتي الأمر في القرآن الكريم، في الآيات المباركة من سورة آل عمران، في هذا السياق نفسه، ليتحدث عن أهمية الأخوّة، والتعاون، أن تنطلق الأمة متكاتفة للنهوض بمسؤوليتها في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كل هذا يرشد إليه في القرآن الكريم في سياق رسم خطة للأمة في التصدي لذلك العدو، **فالمسألة في غاية الأهمية.**

١- آل عمران: من الآية ١٠٢

يبين كذلك في الآيات المباركة من سورة المائدة ما يتعلق بهذه المسألة، وما يحصِّن الأمة منها، وأن الواقع الذي ستعيشه الأمة أمام هذا **التحدي هو لا يخلو من حالتين: إمَّا حالة** ارتداد وتراجع، **أو حالة** توجه وفق المواصفات التي رسمها الله في القرآن الكريم، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

لو كانت المسألة مجرد ناس يرتد عن الإسلام، وناس يبقى مسلماً عادياً، **لكان قال:** (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يسلمون، ويصلون، ويصومون، ولا يفطرون في رمضان... إلى آخر الروتين المعتاد)، لكن المسألة أكبر من ذلك، مستوى الالتزام الإيماني والديني يمتد أيضاً ليشمل جوانب المسؤولية، فيأتي بتلك المواصفات في مقابل من؟ في مقابل حالة الارتداد، **وهذا التقابل لهذه الآية من أهم ما يهز ضمير الإنسان، ويحرِّك مشاعره، ويجعله يدرك أهمية المسألة؛ لأنه** إن لم يكن متجهاً ليكون ضمن تلك المواصفات، فالحالة البديلة هي: حالة الارتداد عن مبادئ من هذا الدين، عن قيم أصيلة وأساسية من هذا الدين، عن مسؤوليات ومهام رئيسية، هي من صميم هذا الدين الإلهي، فهذا التقابل مهمٌ للغاية: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

١- المائدة: الآية ٥٤

ثـم يتحـدث القـرآن الكريـم قبـل ذلـك مبينـاً خسـارة الذيـن يسـارعون في الأعـداء، بـأي شـكلٍ كانـت أشـكال المسـارعة، وهـي في الاتجـاه المنحـرف، الاتجـاه الـذي يخـدم الأعـداء، يفيـد الأعـداء، يسـتغله الأعـداء، فيبيـن كيـف سـيصبحون نادميـن وخاسريـن، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[1]، تذهـب آمالهـم، تتـلاشى آمالهـم تلـك، التـي خططـوا لهـا مـن وراء مسـارعتهم، فيصبحـون نادميـن.

هـذه حقائـق أكـد عليهـا اللـه في القـرآن الكريـم، ولذلـك نحـن نلحـظ مثـلاً في واقـع الأمـة إيجابيـة، ثمـرة ونتيجـة ملموسـة للتحـرك في الاتجـاه الصحيـح، ضمـن الروحيـة الجهاديـة، ضمـن تحمـل المسـؤولية، والنهـوض بهـا، رأينـا الثمـرة الإيجابيـة، النجـاح يتحقـق في فلسـطين في واقـع المجاهديـن هنـاك، النمـوذج الراقـي والمميـز والكبيـر والناجـح **جـدًّا** في حـزب اللـه في لبنـان، رأينـا هـذه النماذج، رأينـا النجـاح الكبيـر عندنـا ضمـن هـذا التوجـه الإيجـابي في اليمـن، **هـو توجـهٌ يـرضي اللـه** ﷻ، **ويبنـي الأمـة**، **يبنـي الأمـة** في وعيهـا، **يبنـي الأمـة** لتكـون قويـة، **ينتشـلها** مـن حالـة الضعـف، **ينتشـلها** مـن حالـة الوهـن، **ينتشـلها** مـن الحالـة التـي تخـدم أعداءهـا، تمكِّـن أعداءهـا منهـا، **يبنيهـا** في كل المجـالات، لتكـون بمسـتوى التحديـات، هـذا هـو الخيـر للأمـة، والمصلحـة الحقيقيـة للأمـة، هـو المفيـد للأمـة، هـو الـذي يحفـظ لهـا دينهـا، ويحفـظ لهـا دنياهـا، وهـو الـذي يفيدهـا في مسـتقبلها، وهـو الـذي يصلهـا باللـه ﷻ، برحمتـه، بنـصره، بعونـه، بتأييـده.

١- المائدة: من الآية ٥٣

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

****

التقوى

أساس العلاقات الأخوية والفوز بالسعادة الأبدية

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحمَّدٍ وعلى آلِ مُحمَّد، وبارِكْ على مُحمَّدٍ وعلى آلِ مُحمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيُّها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

اللهم اهدنا، وتقبَّل منا، إنك أنت السميع العليم، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

شهر رمضان شهر التزود بالتقوى، التقوى التي هي وسيلةٌ للفوز والنجاة، وبها يحقق الإنسان أعظم الآمال، وأكبر الأماني، بل أكبر وأعظم وأسمى مما يتمناه ويرغب به، وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالجنة، محبة الله، رعايته الواسعة،

كلها ارتبطت بمسألة التقوى، واقترنت بالتقوى، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]، هكذا يقول عن الجنة: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[٢]، معية الله، أن يكون معك، وأن يكون مع أمةٍ معينة، أو مجتمعٍ معين، مرتبطةٌ بالتقوى أيضاً، فهي وسيلةٌ مهمة للوصول إلى الفوز العظيم، وإلى الربح الحقيقي، وإلى السعادة الأبدية.

ما يصرف البعض عن تقوى الله ﷻ هو شهواتهم، ورغباتهم، وآمالهم، وطموحاتهم، وأهواؤهم، التي مهما بذلوا من أجلها، ومهما فرَّطوا في التقوى من أجلها؛ **لن** يصلوا فيها -في نهاية المطاف- إلى مبتغاهم بشكلٍ تام، هناك الكثير من المنغصات، والكثير أيضاً من العوائق، وأيضاً -في نهاية المطاف- يتحمَّلون التبعات، عندما يفرِّطون في التقوى، وهم يسعون وراء رغبات أنفسهم، وأهواء أنفسهم، ويعتمدون على أهواء أنفسهم.

وظروف الحياة بنفسها، ظروف الإنسان فيها محاطٌ بالكثير من العوائق، والمشاكل، والهموم، لا يمكن أن يصل إلى ما يريده، وإلى مبتغاه، وأن تستقر له حياة تتكامل فيها كل رغباته، وكل آماله، وكل أمانيه، وفق ما يشتهي، ومن دون منغصات، هذا لا يحصل ولا يتم لأحدٍ أبداً.

١- آل عمران: من الآية ١٣٣

٢- مريم: الآية ٦٣

دور الأصدقاء في الانحراف أو الالتزام بالتقوى

ما يصرف البعض عن تقوى الله ﷻ أيضاً هو أخلاؤهم، وأصدقاؤهم، الذين لهم بهم علاقةٌ وثيقةٌ، ويتبادلون فيما بينهم المحبة القوية، وتربطهم صلة الصداقة القوية، لها أهميتها الكبيرة في التأثير فيما بينهم، نتيجةً لما يكون بين الصديق وصديقه، والخليل وخليله، من محبةٍ، من تأثيرٍ وجداني ونفسي، من ثقةٍ واعتماد، **ولها أهميتها في الاتجاهين:**

- اتجاه الانحراف عن التقوى، والابتعاد عن التقوى، أو التفريط بالتقوى.
- وأهميتها أيضاً يمكن أن تكون في تعزيز حالة التقوى.

ولذلك يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ﴾[1]، **يعني:** في يوم القيامة، عند بعث الناس للحساب، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[2]، الأخلاء الذين كانت تربطهم في هذه الدنيا صداقةٌ وثيقةٌ، ومحبةٌ قوية، وعلاقةٌ حميمية، يتأثرون ببعضهم البعض، يقفون مع بعضهم البعض في مختلف النوائب والشدائد، يتضامنون مع بعضهم البعض في حالة المحن، والأزمات، والهموم، والمشاكل، يرتاحون لبعضهم البعض، يُسَرَّون ببعضهم البعض، يفرحون ببعضهم البعض.

في يوم القيامة يتغير حالهم تماماً، تلك المحبة القوية، تلك العلاقة الحميمية، تلك الصلة والقرب فيما بينهم تتبدل بشكلٍ تام إلى عداءٍ شديد، وكرهٍ وبغضٍ شديد، وكلٌ منهم يكره الآخر، يبغضه، يعاديه، يمتلئ حقداً عليه، ينفر منه، لماذا؟ لأنه يراه سبباً في انحرافه عن التقوى، يراه سبباً فيما وصل إليه من الشقاء؛ **وبالتالي** يغضب منه، ويستاء منه، ويحقد عليه، ويكرهه، ويبغضه، ويتبرأ منه، ويلعنه، ويعاديه.

١- الزخرف: من الآية ٦٧

٢- الزخرف: الآية ٦٧

﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فحالهم مختلفٌ تماماً، من كانت خُلَّتهم في الدنيا، صداقتهم في الدنيا، علاقتهم الحميمية في الدنيا، روابطهم في هذه الدنيا قائمةٌ على أساس التقوى والإيمان، فكانوا يتواصون بالحق، يتواصون بالصبر، يتعاونون على البر والتقوى، كانت صداقتهم، وأخوتهم، ومحبتهم لبعضهم البعض، وعلاقتهم القوية ببعضهم البعض عوناً لهم على تقوى الله ﷻ، على الاستقامة على نهجه، كانوا يتواصون بالحق، فيزدادون ثباتاً عليه وتمسكاً به، وكانت تلك العلاقة تساهم في أن يؤثِّروا على بعضهم البعض الأثر الإيجابي، في الحالات التي قد يتأثر فيها البعض بعوامل أخرى تكاد أن تصرفه عن الحق، فيأتي النصح، النصح الخالص، الصادق، الذي ينطلق على أساس التقوى، فيترك أثره البالغ، ومساعدته الكبيرة في الاستمرار في طريق الاستقامة على نهج الله ﷻ.

فهم في يوم القيامة رأوا ثمرة هذه الأخوّة، هذه العلاقة الإيمانية، هذه المحبة، هذه الخُلَّة التي كانت قائمةً على أساس التقوى، كانت ثمرتها طيِّبة، ثمرتها الفوز العظيم، ففي يوم القيامة لن يكونوا متعادين، بل إنهم سيرون صداقتهم تلك، أخوتهم تلك، محبتهم وعلاقتهم تلك، روابطهم تلك، وما قامت عليه من التواصي بالحق، من التعاون على البر والتقوى، سبباً من أسباب فلاحهم وفوزهم ونجاتهم، فتزداد محبتهم، وألفتهم، وانسجامهم، وارتياحهم، واعتزازهم بتلك العلاقة الإيمانية، بتلك الأخوّة، بتلك الروابط والصداقة والمحبة التي كانت قائمةً على أساس التقوى.

إلى أن يصلوا إلى الجنة، وفي الجنة يكونون كما قال الله عنهم: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1]، يلتقون في الجنة في مجالسها التي هي مجالس مميزة، يشربون فيها من مشروبات الجنة الراقية، يتذاكرون أيام كانوا في الدنيا، أيام حياتهم في هذه الحياة، ويتذكرون ويتحدثون عمَّا قد وصلوا إليه من نعيمٍ وسعادةٍ أبدية في مستقر رحمة الله، ودار كرامته، حكى القرآن الكريم الشيء الكثير عن ذلك.

الدور الحساس والمؤثر لقرين السوء!

في الخُلَّة التي تؤثر على الكثير من الناس، لدرجة أن البعض قد يكون اتجه في طريق الحق، وفي طريق تقوى الله ﷻ، تقوى الله في الاستقامة على نهجة، تقوى الله في التحرك في إطار المسؤوليات، التي علينا أن ننهض بها، أن نهتم بها، ثم يقترن في مرحلةٍ من المراحل بصديق، صديق جديد، فيتأثر به، وتقوى الروابط فيما بينهما، ثم يبدأ يوسوس له، يستفزه، يتحدث معه أحياناً في بعض المراحل، أو في بعض الظروف، بما يؤثر عليه، فإذا واجه الإنسان إشكاليات معينة، أو قضايا معينة، استغلها أكثر في التأثير السيء على نفسية الإنسان، وهكذا يبقى يوسوس له، يؤثر فيه، يشده في الاتجاه الخاطئ، يُقَدِّم له ما يؤثر عليه، أو أحياناً قد يكذب، يكذب عنده.

دور الصديق الحميم المقرب هو دورٌ حساس، إذا لم يكن من المتقين، إذا لم يكن ممن يوصي بالحق، ممن يتجه في اتجاه أن يساعدك على الثبات في الموقف الحق، وفي طريق الحق، وفي عمل الحق، وفي العمل الصالح، دوره حسَّاس ومؤثِّر، بموقعه في نفسك، بتأثيره على نفسك، بمحبتك له، تتأثر به، **محبتك له بالنسبة له هي جسرٌ يعبر من خلاله إلى أعماق نفسك، فيترك فيها الأثر المعين.**

١- الحجر: من الآية ٤٧

فلذلك يأتي في القرآن الكريم التحذير من أخلاء السوء، من أخلاء الهوى، والبعض يُعجَب بهم؛ **لأنه** يراهم يتماشون مع نفسيته، إن غضب؛ **غضبوا** معه في الباطل، وشدوه أكثر، ودفعوه أكثر، فرآهم يتماشون مع حالته النفسية والمزاجية، وإن رغب؛ **تماشوا** معه في رغباته مهما بلغت، مهما وصلت، مهما كانت، حتى لو كانت خروجاً عن التقوى.

البعض من الناس يعجبه هذا النوع من الأصدقاء، بل يزداد تعلُّقه به؛ **لأنه** يراه متماشياً معه في كل الأحوال، في غضبه وانفعاله يراه متطابقاً معه بشكلٍ تام، لا يردعه عن خطأ، لا يوصيه بالحق، لا يحاول أن ينصحه، بل إنَّ البعض من الناس يكره هذا النوع من الأصدقاء، يتعقَّد منهم، من النوع الذين لا يماشونه في كل الأحوال، في حالات الغضب والانفعال، أو في حالات الرضا والرغبة، ينفر منهم، ويعتبرهم ليسوا بأصدقاء كما يريد هو، هو يعجبه النوع الذي ينسجم معه في كل الحالات، مهما كان موقفه خاطئاً، أو سلبياً، فيرتاح لهم، ويزداد تعلُّقه بهم، ويعتبر أن ذلك من علاقتهم الوثيقة، من صداقتهم الحقيقية، أنَّ هكذا هي الصداقة، وهذا هو خطأ، تصورٌ خاطئٌ بكل ما تعنيه الكلمة.

الصديق من صَدَقَك، الذي هو صادقٌ معك، يريد لك الخير، يريد لك الخير بكل ما تعنيه الكلمة، وإذا أراد لك الخير، فهو ذلك أيضاً الذي يدرك أنَّ المعيار فيما يتحقق به الخير، هو تقوى الله، **تقوى الله هي أساس كل خير، ومفتاح كل خير**، فلا يحيد بك عن تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**.

حـذَّر القـرآن مـن النـوع الـذي يتجـه بـك نحـو الهـوى، وينـصرف بـك عـن التقـوى، ويبعـدك عـن هـدى اللـه ﷻ، وبـيَّن مـدى حـسرة الإنسـان يـوم القيامـة، إذا تأثـر بهـذا النـوع مـن الأصدقـاء، في يـوم القيامـة في حـالات النـدم الشـديد، والحـسرة الشـديدة، وإدراك الخسـارة الفادحـة الرهيبـة، وهـو يحـكي عـن هـذا النـوع الـذي يتنـدم فيقـول: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾[1]، هـكـذا يتحـسرَّ، هـكـذا يتنـدم، يتمنـى بعـد فـوات الأوان، أنـه لم يتخـذ فلانـاً، سـيذكره باسـمه، فـلان (باسـمه)، الـذي أضلنـي عـن الذكـر، صرفنـي عـن إتِّبـاع القـرآن، دفـع بي إلى مخالفـة الهـدى، إلى مخالفـة آيـات اللـه، قـد يكـون هـذا في موضـوع مـن المواضيـع الرئيسـية، التـي لهـا تبعاتهـا، وتؤثِّـر عـلى الإنسـان تجـاه مـا هـو مـن صميـم التقـوى، مـن المسـؤوليات، أو الأعـمال العظيمـة، أو كذلـك ينحـرف بـك إلى فعـل مـا هـو محـرم، أو تـرك مـا هـو مـن أهـم المسـؤوليات الإيمانيـة والدينيـة، يتحـسر الإنسـان.

يقـول اللـه ﷻ أيضـاً: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[2]، مـن يتعامـى عـن هـدى اللـه، فـترك علاقتـه الوثيقـة بهـدى اللـه، علاقـة الإتِّبـاع، والاهتـداء، والتمسـك، والتقبـل، والالتـزام في ميـدان العمـل، في هـذه الحالـة يخـذل، ويسـلب التوفيـق مـن اللـه ﷻ، **فيكـون البديـل عـن هـدى اللـه الـذي هـو النـور:** يكـون البديـل شـيطاناً مـن شـياطين الإنـس، أو الجـن، يكـون قرينـاً لـه، والكثـير مـن شـياطين الإنـس مـن هـم حتـى أسـوأ، وأكـثر خطـورةً، وأبلـغ تأثـيراً مـن شـياطين الجـن، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾، يصدونهـم عـن سـبيل اللـه، عـن طريـق الحـق، عـن الاتجـاه الصحيـح، ويصرفونهـم عـن ذلـك، ويزيِّنـون لهـم مـا

١- الفرقان: ٢٨-٢٩

٢- الزخرف: الآية ٣٦

يصرفونهم بـه؛ **حتى** يقنعوهم أنهم على صواب في انحرافهم، في موقفهم، ويبررون لهم ذلك، ويقدِّمون لهم من التبريرات ما يقنعونهم به، حتى يتصور أنه غير خاطئ في موقفه.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[1]، في يوم القيامة يدرك أنه انحرف به ذلك القرين عن طريق الفوز، والنجاة، والسعادة الأبدية.

الرافضون لقرناء السوء وفوزهم العظيم!

مما يذكره القرآن الكريم مما يتعلق بذلك: قصة أحد أهل الجنة، كان له قرينٌ في الدنيا، كان يسعى لصرفه عن الحق، وعن اتجاه الإيمان، وعن التصديق بالحق، ولكنه- بتوفيق الله- تدارك نفسه، وتداركه الله برحمته، فأنقذه من تأثير ذلك القرين، وفي الآخرة، في الجنة، وأهل الجنة في الجنة يتساءلون فيما بينهم، كلٌّ يتحدث عن قصة حياته، عن أسباب فوزه ونجاته، عن المخاطر التي قد مرَّ بها في الحياة الدنيا، وكانت على وشك أن تؤثِّر عليه، ولكن الله وفَّقه وأنقذه منها، فأهل الجنة كما قال الله عنهم، يقول: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾[2]، قرين في الدنيا، في الحياة الدنيا، صديق حميم ومقرَّب، ﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[3]، إذا متنا وبعد الموت كنا تراباً وعظاماً، هل هناك جزاء؟ هل هناك حساب؟ هل هناك جنَّةٌ ونار؟ هل تصدق أننا إذا كنا تراباً وعظاماً يحدث لنا ذلك؟ ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾، الاطِّلاع في مكان في الجنة، ربما فيه إمكانيات معينة،

١- الزخرف: ٣٧-٣٨

٢- الصافات: ٥٠-٥١

٣- الصافات: ٥٢-٥٣

ووسائل معينة، من خلالها يتمكن أهل الجنة من مشاهدة أهل النار.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[١]، وجد صديقه ذلك في وسط جهنم والعياذ بالله، ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[٢]، عندما شاهده في وسط جهنم، تذكر كيف لو بقي معه، لو حافظ على صداقته به، لو تقبَّل منه كلامه، وانحرف معه، لكان معه في ذلك العذاب، لكان معه في ذلك الهلاك؛ فأدرك خطورة المسألة، وأنها كانت خطيرةً **جدًّا**.

فلذلك يجب أن يكون الإنسان متنبهاً، وألَّا يكون المعيار عنه في القرب من أصدقائه، وأعزائه، وأحبائه، هو مجرد تماشيهم معه في كل الحالات، وأن يكره منهم من ينصحه، من يوصيه بالحق، من يساعده على التزام التقوى، فيضجر منه، ويعتبره غير صديقٍ حقيقي، ينفر منه، يحذر من هذه الحالة.

التقوى.. أساس العلاقات وسبب الفوز والفلاح

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، **فالتقوى التي جمعت بينك وبين الآخرين، فكانت أساساً لعلاقاتك وروابطك، إنما تبقى أساساً في كل الأحوال، حتى في يوم القيامة.**

في يوم القيامة، في يوم الأهوال الشديدة، في يوم الفزع الأكبر، يأتي النداء من الله سبحانه وتعالى لعباده المتقين: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٣]، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، أصل هذا النداء وهو موجهٌ من الله سبحانه وتعالى إلى عباده المتقين في ساحة المحشر، في يوم القيامة، في تلك

١- الصافات: ٥٤-٥٥

٢- الصافات: ٥٦-٥٧

٣- الزخرف: الآية ٦٨

الأهـوال الرهيبـة، بعـد أن بـرِّزت جهنـم، وأظهـرت، وقرِّبـت، في تلـك الحـال الرهيبـة **جدًّا** يـأتي هـذا النـداء العظيـم مـن اللـه، مـن اللـه ﷻ، فينـادي عبـاده المتقـين، ويطمئنهـم، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ليـس هنـاك مـا يمكـن أن يخـاف عليكـم منـه؛ **لأن** النجـاة مكتوبـةٌ لكـم، ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، ولـن تحزنـوا، لـن يكـون هنـاك مـا يحزنكـم أبـداً، انتهـت حيـاة الحـزن في الدنيـا، فيطمئنهـم في يـوم الفـزع الأكـبر، الطمأنـة في ذلـك الموقـف العظيـم الأهـوال، الشـديد الأهـوال، هـي مـن أعظـم النعـم، هـي مـن أول مـا فـازوا بـه، ومـن أعظـم مـا فـازوا بـه، أن يحصلـوا عـلى الأمـن والاطمئنـان في يـوم الفـزع الأكـبر.

مـن هـم هـؤلاء المتقـين؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1]، الذيـن آمنـوا بآيـات اللـه، صدَّقـوا بهـا، وثقـوا بهـا، وثقـوا بمـا تضمنتـه مـن الوعـود الإلهيـة، صدَّقـوا بمـا فيهـا مـن الحقائـق، وقبلـوا، قبلـوا عـن اللـه، فالتزمـوا عمليـاً عـلى أساسـها، كانـت هـي الأسـاس في التزامهـم العمـلي، تمسَّـكوا بهـا، سـاروا عـلى أسـاس مـا تـدل عليـه، وتهـدي إليـه، وترشـد إليـه.

﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، **كانـوا مسـلمين للـه تعـالى، مسـلِّمين لأمـره، مسـتجيبين لـه، فهـذا الإيمـان الـذي قـام عـلى أسـاس التسـليم لأمـر اللـه، والاسـتجابة العمليـة للـه تعـالى، كانـت ثمرتـه التقـوى.**

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، **هكـذا يقـول اللـه لهـم:** ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، بعـد أن طمأنهـم، وبشَّرهـم وهـم في سـاحة المحـشر، يـأتي مـن اللـه ﷻ النـداء لهـم ليتجهـوا إلى الجنـة، وليدخلـوا الجنـة، ومـا أعظمـه مـن فـوز! مـا أكبرهـا مـن سـعادة! مـا أعظمهـا مـن فرحـة! فرحـة دخـول الجنـة، اللحظـة التـي يدخـل فيهـا المتقـون إلى عـالم الجنـة، يتوجـه فيهـا حتـى مـن كانـت صداقتهـم في هـذه

١- الزخرف: الآية ٦٩

الدنيا، وقد التقوا يوم القيامة، وتعارفوا، وتآلفوا، وفرحوا ببعضهم البعض، وفرحوا لبعضهم البعض بالفوز والنجاة، واتجهوا سوياً إلى الجنة، ثم دخلوا، لحظة الدخول إلى عالم الجنة هي لحظةٌ لا يمكن أن يوصف مستوى الفرح فيها، **في بعض الروايات والآثار: ((لو بقي موتٌ لمات الإنسان من شدة فرحته))**، أول ما يدخل إلى عالم الجنة، ويشاهد عالم الجنة.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾[1]، كذلك يدخل الإنسان مع زوجته، مع أسرته التي كانت معه في طريق التقوى، فيلتئم الشمل، شمل الأسرة، شمل العائلة، ويدخل الإنسان إلى عالم الجنة فرحاً، مسروراً، مبتهجاً، سعيداً، مرتاحاً، يشعر بالفوز، ﴿تُحْبَرُونَ﴾، تصلون إلى موطن السرور الأبدي، حيث تعيشون حالة السرور العظيم، والفرح الدائم، والنعيم العظيم، الذي يظهر أثره عليكم، في وجوهكم، في زينتكم، في أحوالكم، في حياتكم بكلها، **الجنة هي موطن السرور الابدي، والفرح الدائم**.

هذا ما لا يحصل لأحدٍ في هذه الدنيا، ليس هناك من أحد يمكن أن يعيش دائماً في حالة سرور وفرح، لا يحزن، لا يضجر، لا يصاب بالهموم، لا يعاني الغم، والهم، والأحزان، **في هذه الدنيا لا يدوم سرور**، يأتي الحزن، تأتي الهموم، تأتي المنغصات، تأتي المزعجات الكثيرة للإنسان، في أكثر الأحيان لا يكاد يمرُّ يومٌ على الإنسان يتم له ويكتمل له فيه سروره، يأتي ما يحزنه، وفي هذا العصر الأحزان كثيرة، الأحزان كثيرة **جدًّا**، والهموم كثيرة.

١- الزخرف: من الآية ٧٠

لمحة عن نعيم الجنة وما أعده الله للمتقين!!

ففي الجنة السرور الدائم، فيها كل ما يساعد على إيجاد حالة السرور، كل ما يسر به الإنسان، من كل أمور الحياة، من كل الرغبات، كل الأجواء فيها أجواء تبعث على السرور، يفرح بها الإنسان، كل ما هناك يَسُرّك، كل ما فيها يسرك، وتفرح به، وترتاح به، وليس هناك ما يحزنك، أو ينغص عليك حياتك، أو يصيبك بالهم، أو الضجر، أو الملل، ليس هناك ما يؤذيك، ليس هناك ما يزعجك، **فالجنة هي موطن السرور الخالص الأبدي العظيم، والارتياح الدائم، والفرحة الكبرى التي لا تنتهي؛ وإنما تتجدد، تعظم، تكثر**، ارتياح للدائم، للأبد.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾، في الجنة أهل الجنة فيها منعمون، ولا يحتاجون إلى أن يتعبوا، أو يخدموا أنفسهم، أو يجلبوا حاجاتهم، أو يتعبوا أنفسهم، الإنسان وحتى زوجته معه لن تحتاج أن تمضي وقتها في الجنة وهي تطبخ، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾[1]، يأتي خدمهم في الجنة ليطوفوا عليهم بصحاف، الصحاف نفسها التي فيها في محتواها، وتحمل من ثمار الجنة، من أطعمة الجنة، مما في الجنة من النعيم العظيم، مما لذ وطاب، ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾، الصحاف نفسها من الذهب، في غاية التكريم، في غاية النعيم، الصحاف بنفسها على أرقى مستوى، في زينتها، في جمالها، في روعتها، حتى أواني الجنة أواني رائعة **جدًّا**، أصلها من الذهب، وهي في غاية الجودة، والإتقان، والجمال، والروعة، وأما ما فيها من الطعام فهو على مستوى راقٍ وعظيم **جدًّا**، الأكواب كذلك أكواب من ذهب، وفي الآية الأخرى أيضاً يبين تنوع الأواني في الجنة، من الذهب، والفضة، والأكواب من ذهب الجنة، ومن فضة الجنة، وصناعة من الله، على أرقى مستوى.

١- الزخرف: من الآية ٧١

﴿وَفِيهَا﴾ **وفي الجنة** ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾، كل ما يمكن أن تشتهيه نفسك، ونفس الإنسان المتقي بالتأكيد هي راقية، زكية، طيبة، تشتهي الأشياء الراقية والطيبة، لسمو الإنسان، شهوته هناك هي على أساس زكاء نفسه، الأشياء الطيبة، الأشياء الراقية، الأشياء العظيمة، وهذه عبارةٌ جامعةٌ لكل نعيم: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾[1]، عبارةٌ جامعة، وهذا لا يوجد لأحدٍ في الدنيا، لا ملك، ولا تاجر، ولا أكبر ثري في الدنيا، أن يتمكن من أن يحصل على كل ما تشتهيه نفسه، ويرتاح بذلك، ومن دون منغصات، لا يتمكن، البعض تحصل لهم عوائق حتى على المستوى الصحي في أنفسهم، لو امتلك المال، فأمامه عائق صحي لن يستفيد من ذلك المال.

﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾، المناظر الخلابة، المناظر الرائعة **جدًّا** التي تفرح النفس بها، ترتاح النفس بمشاهدتها، أنواع الزينة، كل شيءٍ في الجنة على أرقى مستوى، المساكن، مناظر الجنات، والبساتين، والمزارع، كل الأشكال، الزينة، كل الأشياء التي يراها الإنسان تبهجه، يرتاح برؤيتها، يُسَر بمشاهدتها، يرتاح، وفي نفس الوقت يستفيد من أي شيءٍ يريد أن يستفيد منه، ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، ذلك النعيم العظيم ليس هناك مخاوف من أنه ليس سوى نعيمٍ مؤقت، ثم ينتهي، هذا هو حال الدنيا كل ما فيها مؤقت، في الآخرة يقول الله: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، لن تموتوا، لن تهرموا، لن تمرضوا، لن ينتهي هذا النعيم، ستعيشون في هذا النعيم للأبد، في ذلك السرور العظيم، والراحة العجيبة، وتوفر كل الأشياء التي ترغبون بها، وتتنعمون بها، تتوفر لكم، وتعيشون فيها للأبد، ولن تموتوا، ولن تهرموا، ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، لا موت، ولا هرم، ولا مرض.

١- الزخرف: من الآية ٧١

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١]، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾؛ **لأن** الله يُمَلِّكُهم، يُمَلِّكُهم القصور، يُمَلِّكُهم المزارع، البساتين، يُمَلِّكُهم الشيء العجيب فيما أعده لهم، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢]، نعيم يفوق كل تصور، كل خيال، وأكبر من كل ما يتمناه الإنسان، ليس هناك في الدنيا شيءٌ يسد طمع الإنسان، أو رغبة الإنسان، (**لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لابتغى لهما ثالثاً**)، لكن الذي أكبر من كل ما يتمناه الإنسان هو في الجنة، هو في الجنة.

والإنسان هناك ليس فقط يعيش هكذا كمجرد ضيف لا يملك الأشياء، وقد يتحرج من أن يطلب بعض الأشياء، يراها ويرغب بها، أو يتحرج من كثرة ما يطلب، أعطوا لي من هذا، ومن هذا، ومن هذا، هو يُمَلَّك، ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾، تصبح تلك قصورك، وتلك بساتينك، وتلك مزارعك، وتلك الأشياء لك... وهكذا، فيما أعده الله في عالم الجنة من الأشياء العجيبة، وبتكريم، **يقال لك:** هذا عملك، هذا جهادك، هذا صبرك، هذا إنفاقك، هذا عطاؤك، هذه ثمرة جهودك، هذا من التكريم الكبير لهم، من التكريم العظيم لهم.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾[٣]، أصنافها كثيرةٌ **جدًّا**، وهي وافرة، لا تنفد، ولا تنقطع، ولا تتوقف، وفواكه الجنة من أعظم النعيم فيها؛ **لأنها** بالنسبة لها كثيرةٌ **جدًّا**، ورائعةٌ **جدًّا**، ولذيذةٌ **جدًّا**، وجميلةٌ **جدًّا**، وهي من أحسن ما يطيب للإنسان كغذاء، ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[١]، وهي وافرة وكثيرة، ولا تنقطع أبداً.

١- الزخرف: الآية ٧٢

٢- السجدة: من الآية ١٧

٣- الزخرف: من الآية ٧٣

حياة سعيدة، هنيئة، وسرورٌ وفرحٌ واستبشارٌ لا ينتهي، يدوم ويبقى، يتجدد ولا ينفد، هو النعيم العظيم.

والتقوى هي وسيلة الفوز للوصول إلى ذلك النعيم العظيم، والإنسان سيدرك عندما يتوفق بهذا التوفيق الإلهي الكبير، أنه في الواقع مهما كان حجم ما قد عاناه في هذه الدنيا، أو تعب منه، أو ضاق منه، ليس شيئاً في مقابل ما سيحصل عليه، وما حصل عليه عندما يصل إلى ذلك النعيم العظيم.

ولو خسر الإنسان هذا النعيم العظيم، ودخل إلى النار والعياذ بالله، فرَّط في تقوى الله ﷻ، سيدرك أن كل شيءٍ في هذه الدنيا ما كان يستحق منه أن يفرِّط في هذا النعيم العظيم.

وفي الجنة يرتاح أهل الجنة، يتلاقى الأصدقاء فيها في أطيب مستقر، في مجالسها الرائعة **جدًّا**، يشربون من شرابها، يستذكرون أحوالهم في الدنيا، يدركون كم كان للعلاقة القائمة على التقوى، وللنصح، وللتعاون على البر والتقوى، من أهميةٍ فيما وصلوا إليه، فيما فازوا به.

فلذلك يحرص الإنسان على ألّا يصرفه شيءٌ عن تقوى الله ﷻ، يتحرك الإنسان مثلما قال الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1]، وفق آيات الله، يهتدي بهدى الله، يقبل بهدى الله، يقبل بتوجيهات الله، يقبل بأوامر الله ﷻ، فيلتزم، ويطيع، لا يصرفه شيء، لا أخلاء الهوى، ولا رغبات وأهواء النفس.

١- الزخرف: من الآية ٦٩

نكتفي بهذا المقدار...

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا؛ حتى نصل إلى ذلك النعيم العظيم، والفوز العظيم، أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

ونسأله أن يتقبل منا ومنكم الصيام، والقيام، وصالح الأعمال، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

*****